

دخائر العرب

١٢

إعجاز الفراء

للشافعي
أبي بكر محمد بن الطيّب

تحقيق
السيد أحمد صقير

دار المعارف بمصر

إعجاز الفراء

للإمام
أبي بكر محمد بن الطيّب

دخلف العرب

١٢

إعجاز الفراء

للبيافلاني
أبي بكر محمد بن الطيّب

تحقيق
السيد أحمد صقير

دار المعارف بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

جرت سنة الله في ابتعاث رسله إلى خلقه ، لتبصيرهم بعظمتهم وجمعهم على عبادته ، أن يؤيدهم بأمر حسيه تخالف السنن الكونية ، وتشذ عن النواميس الطبيعية ؛ وتكون من قبيل ما استحكم في زمانهم ، وغلب على خاصتهم ، وعظم في نفوس عامتهم ؛ لتكون معجزة الرسول المرسل إليهم مفحة لأعجب الأمور في أنظارهم ، ومبظة لأقوى الأشياء في حساباتهم ؛ ولئلا يجد المبطلون متعلقات يتشبثون به ، ولا سبيلاً يتخذونه إلى اختداع الضعفاء .

فقد أيد الله جل جلاله موسى عليه السلام — وكان عصره عصر سحر — بخلق البحر ، وانقلاب العصا حية تسعى ، وانبحاس الحجر الصلد بعيون الماء الرواء . وأيد عيسى عليه السلام — وكان عهده عهد طب — بإبراء الأكف والأبرص ، وخلق الطير من الطين ، وإحياء الموتى بإذنه .

ولما أرسل رسوله محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، إلى الناس أجمعين ، وجعله خاتم النبيين — أيده بمعجزات حسية كمعجزات من سبقه من المرسلين ، وخصه بمعجزة عقلية خالدة ، وهي إنزال القرآن الكريم ، الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يستطيعوا ولم يقاربوا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . وكان ذلك في زمن سما فيه شأن البيان ، وجلت مكاتته في صدور أهله ، وعرفوا باللسن والفصاحة ، وقوة المارضة في الإعراب عن خوالج النفوس ، والإبانة عن مشاعر القلوب . وظل رسول الله ، صلوات الله عليه ، يتحدث بهم بما كانوا يستقدون في

أنفسهم القدرة عليه ، والتمسكن منه ؛ ولم يزل يقرّعهم بعجزهم ، ويكشف عن
نقصهم ؛ حتى استكانوا وذلّوا وطبع عليهم الخزي بطابعه ، وصاروا حيال فصاحته
في أمر مرجح .

وقد أدهش القرآن العرب لما سمعوه ، وحير ألبابهم وعقولهم بسحر بيانه ،
وروعة معانيه ، ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه ؛ ففهم من آمن به ومنهم من كفر ،
وافترقت كلمة الكافرين في وصفه ، وتباينت في نسته . قال بعضهم : هو شعر ، وقال
فريق : إنه سحر ، وزعت طائفة أنه أساطير الأولين اكتتبها محمد ، فهي
تملى عليه بكرة وأصيلا ، وذهب قوم إلى أنه إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون .
وقال غير هؤلاء وهؤلاء : لو نشاء لقلنا مثل هذا . ولكنهم لم يقولوا هم ولا غيرهم ،
لأن تأليف القرآن البديع ، ووصفه الغريب ، ونظمه العجيب ؛ قد أخذ عليهم
منافذ البيان كلها ، وقطع أطباعهم في معارضته ؛ فظلوا مقموعين مدحورين ثلاثة
وعشرين عاماً ، يتجرعون مرارة الإخفاق ، ويُهْطِعُونَ لِقَوَارِعِ التَّبَكُّيْتِ ،
وَيُنْفِضُونَ رُؤُوسَهُمْ تحت مقارع التحدى والتعير ، مع أنفثهم وعزّتهم ، واستكمال
عدّتهم ؛ وكثرة خطبائهم وشعرائهم ، وشيوخ البلاغة فيهم ؛ والتهاب قلوبهم بنار
عداوته ، وترادف الحوافز إلى مناهضته ؛ وعرفائهم أن معارضته بسورة واحدة
أو آيات يسيرة أنقض لقوله ، وأفضل في إطفاء أمره ، وأنجح في تعطيم دعوته ،
وتفريق الناس عنه — من مناجزته ، ونصبيهم الحرب له ؛ وإخطارهم بأرواحهم
وأموالهم ، وخروجهم عن أوطانهم وديارهم .

وقد نذب الله المسلمين إلى تلاوة القرآن ، وقراءة ما تيسر منه ؛ وحضهم على
ادّكار معانيه ، وتدبر أغراضه ورمانيه ؛ ليهتدوا ببصائرهم ، وليستضيئوا
بأنواره في الحياة ؛ حتى تكون كلمتهم فيها هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .
فأقبل عليه علماءهم يتدبرونه ويفسرونه ، ويُجَلِّلون آياته على أعين الناس لعلهم

يشهدون ما فيها من المنافع لهم ، فيأتروا حيث أمر ، ويتقوا حيث زجر . وأقبل عليه غيرهم ، من أعدائه وأعدائهم ، فاتبعوا ما تشابه من آية ابتداء الفتنة بتأويلها ، وتحريف كلمة عن مواضعها ؛ وخبثت لهم أفهامهم الكلية ، وأذهانهم العملية ؛ أن في نظمه فساداً ؛ وفي أسلوبه لحناً ، وفي معانيه تناقضاً ، وفي نقله اضطراباً ؛ فنفوا عنه صفة الإيجاز ، وسدّدوا نحوه المطاعن ، وبثّوا حوله الشكوك . وكان الناجون الأولون منهم يخافتون بأقوالهم ، ويجمعون بآرائهم ، ويستخفون بمذاهبهم ؛ ويصطنعون الحذر والدهاء في كل ما يأتون وما يذرون ، خوفاً من بطش الخلفاء الراشدين ، ومن تلامم من خلفاء الأمويين .

وخلف من بعدهم هؤلاء خلف كانوا أكثر ثقافة ، وأغزر علماً وأحسن بياناً ؛ فأصخروا بآرائهم ، وجاهرُوا بمعتقداتهم ، وبثّوا شكوكهم في المجالس والأندية ، وسطّروها في الكتب والرسائل التي أسرفوا في تحسينها وبالغوا في تزيينها ؛ وغالوا في انتقاء ورقها ومدادها واستجداء خطها ، ليحسن وقعها في الأنظار ، وتصبو إليها أنفُس القراء .

وقد ساعدتهم على جهرهم هذا ومكن لهم منه ، تبدل الزمان وتغير الحال ، بتسامح الخلفاء في غير ما يمس سلطانهم ويعرض لدولتهم ، وامتلاك غير العرب لزمام الأمور في الدولة ، وانتشار الكتب المترجمة ؛ وازدياد اتصال العرب بغيرهم من أهل المذاهب والنحل الأخرى ، وكثرة الجدل بين المذاهب الإسلامية ، واشتعال نار العداوة بين الفرق الكلامية .

ولمّا كثرت المطاعن في القرآن ، وأوشكت الشبهات أن تأخذ سبيلها إلى نفوس الأغرار والأحداث — نهض فريق من العلماء يدبرون عنه ، وينافون دونه ، ويرمون من ورائه بالحجج النيرة والأدلة الواقة ؛ فشرعوا أقلامهم لتأليف الكتب والرسائل في الرد عليهم ، وتبيين مفقرياتهم . وفي طليعة هؤلاء أبو محمد

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، قد عمد إلي مطاعهم فيه فجمعها ، ثم كر عليها بالنقض في كتابه الجليل : « تأويل مشكل القرآن » .

وكانت مسألة الإعجاز من أبرز المسائل التي تاورها العلماء بالبحث أثناء تفسيرهم للقرآن ، وردهم على منكري النبوة ، وخوضهم في علم الكلام ؛ كعلي بن رَبن كاتب المتوكل في كتاب : « الدين والدولة » وكأبي جعفر الطبري في تفسيره : « جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن » ؛ وكأبي الحسن الأشعري في « مقالات الإسلاميين » ، وأبي عثمان الجاحظ في كتاب : « الحجة في تثبيت النبوة » .

وكان علماء الاعتزال أكثر المنيرين للكلام في إعجاز القرآن ، قد ذهب النظام — من بينهم — إلى أن القرآن نفسه غير معجز ، وإنما كان إعجازه بالصرفة ؛ وقال : « إن الله ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة ، بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام ؛ والعرب إنما لم يعارضوه ، لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك ، وسلب علومهم به » .

وذهب هشام القوطي ، وعبد بن سليمان إلى أن القرآن لم يُجعل علماً للنبي ، وهو عرض من الأعراض ، والأعراض لا يدل شيء منها على الله ولا على نبوة النبي .

وكان ذلك وغيره من أقوال أئمتها ، منبعاً غزيراً للقول في إعجاز القرآن . وقد انبرى كثير منهم للرد على من أنكر إعجازه جملة ، كأبي الحسين الخياط وأبي على الجبائي ، اللذين نقضا على « ابن الرواندي » كتابه : « الدافع » ؛ الذي طعن فيه على نظم القرآن وما يحتويه من اللغوي ؛ وقال : إن فيه سفهاً وكذباً .

وكذلك رد كثير منهم على من خالف عن قول جماعتهم : بأن تأليف القرآن ونظمه معجز ، وأنه علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كالجاحظ الذي رد على النظام رأيه في الصرفة ، في كتاب : « نظم القرآن » .

ألف الجاحظ كتابه هذا في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه ، وبديع تركيبه ؛ على حد قوله في مقدمة كتاب الحيوان . وهو من كتبه الضائعة . وقد أشار إليه الباقلائي في إيجاز القرآن ؛ إذ يقول ص ٧ : « وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله للتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى » .

وأخشى أن يكون الباقلائي قد حاف في حكمه على نظم القرآن ، وحملته العصبية للذهبية على تنقسه . فقد وصف الجاحظ نظم القرآن في كتابه « حجج النبوة » حيث يقول في صفحة ١٤٧ مخاطباً من كتب له الكتاب : « وفهمت — حفظك الله — كتابك الأول ، وما حثت عليه من تبادل العلم ، والتعاون على البحث ، والتحاب في الدين ، والنصيحة لجميع المسلمين . وقلت : اكتب إلى كتاباً تقصد فيه إلى حاجات النفوس ، وإلى صلاح القلوب ، وإلى معتلجات الشكوك ، وخواطر الشبهات ؛ دون الذي عليه أكثر التكلمين من التطويل ، ومن التصق والتعميد ، ومن تكلف ما لا يجب ، وإضاعة ما يجب . وقلت : كن كالعلم الرفيق ، والمعالج الشفيق ؛ الذي يعرف الدواء وسببه ، والدواء وموقعه ؛ ويصبر على طول العلاج ، ولا يسأم كثرة الترداد . وقلت : اجعل تجارئك التي إياها تؤمل ، وصناعتك التي إياها تعتمد — إصلاح القاسد ، وردّ الشارد . وقلت : ولا بد من استجماع الأصول ، ومن استيفاء القروع ، ومن حسم كل خاطر ، وقع كل ناعم ، وصرف كل هاجس ، ودفع كل شاغل ؛ حتى تتمكن من المحبة ، وتنهأ بالنعمة ، وتجدر أئمة الكفاية ؛ وتلج ببرد اليقين ، وتفضي إلى حقيقة الأمر . وقلت : ابدأ بالأخف فالأخف ، وبكل ما كان آتق في السمع وأحلى في الصدر ؛ وبالباب الذي منه يؤتى الرّيس للتكلف ، والجسور للتجرف ؛ وبكل ما كان أكثر علماً ، وأغذى كيداً . . . فكتبت لك كتاباً أجهدت فيه

نفسى ، وبلغت منه أقصى ما يمكن مثل فى الاحتجاج للقرآن ، والرد على كل طعان ؛ فلم أدرع فيه مسألة لرافضى ، ولا لحديثى ، ولا لحشوى ؛ ولا لكافر مُبَادٍ ، ولا لمناقى مقسوع ؛ ولا لأصحاب «النظام» ، ولن نجم بمد «النظام» عن يزعم : أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة ، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة ؛ فلما ظننتُ أنى قد بلغت أقصى محبتك ، وأثبت على معنى صفتك — أتانى كتابك تذكر أنك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن ، وإنما أردت الاحتجاج بخلق القرآن . وكانت مسألتك مبهمة ؛ فكسبت لك أشق الكتابين وأثقلهما ، وأغضهما معنى ، وأطولهما طولا . . . » .

ولست أعرف قولا عن كتاب : « نظم القرآن » ؛ ولا حديثاً عنه ، ولا وصفاً له غير وصف الجاحظ هذا ؛ وأحسبه فيه من الصادقين .

وقد قلده الجاحظ فى هذه التسمية أبو بكر عبد الله بن أبى داود السجستانى ، المتوفى سنة ٣١٦ ؛ فى كتابه : « نظم القرآن » .

وأبو زيد البلخى : أحمد بن سليمان ، المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ؛ قال أبو حيان فى كتاب « البصائر والذخائر » : قال أبو حامد القاضى : لم أر كتاباً فى القرآن مثل كتاب لأبى زيد البلخى ، وكان فاضلاً يذهب فى رأى الفلاسفة ، لكنه تكلم فى القرآن بكلام لطيف دقيق فى مواضع ، وأخرج مرآته ، ومما : « نظم القرآن » ولم يأت على جميع المانى فيه .

وكذلك أبو بكر : أحمد بن على ، المعروف بابن الإخشيد ، المعتزلى ، المتوفى سنة ٣٢٦ هـ ؛ فإنه قد ألف كتاباً أسماه : « نظم القرآن » .

وأول كتاب علمناه ، يشتمل عنوانه على كلمة الإعجاز ؛ هو كتاب : « إعجاز القرآن فى نظمه وتأليفه » لأبى عبد الله محمد بن يزيد الواسطى ، المعتزلى ، المتوفى سنة ٣٠٦ هـ . وهو من الكتب التى لا نعرف عنها غير أسمائها المجردة .

وقد بقي من الكتب للزوجة في القرن الرابع عن إجماز القرآن ، ثلاثة كتب .
أولها كتاب الرمانى ، وثانيها كتاب الخطابى ، وثالثها كتاب البقلازى .
وهى التى نعرض لها بالبيان والتحليل ، فيما يلى :

إعجاز القرآن للرمانى :

ولد أبو الحسن : على بن عيسى الرمانى المعتزلى فى سنة ٢٧٦ ، ومات سنة ٣٨٤
وكان يعرف أيضاً بالإخشيدي ، نسبة إلى أستاذه ابن الإخشيد ، وبالوراق ؛
لأنه كان يحترف الوراقة . وقال عنه ياقوت فى معجم الأدباء ٧٤/١٤ : « كان إماماً
فى علم العربية علامة فى الأدب ، فى طبقة أبي على الفارسى ، وأبى سعيد السيرافى .
وله تصانيف فى جميع العلوم : من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام ، على
رأى المعتزلة . وكان يمزج كلامه فى النحو بالمنطق ؛ حتى قال أبو على الفارسى : إن
كان النحو ما يقوله الرمانى فليس معناه شئ » ، وإن كان ما يقوله نحن ، فليس
معه منه شئ » . وقال عنه أبو حيان التوحيدى فى الإمتاع والمؤانسة ١٣٣/١ :
« وأما على بن عيسى فعالى الرتبة فى النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق ؛
وعيب به ، لأنه لم يسلك طريق واضح المنطق ، بل أفرد صناعة ، وأظهر براعة .
وقد عمل فى القرآن كتاباً نفيساً . هذا مع الدين التخين ، والعقل الرصين » . وقال
عنه فى تقييد الجاحظ ، كما قال ياقوت ، فى معجم الأدباء ٧٦/١٤ — : « لم ير
مثله قط . . . علماً بالنحو ، وغزارة فى الكلام ، وبصراً بالمقالات ، واستخراجاً
للوئيس ، وإيضاحاً للمشكل ؛ مع تأله وتنزه ، ودين و يقين ، وفصاحة وقناعة ،
وعفافة ونظافة » .

والكتاب النفيس الذى أشار التوحيدى إليه ، هو كتاب : « الجامع لم القرآن »
وقد ذكره الرمانى فى إجماز القرآن .

بدأ الرمانى كتابه ببيان وجوه إيجاز القرآن، فقال : إنها تظهر من سبع جهات
وهى : ترك المعارضة ، مع توفر الدواعى وشدة الحاجة ، والتحدى للكافة ،
والصرفة ، والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستتلة ، ونقض العادة ،
وقياسه بكل معجزة .

ثم قسم البلاغة إلى ثلاث طبقات ، وقال : إن ما كان فى أعلاها معجز ،
وهو بلاغة القرآن . ثم عرف البلاغة بأنها إصال المعنى إلى القلب فى أحسن صورة
من اللفظ ؛ وأعلاها طبقة فى الحسن بلاغة القرآن . ثم قسم البلاغة إلى عشرة
أقسام ، وهى : الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والقواصل ، والتجانس
والتصرف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان .

ثم فسرها باباً باباً على ترتيبها تفسيراً وافياً شافياً . فهو — مثلاً — عند
ما عرض لباب الاستعارة عرفها ، وفرق بينها وبين التشبيه . ثم بين أركانها ،
وقال : إن كل استعارة حسنة توجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة ، وذلك
أنه لو كان يقوم مقامه الحقيقة كانت أولى به ، ولم تجز الاستعارة . ثم ذكر ما جاء
فى القرآن من الاستعارة على جهة البلاغة . وبدأ بقول الله تعالى : ﴿ وقدمنا إلى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ ؛ فقال : « حقيقة ”قدمنا“ هنا : عمدنا .
و ”قدمنا“ أبلغ منه ؛ لأنه يدل على أنه علمهم معاملة القادم من سفر ، لأنه من
أجل إهماله لهم كمعاملة النائب عنهم . ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم . وفى هذا
تحذير من الغرور بالإهمال . والمعنى الذى يجمعهما المدل ؛ لأن الصد إلى إبطال
القاسد عدل ، والقدم أبلغ لما بينا » .

وجلة الآيات التى ذكرها فى هذا الباب على ذلك النحو العظيم — أربع
وأربعون آية .

وبعد أن فرغ الرمانى من تفسير أبواب البلاغة العشر ، عاد إلى البيان عن

الوجوه السبعة التي ذكرها في أول الكتاب، وقال : إنها مظاهر إعجاز القرآن .
فأبان عن أوجه دلالتها على الإعجاز . ويمتينا أن نذكر هنا ما قاله عن توفر
الدواعي « و « الصرفة » لما للأولى من دلالة خاصة ، ولأهمية الثانية .

قال : « وأما توفر الدواعي فتوجب الفعل مع الإمكان لا محالة ، في واحد
كان أو في جملة . والدليل على ذلك أن إنساناً لو توفرت دواعيه الى شرب الماء
بمحضرته ، من جهة عطشه واستحسانه لشربه ، وكل داع يدعو الى مثله ، وهو
مع ذلك ممكن له ؛ فلا يجوز أن لا يقع شربه منه حتى يموت عطشاً فتوفر الدواعي
على ما بينا . فإن لم يشربه مع توفر الدواعي له دل ذلك على عجزه عنه ،
فكذلك توفر الدواعي الى المعارضة على القرآن لما لم تقع المعارضة دل ذلك على
المعجز عنها » .

وقال عن الصرفة : « وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة . وعلى
ذلك يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن معارضته ،
وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة . وهذا
عندنا أحد وجوه الإعجاز التي تظهر منها للعقول » .

وختم كتابه بالإجابة على سؤال أورده ، فقال : « فإن قيل : فلم اعتمدتم على
الاحتجاج بمعجز العرب دون المولدين ، وهو عندكم معجز للجميع ، مع أنه يوجد
للمولدين من الكلام البليغ شيء كثير ؟ قيل له : لأن العرب كانت تقيم الأوزان
والإعراب بالطباع ، وليس في المولدين من يقيم الإعراب بالطباع كما يقيم الأوزان
بالطباع ؛ والعرب على البلاغة أقدر لما بينا من فطنتهم لما لا يفتن له المولدون من
إقامة الإعراب بالطباع . فإذا عجزوا عن ذلك فلولودون عنه أعجز » .

وقد ذهب الرماني إلى نفي السجع من القرآن ، وتسمية ما فيه من ذلك
فواصل ، لأن الأسجاع عيب ، والقواصل بلاغة ؛ لأن القواصل تابعة للمعاني ، وأما

الأشجاع فالملنى تابعة لها ، وهو قلب ماتوجه الحكمة فى الدلالة .

• • •

إعجاز القرآن للخطابى :

ولد أبو سليمان : محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُنى سنة ٣١٩ وتوفى سنة ٣٨٨ هـ . وهو من أعلام الفكر الإسلامى فى القرن الرابع القدين امتازت كتبهم بفرارة المادة ، وعمق الفكرة ؛ ودقة الاستنباط وروعة البيان ؛ وظهرت فيها شخصيتهم واضحة المعالم ، بينة القيمات . ومن كتب الخطابى الجليلة : كتاب « غريب الحديث » و« معالم السنن فى شرح سنن أبى داود » و« أعلام السنن فى شرح البخارى » و« إعجاز القرآن » وهو أصغرها حجماً . بدأ الخطابى كتابه بقوله : « قدأ كثر الناس الكلام فى هذا الباب قديماً وحديثاً ، وذهبوا فيه كل مذهب من القول ؛ وما وجدناهم — بمد — صدروا عن رى ؛ وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز فى القرآن ، ومعرفة الأمر فى الوقوف على كيفيته » .

ثم عرض للأقوال التى قبلت قبله فى وجوه الإعجاز ، وبدأ برأى القائلين بأن النبى صلى الله عليه وسلم ، قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه ، واتفقوا دونه . وعقب عليه بقوله : « وهذا — من وجوه ما قيل فيه — أيتها دلالة ، وأيسرها مؤونة ؛ وهو مقنع لمن لم تنازعه نفسه مطالعة كيفة وجه الإعجاز فيه » . ثم ثنى برأى القائلين بأن اللة فى إعجازه الصرفة ، أى صرف المهم عن المارضة ، وإن كانت مقدوراً عليها ، غير معجز عنها ؛ إلا أن العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجارى العادات — صار كسائر المعجزات . وعلق عليه بقوله : « وهذا أيضاً وجه قريب ، إلا أن دلالة الآية تشهد بخلافه ، وهى قوله سبحانه : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ . فأشار فى ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد ،

وسيله التأهب والاحتشاد ؛ والمعنى فى الصرفة التى وصفوها لا يلائم هذه الصفة
فدل على أن المراد غيرها .

ثم ذكر رأى الطائفة التى زعمت أن إعجازه إنما هو فيما تضمنته من الأخبار عن
الكواثر فى مستقبل الزمان ، وصدقت أقوالها مواقع أكوانها . ثم تقدم بقوله :
« ولا يشك فى أن هذا وما أشبهه من أخباره ، نوع من أنواع إعجازه ؛ ولكنه
ليس بالأمر العام الموجود فى كل سورة من سور القرآن . وقد جعل سبحانه فى
صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها ، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلا ،
قال : ﴿ فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ ،
من غير تعيين . فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه .

ثم ذكر الرأى الرابع الذى ذهب إليه الأكثر من علماء أهل النظر ، وهو
أن إعجازه من جهة البلاغة ، وقال : « ووجدت عامة أهل هذه المقالة ، قد جروا
فى تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد ، وضرب من غلبة الظن ؛ دون
التحقيق له ، وإحاطة العلم به . ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة
التي اختص بها القرآن ، وعن المعنى الذى يتميز به عن سائر أنواع الكلام
الموصوف بالبلاغة — قالوا : لا يمكننا تصويره ، ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة
القرآن غيره من الكلام ؛ وإنما يعرفه العاللون به عند سماعه ضرباً من المعرفة ،
لا يمكن تحديده . وأحالوا على سائر أجناس الكلام الذى يقع منه التفاضل ، ففتح
فى نفوس العلماء به — عند سماعه — معرفة ذلك ، ويتميز فى أفهامهم قبيل
الفاضل من الفضول منه . وقد يخفى سببه عند البحث ، ويظهر أثره فى النفس ،
حتى لا يلتبس على ذوى العلم والمعرفة به . وقد توجد لبعض الكلام عذوبة فى
السمع ، وهشاشة فى النفس ، لا يوجد مثلاً لغيره ؛ والكلامان معاً فصيحان ، ثم
لا يوقف لشيء من ذلك على علّة .

ثم عقب الخطابي على ذلك بقوله : « وهذا لا يقع في مثل هذا العلم ، ولا يشق من داء الجهل به ؛ وإنما هو إشكال أحيل به على إيهام » .

ثم ذكر أن دقيق النظر ، وشاهد البر ؛ قد دلاه على ما يباين به القرآن سائر الكلام ؛ وأن العلة في ذلك : « أن أجناس الكلام مختلفة ، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة ، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية . فنها البلوغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائز المطلق الرسل . وهذه أقسام الكلام الفاضل . فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه ، والقسم الثاني أوسطه وأقصده ، والقسم الثالث أدناه وأقر به . فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة ، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة ؛ فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نخط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة . وهما على الانفراد في نوتيهما كالتضادين ؛ لأن العذوبة تنائج السهولة ، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعاً من العورة . فكان اجتماع الأمرين في نظمه — مع نبوء كل واحد منهما عن الآخر — فضيلة خص بها القرآن » .

ثم قال : « وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله ، لأمرين :

منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية ، وبأوضاعها التي هي ظروف المعاني ، والحوامل لها . ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظم التي بها يكون اثتلافها وارتباط بعضها ببعض ، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها ، إلى أن يأتوا بكلام مثله . وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى قائم به ، وورباط لها ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ؛ ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاوفاً وتشاكلاً من نظمه . وأما المعاني

فلا خفاء على ذى عقل أنها هي التي تشهد لها القول بالتقدم في أبوابها ، والتفرق إلى أعلى درجات الفضل من نوتها وصفاتها . وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام ؛ فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه ، فلم توجد إلا في كلام المليم التقدير ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً .

فضمهم الآن ، واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ ، في أحسن نظوم التأليف ، مضمناً أصح المعاني : من توحيد له — عزت قدرته — وتزيه له في صفاته ، ودعاء إلى طاعته ، وبيان بمتهاج عبادته : من تحليل وتحريم ، وحظر وإباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق ، وزجر عن مساوئها . واضماً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه ؛ مُودعاً أخبار القرون الماضية ، وما نزل من تراث الله بمن عصى وعاند منهم ؛ منبأً عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الباقية من الزمان ؛ جامعاً في ذلك بين الحجة والمحجج له ، والدليل والمدلول عليه ؛ ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه ، وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه . ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين اشتاتها حتى تنتظم وتتسق — أمر يعجز عنه قوى البشر ، ولا تبلغه قدرهم ؛ فاقطع الخلق دونه ، وعجزوا عن معارضته بمثله ، أو مناقضته في شكله .

وأنى لم ذلك وأمر معاناة المعاني التي تحملها الألفاظ ، شديد بالغ الشدة «لأنها نتائج العقول ، وولائد الأذهان ، وبنات الأفكار .

وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحنق فيها أكثر ؛ لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني ، وبه يتصل أخذ الكلام ، ويلتزم بمضه ببعض ؛ فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان .»

ثم ذكر أقوال الماندين للقرآن ، لما عجزوا عن معارضته ؛ وقال : « إن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات ، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به ، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه : إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهب الروتق الذي يكون معه سقوط البلاغة . ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب ؛ كالعلم والمعرفة والحد والشكر . . . والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء اللغة بخلاف ذلك ؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبها في بعض معانيها ، وإن كانا قد يشتركان في بعضها . » ثم مضى يبين الفروق بين معاني الكلمات التي ذكرها ، وأتبعها بطائفة الاعتراضات التي وجهت إلى القرآن ، أو التي يمكن أن توجه إليه ؛ كتأليف معظم كلامه من ألفاظ مبتذلة في مخاطبات العرب ، مستعملة في محاوراتهم ؛ وقلة حظه من الغريب للمشكل ، بالإضافة إلى واضح الكثير ؛ وقلة عدد الفقر والغرر من ألفاظه ، بالقياس إلى مبادله ومراسيله . والقول بأن كثيراً من العبارات الواقعة في القرآن ، لم تقع في أفصح وجوه البيان وأحسنها ، وأنه قد عرض فيه سوء التأليف من نسق الكلام على ما ينبوعه ولا يليق به ، وإدخاله بين الكلامين ما ليس من جنسهما ، مع ما فيه من الحذف والاختصار ، ومضاعفة التكرار ؛ وغير ذلك مما يشكل معه الكلام ، ويستغلق مضاه ، ويخرج به عن حد الفصاحة العالية والبلاغة السامية .

ثم كر على تلك الاعتراضات فتقصها ، وفصل القول في تأويل الآيات الكثيرة التي أوردوها . وبين أسرار بلاغتها تبيناً ترناح إليه القلوب ، وتطمئن له المقول . ثم قال : « وفي إيجاز القرآن وجه آخر ، ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من أحادهم . وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس ، فإنك

لا نسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً ، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى — ما يخلص منه إليه . تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق ، وتشأها من الخوف والفرق ما تشعر منه الجلود ، وتزعج له القلوب . يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها . فكم من عدو للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من رجال العرب وقتاً كما ، أقبلوا يريدون اغتياله وقتله ، فسمعوا آيات من القرآن ، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول ، وأن يركنوا إلى مسألته ويدخلوا في دينه؛ وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم إيماناً . ثم أورد من النثر التاريخية ، والآيات القرآنية ؛ ما هو مصداق لما وصفه من أمر القرآن . وكان ذلك خاتمة الكتاب .

ثم ألف بعد الرماني والخطابي معاصرها أبو بكر الباقلافي ، كتابه بإيجاز القرآن .

• • •

الباقلافي وإعجاز القرآن :

✕ هو أبو بكر : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، المعروف بالباقلافي ، أو ابن الباقلافي .

ولد بالبصرة ، ولم يمين أحد من المؤرخين عام ولادته ؛ وقد تلقى العلم على أعلامها ، ثم رحل إلى بغداد فأخذ عن علمائها ، ثم اتخذها داراً لإقامته ، حتى قضى نحبه فيها . ولم يذكر أحد كذلك متى رحل إليها أول ما رحل ؛ ولا متى اتخذها مستقراً ؟

وقد أتيج للباقلافي أن يتلمذ لطائفة من العلماء الذين جموا بين العلم

والعمل ، وشهروا بالورع والتقوى ونحن نشير إلى من وقفنا عليه منهم ، فيما يلي :

(١) فنهـم أبو بكر الأبهري : محمد بن عبد الله (٢٨٩ — ٣٧٥ هـ) شيخ للالكية في عصره ؛ وقد أخذ عنه الباقلاني الفقه ، وصحبه فأطال صحبته وبما يؤثر عن الأبهري أنه أخرج في آخر حياته ثلاثة آلاف مقال ، وفرقها على تلامذته ، وكانوا جماعة وافرة ، وأثر الباقلاني فأعطاه منها مائة مقال .

(٢) أبو بكر : أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي روى مسند الإمام أحمد (٢٧٤ — ٣٦٨) ؛ وقد أخذ عنه الحديث .

(٣) أبو محمد : عبد الله بن إبراهيم بن أيوب بن ماسي (٢٧٤ — ٣٦٩) .

(٤) أبو عبد الله : محمد بن خفيف الشيرازي المتوفى سنة ٣٧١ . وقد أخذ عنه الباقلاني علم الأصول .

(٥) ابن بهته : محمد بن عمر ، البراز ، المتوفى سنة ٣٧٤ .

(٦) أبو أحمد : الحسين بن علي النيسابوري ، (٢٩٣ — ٣٧٥) .

(٧) أبو أحمد : الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (٢٩٣ — ٣٨٢) .

(٨) أبو محمد : عبد الله أبي زيد القيرواني ، المتوفى سنة ٣٨٦ عن ست وسبعين سنة .

(٩) أبو عبد الله الطائي : محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد ، البصري ، صاحب أبي الحسن الأشعري . وقد درس عليه الباقلاني الأصول والكلام ، وكان من أخص تلاميذه .

(١٠) أبو الحسن الباهلي البصري صاحب أبي الحسن الأشعري ؛ قال الباقلاني : « كنت أنا وأبو إسحاق الإسفرائيني ، وابن فورك معاً في درس الشيخ الباهلي ، وكان يدرس لنا في كل جمعة مرة واحدة ، وكان منا في حجاب ، يرخي الست بيننا وبينه كي لا نراه . وكان من شدة اشتغاله بالله مثل واله أو مجنون ، لم يكن يعرف مبلغ درسنا حتى نذكره ذلك » . ولم يكن الباهلي يحتجب عن هؤلاء .

الثلاثة قط ، بل كان محتجب عن كل الناس ، حتى عن الجارية التي كانت
تخدمه . وقد سأله تلاميذه في أول عهدهم به عن سبب إرساله الحجاب بينه وبينهم
فقال : « إنكم ترون السوق ، وهم أهل الغفلة ، فتروني بالعين التي ترون أولئك
بها » ! وذكر ابن شاكر في « عيون التواريخ » أن الباهلي مات سنة ٣٧٠ .

وكان الباهلي وابن مجاهد ، أعرف العلماء بمذهب الأشعري ، وأشدّهم قهراً ،
وأقوام حجة في الدفاع عنه ؛ لأنهما كانا من أقرب تلاميذه إليه . وقد سجل
المؤرخون للأشعري : أن أخص تلاميذه به أربعة : أبو بكر بن مجاهد ، وأبو الحسن
الباهلي ، وأبو الحسن الطبري ، وخادمه بندارين الحسين الشيرازي المتوفى ٤٥٣ .

وقد تلقى الباقلاني عليهما أصول المذهب ، فتمشقه واندفع في نصرته ، بما عرف
عنه من قوة الحجة ، وبراعة المحاوراة ، وسرعة البديهة ، وطلاقة اللسان ، وغزارة
البيان . فطار صيته في الآفاق ، وهو ما زال بعد في ريعان الصبا وفتاء الشباب ؛
حتى وصل إلى أعلام المعتزلة بشيراز .

وكانت شيراز في ذلك الوقت حاضرة ملك أبي شجاع فتناخسرو بن ركن
الدولة البويهي . الذي آل إليه ملك فارس بعد وفاة عمه عماد الدولة في سنة ٣٣٨ ،
فتلقب بعضه الدولة .

وكان عضد الدولة أميراً عظيم الهبة ، غزير العقل ، شديد التيقظ ، كثير
الفضل ، واسع الثقافة ، مشاركاً في العلوم ، قد تعلم على أحسن المعلمين . فكان
يقدر العلم والعلماء ، ويمحب الأدب والأدباء ، ويؤثر مجالسهم على مجالسة
الأمرأ ؛ ويمجى الجرايات على الفقهاء والمحدثين ، والنحاة والمفسرين ، والشعراء
والتكلميين ، والأطباء والمهندسين .

وكانت له خزانة كتب عظيمة ، عني بها عناية فائقة ، يدل عليها وصف
المقدمي لها بأنها « حجرة على حدة ، عليها وكيل وخازن ومشرف . ولم يبق كتاب

صنف إلى وقت عضد الدولة من أنواع العلوم إلا وحصله فيها . وهى أزج طويل
فى صفة كبيرة ، فيه خزان من كل وجه ، وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج
والخزائن بيوتاً طولها قائمة فى عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق ، عليها أبواب
تنحدر من فوق ! والدفاتر منضدة على الرفوف ، لكل نوع بيوت وفهرستات
فيها أسامى الكتب ، ولا يدخلها إلا كل وجيه .

وكان يقرض الشعر ويمثل به ، ويحكم على معانيه بعد التقدير له ؛ فقصده
العلماء من كل فج ، وصنفوا له الكتب ؛ كأبى على الفارسى الذى ألف له كتب
« الإيضاح » ، وكتاب « التكملة » فى النحو . وارتحل إليه الشراء كأبى الطيب
المتنى الذى ورد عليه بشيراز فى جمادى الأولى سنة ٣٥٤ ، وأنشده قصيدته
الهائلة التى يقول فيها :

وقد رأيتُ الملوكَ قاطبةً وسرتُ حتى رأيتُ مولاهما
ومن منايهم براحتهُ يأمرها فيهمُ وينهاها
أبا شجاعٍ بفارسٍ عضدَ الدِّ . . دولةً فتأخسروا شهنشاهها
أسامياً لم تزدَه معرفة وإنما لفةً ذكرناها

وقد أفرد عضد الدولة فى داره لأهل الخصوص والحكماء والفلاسفة ، موضعاً
يقرب من مجلسه ؛ فكانوا يجتمعون فيه للمفاوضة والمذاكرة ، آمنين من السفهاء
ورعاع العامة . وكان مجلسه هذا يحتوى على شياطين المعتزلة ، كأبى سعد بشر بن
الحسين قاضى قضاة شيراز ، المتوفى سنة ٣٨٠ ، والأحدب رئيس المعتزلة ببغداد ،
وأبى إسحق النصيبى رئيسهم بالبصرة وأبى الحسن : محمد بن شجاع .

وقد لاحظ عضد الدولة خلوص مجلسه من أهل السنة ، فقال : هذا مجلس عامر
بالعلماء ، إلا أنى لا أرى فيه واحداً من أهل الإثبات والحديث ؛ أما لهؤلاء المتبته
من ناصر ؟ فقال القاضى بشر بن الحسين : ليس لهم ناصر ، وإنما هم عامة ، أحباب

تقليد ورواية ، يروون الخبر وضده ويستدلونها جميعاً ، لا يعرفون النظر ؛ والمعتزلة هم فرسان الجدل والمناظرة . قال عضد الدولة : محال أن يخلو مذهب طبق الأرض من ناصر ! فانظر إلى موضع فيه مناظر يكتب فيه فيجلب . فلما تبين القاضي العزم في حديثه ، قال : سمعت أن بالبصرة شيخاً وشاباً ، الشيخ يعرف بأبي الحسن الباهلي ، والشاب يعرف بابن الباقلاني . فكتب عضد الدولة يومئذ إلى علمه بالبصرة ليعثما إليه ، وأرسل إليهما خمسة آلاف درهم من الفضة . فلما وصل الكتاب إليهما قال الشيخ : هؤلاء الديلم قوم كفره فسقة روافض ، لا يحمل لنا أن نطأ بساطهم ؛ وليس غرض الملك من هذا إلا أن يقال : إن مجلسه مشتمل على أصحاب الحماير كلهم ؛ ولو كان ذلك خالصاً لله لنهضت . وشايه على ذلك بعض أصحابه . ولكن الباقلاني لم يعبه رأى شيخه فقال له : كذا قال ابن كلاب والحارث بن أسد الحارثي ومن في عصرهم : إن اللأمون فاسق ظالم لا ينحصر مجلسه ، حتى ساق أحمد بن حنبل ؛ وجرى عليه بعد مما عُرِف ؛ ولو ناظروه لكفوه عن هذا الأمر ، وتبين له ما هم عليه بالحجة . وأنت أيضاً — أيها الشيخ — تسلك سبيلهم حتى يجري على الفقهاء ما جرى على أحمد ، ويقولوا : بخلق القرآن ونفى الرؤية . وها أنا خارج إن لم تخرج . قال الشيخ : أما إذا شرح الله صدرك لتلك فافعل .

قال الباقلاني : فخرجت إلى شيراز ، فلما دخلت المدينة استقبلني ابن خفيف في جماعة من الصوفية وأهل السنة ؛ فلما جلسنا في موضع كان ابن خفيف يدرس فيه أصحابه « الآلع » للشيخ أبي الحسن الأشعري ، قلت له : تَمَاد على التدريس كما كنت ؛ فقال لي : أصلحك الله ، إنما أنا بمنزلة المتيم عند عدم الماء ، فإذا وُجد الماء فلا حاجة إلى التيم . قلت له : جزاك الله خيراً ، وما أنت بتيم ، بل لك حظ وافر من هذا العلم ، وأنت على الحق ، والله ينصرك .

ثم قلت : متى الدخول إلى قنّاخُسرو ؟ فقالوا لى : يوم الجمعة لا يجب عنه صاحب جليسان . فدخلت والناس قد اجتمعوا ، والملك قاعد على سرير ملكه ، والناس صفوف على يسار الملك ، وفوق الكل قاضى القضاة بشر بن الحسين ، وكان يدخل مع الوزراء فى وزارتهم ، ويصنى الملك إلى رأيه فى أمر الدولة ، فلما رأيت ذلك كرهت أن أتقدم على الناس وأتخطى رقابهم ، من غير أن أرفع ؛ ولم تدعنى نفسى أن أقصد فى أخريات الناس . وكان عن يمين الملك المجلسُ خالياً ، ولا يقعد هناك إلا وزير وملك عظيم . فضيت وقعدت عن يمينه ، بمحاذة قاضى القضاة ، فوجدوا من ذلك ، وفزعوا واضطربوا ؛ لأنه كان عندهم من الجنائيات العظام ؛ ونظر الملك لقاضى القضاة نظراً منكراً ، وما فى المجلس من يمرقئ إلا رجل واحد . قال للقاضى : هذا هو الرجل الذى طلبه الملك من البصرة ، فأعلم الملك بذلك ، قال قاضى القضاة : أطال الله بقاء مولانا ، هذا هو الرجل الذى كتبت فيه ، وهو لسان الثبته . فنظر الملك إلى النلمان والحجاب فطاروا من بين يديه ، ثم قال : اذكروا له مسألة ، وكان فى المجلس رئيس البغداديين من المعتزلة ، وهو الأحذب ، وكان أفصح من عندهم وأعلمهم ، وعدد كثير من معتزلة البصرة ، أقدمهم أبو إسحاق النصيبى ؛ فقال الأحذب لبعض تلاميذه : سلّه ، هل لله أن يكلف الخلق ما لا يطيقون ؛ أو ليس له ذلك ؟ — وكان غرضه تقييح صورتنا عند الملك — فقلت له : إن أردتم بالتكليف القول المجرّد فقد وجد ذلك ، لأن الله تعالى قال : ﴿ قل كونوا حجارة أو حديداً ﴾ ؛ ونحن لا نقدر أن نكون حجارة ولا حديداً . وقال تعالى : ﴿ أنبئنى بأسماء هؤلاء . إن كنتم صادقين ، قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ﴾ ؛ فقال لهم بما لا يملون ؛ وقال تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ . وهذا كله أمر بما لا يقدر عليه الخلق . وإن أردتم بالتكليف

الذى نعرفه ، وهو ما يصح فعله وتركه ، فالكلام متناقض ، وسؤالك فاسد ؛ فلا تستحق جواباً ؛ لأنك قلت : تكليف ، والتكليف : اقتضاء فعل ما فيه مشقة على المكلف ؛ وما لا يطاق لا يفعل لا بمشقة ولا بغير مشقة . فسكت السائل ، وأخذ الكلام الأحذب فقال : أيها الرجل ، أنت سئلت عن كلام مفهوم فطرته في الاحتمالات ، وليس ذلك بجواب ؛ وجوابه إذا سئلت أن تقول : نعم أو لا . فأخضني كلامه لما لم يوقرنى توقيع الشيوخ ولم يخاطبني بما يليق . وقلت له : يا هذا أنت نائم ورجلاك في الماء : إنما طرحت السؤال في الاحتمالات ، وقد بينت لك الوجوه المحتملة ؛ فإن كان معك في المسألة كلام فهاهنا ؛ وإلا تكلم في غيرها . فقال الملك للأحذب : أيها الشيخ ، قد بين الاحتمال ؛ وليس لك أن تميد عليه ، ولا أن تضايله ؛ ثم إنى ما جعتم إلا لفائدة لاللهارة ، ولما لا يليق بالعلماء . ثم التفت إلى وقال لى : تكلم على المسألة . قلت : ما لا يطاق على ضربين : أحدهما لا يطاق للسبب عنه ، والآخر لا يطاق للاشتغال عنه بضده ؛ كما يقال : فلان لا يطيق التصرف لاشتغاله بالكتابة وما أشبه ذلك ، وهذا سبيل الكافر : أنه لا يطيق الإيمان ؛ لأنه عاجز عن الإيمان ، لكنه لا يطيق لاشتغاله بضده الذى هو الكفر ؛ فهذا يجوز تكليفه بما لا يطاق . وأما العاجز فما ورد في الشريعة تكليفه ، ولو ورد لكان جائزاً وصواباً ؛ وقد أثبت الله تعالى على من سأله ألا يكلفه ما لا يطيق ، فقال عز وجل : (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) ؛ لأن الله تعالى له أن يفعل فى ملكه ما يريد . ثم تجاوز الأحذب الكلام إلى غيره ، ومال الملك إلى قولى .

ثم سألتى النصيبين عن مسألة الرؤية : هل يرى البارئ سبحانه بالعين ؟ وهل تجوز الرؤية عليه أو استحيل ؟ وقال : كل شئ يُرى بالعين ، فيجب أن يكون فى مقابلة العين . فالتفت الملك إلى وقال : تكلم أيها الشيخ فى المسألة . قلت : لو كان

الشيء يرى بالعين لوجب أن يكون في مقابلة العين على ما قال ، ولكن لا يرى
 الله بالعين . فصحب الملك من قولى ، والتفت إلى قاضى القضاة ، فقال : إذا لم
 ير الشيء بالعين ، فبأى شيء يرى ؟ فقال : يسأله الملك . فقال : أيها الشيخ ، فبأى
 شيء يرى إذا لم ير بالعين ؟ قلت : يرى بالإدراك الذى فى العين ؛ ولو كان الشيء
 يرى بالعين لكان يجب أن ترى كل عين قائمة ؛ وقد علمنا أن الأجر عينه
 قائمة ولا يرى شيئاً . فزاد الملك تسجيلاً ، وقال للنصيبى : تكلم . فقال : إني لم أعلم
 أنه يقول هذا ، ولا بنيت إلا على ما نعرف ؛ وظننت أنه يعلم أن الشيء يرى
 بالعين ! فغضب الملك وقال : ما أنت مثل الرجل ؛ لأنك بنيت المسألة على الظن .
 ثم التفت إلى وقال لى : تكلم أنت . قلت : العين لا ترى ، وإنما ترى الأشياء
 بالإدراك الذى يحدته الله تعالى فيها ، وهو البصر ؛ ألا ترى أن المحتضر يرى
 الملائكة ونحن لا نراه ؟ وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، يرى جبريل عليه
 السلام ، ولا يراه من يحضره ؟ والملائكة يرى بعضهم بعضاً ولا نراه نحن ؟
 والدليل على جواز رؤية البارى تعالى أنه ليس فيها قلب للحقائق ، ولا إفساد
 للأدلة ، ولا إلحاق صفة نقص بالتقديم تعالى ؛ فوجب أن يكون كسائر
 الموجودات ؛ لأنه تعالى موجود ، والشيء إنما يرى لأنه موجود ، لأن المرئى لم
 يكن مرئياً لأنه جنس ؛ لأننا نرى سائر الأجناس المختلفة ؛ ولا قيام معنى بالمرئى ؛
 لأننا نرى الأعراض التى لا تحمل المعانى ؛ وقد ثبت بالنص وجوب رؤية الحق
 سبحانه فى الدار الآخرة . ثم جرى فى المجلس كلام كثير ، وقال الملك على إثره
 لقاضى القضاة : ألم أقل لك : إن مذهباً طبقى الأرض لا بدله من ناصر . ولما انقضى
 المجلس صحبنى بعض الحجاب إلى منزل هُيئ لى فيه جميع ما أحتاج إليه ، فسكنته .
 ولما خرج الباقلانى قال للملك لقاضيه : فكرت بأى قتلة أقتله لجلوسه حيث
 جلس بنير أمرى ؛ وأما الآن فقد علمت أنه أحق بمكانى منى .

ثم دفع إليه ابنه مصمام الدولة ، ليطعه مذهب أهل السنة ؛ فلهه وألف له كتاب « التمهيد » .

ولم يزل الباقلافي مع عضد الدولة ، إلى أن قدم بغداد . وكان دخوله إليها في سنة ٣٦٧ ؛ وغلب الباقلافي أثيراً لديه ، حتى إنه جعله رئيس البعثة التي أوفدها في سنة ٣٧١ إلى ملك الروم .

وقد قال الأستاذ « محمود محمد الخضيرى » والدكتور « محمد عبد الهادى أبوريدة » فى مقدمتهما لكتاب التمهيد : « إن هذه المناظرة جرت فى مجلس الإمبراطور باسيلئوس الثانى ، الذى حكم من سنة ٣٦٥ إلى سنة ٤١٦ هـ ؛ ثم قالوا : « ومهما يكن أمر سفارة الباقلافي بين عضد الدولة وبين ملك الروم ، فنحن لا نعرف ظروفها التاريخية ، وربما كان ملك الروم قد أراد من يبين له أمر الإسلام أو يوجب عن أسئلة النصارى بشأن ما يستفده المسلمون . ويتبين من تفصيل المناقشات أن مهمة الباقلافي كانت مدنية علمية ، هى أشبه بعثة تبادل الآراء ومعرفة وجهات النظر الدينية ، لا سيما وأنه ليس عندنا فى التاريخ ما يدل على اتصال وثيق بين عضد الدولة وبين الروم من شأنه أن يكون داعياً لبعثات سياسية أو حرية أو ما أشبه ذلك ، وأن المؤرخين يشيرون إلى هذه السفارة باختصار ، أو هم يذكرون ما يدل على صبغتها الفكرية الدينية الخالصة . على أنه من الجائز أن يكون ظهور شأن السلطان الفاتح عضد الدولة ، بعد حروب دامت طويلاً بين البيزنطيين والمسلمين و بعد تمرد أحد قواد الروم على الإمبراطور فى الشرق ، كان مما دعا الإمبراطور البيزنطى إلى عقد صلوات التعارف مع عضد الدولة » . ثم قالوا : « إن الفرض الذى رعى إليه عضد الدولة من بعثة الباقلافي إلى بيزنطة هو إرضاء شعور المسلمين بالسعى فى تحرير أسراهم للمعزيين لدى الروم » .

وكان خليقاً بالأستاذين الفاضلين ألا يكتبوا هذا الكلام البيزنطى بعد قتلها

تقول ابن الأثير : إن عضد الدولة أرسل الباقلائي إلى ملك الروم في جواب رسالة وردت منه . وكان حسبهما أن يسجلا على أنفسهما عدم « معرفة ظروفها التاريخية » فإن ذلك كان أسلم لهما ، وكان يمتنهما من أن يتورطا فيما تورطا فيه .

فليس صحيحاً ما قاله من أنه « ليس في التاريخ ما يدل على اتصال وثيق بين عضد الدولة وبين الروم من شأنه أن يكون داعياً لبعثات سياسية أو حرية » ، وليس صحيحاً كذلك أن المؤرخين أشاروا إلى هذه السفارة باختصار ، ودلوا على صحتها الدينية الخالصة ، وليس صحيحاً مرة ثالثة أن عضد الدولة قد قصد من بعثة الباقلائي إرضاء شعور المسلمين بالسعى في تحرير أسرام .

أجل إن هذه الأحوال كلها ليست من الصحة والصواب في شيء ، فقد بين المؤرخون تلك الفترة من الزمان الاتصال الوثيق بين عضد الدولة وملك الروم ، وأن البعثات السياسية قد تبدلت بينهما عدة مرات منذ سنة ٣٦٩ حتى وفاة عضد الدولة في شوال سنة ٣٧٢ ، وأن وفد الروم الثالث أدرك وفاة عضد الدولة وحضر مجلس صمام الدولة وسلم منه الهدايا وتم عقد الماهدة . ومجمل ما فصله المؤرخون في ذلك : أنه لما توفي أرمانوس ملك الروم وقام بعده ابنه باسيل وقسطنطين ، اختلفت كلمة الروم ، وطمع كبار القواد في الاستئثار بالملك . وكان ممن طمع في ذلك السقلاروس المعروف بورد الرومي ؛ فجمع الجموع واستجاش بالمسلمين من الثغور ، وكاتب أبا تغلب بن حمدان وواصله وصاهره ، وأخرج إليه لللكان عسكرياً بعد عسكر فكسرم ، وجرت بين الفريقين معارك طاحنة ، انتهت في يوم الأحد لثمان بقين من شعبان سنة ٣٦٨ هـ بانتهاز السقلاروس ؛ وقد توجه بعد هزيمته إلى ديار بكر ، ونزل بظاهر ميفارقين ، وأنفذ أخاه قسطنطين إلى عضد الدولة يستنصره على ملكي الروم ، ويعدّه ببذل الطاعة وحمل الخراج إذا انتصر ؛ فأحسن عضد الدولة استقباله ، ووثق إليه بخطه ، ووعدّه بمجمل إنجاده ؛ وتناول مقام قسطنطين لدى

عضد الدول ، وانهى خبره إلى الملكين الأخوين بفسططينية ؛ فأغذا إلى عضد الدولة كاتباً لهما وجيهاً أريباً ، يسمى تقفور ، ويعرف بالأورانوس ، ليفسد مائشع فيه مع السقلاروس ؛ واجتمع الرسولان على بساط عضد الدولة يتنافسان في التقرب إليه ، ويستبقان إلى التماس التمام منه ، ولم ينصرفا إلى أن انسلخت سنة تسع وستين وثلثمائة . وذلك أمر لم يكن مثله قط ، وعنده المؤرخون من ما ترعضد الدولة .

وكان طلب الأورانوس ينحصر في تسليم السقلاروس ولو باتباعه ، والوعد بتأمينه ومن معه ، وإخراج كل أسير للمسلمين في بلاد الروم . قال عضد الدولة إلى ذلك ، واحتال حتى حل إليه عامله على ديار بكر السقلاروس مقبوضاً عليه ، فأكرمه بعد أن احتاط عليه ، ووعدته بإطلاقه وتجريد عساكره معه لنصرته ، ثم وعد الأورانوس خيراً ، وأخرج معه الباقلائي بموجب الرسالة ، وعاد الباقلائي بمشروع معاهدة ، ومعه رسول يعرف بابن قونس ليأخذ إمضاء عضد الدولة عليها ، ولكن عضد الدولة بدا له أن يظفر في المعاهدة باسترجاع بعض الحصون ، فأعاد ابن قونس وأرسل معه أبا إسحاق بن شهرام ، ورجع ابن شهرام بمشروع المعاهدة الأخير ، ومعه رسول يعرف بنقفور الكانكلي ، ولكن وصولهما صادف اشتداد العلة على عضد الدولة وموته في الثامن من شوال . ووقع للمعاهدة مصصام الدولة على شرطين : أولهما عقد الهدنة لمدة عشر سنوات ، وتسليم الحصون التي اشترط ابن شهرام استرجاعها ؛ وثانيهما إطلاق تقفور بعد أخذ خط ملك الروم بتأمينه ، وإرجاعه إلى مرتبته .

ذلك مجمل ما كان من أمر الصلة بين عضد الدولة وبين ملك الروم ، والبعثات العديدة التي كانت بينهما ، والتي قال الأستاذ الخضيرى والدكتور أبو ريدة : إنه ليس في التاريخ ما يدل عليها . ورتبنا على ذلك ما رتبنا من شق الفروض والاحتمالات .

ولقد فطنا نقول ابن الأثير في حوادث سنة ٧٠ : « إن عضد الدولة أرسل الباقلائي إلى ملك الروم في جواب رسالة » وقدرا قوله هذا حق قدره ، ورجعا إلى كلامه في حوادث سنة ٦٩ — لأتيليه يفصل القول في السبب الذي دعا ملك الروم إلى مراسلة عضد الدولة ومفاوضته ، وطلب عقد الهدنة معه ٢٥٥/٨ — ٢٥٦ .

• • •

وعند ما تهيأ الباقلائي للخروج إلى القسطنطينية ، قال له أبو القاسم المظهر بن عبد الله ، وزير عضد الدولة : الطالع خروجك . فسأله عن معنى هذا الكلام ، فلما فسر له مراده ، قال الباقلائي : لا أقول بهذا ؛ لأن السعد والنحو كله والشر والخير بيد الله عز وجل ، وليس للكواكب هاهنا مثقال ذرة من القدرة ؛ وإنما وضعت كتب التنجيم ليتعش بها الجاهلون من العامة ، ولا حقيقة لها . فقال الوزير : أحضروا إلى أبا سليمان المنطقي ، فليست للنظرة من شأني ، ولا أنا قائم بها ؛ وإنما أنا أحفظ علم النجوم وأقول : إذا كان من النجوم كذا كان كذا ، وأما تأويله فهو من علم المنطق . فأحضر وأمر بمكاملة الباقلائي ، فقال أبو سليمان للوزير : هذا القاضي يقول : إن الباري — سبحانه — قادر على أن يركب عشرة أنفس في ذلك المركب الذي في دجلة ، فإذا وصلوا الجانب الآخر يكون الله قد زاد فيهم آخر فيكونون أحد عشر ، ويكون الحادي عشر قد خلقه الله في ذلك الوقت . ولو قلت أنا : لا يقدر على ذلك ، أو هو محال ؛ قطعوا ساني وقتلوني ، وإن أحسنوا إليّ كتفوني ورموني في السجلة . وإذا كان الأمر كما ذكرت لم يكن لناظرتي معه معنى !! فالتفت الوزير إلى الباقلائي وقال : ما تقول أيها القاضي ؟ فقال : ليس كلامنا هاهنا في قدرة الباري تعالى ، والباري قادر على كل شيء ، وإن جحد هذا الجاهل ؛ وإنما كلامنا في تأثيرات هذه الكواكب ؛ فانتقل إلى

ما ذكر لسجده وقلة معرفته ؛ وإلا فأتى تلقى الكلام في قدرة الباري عز وجل في مسألتنا ؟ وأنا وإن قلت : إن القديم ، تعالى ، قادر على ذلك ؛ ما أقول : إنه يخرق العادة ويفعل هذا ؛ لأنه لا يجوز عندنا أن يخلق اليوم إنساناً من غير أبوين ؛ فإذا كان كذلك ، فقد علم الوزير أن هذا فرار من الزحف . قال الوزير : هو كما ذكرت . وقال أبو سليمان النطقي : المناظرات دُرْبَةٌ وتجربة ، وأنا لا أعرف مناظرات هؤلاء القوم ، وهم لا يعرفون مواضعنا وعبارتنا ، ولا تحمل المناظرة بين قوم هذا حلم . فقال له الوزير : قبلنا اعتذارك ، والحق أبلغ . ثم مال إلى الباقلائي بوجهه ، وقال له : سرفى رعاية الله . قال الباقلائي : « فخرجت فدخلنا بلاد الروم حتى وصلنا إلى ملك الروم بالقسطنطينية ؛ وأخبر الملك بمقدمنا ، فأرسل إلينا من يلقانا ، وقال : لا تدخلوا على الملك بعمائمكم حتى تنزعوها ، إلا أن تكون مناديل لطافاً ؛ وحتى تنزعوا أخفافكم . قلت : لا أفل ، ولا أدخل إلا بما أنا عليه من الزّيّ واللباس ؛ فإن رضيت ، وإلا فخذوا الكتب تقرأونها ، وأرسلوا بجوابها ، وأعود بها . فأخبر بذلك الملك ، فقال : أريد معرفة سبب هذا ، وامتناعه عما مضى عليه رسمي مع الرسل ؟ فسئلت عن ذلك ، قلت : أنا رجل من علماء المسلمين ، وما تحبونه منا ذُلٌّ وصغار ؛ والله تعالى قد رفضنا بالإسلام ، وأعزّنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وأيضا فإن من شأن الملوك إذا بشوارسلهم إلى ملك آخر رفع أقدارهم ، لا إذلالهم ؛ سيما إذا كان الرسول من أهل العلم ؛ ووضع قدره انهزام جانبه عند الله تعالى ، وعند المسلمين . فترجف الترجمان الملك بذلك ، فقال : دعوه يدخل ومن معه كما يشاءون . فدخل الباقلائي ومن معه كما أرادوا ، وسأله الملك عن السبب في امتناعه عن اتباع ما جرى به رسمه مع الرسل من قبل ؛ فشرح وجهة نظره ؛ وذكره : أن رسوله قد دخل بلباسه على أمير المؤمنين الطائع ، وأدخل بها على السلطان عضد الدولة ؛ ثم قال : « فما تنكرون

على "هذا ؛ وأنا رجل من علماء المسلمين ؟ فإن دخلت بنير هيثق ، ورجعت إلى
إلى حكمت أمنت العلم وضى ، وذهب عند المسلمين جاهى . فقال لللك
لترجانه : قل له : قد قبلنا عفرك ، ورفضنا منزلتك ؛ وليس محلك عندنا محل سائر
الرسل ، وإنما محلك عندنا محل الأبرار الأخيار ؛ وقد أخبرنا صاحبكم فى كتابه
أنك لسان المسلمين ، والنظار عنهم ؛ وأنا أشتى أن أعرف ذلك منك ، كما
ذكره عنك . قلت : إذا أذن لللك . فقال : انزلوا حيث أعددت لكم ،
ويكون بعد هذا الاجتماع . فنهضنا إلى موضع أعد لنا . فلما كان يوم الأحد بعث
اللك فى طلبى ، وقال لى من بعته : من شأن الرسول حضور مائدة لللك ؛ فيجب
أن تجيب إلى طمعنا ، ولا تنقض كل رسومنا . قلت له : أنا من علماء المسلمين ،
ولست كالرسل من الجند وغيرهم الذين يُمرقون ما يجرى فى هذا الموطن عليهم ؛
واللك يعلم أن العلماء لا يقدرزون أن يدخلوا فى هذه الأشياء وهم يعلمون ؛ وأخشى
أن يكون على مائدته من لحوم الخنازير ، وما حرّمه الله تعالى ، على رسوله وعلى
المؤمنين . فذهب الترجان وعاد على " ، وقال : يقول لك الللك : ليس على مائدتى ،
ولا فى شيء من طعامى شيء تكرهه ، وقد استحسنت ما أتيت به ؛ وما أنت
عندنا كسائر الرسل ، بل أعظم ؛ وما كرهت من لحوم الخنازير إنما هو خارج من
حضرتى ؛ يبنى وبينه حجاب . فنهضت على كل حال ، وجلست وقدم الطعام ،
ومددت يدى وأوهمت الأكل ؛ ولم آكل منه شيئاً ، مع أنى لم أر على مائدته
ما يكره .

فلما فرغ من الطعام بخر المجلس وعطّره ، ثم قال :
هذا الذى تدعونه فى معجزات نبيكم : من انشقاق القمر ؛ كيف هو عندكم ؟
قلت : هو صحيح عندنا ؛ انشق القمر على عهد رسول الله حتى رأى الناس
ذلك ؛ وإنما رآه الحضور ومن اتفق نظره إليه فى تلك الحال .

قال الملك : وكيف : ولم يره جميع الناس ؟ !

قلت : لأن الناس لم يكونوا على أهة ووعد لشقوفه وحضوره .

قال : وهذا القمر بينكم وبينه نسبة وقراءة ؟ ! لأى شىء لم تفسره الروم

وغيرها من سائر الناس ؛ وإنما رأيتموه أنتم خاصة ؟ !

قلت : فهذه المائدة بينكم وبينها نسبة ؟ وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوس والبراهمة وأهل الإلحاد ، وخاصة يونان جيرانكم ؛ فإنهم كلهم منكرون لهذا الشأن ، وأنتم رأيتموها دون غيركم ؟ .

فتحير الملك ، وقال بكلامه : سبحان الله . وأمر بإحضار فلان القسيس ليكلمنى ، وقال : نحن لا نطيعه ؛ لأن صاحبه قال : ما فى مملكتى مثله ، ولا للمسلمين فى عصره مثله . فلم أشعر إذ جاء برجل كالذئب ، أشقر الشعر ؛ ففعد ، وحُكيت عليه السألة ؛ فقال : الذى قاله السلم لازم ، وهو الحق ؛ لا أعرف له جواباً إلا ما ذكره .

قلت له : أتقول : إن الخسوف إذا كان يراه جميع أهل الأرض ؟ أم يراه أهل الإقليم الذى بمحاذاته ؟ .

قال : لا يراه إلا من كان فى محاذاته .

قلت : فما أنكرت من انشقاق القمر إذا كان فى ناحية أن لا يراه أهل تلك الناحية ومن تأهب للنظر له ؛ فأما من أعرض عنه ، أو كان فى الأمكنة التى لا يرى القمر منها فلا يراه .

قال : كما قلت لا يدفك عنه دافع ؛ وإنما الكلام فى الرواة الذين نقلوه ؛ فأما الطعن فى غير هذا الوجه فليس بصحيح .

قال الملك : وكيف يظن فى النقلة ؟ .

قال القسيس : شبه هذا من الآيات — إذا صح وجب أن ينتقله

الجَمِّ الغير حتى يتصل بنا العلم الضرورى به ؛ ولما لم نعلم ذلك بالضرورة ، دَلَّ على أن الخبر مقتل باطل .

فالتفت الملك إلى ، وقال : الجواب ؟

قلت : يلزمه فى نزول المائدة ، ما يلزمى فى انشقاق القمر ؛ ويقال : لو كان نزول المائدة صحيحا لوجب أن ينقله العدد الكثير ؛ فلا يبقى يهودى ولا نصرانى ولا وثنى إلا ويعلم هذا بالضرورة ؛ ولما لم يعلموا ذلك بالضرورة دل أن الخبر مكذوب .

فبهت القسيس والملك ومن حُتَمِه المجلس ؛ وانفصل المجلس على هذا .

.. . .

قال الباقلانى : ثم سألنى الملك فى مجلس ثان ، فقال : ماتقولون فى المسيح عيسى ابن مريم ؟

قلت : روح الله وكلته وعبد ، ونبيّه ورسوله ؛ كمثّل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن . فيكون ، وتلوت عليه النص .

فقال : يا مسلم ؛ تقولون : المسيح عبد ؟

فقلت : نعم ؛ كذا قول ، وبه ندين .

قال : ولا تقولون : إنه ابن الله ؟

قلت : معاذ الله ؛ ﴿ ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ﴾ ؛ إنكم لتقولون قولاً عظيماً ؛ فإذا جعلتم المسيح ابن الله فمن أبوه وأخوه وجده وعمه وخاله ؟ — وعددت عليه الأقارب — فحير ، وقال :

يا مسلم : العبد يخلق ويحيى ويميت ، ويبرى الأَكه والأبرص ؟ .

قلت : لا يتعد العبد على ذلك ؛ وإنما ذلك كله من فضل البارى عز وجل .

قال : وكيف يكون المسيح عبداً لله وخلقاً من خلقه ؛ وقد أتى بهذه الآيات ،
وفضل ذلك كله ؟ .

قلت : معاذ الله ؛ ما أحيا المسيح الموتى ، ولا أبرأ الأكهم والأبرص .
فحير وقل صبره ، وقال يا مسلم : تنكر هذا مع اشتغاره في الخلق ، وأخذ
الناس له بالقبول ؟ .

قلت : ما قال أحد من أهل الفقه والعرفه : إن الأنبياء — عليهم السلام —
يفعلون المعجزات من ذاتهم ؛ وإنما هو شيء يفعله الله تعالى على أيديهم تصديقاً
لم ؛ يَجْرِي مجرى الشهادة .

قال : قد حضر عندي جماعة من أولاد نبيكم ، وأهل دينكم ، المشهورين
فيكم ، وقالوا : إن ذلك في كتابكم .

قلت : أيها الملك ؛ في كتابنا أن ذلك كله يأذن الله تعالى . وتلوت عليه
قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ : يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ؛ أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ،
إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد وكهلاً ؛ وإذ علّمتك الكتاب
والحكمة والتوراة والإنجيل ؛ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير يا ذى ، فتنفخ فيها
فتكون طيراً يا ذى ، وتبرئ الأكهم والأبرص يا ذى ؛ وإذ تخرج الموتى يا ذى ﴾ .
وقلت : إنما فعل ذلك كله بالله وحده لا شريك له ، لا من ذات المسيح ؛ ولو كان
المسيح يحيى الموتى ، ويبرئ الأكهم والأبرص من ذاته ، لجاز أن يقال : إن موسى
قلّب البحر ، وأخرج يده بيضاء من غير سوء من ذاته ؛ وليس بمعجزات الأنبياء ،
عليهم السلام ، من ذاتهم وأفعالهم دون إرادة الخالق ؛ فلما لم يحز هذا : لم يحز أن
تسند المعجزات التي ظهرت على يد المسيح إليه .

قال الملك : وسائر الأنبياء كلهم ، من آدم إلى من بعده — كانوا يتضرعون
للمسيح حتى يفعل ما يطلبون !!

قلت : أَوَفِي لسان اليهود عَظَمٌ ، لا يقدرُونَ أن يقولوا : إن المسيح كان يتضرع إلى موسى ؟ وكل صاحب نبي يقول : إن المسيح كان يتضرع إلى نبيّه !؟ فلا فرق بين الموضوعين في الدعوى . وانفصل المجلس على هذا ..

• • •

قال الباقلاني : وفي تكلمنا في مجلس ثالث ، قلت : لِمَ آمَحدُ اللاهوت بالناسوت ؟

فقال : أراد أن ينجي الناس من الهلاك .

قلت : وهل دَرَى بأنه يقتل ويصلب ويفعل به كذا ، ولم يأمن من اليهود ؟
فإن قلت : إنه لم يدرك ما أراد اليهود ؟ بطل أن يكون إلهًا ؛ وإذا بطل أن يكون إلهًا بطل أن يكون ابنًا . وإن قلت : قد درى ودخل في هذا الأمر على بصيرة ، فليس بحكيم ؛ لأن الحكمة تمنع من التعرض للبلاء .
فبهت ؛ وكان آخر مجلس لي معه .

• • •

وبما جرى في تلك المجالس : أن الباقلاني قال لبعض المطارنة : كيف أنت ؟ وكيف الأهل والأولاد ؟

فقال له الملك وقد عجب من قوله : ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك لسان الأمة ، ومتقدم على علماء الملة ! أما علست أننا ننزه هؤلاء عن الأهل والولد ؟ .
فقال الباقلاني : أتمم لا تنزهون الله ، سبحانه وتعالى ، عن الأهل والأولاد ، وتنزهونهم ؟ فكأن هؤلاء عندكم أقدس وأجل وأعلى من الله ، سبحانه وتعالى !! فسقط في أيديهم ، ولم يردوا جوابًا .

ثم قال له الملك : أخبرني عن قصة عائشة زوج نبيكم ، وما قيل فيها ؟
فقال : هما اثنتان ، قيل فيهما ما قيل : زوج نبينا ، ومريم ابنة عمران ؟ فأما

زوج نبينا : فلم تلد ؛ وأما مريم فحامت بولده تحمله على كتفها ؛ وكل قد برأها الله
مما ربيت به . فاقطع الملك ولم يحرجوا بيا .

ويروى القاضي عياض : أن الملك قال للبترك : ما ترى في أمر هذا الشيطان ؟
فقال : تقضى حاجته ، وتلاطف صاحبه ، وتبعث بالهدايا إليه ؛ وتخرج هذا عن
بلدك من يومك إن قدرت ؛ وإلا لم آمن الفتنة به على النصرانية . ففعل الملك
ذلك ، وأحسن جواب عضد الدولة وهداياه ؛ وعجل تسريحه ، ومعه عدة من
أسارى المسلمين والمصاحف ؛ ووكل بالبقلاقي من جنده من يحفظه حتى يصل
إلى أمته .

ويروى الخطيب البغدادي بسنده : أن الباقلاقي لما ورد على ملك الروم
مدينته ، وعُرف خبره ، وُيُنَّ له محله من العلم — : « أفكر في أمره ، وعلم أنه
لا يكفرُّ له إذا دخل عليه ؛ كما جرى رسم الرعية ، أن تقبل الأرض بين يدي
الملك . ثم تجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه ، وراء باب
لطيف لا يمكن أحد أن يدخل منه إلا راکماً ؛ ليدخل القاضي منه على تلك
الحال ، فيكون عوضاً من تكفيره بين يديه . فلما وضع سريره في ذلك الموضع
أمر بإدخال القاضي من الباب ؛ فسار حتى وصل إلى المكان ؛ فلما رآه تفكر
فيه ؛ ثم فطن بالقصة ، فأدار ظهره ، وحنا رأسه راکماً ، ودخل من الباب وهو
يمشي إلى خلفه ، قد استقبل الملك بديره ، حتى صار بين يديه ، ثم رفع رأسه ،
ونصب ظهره ، وأدار وجهه حينئذ إلى الملك . فمجب من فطنته ، ووقفت له
الهيئة في نفسه » .

ولست أشك في أن هذه الرواية أسطورة من الأساطير التي نسجت خيوطها
حول رحلة الباقلاقي إلى القسطنطينية . وفيما قصه الباقلاقي ، من امتناعه من
خلع عمامته وتزع خقه ؛ وتهديده بعدم الدخول على الملك ؛ ونزول الملك على

رأيه ، وقوله : دعوه يدخل ومن معه كما يشامون - : ما يجعل هذه الفكرة الساذجة ، بعيدة الوقوع . ولو قد وقت لتحدث بها الباقلائي ، فيا حدث به من أخبار رحلته .

• • •

وعاد الباقلائي إلى بندا ، وظل مع عضد الدولة حتى مات في شوال سنة ٣٧٢ ، وتولى بعده ابنه مصمم الدولة .

ولسنا نعرف متى تولى الباقلائي وظيفة القضاء بالقر ؟ ولا من الذى ولاه ؟ وقد جاء في ترجمة أبى حامد أحمد بن أحمد الأستوائى (٣٥٨ — ٤٣٤) الشافعى الأشعرى : أنه «ولى القضاء بمكبرا من قبل أبى بكر بن الطيب الباقلائي» .

• • •

وقد وقف الباقلائي حياته على أمرين ، ملكا عليه أقطار نفسه ، وشغاف حبا ، وهما التدريس ، والتأليف .

أما التدريس ، فقد اجتمعت له كل أدواته ، ولم يصرفه عنه صارف ؛ حتى إنه أثناء مقامه مع عضد الدولة بشيراز ، وتدرسه لابنه الأمير أبى كاليبجار المرزبان ؛ لم يمتنع عنه ، بل عقد دروسا عامة لأهل السنة . ومن الكتب التى درسها لهم كتاب «اللمع» لأبى الحسن الأشعرى .

وقد تلمذ عليه كثيرون فى البصرة وبندا وغيرها ؛ ونحن نشير إلى بعضهم فيما يلى :

(١) القاضى أبو محمد عبد الوهاب بن نصر ، البنداى المالكي (٣٦٢-٤٢٢) . قيل له : مع من تفقحت ؟ قال : صحبت الأبهري ، وتفقعت مع أبى الحسن بن القصار ، وأبى القاسم بن الجلاب ؛ والذى فتح أفواهنا ، وجعلنا نتكلم أبو بكر بن الطيب .

(٢) أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حجاج الفعجومي ، وقد أثبت سماعه من الباقلاني إملاءً في رمضان سنة ٤٠٢ هـ ؛ وقال : رحلت إلى بغداد ، وكنت قد تفقت بالمغرب والأندلس عند أبي الحسن القاسبي ، وأبي محمد الأصيلي ، وكانا عالِمين بالأصول . فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر ، ورأيت كلامه في الأصول والتفقه مع المؤلف والمخالف ، حقرت نفسي ، وقلت : لا أعلم من العلم شيئاً ؛ ورجعت عنده كالبتدي* . وقال عنه حاتم بن محمد : كان أبو عمران من أحفظ الناس وأعلمهم ، لم ألق أحداً أوسع منه علماً ، ولا أكثر رواية . وذكر أن الباقلاني كان يعجبه حفظه ، ويقول له : لو اجتمعت في « مدرستي » أنت وعبد الوهاب — وكان إذ ذاك بالموصل — لاجتمع علم مالك ؛ أنت تحفظه ، وهو ينظره . وتوفي أبو عمران سنة ٤٣٠ هـ عن خمس وستين سنة . ، وكانت رحلته إلى بغداد في سنة ٣٩٩ هـ .

(٣) أبو خزيمة المروزي عبد بن أحمد (٣٥٥ - ٤٣٤) المالكي الأشعري . قال له بعض الشيوخ : أنت من هجرة ، فمن أين تعذبت للمالك والأشعري ؟ فقال : سبب ذلك أني قدمت بغداد لطلب الحديث ، فلزمت الدارقطني (٣٠٦ - ٣٨٥) ؛ وكنت مرة ماشياً معه ، فربنا شاب ، فأقبل الشيخ عليه وعظمه ، وأكرمه ودعا له ؛ فلما فارقه قلت : أيها الشيخ الإمام ؛ من هذا القى أظهرت من إكرامه ما رأيته ؟ فقال : أوما تعرفه ؟ قلت : لا . فقال : هذا أبو بكر بن الطيب الأشعري ، ناصر السنة ، وقامع للمعتزلة . ثم أقاض في الثناء عليه . فكان ذلك سبب اختلاقي إليه ، وأخذني عنه .

(٤) أبو الحسن السكري علي بن عيسى ، الشاعر القى استفرغ شعره في مدح الصحابة ، والرد على الرافضة ، والنقض على شعرائهم . وقد صحب الباقلاني ؛ ودرس عليه الكلام ؛ ومدحه بقصيدة طويلة ، أوردها الخطيب

البغدادى فى تاريخ بغداد ٥ / ٣٨١ - ٣٨٢ ، وابن حاكم فى تبين كذب
المفتى ص ٢٢٤ - ٢٢٦ . وهى من أشعار الطاء ؛ وفيها يقول :

الْيَمْرُؤُ فِصَاحَةٌ وَبِلاغَةٌ وَالْأَشْعَرُ إِذَا أُعْتِزَى لِلْذَهَبِ
قَاضٍ إِذَا التَّبَسَّ الْقَضَاءُ عَلَى الْحَبَى كَشَفَتْ لَهُ الْأَرَاءَ كُلَّ مَقِيبٍ
وَإِذَا السَّكَّالَمُ تَطَارَدَتْ فِرْسَانَهُ وَتَحَامَتِ الْأَقْرَانُ كُلَّ مَجْرَبٍ
أَلْقِيَتْهُ مِنْ لَبِّهِ وَجَنَانَهُ وَلِسَانَهُ وَيِيَانَهُ فِي مَقِفٍ
(٥) أبو الحسن الحربى على بن محمد المالكي (٣٥٦ - ٤٣٧) .

(٦) القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني ، الحنفي (٣٦١ - ٤٤٤) .

(٧) أبو الحسن البغدادى رافع بن نصر ، المتوفى سنة ٤٤٧ .

٢ (٨) أبو طاهر الواعظ محمد بن علي ، المعروف بابن الأنباري (٣٧٥ -
٤٤٨) .

(٩) أبو عبد الله الحسين بن حاتم الأزدي ، المتوفى غربياً بالقيروان .
وهو أحد الذين رَوَوْا عن الباقلاني وصفه لمناظراته في مجلس ملك الروم . وقد
جاء في تبين كذب المفتى ص ٢١٦ : أن أبا الحسن بن داود الأشعري ،
المتوفى سنة ٤٠٢ هـ « لما كان يصلي في جامع دمشق ، تكلم فيه بعض المشوية ؛
فكتب إلى القاضي أبي بكر محمد بن الطيب ابن الباقلاني يعرفه ذلك ،
ويسأله أن يرسل إلى دمشق من أصحابه من يوضح لهم الحق بالحجة .
فيث القاضي تليذه أبا عبد الله الحسين بن حاتم الأزدي ؛ فقد مجلس التذكير
في جامع دمشق ، في حلقة أبي الحسن بن داود ؛ وذكر التوحيد ، وزنه المعبود ،
ونفى عنه التشبيه والتحديد . فخرج أهل دمشق من مجلسه يقولون : أحد أحد .
وأقام أبو عبد الله الأزدي بنمشرق مدة ، ثم توجه إلى المغرب ، فنشر العلم بتلك
الناحية ، واستوطن القيروان إلى أن مات بهارحه الله » .

واليه وإلى أبي طاهر الواظع ، يرجع الفضل في انتشار مذهب الباقلافي في الغرب .
(١٠) أبو عبد الرحمن السلي محمد بن الحسين الصوفي (٣٣٠ — ٤١٢) .
وقد أخذ عن الباقلافي أثناء إقامته مع عضد الدولة بشيراز ، وقرأ عليه كتاب
« الجمع » لأبي الحسن الأشعري .

(١١) القاضي أبو محمد بن أبي نصر . قال القاضي عياض : « تفقه عند القاضي
أبو محمد بن [أبي] نصر ؛ وعلّق عنه ، وحكي في كتبه ما شاهد من مناظرته في الفقه
— بين يدي ولي العهد ببغداد — للمخالفين » .

(١٢) أبو حاتم محمود بن الحسن الطبري ، المعروف بالقزويني ؛ المتوفى
بمدينة « أمل » التي ولد فيها ؛ وكان قد قدم بغداد ، ودرس على الباقلافي
أصول الفقه .

(١٣) القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني ، المعروف بابن اللبان .
وقد سجد الباقلافي ودرس عليه كتاب : « المقدمات في أصول الديانات »
وكتاب : « أصول الفقه » .

(١٤) أبو بكر محمد بن الحسين الإسكافي . وهو الذي روى عن
الباقلاني ، خير رحلة ابن خفيف الصوفي من شيراز إلى البصرة ، لسماع أبي الحسن
الأشعري ؛ كما في تبين كذب المفتري ص ٩٥ .

(١٥) أبو علي الحسن بن شاذان (٣٣٩ — ٤٢٦) .

(١٦) أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الصيرفي (٣٥٥ — ٤٣٥) .

(١٧) أبو الفضل عبيد الله بن أحمد القرقي (٣٧٠ — ٤٥١) .

وقد تلمذ له جماعة كثيرة غير هؤلاء ، وكان أكثرهم من العراق وخراسان .

• • •

أما التأليف ، فقد أسهم فيه الباقلافي بنصيب موفور . وكان من عادته أنه
إذا صلى العشاء ، وقضى زركته ، وضع دواته بين يديه ، وكتب خساً

وثلاثين ورقة ؛ فإذا صلى الصبح دفع إلى بعض أصحابه ما صنفه ليته ، وأمره بقراءته عليه ؛ وأمل عليه من الزيادات ما يلوح له فيه .

وقد تسنى له أن يؤلف نيماً وخسين كتاباً ؛ لم يصل إلينا منها إلا عدد يسير . ونحن نشير إلى ما عرفناه منها ، وما علمناه من حديثها ، فيما يلي :

(١) كتاب : « إيجاز القرآن » ، ويأتى الحديث عنه فيما بعد .

(٢) كتاب : « التمهيد » . وقد ألفه — أثناء مقامه بشيراز — للأمير

أبي كاليبجار الرزيان ؛ ابن عضد الدولة ، وولى عهده . وهو من أهم الكتب الكلامية ، التى تعلق بها أهل السنة تعلقاً شديداً ؛ لأنه أجمع كتاب يبصرهم بمسائل الخلاف بينهم وبين مخالفيهم فى رأى والحقيدة ؛ ويرشدهم إلى أقوى الأئمة الجدلية ، وأحكم البراهين العقلية ؛ التى تمضد مذهبهم ، وتظهر مناعته ورجاحته على المذاهب الأخرى ، إسلامية كانت أو غير إسلامية .

وخير ما يعرف بهذا الكتاب ويدل على قيمته ، قول مؤلفه فى مقدمته : « أما بعد ؛ فقد عرفت إشار سيدنا الأمير لعمل كتاب جامع مختصر ، مشتمل على ما يحتاج إليه فى الكشف عن معنى العلم وأقسامه ، وطرقه ومراتبه ؛ وضروب المعلومات ، وحقائق الموجودات ؛ وذكر الأدلة على حدّث العالم ، وإثبات محدّثه ، وأنه مخالف لنقله ؛ وعلى ما يجب كونه عليه ، من واحدانيته ، وكونه حياً علماً قادراً فى أزله ؛ وما جرى مجرى ذلك من صفات ذاته ، وأنه عادل حكيم فيما أنشأه من مخترعاته ؛ من غير حاجة منه إليها ، ولا لمحرك وداع وخاطر ، وعِلل دعوته إلى إيمانها ؛ تعالى عن ذلك . وجواز إرساله رسلاً إلى خلقه ، وسفراء بينه وبين عبادته ؛ وأنه قد فعل ذلك ، وقطع المنزى فى إيجاب تصديقهم ؛ بما أبانهم به من الآيات ؛ ودل به على صدقهم من المعجزات . وجل من الكلام على سائر أهل الملل المخالفين لملة الإسلام ، من

اليهود، والنصارى، والمجوس، وأهل الثنية، وأصحاب الطوائف، والمنجمين . ونعقب ذلك بذكر أبواب الخلاف بين أهل الحق، وأهل التجسيم والتشبيه، وأهل القدر والاعتزال، والرافضة، والخوارج؛ وذكر جل من مناقب الصحابة، وفضائل الأئمة الأربعة؛ وإثبات إمامتهم، ووجه التأويل فيما شجر بينهم، ووجوب موالاتهم . ولن ألوجهذاً فيما يميل إليه سيدنا الأمير - حرس الله مهجته، وأعلى كعبه - من الاختصار، وتحرير المعاني والأدلة والألفاظ؛ وسلوك طريق العون على تأمل ما أودعه هذا الكتاب، وإزالة الشكوك فيه والارتباب . وأنا - بحول الله وقوته - أسارع إلى امتثال ما رسمه، وأقف عنده؛ وإلى الله - جل ذكره - أرغب في حسن التوفيق، والإمداد بالتأييد والتسديد .

وقد أشار الباقلانى إلى « التمهيد »، في كتاب « هداية المسترشدين »؛ حيث يقول: « وقد تكلمنا في « التمهيد » بحمل على اليهود والنصارى والمجوس؛ تنفى الناظر فيها ». كما أشار إليه أبو المنظر الإسفرايئى في « التبصير » ص ١١٩، وابن قيم الجوزية في كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعلقة والجهمية » ص ١١٩، ١٢٠ .

وقد طبع كتاب « التمهيد » في سنة ١٣٦٦ هـ بتحقيق الأستاذين محمود محمد الخطيرى، ومحمد عبد الهادى أبو ريدة . وقد تسرعا في نشره عن نسخة واحدة في مكتبة باريس؛ وهى نسخة تنقص فصولا كثيرة من الكتاب، يزيد عددها على عشرين باباً؛ كبابي « التمديل والتجوير »، و « القول في الإمامة » الذين نص الباقلانى على أنه قد عقدهما في كتابه ! فهو يقول في ص ٩٧: « وستكلم على هذا الباب وما يتصل به، في باب التمديل والتجوير من كتابنا هذا؛ إن شاء الله »؛ ويقول في ص ١٤٠: « وسنقول في تفصيل

الأخبار . . . وغير ذلك من أحكام الأخبار؛ في باب القول في الإلمة؛
إن شاء الله .

(٣) كتاب : « هداية المسترشدين ، ولتقنع في معرفة أصول الدين » . يقول
القاضي عياض عنه : إنه كتاب كبير . ويشير إليه أبو المظفر الإسفراني ، في
« التبصير » ص ١١٩ ؛ وابن تيمية في « رسالة الفرقان بين الحق والباطل » ص
١٣٠ ، وفي الرسالة التسمينية من فتاويه ٢٤١/٥ .

وقد بقي من هذا الكتاب مجلد ، في مكتبة الأزهر ، يحتوي على ٢٤٨ ورقة ؛
كتبه محمد بن عبد الله المدوي بمدينة صور في سنة ٤٥٩ هـ . ولكن يد البلي
قد عاثت فيه ، وأتلفت كثيراً من أوراقه ، وقد تركز إفسادها في أوراق متتالية
(٨٩ - ١٠٥) فخرت أساطها ، وجعلتها في حكم الأوراق المفقودة .
ويشتمل هذا المجلد على أحد عشر جزءاً من تجزئة المؤلف ، بتبليغ بأول الجزء
السادس ، وتنتهي بانتهاء الجزء السابع عشر . وهذه الأجزاء كلها مقصورة على
القول في النبوات . وأهم ما فيها وأروعها ، تلك الأبحاث الجليلية الطويلة ، التي أدار
الباقلائي الكلام فيها على « إعجاز القرآن » وملأ بها ستاً وخمسين ومائة ورقة
(٦١ - ٢١٧) ؛ وهي أكبر حجماً من كتاب « إعجاز القرآن » ، وأغزر
مادة ، وأكثر تفصيلاً ، وأعمق بحثاً ، وأدق بياناً .

وكننت على نية إفرادها ونشرها مستقلة ؛ لولا أن بعض أصدقائي المغاربة
أشار عليّ بالتربيت حتى يحضر لي صورة من نسخة ناقصة ، قال : إنه رآها في
بعض المكتبات هناك . فلمثلث لإشارته ، رجاء أن يكون في تلك النسخة
ما يصلح مواطن الفساد في نسخة الأزهر .

(٤) كتاب : « الانتصار لصحة نقل القرآن ، والرد على من نحل الفساد
بزيادة أو نقصان » . وقد قال في مقدمته : « أما بعد فقد وقفت — تولى الله

عصمتكم ، وأحسن هدايتكم وتوفيقكم — على ما ذكرتموه من شدة حاجتكم إلى الكلام في نقل القرآن ، وإقامة البرهان على استفاضة أمره ، وإحاطة السلف بعلمه ، واقطاع العذر في نقله ، وقيام الحجة على الخلق به ، وإبطال ما يدعيه أهل الضلال من تحريفه وتغييره ، ودخول الخلل فيه ، وذهاب شيء كثير منه ، وزيادة أمور فيه . وما يدعيه أهل الإلحاد وشيعتهم من منتحل الإسلام — من تناقض كثير منه ، وخلو بعضه من الفائدة ، وكونه غير متناسب . وما ذكروه من فساد النظم ، ودخول اللحن فيه ، وركاكة التكرار ، وقلة البيان ، وتأخر المقدم ، وتقديم المؤخر ؛ إلى غير ذلك من وجوه مطاعنهم . وذكر جل مما روى من الحروف الزائدة ، والقراءات المخالفة لمصحف الجماعة ، والإبانة عن وهاء نقل ذلك وضعفه ، وأن الحجة لم تقم بشيء منه . وعرفت ما وصفتموه من كثرة استضرار الضعفاء بتبصيرهم ، وعظم موقع الاستبصار والانتفاع بنقض شبههم . ونحن بحول الله وعونه نأتى في ذلك بجمل تزيل الريب والشبهة ، وتوقف على الواضحة .

ونبدأ بالكلام في نقل القراءات ، وقيام الحجة به ، ووصف توفرهم الأمة على نقله وحياطته ؛ ثم نذكر ابتداء أبي بكر ، رضى الله عنه ، لجمعه على ما أنزل عليه ، بعد تفرقة في المواضع التي كتب فيها ، وفي صدور خلق حفظوا جميعه ، وخلق لم يحيطوا بحفظ جميعه ، واتباع عمر رضى الله عنه والجماعة له على ذلك ، وصوابه فيما صنعه ، وسبقه إلى الفضيلة به ، والسبب للوجوب لذلك .

ثم نذكر جمع عثمان رضى الله عنه — الناس على مصحف واحد ، وحرف زيد بن ثابت ، ونبين أنه لم يقصد في ذلك قصد أبي بكر في جمع القرآن في صحيفة واحدة على ترتيب ما أوحى به ؛ إذ كان ذلك أمراً قد استقر وفرغ منه قبل أيامه . ونبين صواب عثمان رضى الله عنه في جمع الناس على حرف ، وحظره ومنعه لما عداه من القراءات ، وأن الواجب على كافة الناس اتباعه ، وحرام عليهم

بعدُ قراءةُ القرآن بالأحرف والقراءات التي حظرها عثمان ومنع منها، وأن له أخذ المصاحف المخالفة لمصحفه، ومطالبة الناس بها، ومنعهم من نشرها والنظر فيها. ونذكر ما يتعلق به من ادعاء نقصان القرآن، وتغيير نظمه وتجرّيفه — من الروايات الشاذة الباطلة، عن عمر وعثمان وعلي وأبي عبد الله بن مسعود، وما يرويه قوم من الرافضة في ذلك عن أهل البيت خاصة. ونكشف عن تكذّب هذه الروايات. ونبين أيضاً ماخلف فيه عبد الله بن مسعود عثمان والجماعة، وهل كان ذلك على جهة الحيلة، ونسبته إليهم إلى زيادة فيه أو نقصان منه، أو تغيير لنظمه وما أنزل عليه؟ أو التصويب لما فعلوه، وإن استجاز مع ذلك قراءته والتمسك بحرفه. ونذكر ما شجر بينه وبين عثمان رضى الله عنه، ونصف رجوعه إلى مذهب الجماعة، وخنوعه لعثمان، وقدر ما قمه من أمر زيد ثابت وعيب عليه وعلى الجماعة لأجله. ثم نبين أن القرآن معجزة للرسول، صلى الله عليه وسلم، ودلالة على صدقه، وشاهد لنبوته. ثم نبين أن القرآن نزل على سبعة أحرف كلّها شافٍ كافٍ، ونوضح ما هذه السبعة أحرف، والروايات الواردة فيها، وجنس اختلافها، ونذكر خلاف الناس في تأويلها، ونفسد من ذلك ما ليس بصواب، وندل على صحة ما نرغب فيه ونجتيه، ونذكر حال قراءة القراء: وهل قراءتهم هي السبعة الأحرف التي أنزل القرآن بها، أو بعضها؟ وهل هم بأسرهم متبعون لمصحف عثمان وحرف زيد، أو مختلفون في ذلك وقارؤون أو بعضهم بشير قراءة الجماعة؟ ونصف جلاً من مطاعن الملحدين وأتباعهم من الرافضة في كتاب الله عز وجل. ونكشف عن تمويه الفريقين بما يوضح الحق. ونذكر في كل فصل من هذه الفصول بمشيئة الله وتوفيقه — ما فيه بلاغ للمهتدين، وشفاء وتبصرة للمسترشدين، توحياً لطاعة الله جل وعز، ورغبة في جزيّل ثوابه. وما توفيقنا إلا بالله، وهو المستعان.

وقد ذكره في « هداية المسترشدين » ؛ حيث يقول (ورقة ١٤١ - ١) :
« وقد ذكرنا في كتاب « الانتصار لصحة نقل القرآن » جميع مطاعن اللحن
وكل من خالف عن اللغة - على القرآن ؛ وكشفنا عن فساد توهمهم وتمويههم ،
ودعواهم لتناقض آيات منه واختلافها ؛ وما طعنوا به من كثرة التكرار ؛
وما قالوه : من أنه قد ذكر فيه أشياء لا يرضها أهل اللغة ؛ من نحو قوله :
﴿ وفاكة وأبأ ﴾ . وقولهم : إن فيه ما ليس من لغة العرب . وقولهم : إن
فيه كلمات ملحونة لا تجوز في الإعراب . وأبطلنا أيضاً قدهم فيه بكونه
مثبتاً على غير تاريخ نزوله ، وأنه قد قدم منه ما يجب تأخير ، وآخر
ما يجب تقديمه . وأفسدنا أيضاً قدهم فيه بإزالة بضه متشابهاً ، مع
الإخبار بإلحاد قوم فيه وأتباع للتشابه منه . وأبطلنا أيضاً قول من قال : إن
فيه تحريفاً وتضريفاً وتبديلاً ، وزيادة وقصاً ؛ وأنه إنما أثبتته السلف بأخبار
الآحاد ، وشهادة الاثنين ، ومن جرى مجراها ؛ وإن الداجن والغم آكلا كثيراً
منه فضاع ودثر . وأبطلنا أيضاً قول من قال : إنه ليس فيه ما يدل على شيء
بظاهره ؛ وإن علم ذلك يجب أخذه عن الرسول والإمام ، ولا يسوغ أن يفسره
سواهما ، وما تقوله الباطنية وتهذي به وتموه في هذا الباب . واعترضنا أيضاً على
قول من زعم أن القرآن يجب الإيمان به ، والتسليم بصحته ؛ دون معرفة معناه
وتأويله . وأبطلنا أيضاً طعنهم على القرآن باختلاف خطوط المصاحف ،
 واختلاف القراءات ، وذكر الشواذ . وبيننا ما ثبت من ذلك ، وما يجب إبطاله .
وذكرنا قدهم فيه بما روى من قوله عليه السلام : « تلك الترائيق الملا ،
وإن شفاعتهم لترتجى » . إلى غير ذلك من وجوه اعتراضاتهم على صحة القرآن .
وأوردناه في ذلك الكتاب ، وطرفاً منه في « أصول الفقه » ؛ بما ينفي يسيره
الناظر فيه ، إن شاء الله .

وتوجد نسخة من الجزء الأول من هذا الكتاب في مكتبة « قرا مصطفى باشا »
بإسطنبول .

وقد نقل منه ابن حزم في الفصل ٤ / ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ نقولاً
رماه من أجلها بالكفر ، والكيد للدين ، وتكذيب الله ، وغير ذلك بما رماه به .
كما نقل منه السيوطي في الإتقان ١ / ٤٨ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ،
٤٢ / ٢ .

(٥) كتاب : « الفرق بين معجزات النبيين ، وكرامات الصالحين » .
ذكره في « هداية المسترشدين » مرتين ؛ قال في أولها : « وقد بينا في كتاب :
الفرق بين معجزات النبيين وكرامات الصالحين ؛ معنى وصف النبي أنه نبي ،
وأن من للناس من قال : إنه مشفق ومأخوذ من الإنباء عن الأشياء ، والإخبار
عن الله عز وجل » . ومن هذا الكتاب قسم في مكتبة « تينجن » بألمانيا .

(٦) كتاب : « مناقب الأئمة ، ونقض للطاعن على سلف الأمة » . أشار
إليه في « التمهيد » ص ٢٢٩ . وفي الخزانة الظاهرة بدمشق ، نسخة من الجزء
الثاني ، كتب تحت عنوانها : « تأليف القاضي أبي بكر بن الطيب » . وقد علق
على هذه العبارة الدكتور يوسف العش - في فهرس مخطوطات الظاهرية ص ٨٤ -
بقوله : « ولا شك أنه أحمد بن علي الباقلائي المتوفى سنة ٥٤٠ هـ » . وقد أخطأ
الدكتور في اسم الباقلائي واسم أبيه ؛ فهو : « محمد بن الطيب » ؛ لا
« أحمد بن علي » .

(٧) كتاب : « إكفار للتأولين » . أشار إليه في كتاب التمهيد في باب ذكر
ما يوجب خلع الإمام وسقوط فرض طاعته ؛ ص ١٨٦ ؛ حيث يقول : « وقد
ذكرنا ما في هذا الباب ، في كتاب إكفار للتأولين ؛ وذكرنا ما روى
في معارضتها ؛ وقلنا في تأويلها بما يفتى الناظر فيه » .

(٨) كتاب : « الإمامة الكبيرة » . وقد أشار إليه في « هداية المسترشدين » ، في آخر حديثه عن آية أنشاق القمر ؛ إذ يقول : « وقد تصينا القول في ذلك - في كتاب الإمامة - بما ينفي متأمله » . وقد ذكره ابن حزم في الفصل ٤ / ٢٢٥ ، ونقل منه في ص ١٦٦ .

(٩) كتاب : « الأصول الكبير في الفقه » . أشار إليه أبو المظفر الإسفرائيني في كتاب التبصير ص ١١٩ ؛ وقال : إنه يشتمل على عشرة آلاف ورقة . وذكره الباقلاني في كتابي : « التمهيد » و « هداية المسترشدين » .

(١٠) كتاب : « كيفية الاستشهاد ، في الرد على أهل الجحد والناد » . أشار إليه في كتاب « التمهيد » ص ٤٠ .

(١١) كتاب : « نقض النقض » . ذكره أبو المظفر الاسفرائيني في التبصير ص ١١٩ .

(١٢) كتاب : « كشف الأسرار ، وهتك الأستار ؛ في الرد على الباطنية » . ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١١ / ٣٤٦ ؛ فقال : « وقد صنف القاضي الباقلاني كتاباً في الرد على هؤلاء ؛ وسماه كشف الأسرار ، وهتك الأستار ؛ بين فيه فضائهم وقبائحهم ، ووضح أمرهم لكل أحد ... وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم : هم قوم يظهرون الرفض ، ويبطنون الكفر المحض » .

وقد قل منه ابن تيمّري برّدى في النجوم الزاهرة ٤ / ٧٥ ؛ في كلامه عن نسب المعزّ وأبائه ؛ فقال : « وقال القاضي أبو بكر بن الباقلاني : القداح ، جد عبيد الله ، كان مجوسياً ، ودخل عبيد الله للغرب ، وادعى أنه علوي ؛ ولم يعرفه أحد من علماء النسب ؛ وكان باطنياً خبيثاً ، حريصاً على إزالة ملّة الإسلام ؛ أعدم الفقه والعلم ، ليتمكن من إغراء الخلق ؛ وجاء أولاده أسلوته ، وأباحوا الحمر

والفروج ؛ وأشاعوا الرض ، وبشوا دعاة فافسدوا عقائد جبال الشام ، كالنصيرية والدروزية . وكان القداح كاذباً محترقاً ؛ وهو أصل دعاة القرامطة .

وقد أشار إلى هذا الكتاب السيوطي ، في حسن المحاضرة ٢ / ٢٨ ؛ والسبكي في طبقات الشافعية ٤ / ١٩٢ ؛ أثناء ترجمته لنجم الدين الخبوشاني ، المتوفى سنة ٥٨٧ ؛ والقى كان على يده خراب بيت الصيدين الرافضة ، الذين يزعمون أنهم فاطميون .

(١٣) كتاب : « الإيجاز » . ذكره أبو عذبة في كتاب « الروضة البهية ، فيما بين الأشاعرة والماتريدية » ؛ ثلاث مرات ، قال في أولها ص ١٨ : إن القاضي أبا بكر ذكر في كتاب الإيجاز أن المحبة والإرادة ، والمشيئة والإشاعة ، والرضى والاختيار ؛ كلها بمعنى واحد ؛ كما أن العلم والمعرفة شيء واحد . وقال في الثانية ص ٣٥ : إنه يقول في هذا الكتاب : إن أحكام الدين على ثلاثة أضرب : ضرب لا يعلم إلا بالدليل العقلي ؛ كحدوث العالم وإثبات محذته ؛ وما هو عليه من صفاته المتوقف عليها العقل ، كقدرته تعالى وإرادته ، وعلمه وحياته ، ونبوة رسله . وضرب لا يعلم إلا من جهة الشرع ؛ وهو الأحكام للشريعة ، من الواجب والحرام والمباح . وضرب يصح أن يعلم تارة بدليل العقل ، وتارة بالسمع ؛ نحو الصفات التي لا تتوقف على العقل ، كالسمع له تعالى والبصر والكلام ، والعلم بجواز رؤيته تعالى ، وجواز النفران للمذنبين ، وما أشبه ذلك . وقال في الثالثة ص ٥٨ : إن القاضي أبا بكر ذكر في كتاب الإيجاز أن نبينا صلى الله عليه وسلم معصوم فيما يؤديه عن الله تعالى ؛ وكذا سائر الأنبياء ؛ وأن الصغيرة تجوز على الأنبياء بعد الوحي مطلقاً ؛ لا على سبيل السهو وحده .

(١٤) كتاب : « الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة » . وقد نقل منه ابن تيمية : في « رسالة الفتوى المحوية الكبرى » ص ٧٦ ، ٧٧ ؛ وابن قيم

الجوزية في كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية، هل غزو المعطلة والجمية » ص ١٢٠ .
 (١٥) كتاب : « دقائق الكلام والرد على من خالف الحق من الأوائل
 ومنتحلي الإسلام » . ذكره في « هداية المسترشدين » . وأشار إليه ابن تيمية ، في
 كتاب « بيان موازنة صريح المقول ، لصحيح المنقول » ١ / ٨٨ ؛ أثناء كلامه على
 كثرة الاختلاف بين طوائف الفلاسفة ؛ إذ يقول : « واعتبر هذا بما ذكره أرباب
 المقالات عنهم في العلوم الرياضية والطبيعية ؛ كما نقله الأشعري في كتابه :
 في مقالات غير الإسلاميين ؛ وما ذكره القاضي أبو بكر عنهم ، في كتابه في الدقائق .
 فإن في ذلك من الخلاف عنهم — أضعاف أضاعف ما ذكره الشهرستاني
 وأمثاله ممن يحكي مقالاتهم » . وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ١١ / ٣٥٠
 أن الباقلااني كتاباً اسمه : « دقائق الحقائق » . ولا أدري أهو اسم لهذا الكتاب
 أم اسم لكتاب آخر ؟

(١٦) كتاب : « رسالة الحرية » . ومبلغ علم الباحثين عنه أنه من كتب
 الباقلااني المفقودة ، التي لا يعرفون موضوعها ، ولا يفقهون معنى تسميتها . ومن
 أعجب العجب أن الكتاب موجود بين أيديهم ، مطبوع يقرءون فيه ! لكنه
 يحمل اسماً آخر لم يضمه له الباقلااني ؛ وهو : « الإنصاف » ، الذي طبع بالقاهرة
 في سنة ١٣٦٩ ؛ بتحقيق المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثري .

وإني لأقطع بأن كتاب « الإنصاف » هذا ، إنما هو في حقيقة الأمر كتاب
 « رسالة الحرية » ؛ وأن ذلك الاسم الذي طبع به ، اسم دخيل عليه ، قد وضع على
 نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية .

والذي دفنى إلى ذلك القطع ، قول الباقلااني في أول مقدمته : « أما بعد ؛
 فقد وقتت على ما أتممت « الحرية » الفاضلة الدينية — أحسن الله توفيقها — لما
 تنوخاه من طلب الحق ونصرته ، وتنكب الباطل وتجنبه ؛ واعتماد القرية

باعتماد الفروض في أحكام الدين ، واتباع السلف الصالح من المؤمنين ؛ من ذكر
 جهل ما يجب على المكلفين اعتقاده ، ولا يسع الجهل به ؛ وما إذا تدبّر به الرء
 صار إلى التزام الحق المفروض ، والسلامة من البدع والباطل المفروض . وإني
 — بحول الله تعالى وعونه ، ومشيتته وطوّله — أذكر « لها » جملاً مختصرة ، تأتي
 على البنية من ذلك ؛ ويستغنى بالوقوف عليها عن الطلب ، واشتغال الهمة بما سواه .
 فنقول وبالله التوفيق : إن الواجب على المكلف ... » .

وقول الباقلاني هذا ، يدل دلالة قاطعة على أنه يقدم لرسالة الحرّة ، لا لكتاب
 الإنصاف . ولست أدري كيف مرّ محقق الكتاب على هذا الكلام ، دون أن
 يتنبه لدلالته الناطقة باسمه ؛ مع علمه بأن القاضي عياضاً قد ذكر « رسالة الحرّة »
 ضمن مؤلفات الباقلاني ، ولم يذكر « الإنصاف » . !! .

ولست أدري كيف فاته مع ذلك أن يتنبه إلى النصين الدخيلين على كلام
 الباقلاني في هذا الكتاب — في ص ٥٨ ، ٦٤ — وللصدرين بقول كاتبهما :
 « قال الشيخ الأجل الإمام جمال الإسلام : ووقع لي أنا دليل ... » . و « قال
 الشريف الأجل جمال الإسلام : ووقع لي جواب أخصر من هذا وأجود ... » ؟!
 ولا مراة في أن هذين النصين من تعليق بمض قراءة النسخة على هامشها ؛
 فأدخلهما ناسخها أو طابعتها في صلب الكتاب .

وقد نقل ابن حزم — في الفصل ٢١٦/٤ — قولاً زعم أن الأشاعرة قالوه
 في كتبهم ؛ وهو : « أن الروح تنتقل عند خروجها من الجسم إلى جسم آخر » ؛
 وعقب عليه بقوله : « هكذا نص الباقلاني في أحد كتبه ؛ وأظنه الرسالة ،
 المعروفة بالحرّة . وهذا مذهب التناسخ بلا كلفة » . ولقد كذب على ابن حزم
 ظنه ، فليس في رسالة الحرّة ما يشير إلى هذا القول للزعم من قريب أو بعيد ،
 ولم يرد في رسالة الحرّة — من حديث الروح — إلا قوله ص ٤٥ : « ويجب

أن يعلم أن كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، ورد الروح إلى الميت عند السؤال ، ونصب الصراط والليزان ، والحوض ، والشفاعة للصلاة من المؤمنين — كل ذلك حق وصدق ، يجب الإيمان والقطع به ؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل في العقل » .

ولقد نقل ابن قيم الجوزية في كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية ، على غزو المعطلة والجممية » أقوالاً من كتب الباقلاني في صفات الله ؛ ختمها بقوله ص ١٢٠ : « ذكر قوله في رسالة الحرة . قال في كلام ذكره في الصفات : إن له وجهاً ويدين ، وإنه ينزل إلى سماء الدنيا . ثم قال : وإنه استوى على عرشه ، فاستوى على خلقه . ففرق بين الاستواء الخاص ، والاستيلاء العام » .

وما أشار إليه ابن قيم الجوزية من قول الباقلاني في الوجه واليدين ، والاستواء على العرش مذكور في رسالة الحرة المسماة بالإنصاف ؛ ص ٢١ ، ٢٢ . ونص عبارته في ذلك : « ... وأخبر الله أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضى الماضيات ... واليدين اللتين نطق بإثباتهما القرآن ... وأنها ليستا جارحتين ، ولا ذوى صورة وهيته . وأن الله جل ثناؤه مستو على العرش ، ومستول على جميع خلقه ، كما قال تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ... بغير عمامة وكيفية ، ولا مجاورة ؛ وأنه في السماء إله وفي الأرض إله ، كما أخبر بذلك » .

وهذا دليل آخر يؤكد ما ذهب إليه من أن كتاب « الإنصاف » إنما هو رسالة الحرة .

(١٧) كتاب : « التريب والإرشاد » في أصول الفقه . قال القاضى عياض : إنه كتاب كبير . وذكره أبو المظفر الإسفراني في كتاب التبصير ص ١١٩ ؛ وأشار إليه السيوطي في الإتيقان ١/٤٨ .

(١٨) كتاب : « التبصرة » . ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٣٥٠ .

- (١٩) كتاب : « البيان عن فرائض الدين وشرائع الإسلام ، ووصف ما يلزم من جرت عليه الأقلام ، من معرفة الأحكام » .
- (٢٠) كتاب : « الحدود » في الرد على أبي طاهر محمد بن عبد الله بن القاسم .
- (٢١) كتاب : « تصرف العباد ، والفرق بين الخلق والأكساب » .
- (٢٢) كتاب : « الرد على المعتزة ، فيما اشبه عليهم من تأويل القرآن » .
- (٢٣) كتاب : « السماء التي جرت بين الصحابة » .
- (٢٤) كتاب : « للقدماء في أصول الديانات » .
- (٢٥) كتاب : « المقنع في أصول الفقه » .
- (٢٦) كتاب : « الأصول الصغير » .
- (٢٧) كتاب : « مسائل الأصول » .
- (٢٨) كتاب : « مختصر التتريب والإرشاد الصغير » .
- (٢٩) كتاب : « مختصر التتريب والإرشاد الأوسط » .
- (٣٠) كتاب : « المسائل التي سأل عنها ابن عبد المؤمن » .
- (٣١) كتاب : « رسالة الأمير » .
- (٣٢) كتاب : « المسائل القسطنطينية » .
- (٣٣) جواب أهل فلسطين .
- (٣٤) البفداديات .
- (٣٥) الأصبهانيات .
- (٣٦) النيسابوريات .
- (٣٧) الجرجانيات .
- (٣٨) كتاب : « الكراعات » .
- (٣٩) كتاب : « الأحكام والملل » .

- (٤٠) كتاب : « إمامة بنى العباس » . ذكره القاضى عياض .
 (٤١) كتاب : « نقض النقض على الهمداني » . ذكره فى « هداية المسترشدين » .
 (٤٢) كتاب : « الإمامة الصغيرة » .
 (٤٣) كتاب : « التمديل والتجوير » .
 (٤٤) شرح اللع لأبى الحسن الأشعرى .
 (٤٥) كتاب : « شرح أدب الجدل » .
 (٤٦) كتاب : « أمالى إجماع أهل المدينة » .
 (٤٧) كتاب : « فى أن المدوم ليس بشئ » .
 (٤٨) كتاب : « فضل الجهاد » .
 (٤٩) كتاب : « المسائل والمجالات المنشورة » .
 (٥٠) كتاب : « الرد على المتناسخين » .
 (٥١) نقض الفنون للجاحظ .

(٥٢) كتاب : « الكسب » . ذكره أبو اللفظ الإفراني فى التبصير

ص ١١٩ .

(٥٣) كتاب : « فى الإيمان » أشار إليه ابن تيمية ، فى رسالته « الفرقان بين الحق والباطل » ؛ أثناء حديثه عن الإيمان ؛ حيث يقول ص ٤٣ : « وكلام الناس فى هذا الاسم ومسماه كثير ، وقد رأيت لابن الميضم فيه مصنفات فى : أنه قول اللسان فقط . ورأيت لابن الباقلانى فيه مصنفات : أنه تصديق القلب فقط . وكلاهما فى عصر واحد ؛ وكلاهما يرد على المترلة والرافضة » .

(٥٤) كتاب : « النقض الكبير » . ومنه هذا النص الذى أورده إمام الحرمين فى الشامل : « قال أبو بكر الباقلانى فى النقض الكبير : من زعم أن السين من بسم الله بعد الباء ، والميم بعد السين الواقعة بعد الباء ؛ لا أول له : —

قد خرج عن المقول ، وجحد الضرورة ، وأنكر البديهة . فإن اعترف بوقوع شيء بعد شيء ، قد اعترف بأوليته ؛ فإن ادعى أنه لا أول له ، قد سقطت حاجته ، وتبين لحوقه بالسفسطة . وكيف يرجى أن يرشد بالدليل من يتوابع في جحد الضروري ؟ ! » .

(٥٥) كتاب : « الرد على الرافضة والمعتزلة ، والخوارج والجمعية » . ذكره الصلاح الصفدى في « الوافى بالوفيات » ١٧٧/٣ .

آراء العلماء في البقلاني .

(١) روى ابن عساكر في تبين كذب المفتري — عن أبي علقمة ، عن أبي هريرة — : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة ، على رأس كل مائة سنة ، من يجدد لها دينها » ؛ ثم قال ص ٥٣ : « وسمعت الشيخ الإمام أبا الحسن على بن المسلم — على كرسيه بجامع دمشق — يقول وذكر حديث أبي علقمة هذا : « كان على رأس المائة الأولى : عمر بن عبد العزيز ؛ وكان على رأس المائة الثانية : محمد بن إدريس الشافعى ؛ وكان على رأس المائة الثالثة : الأشعرى ؛ وكان على رأس المائة الرابعة : ابن البقلاني » .

(٢) قال صاحب ابن عباد في وصفه ووصف زميله — : أبي بكر بن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ ، وأبى إسحاق الإسفرائينى ، المتوفى سنة ٤١٨ — : وابن البقلاني ببحر مغرق ، وابن فورك صلِّىْ مطرُق ، والإسفرائينى نار تاحرق . وقد علق ابن عساكر على هذا القول في تبين كذب المفتري ص ٢٤٤ — فقال : « وكأن روح القدس نفث في رُوعه ، حيث أخبر عن حال هؤلاء الثلاثة ، بما هو حقيقة الحال فيهم » .

(٣) قال الخطيب البغدادي ٣٧٩/٥ : « كان البقلاني ثمة . وأما الكلام

فكان أعرف الناس به ، وأحسنهم خاطراً ، وأجودهم لساناً وأوضحهم بياناً ؛
وأصحهم عبارة » .

(٤) قال القاضى عياض فى « ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ،
لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك » : « ومن أهل العراق والشرق : أبو بكر
محمد بن الطيب بن محمد ، القاضى المعروف بابن الباقلانى ؛ الملقب بشيخ السنة ،
ولسان الأمة ؛ المتكلم على مذهب المثبتة وأهل الحديث ، وطريقة أبى الحسن
الأشعرى . قال الخطيب ... وقال أبو الحسن بن جهمم الهمداني : كان شيخ
المالكيين فى وقته ، وعالم عصره المرجوع إليه فيما أشكل على غيره . قال غيره :
وإليه انتهت رئاسة المالكيين فى وقته ؛ وكان حسن الفقه ، عظيم الجدل ؛ وكانت
له ببغداد حلقة عظيمة ، وكان ينزل الكرخ . ذكر أبو عبد الله بن سعدون
الفتيحي : أن سائر الفرق رضيت بالقاضى أبى بكر فى الحكم بين المتناظرين » .

(٥) قال الذهبي فى سير أعلام النبلاء : « ابن الباقلانى الإمام العلامة ،
أوحد المتكلمين ، مقدم الأصوليين ، صاحب التصانيف ، كان يضرب المثل
بفهمه ... وكان بحق إماماً بارعاً ، صنف فى الرد على المعتزلة والرافضة ، والخوارج
والجهمية والكرامية . وانتصر لطريقة أبى الحسن الأشعرى ، وقد يخالفه فى
مضايق ؛ فإنه من نظرائه ، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه » .

(٦) قال ابن العماد فى شذرات الذهب ٣ / ١٦٨ : « القاضى أبو بكر بن
الباقلانى محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، البصرى ، المالكي الأصولى المتكلم ،
صاحب المصنفات ، وأوحد وقته فى فنه ... وكانت له بجامع المنصور حلقة
عظيمة ... وقال ابن الأهدل : سيف السنة القاضى أبو بكر بن الباقلانى الأصولى
الأشعرى المالكي ، مجدد الدين على رأس المائة الرابعة ... » .

(٧) قال ابن تيمية فى رسالة الفتوى الحوية الكبرى ص ٧٦ : « وقال

القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي المتكلم ؛ وهو أفضل المتكلمين
المتنسبين إلى الأشعري ، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده . قال في كتاب الإبانة .

(٨) قال ابن خلكان ٤٠٠ / ٣ : « القاضي أبو بكر محمد بن الطيب

بن محمد بن جعفر بن القاسم ، المعروف بالباقلائي ، البصري ، المتكلم للشهور ؛
كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ، ومؤيداً اعتقاده ، وناصراً طريقته .
وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره ، وكان أواحد زمانه ،
وانتهت إليه الرياسة في مذهبه ؛ وكان موصوفاً بجودة الاستنباط ، وسرعة
الجواب ؛ وسمع الحديث . وكان كثير التطويل في المناظرة ، مشهوراً بذلك
عند الجماعة » .

(٩) قال الصفدي في الوافي بالوفيات ١٧٧ / ٣ : « أبو بكر الباقلائي

البصري ، صاحب التصانيف في علم الكلام . وكان ثقة عارفاً بالكلام ، صنف
الرد على الرافضة والمعتزلة ، وانخارج والجمعية .. جرى بينه وبين أبي سعيد
الماروني مناظرة ، فأكثر الباقلائي الكلام فيها ، ووسع العبارة ، وزاد في
الإسهاب ؛ ثم التفت إلى الحاضرين ، وقال : اشهدوا عليّ أنه إن أعاد ما قلت لم
أطالبه بالجواب ؛ فقال الماروني : اشهدوا عليّ أنه إن أعاد كلام نفسه سلّمت
له ما قال » .

وذكره الصفدي أيضاً في ترجمة أبي الحسن المتكلم محمد بن شجاع المعتزلي ؛
حيث يقول ١٤٧ / ٣ : « حضر مجلس عضد الدولة ، وكلم أبا بكر الباقلائي
الأشعري في مسألة كلامية ، فطول في بعض نوبه ؛ فلما أخذ أبو الحسن الكلام
في نوبته ، قال له القاضي أبو بكر : قد أخلت بالجواب عن فصل يا شيخ . وأخذ
الباقلائي الكلام على نوبته فزاد في الطول ؛ فقال له أبو الحسن : علاوتك أقل
من حلك . فضحك عضد الدولة من ذلك » .

(١٠) قال ابن عمار الميؤرى : « كان ابن الطيب مالكيًا فاضلاً متورعاً ،
 ممن لم تحفظ عليه زلة قط ، ولا نسبت إليه قبيصة . وكان يلقب بشيخ السنة ،
 ولسان الأمة ؛ وكان فارس هذا العلم ، مباركاً على هذه الأمة . وكان حصناً من
 حصون المسلمين ، وما سرُّ أهل البدع بشيء كسرورهم بموته » .

(١١) قال أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برّحان النحوى ، للتوفى
 سنة ٤٥٦ هـ : « من سمع مناظرة القاضي أبي بكر ، لم يستلذ بعدها بسماع كلام أحد
 من المتكلمين والفقهاء والخطباء والمسترسلين ؛ ولا الأغاني أيضاً ؛ من طيب كلامه
 وفصاحته ، وحسن نظامه وإشارته » .

(١٢) قال أبو عمران الفاسي (٣٦٨ - ٤٣٠ هـ) : « القاضي أبو بكر
 سيف أهل السنة في زمانه ، وإمام متكلم أهل الحق في وقتنا ... »

(١٣) قال أبو عبد الله الصيرفي : « كان صلاح القاضي أكثر من علمه ؛
 وما نفع الله هذه الأمة بكتبه ، وبشفايهم ؛ إلا بحسن نيته واحتسابه بذلك . وكان
 يدرس نهاره وأكثر ليله » .

(١٤) قال أبو حاتم الطبري محمود بن الحسن القزويني : « إن
 ما كان يضره القاضي الإمام أبو بكر الأشعري رضى الله عنه ، من الورع
 والديانة ، والزهد والصيانة ، أضعاف ما كان يظهره ؛ فقليل له في ذلك ؟ فقال :
 إنما أظهر ما أظهره غيظاً لليهود والنصارى ، والمعتزلة والرافضة والمخالفين ؛ لئلا
 يستحقروا علماء الحق والدين ، فأضمر ما أضمره ؛ فإني رأيت آدم — مع جلالاته —
 نودى عليه بذوقه ، وداود بنظرة ، ويوسف بهمة ، ومحمداً بمخاطرة ؛ عليهم
 السلام » .

(١٥) قال أبو القرج محمد بن عمران الخلال : « وكان ورد القاضي أبي بكر
 محمد بن الطيب ، في كل ليلة ، عشرين ترويجة ؛ ما يتركها في حضر ولا سفر » .

(١٦) قال أبو بكر الخوارزمي محمد بن العباس ، المتوفى سنة ٣٨٣ — :
« كل مصنف يبتدأ إنما ينقل من كتب الناس إلى تصانيفه ؛ سوى القاضي
أبي بكر ، فإن صدره يحوى علمه وعلم الناس » .
(١٧) قال أبو محمد الباقي : « لو أوصى رجل بثلاث ماله أن يُدفع إلى أفصح
الناس ، لوجب أن يُدفع لأبي بكر الأشعري » .

(١٨) قال علي بن محمد بن الحسن الحرابي ، المالكي : « كان القاضي أبو بكر
الأشعري ، يهيم بأن يختصر ما يصنفه ، فلا يقدر على ذلك ؛ لسعة علمه ، وكثرة
حفظه . وما صنّف أحد خلافاً إلا احتاج أن يُطالع كتبَ المخالفين ؛ غير القاضي
أبي بكر ؛ فإن جميع ما كان يذكر خلافَ الناس فيه ، صنّفه من حفظه » .

(١٩) روى الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد الدامغانى ؛ قال : لما قدِم
القاضي الإمام أبو بكر الأشعري بغداد ، دعاه الشيخ أبو الحسن التميمي الحنبلي
(٣٧١) إمام عصره في مذهبه ، وشيخ مصره في ردهله ؛ وحضر الشيخ
أبو عبد الله بن مجاهد (٣٧٠) ، والشيخ أبو الحسين محمد بن أحمد بن سمعون
(٣٨٧) ، وأبو الحسن الفقيه ، فغرت مسألة الاجتهاد — بين القاضي أبي بكر ،
وبين أبي عبد الله بن مجاهد ، وتعلّق الكلامُ بينهما إلى أن انفجر عمود الصبح ،
وظهر كلام القاضي عليه . وكان أبو الحسن التميمي الحنبلي يقول لأصحابه : تمسكوا
بهذا الرجل ، فليس للسنة عنه غنى أبداً » .

(٢٠) أما أبو حامد الإسفراييني (٣٤٤ — ٤٠٦) فقد كان شديد
الإنكار على أصحاب الكلام عامة ، وعلى الأشاعرة والباقلاني خاصة ؛ حتى إنهم
رووا أن الباقلاني كان يخرج الى الحمام متبرقاً خوفاً منه . وقد نقل ابن تيمية في
فتاويه ٥ / ٣٣٩ : أن أبا الحسن الكرخي قال في كتابه « القصول في الأصول » :
« وسمعت شيخني الإمام أبا منصور ، الفقيه الأصبهاني ، يقول : سمعت شيخنا

الإمام أبوبكر الزاذقاني ، يقول : كنت في درس الشيخ أبي حامد الإسفرايني ، وكان ينهي أصحابه عن الكلام ، وعن الدخول على الباقلاني . قبلته أن نقرأ من أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام ، فظن أني معهم ومنهم ؛ وذكر قصة قال في آخرها : إن الشيخ أبوحامد قال لي : يا بني ، بلغت أنك تدخل على هذا الرجل — يعني الباقلاني — فأياك وإياه ، فإنه مبتدع يدعو الناس إلى الضلالة ، وإلا فلا تحضر مجلسي ، فقلت : أنا عائد بالله مما قيل ! وتائب إليه ! واشهدوا على أني لا أدخل عليه ! » .

وأعجب مما سبق قوله أيضاً : « كان الشيخ أبوحامد أحمد بن أبي طاهر الإسفرايني — إمام الأئمة الذي طبّق الأرض علماً وأصحاباً — إذا سعى إلى الجمعة من قطعة الكرخ إلى جامع المنصور ، يدخل الرباط المعروف بالروزي المحاذي للجامع ، ويقبل على من حضر ويقول : اشهدوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق كما قاله أحمد بن حنبل ، لا كما يقوله الباقلاني ؛ وتكرّر ذلك منه في جمعات ؛ فقليل له في ذلك ؟ فقال : حتى ينتشر في الناس وفي أهل الصلاح ، ويشيع الخبر في البلاد : أني برىء مما هم عليه — يعني الأشاعرة — وبرىء من مذهب أبي بكر الباقلاني ، فإن جماعة من المتفهمة الترياء ، يدخلون على الباقلاني خفية فيقرءون عليه ، فيفتون بمذهبه ، فإذا رجعوا إلى بلادهم أظهروا بدعتهم لا محالة ، فيظن طائفة منهم مني قتلوه وأنا قتلته ، وأنا برىء من مذهب الباقلاني وعقيدته » .

هذا قول الإسفرايني في معاصره الباقلاني ، وهو قول سدام الإسراف والتجني ، ولحثة الهوى والعصية ، فإنا كان الباقلاني مبتدعاً يدعو الناس إلى الضلالة ، وما كان مذهبه فاسداً ، ولا عقيدته مدخولة ؛ بحيث يتبرأ منها مسلم ولكن العصية قاهرة غلبة ، والتناصر مع التماثل في الصناعة مدرجة العداوة والبغضاء .

(٢١) ذكر أبو حيان التوحيدي في كتاب «الامتناع والمؤانسة» ١/١٤٣
أن الوزير أبا عبد الله المارضي، سأله في الليلة الثامنة، وقال له: «فما تقول في
ابن الباقلافي؟ قلت:

فا شرُّ الثلاثة أمُّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحنا
يزعم أنه ينصر السنة، ويفهم للمعزة، وينشر الرواية، وهو في أضاف
ذلك على مذهب الخرمية، وطرائق الملحة. قال: والله إن هذا لمن للصائب
الكبار، والحنن الفلاظ، والأمراض التي ليس لها علاج». .
ولست أرتاب في أن أبا حيان قد جاء بالإفك، حين رمى الباقلافي بأنه
كان على مذهب الخرمية وطرائق الملحة، ولو كان لذلك الاتهام نصيب من
الصيحة لجرّد له قلمه الجبار، وذهب يبين عن مظاهره ومصادره، ويفيض في
الطنن عليه، ولبادر إلى ثلبه والتشهير به، أعداؤه من شتى المذاهب والنحل
التي نقض أقوالها، وأتى على معتقداتها من التواعد؛ ولتساقوا إلى تأليب
الناس عليه، وتحريض السلطان على إهدار دمه وصلبه، كما صلب بابك الخرمي.
فإن الخرمية فرقة مبتدعة، لا يسدها أحد في زمرة المسلمين؛ لأنها تستحل كل
محرم، وتذهب إلى شركة الناس جميعاً في الأموال والنساء، ويجتمع رجالها
ونساؤها في ليالٍ مخصصة، يفنونها في احتساء الخمر والرقص، ثم يلقفون كل
سراج منير، وكل نار موقدة، ويمكف كل واحد منهم على المرأة التي اتفق
جلوسها بجانبه! وهم يدينون بألوهية بابك الخرمي، ويدعون أنه كان لهم ملك
في الجاهلية اسمه «شروين»، ينوحون على موتاهم باسمه، ويفضولونه على
الأنبياء جميعاً.

ولست أدري كيف يكون الباقلافي على مذهب هؤلاء الخرمية، ومخفى
أمره على أعدائه للترصين به، وعلى أوليائه للمتصين حوله، ولا يظهر إلا لأبي

حيان وحده ! فينفرد بتسجيله عليه ؛ ثم لا ينقله عنه ناقل ، ولا ينزله به نابز !!
إن في ذلك لآية على إفكك ، ودليلا على اختلاقه عليه ، وعداؤه له .

ولعل من أسباب عداوة أبي حيان للباقلاني ، بغضه للكلام والتكلمين ،
الذي أفصح عنه بقوله : « ولم أر متكلماً في مدة عمره بكى خشية ، أو دمت عينه
خوفاً ، أو أظلم عن كبيرة رغبة ، يتناغرون مستهزئين ، ويتحاسدون متمصين ،
ويتلاقون متخادعين ، ويصنفون متحاملين ، جذَّ الله عروقهم ، واستأصل
شأقهم ، وأراح البلاد والعباد منهم ، فقد عظمت البلوى بهم ، وعظمت آفاتهم
على صفار الناس وكبارهم ، ودبَّ داؤم ، وعسر دواؤم ؛ وأرجو ألا أخرج من
الدنيا حتى أرى بنيانهم متضعضعاً ، ومساكنه متجسججاً » .

وقد يكون أبو حيان مدفوعاً الى تلك العداوة بتأثير العداوة بين الباقلاني
وبين أستاذه أبي سليمان اللطفي من جهة ، وبينه وبين أبي حامد الإسفرايني من
جهة أخرى ، وكلامها له في نفس أبي حيان منزلة سامية ، وإجلال بالغ .
ومهما يكن من أمر عداوة أبي حيان للباقلاني ، وأياً كان مبسها ومأتاها ،
فلا مراء في أنه قد ظلمه ظلماً ميئناً ؛ إذ نسه إلى طائفة الخرمية ، وهو منها برىء
براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

(٢٢) وثالثة الأثافي التي رمى بها الباقلاني ، تلك الأقوال المنكرة التي
قلما عنه ابن حزم الظاهري (٣٨٤ — ٤٥٦) في كتاب « الفصل في الملل
والأهواء النحل » فهو عنده : « كافر أصلع الكفر ، مشرك يقدح في النبوات ،
ملحد خبيث المذهب ملعون ، يلحد في أسماء الله ، ويخالف القرآن ويكذب الله ؛
نذل يوجب الشك في الله وفي صحة النبوة ؛ مظلم للجمالة ، من أهل الضلالة ، تمرؤرؤ
فاسق ؛ أحق ؛ يكيد للإسلام ويستخف به ، قد صدق فيه قول القائل :

شهدت بأن ابن للمل هازل بأحبابه والباقلاني أهزل

وما الجبل الملعون في ذاك دونه وكلهم في الإفك والكفر منزل .
هذه بعض أقوال ابن حزم في الباقلاني ، نقلتها بألفاظها كما أثبتتها في مواضع
مختلفة من كتابه .

ولو صدق بعض هذه الأقوال عليه لوجب على المسلمين البراءة منه ، وبند
كتبه ، وعذبه في طليعة أعداء الإسلام ؛ فكيف إذا صدقت كلها ؟ !
ويحذر بنا — قبل أن نعرض للحكم عليها — أن نتبين : هل كان ابن حزم
نزيهاً في حكمه ، منصفاً في قوله ، أميناً في نقله ؛ سليم الصدر من دواعي الهوى
والمصيبة ؟ أم كان غير ذلك ؟

وما يدعو إلى الدهشة والعجب حقاً ، ويملاً النفس بالأسف الممض ، أن يكون
ابن حزم عربياً عن ذلك كله ، متكباً سبيل العلم والأخلاق والدين في حديثه عن
الباقلاني ؛ لأنه أشعري ، وهو ظاهري يفيض الأشاعرة جميعاً ، ويصفهم بنجث
للقالقة وفساد الدين واستسهال الكذب على الله جهاراً ، وعلى رسوله بلا رهبة ؛
ويقول عنهم : « الحمد لله الذي لم يجعلنا من أهل هذه الصفة للرذولة ، ولا من
هذه العصابة المخذولة » ، ويحمد الله على ضعفهم في عصره ، فيقول : « وأما
الأشاعرة فكانوا يبتعدون والبصرة ؛ ثم قامت لهم سوق بصقلية والقيروان
وبالأندلس ؛ ثم رق أمرهم ، والحمد لله رب العالمين » .

وهو ينسب إليهم أقوالاً لم يقولوها ، ومذاهب لم يذهبوا إليها ؛ ثم يندفع
في تكفيرهم ، وكيل الشتائم لهم ، كما صنع في باب الرد على من زعم أن الأنبياء
والرسل ليسوا أنبياء ولا رسلاً ؛ حيث يقول ١ / ٨٨ : « حديث فرقة
مبتدعة ، زعم أن محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليس هو الآن رسول
الله ، ولكنه كان رسول الله . وهذا قول ذهب إليه الأشعرية . وهذه مقالة
خيثة ، مخالفة لله تعالى ولرسوله ، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام منذ كان الإسلام

إلى يوم القيامة . . . ونعوذ بالله من هذا القول ، فإنه كفر صراح لا ترداد فيه ؛
ثم اندفع في إبطال هذا القول في شدة وعنف ؛ ونسى أو تناسى أن هذا القول
لم يقل به أحد من الأشاعرة ؛ وإنما نسب إليه بعض الكرامية ؛ واشتد تكريم
على من نسب إليه ، وبنوا أنه مختلف على إمامهم الأجل أبي الحسن الأشعري .
وفي ذلك يقول أبو القاسم القشيري (٣٧٦ - ٤٧٥) في كتابه « شكايه
أهل السنة » - : « فأما ما حكى عنه وعن أصحابه أنهم يقولون : إن محمداً ، صلى
الله عليه وسلم ، ليس بنبي في قبره ، ولا رسول بعد موته ؛ فبهتان عظيم ،
وكذب محض ، لم ينطق به أحد منهم ، ولا سمع في مجلس مناظرة ذلك عنهم ،
ولا وجد ذلك في كتاب لهم . : . » .

وليس أدل على كذب هذا القول على الأشاعرة ، من قول الباقلاني عنه -
في كتاب رسالة الحرة المسمى بالإنصاف ص ٥٥ - : « ويجب أن يعلم أن
نبوات الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، لا تبطل ولا تنخرم بخروجهم عن الدنيا
وانتقالهم إلى دار الآخرة ؛ بل حكمهم في حال خروجهم من الدنيا كحكمهم في
حالة نومهم ، وحالة اشتغالهم إما بأكل وشرب ، أو قضاء وطر . والدليل عليه :
أن حقيقة النبوة لو كانت ثابتة لهم في حالة اشتغالهم بأداء الرسالة ، دون غيرها
من الحالات - لكانوا في غيرها من الأحوال غير موصوفين بذلك . وقد غلط
من نسب إلى المحققين من الموحدين - إبطال نبوة الأنبياء عليهم السلام
بخروجهم من دار الدنيا . وليس ذلك بصحيح ؛ لأن مذهب المحققين : أن الرسول
ما استحق شرف الرسالة بتأدية الرسالة ؛ وإنما صار رسولا ، واستحق شرف
الرسالة والنبوة ، بقول مرسله - وهو الله تعالى - : أنت رسولي ونبي ؛ وقول الله
تعالى قديم لا يزول ولا يتغير . والدليل على صحة هذا أيضاً : أنه صلى الله عليه
وسلم ، سئل فقيل له : متى كنت نبياً ؟ فقال : « كنت نبياً وآدم بين الماء

والطعن . « فغاصل الجواب في هذا : أن شرف النبوة وكال للنصب ثابت للأنبياء ، صلوات الله عليهم أجمعين ، الآن حسب ما كان ثابتاً لهم في حال الحياة ؛ لم ينظم ، ولم ينتقض ؛ سواء نسخت شرائعهم أو لم تنسخ . ومن راجع نفسه ، ولم يخاطب حسه ، عرف وتحقق أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الآن لم يخاطب شفاها ، ولا يأمرهم ، ولا يكلمهم من غير واسطة ؛ لكن حكم شريعته وصحة نبوته ؛ ثابت لم ينتقض لأجل خروجه من الدنيا ، ولم تزل مرتبته ، ولا انخرمت رسالته ، ولا بطلت معجزته . فاعلم ذلك وتحققه . »

ولست أدري : كيف يقرأ ابن حزم كلام الباقلاني هذا في كتابه هذا ؛ ثم يستنسخ ضميره أن يزعم بعد ذلك أن الأشاعرة قالوا هذه المقالة الخبيثة ؛ مع قوله : إن الباقلاني كبيرم ؟ حقاً إن هذا لشيء عجيب !

وما أكثر التهم التي ألصقها ابن حزم بالأشاعرة إصافاً ؛ وما أوفر عبارات القذف والسباب التي قذفهم بها وسبهم ، والتي بلغت أقصى حدود الإغشاش والإفداع ؛ وقد اختص الباقلاني منها بأعظم قسط ، وأجزل نصيب . ولعل مرّة ذلك إلى أن الباقلاني قد نقد داود الظاهري (٢٠٠ - ٢٧٠) ؛ كما يشعر بذلك قول ابن حزم في الفصل ٤ / ٢٢٥ : « ومن العجب أن هذا النذل الباقلاني قطع بأن داود خالف الإجماع في قوله بإبطال القياس ، أفلا يستحي هذا الجاهل من أن يصف العلماء بصفته . مع عظيم جهله ؟ ولكن من يضل الله فلا هادي له . »

ومما أحفظه عليه أيضاً ، وأرثت نار عداوته في صدره ، أنه كان لا يعبأ بالظاهرية ، ولا يمدح من العلماء ؛ وقد قل شيخ الأزهر الشيخ حسن العطار ، (للتوفى سنة ١٢٥٠) — في حاشيته على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع ٢ / ٢٢١ — أن أبا إسحاق الإسفرايني قال : « كل مسلك يختص به أصحاب الظاهر عن القياسيين . بالحكم بحسبه منقوض ؛ وبحق قال حَبْرُ الأصول القاضى

أبو بكر : إني لا أعدّم من علماء الأمة ، ولا أألي بخلافهم ولا وفاتهم .
ولست أريد أن أقبس هنا سائر ما أورده من قول ؛ وما نخله من رأى ؛
ثم أبين ما صنعه فيه من تحريف كله عن مواضعها ، ولئى عباراته عن معانيها ،
وقطع مقدماته عن نتائجها ؛ وأخذ من ظاهر لفظه ما يتفق وهوى نفسه ، وينسق
وما يريد أن يلزمه من إلزامات شائنة تنهب بسمته ومكاته . لست أريد ذلك
لأن بيانه يحتاج إلى بسط وإطناب لا سبيل إليهما فى هذا المقام . ولكنى أذكر
من ذلك ما لا مناص من ذكره ، وهو ما يتعلق بقوله فى القرآن .

قال ابن حزم فى معرض حديثه عن الأشاعة ٤ / ٢٢١ : « ومن شنعهم
قول هذا الباقلانى فى كتابه المعروف بالانتصار فى القرآن : إن تقسيم آيات القرآن ،
وترتيب مواضع سورة ، شئ فعله الناس ، وليس هو من عند الله ، ولا من أمر
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فقد كذب هذا الجاهل وأفك ؛ أترام سمع
قول الله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ ؛
وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى آية الكرسي ، وآية الكلاله ،
والخير : أنه عليه السلام كان يأمر إذا نزلت آية كذا ، أن تجعل فى سورة
كذا ، وموضع كذا . ولو أن الناس رتبوا سورة ، لما تعدوا أحد وجوه ثلاثة :
إما أن يرتبوا على الأول فالأول نزولا ، أو الأطول فادونه ، أو الأقصر فافوقه .
فإذ ليس ذلك كذلك ، قد صحّ أنه أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
الذى لا يمرض ، عن الله عز وجل ، لا يجوز غير ذلك أصلا » .

وما كذب الباقلانى ولا أفك فى مسألتى ترتيب الآيات ، وترتيب مواضع
السور فى القرآن ، وما خرج بقوله فيها عما قاله أعلام الأئمة وأجموا عليه . قد
أجموا جميعا على أن ترتيب الآيات توقيفى لا شبهة فيه ؛ وأيد إجماعهم ما ترادف
فى ذلك من النصوص . ولم تجتمع كلمهم على أن ترتيب السور توقيفى ؛ فنههم

من قال به ، ومنهم من قال : إنه باجتهاد من الصحابة ؛ كمالك بن أنس .
وأضع دليل على صدق الباقلاني وبراءته عما رماه به ابن حزم ، قوله في كتاب « الانتصار لنقل القرآن » : « ترتيب الآيات أمر واجب ، وحكم لازم ؛ فقد كان جبريل يقول : ضموا آية كذا في موضع كذا » . وقوله أيضاً في ذلك الكتاب (ورقة ٤ - ب) : « والذي نذهب إليه في ذلك أن جميع القرآن الذي أنزله الله ، وأمر بإثبات رسمه ، ولم ينسخه ، ويرفع تلاوته بعد نزوله - هو هذا الذي بين اليفتين ، الذي حواه مصحف عثمان ؛ وأنه لم ينقص منه شيء ، ولا زيد فيه ، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ، ورتبه عليه رسوله ، من آي السور ، لم يقدم من ذلك مؤخراً ، ولا أخر منه مقدماً ؛ وأن الأمة ضبطت عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ترتيب آي كل سورة ومواضعها ، وعرفت مواقعها ؛ كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة ؛ وأنه يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم ، قدرتب سورة على ما انطوى عليه مصحف عثمان ، ويمكن أن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده ، ولم يتول ذلك بنفسه . وأن هذا القول الثاني أقرب وأشبه أن يكون حقاً .

ولن يمتري إنسان - بعد قراءة هذا الكلام - في تكذيب ابن حزم في قوله : إن الباقلاني يقول : إن ترتيب الآيات والسور « شيء فعله الناس ، وليس هو من عند الله ، ولا من أمر رسول الله » فقد كذب هذا الجاهل وأفك ! .

ولن يمتري كذلك في أنه نص صريح في تكذيب ابن حزم في قوله عن الأشاعرة : « وقالوا اكلمهم : إن القرآن لم ينزل به قط جبريل على قلب محمد ، عليه الصلاة والسلام ، وإنما نزل عليه بشيء آخر هو العبارة عن كلام الله ؛ وإن القرآن ليس عندنا البتة إلا على هذا المجاز ؛ وإن الذي نرى في المصاحف ونسمع من القراء ، وقرأ في الصلاة ، ونحفظ في الصدور - ليس هو القرآن البتة ،

ولا شيء منه كلام الله البتة ، بل شيء آخر ؛ وإن كلام الله لا يفارق ذاته . وإن قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل ، ومخالفة القرآن والنبى ، صلى الله عليه وسلم ؛ ومخالفة جميع أهل الإسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة . وهذا افتراء قصد به التشنيع والتلبيس على الناس ، يدحضه قول الباقلانى فى « رسالة الحرة » ص ٦٢ : « اعلم أن الله تعالى متكلم له كلام عند أهل السنة والجماعة ، وأن كلامه قديم ليس بمخلوق ، ولا مجعول ، ولا محدث ؛ بل كلامه قديم ، صفة من صفات ذاته ، كعلمه وقدرته وإرادته ، ونحو ذلك من صفات الذات . ولا يجوز أن يقال : كلام الله عبارة ولا حكاية ، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق ، ولا يجوز أن يقول أحد : لفظى بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق ؛ ولا أنى أنكلم بكلام الله » .

وقوله ص ٨٢ : « ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مكتوب فى المصاحف على الحقيقة كما قال : ﴿ إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون ﴾ ؛ وهو فى مصاحفنا مكتوب على الوجه الذى هو مكتوب فى اللوح المحفوظ ؛ كما قال تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ ﴾ . لكن نحن نعلم وكل عاقل أن كلام الله الذى هو مكتوب فى اللوح المحفوظ ، هو والقرآن للمكتوب فى مصاحفنا شيء واحد ، لا يختلف ولا يتغير ؛ وأن اللوح غير أوراق مصاحفنا ، وأن الخط الذى فيه غير الخطوط التى فى مصاحفنا ، وأن القلم الذى كتب فى اللوح المحفوظ غير أقلامنا . وكذلك ما اختلف واغير غيره ، واختص بمكان دون مكان ، وزمان دون زمان — فهو مخلوق مربوب ، وكل ما هو على صفة واحدة لا يختلف ولا يتغير ، ولا يجوز عليه شيء من صفات الخلق . فكذلك هو كلام الله تعالى القديم وجميع صفات ذاته . وكذلك القرآن محفوظ بالقلوب على الحقيقة ، كما قال تعالى : ﴿ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ﴾ . لكن نلم قطعاً أن

زيداً الحافظ غير عمرو الحافظ ، وأن قلب هذا غير قلب هذا ، وأن حفظ هذا غير حفظ هذا ؛ لكن المحفوظ لهذا يحفظه هو المحفوظ للآخر يحفظه ، وهو شيء واحد لا يختلف ولا يتغير ؛ إذ هو صفة لله تعالى ،قديم غير مخلوق . وكذلك تقول : إنه مقروء بالسنتنا ، تلويها على الحقيقة ؛ لكن نعلم أن زيداً القارى غير عمرو القارى ، وأن لسان زيد غير لسان عمرو ، وأن قراءة زيد غير قراءة عمرو ؛ ولكن المقروء لزيد هو المقروء لعمرو ، شيء واحد لا يختلف ولا يتغير ؛ بل هو كلام الله القديم الذى ليس بمخلوق ولا يجوز عليه صفات الخلق . وهذا كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ يُعَلِّمُهُ زَيْدٌ بِعِلْمِهِ ، وَيُطْعِمُهُ عَمْرُو بِعِلْمِهِ ؛ وَيُعْبِدُهُ زَيْدٌ بِعِبَادَتِهِ ، وَيُسَبِّحُهُ عَمْرُو بِمُحَادَثَتِهِ ؛ وَيَدْعُوهُ زَيْدٌ بِدُعَائِهِ ، وَيَدْعُوهُ عَمْرُو بِدُعَائِهِ ؛ وَيَذْكُرُهُ زَيْدٌ بِذِكْرِهِ ، وَيَذْكُرُهُ عَمْرُو بِذِكْرِهِ ؛ وَيَسْبِيحُهُ زَيْدٌ بِتَسْبِيحِهِ ، وَيَسْبِيحُهُ عَمْرُو بِتَسْبِيحِهِ ؛ فزَيْدٌ غَيْرُ عَمْرُو ، وَذِكْرُهُ غَيْرُ ذِكْرِ عَمْرُو ، وَعِبَادَتُهُ غَيْرُ عِبَادَةِ عَمْرُو ، وَلَكِنْ الْمُبْدُودُ لِهَذَا هُوَ الْمُبْدُودُ لِهَذَا ، وَلِلذِّكْرِ لِهَذَا هُوَ الَّذِي ذُكِرَ لِهَذَا ، وَالْمُسَبِّحُ لِهَذَا هُوَ الْمُسَبِّحُ لِهَذَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى الْقَدِيمُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

وقوله فى ص ٨٣ ، ٨٥ : « ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مسموع لنا على الحقيقة ؛ لكن بواسطة ، وهو القارى ... ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى منزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، نزول إعلام وإفهام ، لا نزول حركة وانتقال » ؛ و « إن جبريل عليه السلام عَلِمَ كلام الله وفهمه ، وعلمه الله النظم العربى الذى هو قراءته ، وعلم هو القراءة تبييناً ، صلى الله عليه وسلم ، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم أحبابه ، ولم يزل ينقل الخلف عن السلف ذلك ، إلى أن اتصل بنا ، فصرنا قراءاً بعد أن لم نكون قراءاً » .

ويستبين من سائر هذه النصوص أن ابن حزم لم يكن أميناً فى قوله ،

ولاصداقاً في قوله ؛ وإنا خان أمانة العلم ؛ وكذب فيما ادعاه على الباقلاني والأشاعرة ، ليثني له تكفيرهم ، وسبهم بما يرضى نفسه الظائمة إلى الطعن والسباب . وقد عرف ذلك عنه ، حتى قال فيه ابن الريف : « كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقتين » ؛ وسجل عليه ذلك المؤرخون له ، كابن خلكان ، الذي يقول في وفيات الأعيان : « وكان كثير الوقوع في السوء المتقدمين ، لا يكاد يسلم أحد من لسانه ؛ فنفرت عنه القلوب ، واستهدف لفقهاء وقته ، فماتوا على بغضه ، وردوا قوله ، وأجمعوا على تضليله ، وشتموا عليه ؛ وحذروا سلاطينهم من فتنه ، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه ؛ فأقصته الملوك وشردته عن بلاده » . وكالحافظ الذهبي الذي قال عنه في سير أعلام النبلاء : « لم يتأدب مع الأئمة في الخطاب ؛ بل فجح العبارة وسب وجدع ، فكان جزاؤه من جنس فعله ، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة وهجروها ، ونفروا منها ؛ وأحرق في وقته » .

وإذا كان ذلك كذلك فيجب ألا يلتفت إنسان إلى قول ابن حزم في الباقلاني ، ولا ينظر بعين الاعتبار إلى طعنه عليه ، وتكفيره له .

(٢٣) قال ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢ - ٨٠٨) في مقدمته ، أثناء حديثه في فصل علم الكلام ص ٤٦٥ : « . وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري ، واقتفى طريقته من بعده تلاميذه ، كابن مجاهد وغيره ، وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني ، فتصدر للإمامة في طريقتهم وهذبتها ، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار ، وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلأ ، وأن العرض لا يقوم بالعرض ، وأنه لا يبق زمانين ، وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم ، وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها ؛ لتوقف تلك الأدلة عليها ، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان للدول . وحلت هذه

الطريقة ، وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية ، إلا أن صور الأدلة تعتبر بها الأقيسة ، ولم تكن حينئذ ظاهرة في اللمة ؛ ولو ظهر منها بعض الشيء ، فلم يأخذ به المتكلمون ، للابستها للعلوم الفلسفية المبينة للعقائد الشرعية بالجملة ، فكانت مهجورة عندهم لذلك . ثم جاء بعد القاضي أبي بكر الباقلاني إمام الحرمين أبو المعالي ، فأمل في الطريقة كتاب الشامل ، وأوسع القول فيه ، ثم خلاصه في كتاب الإرشاد ، واتخذ الناس إماماً لعقائدهم . . . »

(٢٤) قال ابن تيمية في كتاب « بنية المرتاد » ص ١٠٧ في معرض حديثه عن مصادر معارف أبي حامد النزالي (٤٥٠ — ٥٠٥) وأستاذه أبي المعالي الجويني ؛ إمام الحرمين (٤١٩ — ٤٧٨) — : « وأبو حامد مادته الكلامية من كلام شيخه في « الإرشاد » و « الشامل » ونحوهما ، مضموماً إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني ، لكنه في أصول الفقه سلك في الغالب مذهب ابن الباقلاني ، مذهب الواقعة وتصويب المجتهدين ، ونحو ذلك ، وضم إلى ذلك ما أخذ من كلام أبي زيد الدبوسي وغيره في القياس ونحوه . وأما في الكلام فطريقته طريقة شيخه دون القاضي أبي بكر .

وأما شيخه أبو المعالي فادته الكلامية أكثر من كلام القاضي أبي بكر ونحوه ، واستمد من كلام أبي هاشم الجبائي ؛ على مختارات له . وكان قد فسر الكلام على أبي قاسم الإسكافي ، عن أبي إسحاق الإسفراييني ، ولكن القاضي هو عندهم أولى . ولقد خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة المعتزلة .

(٢٥) ومن ألد أعداء الأشعرى والأشاعرة : أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز ، الأهوازي (٣٦٢ — ٤٤٦) وقد ألف في مثالب الأشعرى كتاباً ، رماه فيه بكل ما أمكنه ذكره من الأمر الشنيع والوصف القبيح ، كما رى كبار أصحابه ، وأعلام مذهبه ، وقد نقض عليه كتابه الحافظ ابن عساكر

في كتاب « تبيين كذب المفتري » ص ٣٦٤ — ٤٢٠ ومن قوله في ص ٣٩٨ :
« وأما ذكره في حق القاضي أبي بكر بن الباقلاني رحمه الله ، من أنه كان أجير
القاضي ، وأنه إنما ارتفع قدره بمدخلة السلاطين لا بالعلم — فبين الجبل والتامى .
وهل ينكر فضل القاضي أبي بكر في العلم والفهم من شتم أدنى شئمة من العلم ؟
وتصانيقه في الخلق مبنوثة ، وعلومه عنه مستفادة موروثه . وقد كان يدرس للذة
الطويلة في دار السلام ، ويصنف الكتب الجليلة في قواعد الإسلام ، ويؤخذ
عنه علم الفقه على مذهب مالك بن أنس ، وينتفع بدروسه في أصول الدين والفقه
كل مقتبس ، والرحلة إليه من الشرق والغرب ، فقله في حقه قول من
لا يتحاشى من الكذب » .

والذي حدا بالأهوازي إلى الطعن في الأشعري ومتابعيه ، أنه كان مشبهاً مجسماً ،
يقول بالظاهر ، ويذهب مذهب السالية ، وهي فرقة من المشبهة ، يقولون : إن الله
سبحانه يرى في صورة آدمي ، وإنه يقرأ على لسان كل قارئ ، وإنيهم إذا سمعوا
القرآن من قارئ يرون أنهم يسمعون من الله . ويمتقدون أن الميت يأكل في قبره
ويشرب . وقد اتهم العلماء الأهوازي بالوضع والاختلاق ، وقد قال عنه تهذيب الخطيب
البغدادى : أبو علي الأهوازي كذاب في الحديث والقرآن جميعاً !

الباقلاني وابن المعلم :

وكان يحاصر الباقلاني إمام الرافضة ولسان الإمامية أبو عبد الله محمد بن محمد
بن النعمان بن سعيد ، البغدادى الكوفي ، المعروف بابن المعلم ، والملقب عند الشيعة
بالشيخ المفيد (٣٣٦ — ٤١٣) وكان ابن المعلم جليل المكانة في الدولة البويهية ،
وكان عضد الدولة يزوره في داره ، وكان قوياً في الكلام والفقه والجدل ، مولماً
بمناظرة أهل كل عقيدة . قال الخطيب البغدادى ٣٧٩/٥ : « إن ابن المعلم شيخ الرافضة
ومتكلمها ، حضر بمض مجالس النظر مع أصحاب له ، إذ أقبل القاضي أبو بكر

الأشعري ، فالفت ابن العلم إلى أصحابه ، وقال لهم : قد جاءكم الشيطان ، فسمع القاضي كلامهم — وكان بعيداً من القوم — فلما جلس أقبل على ابن العلم وأصحابه ، وقال لهم : قال الله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزراً ﴾ أى إن كنت شيطاناً فأنتم كفار ، وقد أرسلت عليكم ! » .

قال القاضي : وحكى غير الخطيب أن الحكاية جرت للبقلاّنى مع أهل مجلس فتنّا خسرو لللك ، من شيوخ المعتزلة ، وأنه كان داخلّاً إذ سمعهم يذكرون أمره ، فقال لهم بعضهم : ما هو إلا شيطان ؟ فوصل اليهم وهو يتلو الآية .

قال : وسمعت بعض الشيوخ يحكى : أن ابن المعلم تكلم معه يوماً ، فلما احتد الكلام بينهما ، رماه ابن المعلم بكف باقلاده (قول) أعدّه له ، يعرض له بما ينسب إليه ، ليخجله بذلك ويحصره ، فرد القاضي للحين يده في كفه ورماه بديرٍ أعدّها له ، فغضب من فطنته وإعداده للأمور أشباهها قبل وقتها .

وفاة الباقلاّنى :

حدث الخطيب البخداى ٣٨٢/٥ عن على بن أبى على المدلل ، قال : مات القاضي أبو بكر محمد بن الطيب ، فى يوم السبت لسبع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وأربعمائة .

وقال أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز اللخى : توفى القاضي الباقلاّنى سنة أربع وأربعمائة .

وقد نقل القاضي عياض فى « ترتيب المدارك » ما حكاه الخطيب ، ثم قال : « ووجدت عن غيره : سنة أربع ، أيام بهاء الفولة ، والخليفة القادر بالله ، وهذا خطأ والأول أصح » .

وقد صلى على الباقلاّنى ابنه الحسن ، وكان شاباً مرجواً ، واختارته للنية بعد أبيه . ودفن القاضي فى داره ، ثم نقل بعد ذلك فدفن فى مقبرة باب حرب ، فى

تربة بقرب قبر أحمد بن بن حنبل ، ونقش على شاهد تربته ما نصه : « هذا قبر
القاضي الإمام السعيد ، غر الأمة ، ولسان اللثة ، وسيف السنة ، عماد الدين ، ناصر
الإسلام ، أبي بكر محمد بن الطيب البصري ، قدس الله روحه ، وألحقه بنبيه
محمد صلوات الله عليه وسلامه ، ويزار ويستسقى ويتبرك به » .

وقد حضر أبو الفضل التميمي الحنبلي (٣٤١ — ٤١٠) يوم وفاته الغراء حافياً
مع إخوته وأصحابه ، وأمر أن ينادى بين يدي جنازته : « هذا ناصر السنة
والدين ، هذا إمام المسلمين ، هذا الذي كان يذب عن الشريعة السنة المخالفين ،
هذا الذي صنف سبعين ألف ورقة ردّاً على الملحدين » . وقد للغراء ثلاثة أيام
فلم يبرح ، وكان يزور تربته كل يوم جمعة في البار .

وكان يزورها أيضاً للترحم عليه أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي المقرئ
(٣٧٠ — ٤٥١) وأبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان (٣٣٩ — ٤٢٦)
وأبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي (٣٥٥ — ٤٣٥) .

وقد رُفِى الباقلائي بعض الشعراء فقال :

انظر إلى جبل تمشى الرجال به وانظر إلى القبر ما يحوى من الصلَفِ
وانظر إلى صارم الإسلام منفضداً وانظر إلى درة الإسلام في الصَّدَفِ

كتاب إعجاز القرآن

وهو أول كتب الباقلائي نشرًا، وأشهرها ذكرًا، وهو أعظم كتاب ألف في الإعجاز إلى اليوم، وإن كره ذلك بعض التعمصين على العهد العتيق. ولقد حدثني من أثق بصدق حديثه: أن داراً للنشر والطبع استشارت كبيراً منهم في طبع هذا الكتاب بتحقيق، فكتب إليها بخط يده يقول: «أنا لا أنصح بطبع كتاب إعجاز القرآن للباقلاني؛ لأنه ليس أنفس كتاب في موضوعه»!!! ولما لقيت كاتب هذا التقرير العجيب قذفت سامعته بهذا التحدى: «دُلّني على كتاب واحد في إعجاز القرآن تربو قيمته على كتاب الباقلائي أو تضارعه»! فأبلس ولم يحرجوا بيا.

X ذكر الباقلائي في مقدمته أن الذين ألفوا في «معاني القرآن» من علماء اللغة والكلام، لم ييسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته، والدلالة على مكانته؛ مع أن الحاجة إلى ذلك البيان أمست، والاشتغال به أوجب، فهو أحق بالتصنيف من الجزء والطفرة والأعراض وغريب النحو وبديع الإعراب. وإن ما صنفه العلماء في هذا المعنى جاء غير كامل في بابه، قد أخل بهذيبه وأهمل ترتيبه، وقد التمس لبعضهم المذرفيا وقع منه من تفريط؛ لأن بيان وجه الإعجاز «مما لا يمكن بيانه إلا بعد التقدم في أمور عظيمة المقدار، دقيقة المسلك، لطيفة المأخذ» ثم وقال: إن الجاحظ «صنف في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى».

ثم قال: إن سائلاً سأله أن يذكر جملة من القول جامعة، تسقط الشبهات، وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال، وتنتهي إلى ما يحظر لهم، ويمرض لأفهامهم،

من العظمى في وجه المعجزة . فأجابه إلى ذلك ، وألف هذا الكتاب . وذكر أنه أشار إلى ما سبق بيانه من غيره ، ولم يسط القول فيه ؛ لئلا يكون ما ألفه مكرراً ومقولات . وقال : إنه لا يزعم أنه يمكنه أن يبين ما رام بيانه ، وأراد شرحه وتفصيله ، إلا لمن كان « من أهل صناعة العربية ، وقد وقف على جمل من محاسن الكلام ومتصفاته ومذاهبه ، وعرف جملة من طرق المتكلمين ، ونظر في شيء من أصول الدين » .

ثم بين في الفصل الأول أن نبوة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، مبنية على دلالة معجزة القرآن ، واستدل على ذلك بآيات كثيرة ، وقال : إنه ما من سورة من السور المفتحة بذكر الحروف المقطعة إلا وقد أشبع فيها بيان ذلك « وكثير من هذه السور إذا تأملته ، فهو من أوله إلى آخره مبنى على لزوم حجة القرآن ، والتنبيه على معجزته » .

وفصل القول في نظم سورتي غافر وفصلت ، وبين دلالاته على ذلك . وعقد الفصل الثاني ص ٢١ لبيان وجه دلالة معجزة القرآن على نبوة النبي ؛ وبنى ذلك على أصلين : أولهما : وقوع العلم الضروري بأن القرآن المتلو المحفوظ المرسوم في المصاحف هو الذي جاء به النبي من عند الله تعالى ، وأنه تلاه على من في عصره ثلاثاً وعشرين سنة ، وقام به في المواقف ، وكتب به إلى البلاد ، وتحملته عنه إليها من تأبى ، حتى ظهر فيهم الظهور الذي لا يشبهه . والأصل الثاني : أنه تحدّاهم إلى أن يأتوا بمثله ، وقرّهم على ترك الإتيان طول تلك السنين فلم يأتوا بذلك ؛ واستدل على هذا الأصل بآيات كثيرة ، منها آية استدلل بها على بطلان قول من زعم أن وحدانية الله لا تصلح إلا من جهة العقل ، ولا يمكن أن تعلم من القرآن ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افترأه ، قل : فأتوا بعشرون مثله مفرات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ٥ فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا

أما أنزل بلم الله ، وأن لا إله إلا هو ، فهل أتم مسلمون . وقد عتب عليها بقوله ص ٢٣ : « فجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه منه ، ودليلاً على وحدانيته » .

ثم كشف عن اللباني التي استقصى أهل العلم الكلام فيها قبله ، وما جاء به بعدهم ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم عرف كون القرآن معجزاً حين أوحى إليه من قبل أن يقرأه على غيره أو يتحدث إلى سواه . وأفاض في إبطال قول القائلين بالصرقة ، وقال : إن التوراة والإنجيل وغيرهما من كلام الله يشارك القرآن في الإعجاز بما تضمنته من الإخبار عن القيوم ، وبيانه في أنه ليس بمعجز في النظم والتأليف ، لأن الله لم يصفه بما وصف به القرآن ، ولم يقع به التحدى كما وقع بالقرآن ؛ ولأن الألسنة التي نزل بها لا يتأتى فيها من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز . وقال : إن كتاب زرادشت وكتاب ماني ليس يقع فيها إعجاز ، وإنه لا يوجد لابن القمعة كتاب يدعى مدع أنه عارض فيه القرآن .

والفصل الثالث ص ٤٨ في جملة وجوه إعجاز القرآن وقد ذكر في مستهله أن الأشاعرة وغيرهم ذكروا في ذلك ثلاثة أوجه : أولها : ما تضمنته القرآن من الإخبار عن القيوم ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ، ولا سبيل لم إليه . ^{سورة مائدة من سورة} ^{أدب المفرد} ^{الشيخ} والوجه الثاني : أنه أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمة الأمور ومهمات السير من حين خلق الله آدم إلى مبعثه ، مع أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ ، ولم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبيائهم وسيرهم . والوجه الثالث « أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه » . وقال : إن الذي أطلقه العلماء في هذا الوجه هو على هذه الجملة ، أما هو فقد كشف الجملة التي أطلقوها ، وفصل ذلك بعض التفصيل ، حيث يقول ص ٥١ : « قال في يشتمل عليه بديع نظمه التضمن للإعجاز وجوه :

وجوه الإعجاز

① منها ما يرجع إلى الجملة ، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه ، وتباين مذاهبه ؛ خارج عن المهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المتاد .

② ومنها ص ٥٣ « أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والفرابة والتصرف البديع ، والمعاني اللطيفة ، والقوائد الفزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة ، والتشابه في البراعة ؛ على هذا الطول ، وعلى هذا القدر... وهذا المعنى هو غير المعنى الأول ، فتأمله تعرف الفصل » .

③ والمعنى الثالث ص ٥٤ : أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها ويشتمل عليها « وإنما هو على حد واحد في حسن النظم ، وبديع التأليف والرفص ، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا . وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة ، فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف . وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة ، تفاوتاً بيناً ، ويختلف اختلافاً كثيراً . ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة — فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت ؛ بل هو على نهاية البلاغة ، وغاية البراعة ، فلمنا بذلك أنه عما لا يقدر عليه البشر » .

④ والمعنى الرابع: أن كلام القصاص يتفاوت تفاوتاً بيناً في الفصل والوصل ، والعلو والتزول ، والتقريب والتباعد ، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع . وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء إلى شيء ، والتحول من باب إلى باب . والقرآن على اختلاف فونه ، وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة ، والطرق المختلفة — يحمل المختلف كالمؤلف ، والتباين كالتناسب ، والمتماثل في الأفراد إلى حد الأحاد . وهذا أمر عجيب . تبين به

الفصاحة وتظهر به البلاغة ، ويخرج معه الكلام عن حد العادة ، ويتجاوز العرف .
 والمعنى الخامس : أن نظم القرآن وقع موقفاً في البلاغة يخرج عن عادة كلام
 الجن ، كما يخرج عن عادة كلام الإنس ، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله
 كمعجزنا ، ويقصرون دونه كقصورنا .

والمعنى السادس ص ٦٢ : « أن القى ينقسم عليه الخطاب ، من البسط
 والاقتصار ، والجمع والتفريق ، والاستمرار والتصريح ، والتجاوز والتحقيق ،
 ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم — موجود في القرآن ، وكل ذلك
 مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة » .

والمعنى السابع ص ٦٣ : « أن للماني التي تضمنها في أصل وضع الشريعة
 والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين ، والرد على الملحدين ، على تلك الألفاظ
 البديعة ، وموافقة بعضها بعضاً في اللطف والبراعة مما يتندر على البشر ويمتنع .
 والمعنى الثامن : أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته ، بأن تذكر منه
 الكلمة في تضاعيف كلام ، أو تمثّل ما بين شعر ، فتأخذها الأسماع ، وتنشوف
 إليها النفوس ، ويرى وجه روثها باديّاً ، غامراً سائر ما تقرن به ، كاللدة التي ترى
 في سلك من خرز ، وكاليافوتة في واسطة القند . وأنت ترى الكلمة من القرآن
 يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير ، وهي غرة جيمه ، وواسطة عقده ، والمنادى
 على نفسه بتميزه ، وتخصّصه بروثه وجماله ، واعتراضه في حسنه ومائه » .

ثم قال في ص ٦٤ : « ولولا هذه التي بينها ، لم يتحير فيه أهل الفصاحة ،
 ولكانوا يفرعون إلى التعلل للمقابلة ، والتصنع للمعارضة ... فلما لم نرم اشتغلا
 بذلك — علم أن أهل المعرفة منهم بالصنعة إنما عدلوا عن هذه الأمور ، لعلهم
 يعجزم عنه ، وقصور فصاحتهم دونه » .

والمعنى التاسع ص ٦٦ : « أن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسع وعشرون

حرفاً ، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمانية وعشرون سورة؛
وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف للمعجم نصف
الجملة ، وهو أربعة عشر حرفاً ؛ ليدل بالمذكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا
الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم .

١. **اللفظ المباشر :** « أنه سهل سبيله ، فهو خارج عن الوحش المستكره
والغريب المستنكر ، وعن الصنعة المتكلفة . وجعله قريباً إلى الأفهام ،
يأدر معناه لفظه إلى القلب ، ويسابق للمزى منه عبارته إلى النفس . وهو مع
ذلك ممتنع المطلب ، عسير المتناول ، غير مطمع مع قربه في نفسه ، ولا موهوم مع
دونه في موقعه — أن يقدر عليه أو يظفر به » .

ثم قال في ص ٧٠ : « وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة
والإفراد ؛ فإننا جمعنا بين أمور ، وذكرنا المزية المتعلقة بها . وكل واحد من
تلك الأمور مما يمكن اعتياده في إظهار الإعجاز فيه » .

ثم ختم كلامه في هذا الفصل بالإجابة على سؤال هام أورده في ص ٧١ ،
وهو : « فإنه قيل : فهل تزعمون أنه معجز ، لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه ،
أو لأنه عبارة عنه ، أو لأنه قديم في نفسه ؟ » .

قيل : « لسا نقول بأن الحروف قديمة ، فكيف يصح التركيب على الفاسد ؟
ولا نقول أيضاً : إن وجه الإعجاز في نظم القرآن من أجل أنه حكاية عن كلام
الله ؛ لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة والإنجيل وغيرها من كتب الله
عز وجل — معجزات في النظم والتأليف . وقد بينا أن إعجازها في غير ذلك .
وكذلك يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومنفردتها . وقد ثبت
خلاف ذلك » .

والفصل الرابع عقدة ص ٧٢ لشرح ما بينه من وجوه إعجاز القرآن الثلاثة السابعة ، وهي الإخبار عن النيوب ، والإنباء عن قصص الأولين وسير المتقدمين ، وبراعة النظم والتأليف والرصف .

والفصل الخامس ص ٧٦ مقصور على نفي الشعر من القرآن .

وأما الفصل السادس فقد عقده لنفي السجع من القرآن . وقد استهله بقوله :

« ذهب أمحابتنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن . وذكره الشيخ أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه . وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن ؛ وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالتجنيس والالتفات ؛ وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة . وأقوى ما يستدلون به عليه : اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون ، عليهما السلام ، ولما كان السجع قبل في موضع : « هارون وموسى » ولما كانت القواصل في موضع آخر بالواو والنون ؛ قيل : « موسى وهارون » .

ثم قال الباقلاني : « وهذا الذي يزعمونه غير صحيح . ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ؛ ولو كان داخلها لم يقع بذلك إعجاز . ولو جاز أن يقولوا : هو سجع معجز ، لجاز أن يقولوا : شعر معجز . وكيف والسجع مما كان يأقنه الكهان من العرب ، وغيبه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ؟ لأن الكهانة تنافي النبوات ، وليس كذلك الشعر . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاؤوه وكلموه في شأن الجنتين : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس دمه قد يطل ؟ فقال : « أسجاعة كسجاعة الجاهلية ؟ » وفي بعضها : « أسجماً كسجع الكهان ؟ » .

فراى ذلك مذموماً لم يصح أن يكون في دلالته .

والذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم ؛ لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض ؛ لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع ، وليس كذلك ما اتفق بما هو فى تقدير السجع ؛ لأن اللفظ يقع فيه تالياً للمعنى .

ثم قال : « ويقال لهم : لو كان الذى فى القرآن على ما تقدرونه سجعاً لكان منموماً مرزولاً ؛ لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلقت طرقه ؛ كان قبيحاً من الكلام . والسجع منهج مرتب محفوظ ، وطريق مضبوط متى أدخل به المتكلم وقع الخلل فى كلامه ، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة » .

ثم قال : « فلو رأوا أن ما نلى عليهم من القرآن سجعاً لقالوا : نحن نمارضه بسجع معتدل ، فزيد فى الفصاحة على طريقة القرآن ، وتتجاوز حده فى البراعة والحسن » .

ويقول ص ٩٠ : « ولو كان الكلام الذى هو فى صورة السجع منه لما تمحيروا فيه ، ولكانت الطباع تدعو إلى المعارضة ؛ لأن السجع غير ممتنع عليهم ، بل هو فى عادتهم ، فكيف تنقض المادة بما هو نفس المادة ، وهو غير خارج عنها ولا متميز منها ؟ » .

ثم مضى فى حديثه عن السجع ، وذكر فيها ذكر اختلاف العلماء فى الشعر كيف اتفق للعرب قوله أولاً ؟ وهل كان اتفاقاً غير مقصود إليه ؟ أم تواضعوا على هذا الوجه من النظم ؟ وأن الله عزهم محاسن الكلام ، ودلهم على كل طريقة مجيبة ، ثم أعلمهم بحزم عن الإتيان بمثل القرآن « ووجدوا أن هذا لما تمذّر عليهم مع التحدى والتفريع الشديد والحاجة الماسة إليه ، مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر ، وتكامل أحوالهم فيه - دل على أنه اختص به ؛ ليكون دلالة على النبوة ، ومعجزة على الرسالة » .

وختم الباقلانى كلامه فى هذا الفصل بإلزام عجيب لمخالفيه حيث يقول فى ص ٩٩ :
 « ولا بد لمن جوز السجع فيه وسلك ما سلكوه ؛ من أن يسلم ما ذهب إليه
 النظم ، وعبيد بن سليمان ، وهشام القوطى ، ويذهب مذهبه ، فى أنه ليس فى
 نظم القرآن وتأليفه إيجاز ، وأنه يمكن معارضته ؛ وإنما صرفوا عنه ضرباً من
 الصرف . ويتضمن كلامه تسليم الخطأ فى طريقة النظم ، وأنه منتظم من فرق
 شتى ، ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها . ويستبين ببدء
 نظمه وعجيب تأليفه الذى وقع التحدى إليه ! وكيف يسجزم الخروج عن السجع
 والرجوع إليه ، وقد علمنا عادتهم فى خطبهم وكلامهم ، أنهم كانوا لا يزمون أبداً
 طريقة السجع والوزن ، بل كانوا يتصرفون فى أنواع مختلفة . فإذا ادعوا
 على القرآن مثل ذلك ؛ لم يجدوا فاصلة بين نظمى الكلامين ! » .

هذا مجمل ما قاله الباقلانى فى هذا الفصل الذى عقده لبيان نقي السجع من
 القرآن ؛ وهو أخف فصول الكتاب وزناً ، وأقلها قدراً ، وأضغها بالخطأ البين
 فى أصل الفكرة ، وفى كيفية نصرتها والدفاع عنها ، والحجج دونها ، والرد
 على مخالفها ؛ ومرد ذلك — فيما يلوح لى — إلى أن الباقلانى قد اندفع فى
 كلامه بدافع المناصرة لمذهب الأشاعرة الذى كان يدين به .

والذى حدا بالأشاعرة إلى نقي السجع من القرآن أنهم ظنوا ، بل تيقنوا
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذم السجع فى حديث الجنين . ومن قصة هذا
 الحديث : أن حمل بن مالك بن النابغة كان قد تزوج بامرأتين ، يقال لإحدهما :
 مليكة بنت ساعدة ؛ وللأخرى : أم عفيفة بنت مسروح ؛ فضايرتا كما
 هو الشأن دائماً بين الزوجين ، فضربت أم عفيفة مليكة بمسطح بيتها أو بعمود
 فسطاطها ، وهى حامل فألقت جنينها ، ورفعت قضيتها إلى النبي قضى على
 عاقلة الضار به بفرقة : عبد أو أمة . فقال أخوها العلاء بن مسروح : يا رسول

الله ، أنفهم من لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل ، فتل هذا بطل ؟ !
 فقال عليه السلام : أسجع كسجع الجاهلية ؟ وقد روى قول النبي بعمدة روايات ؛
 منها : « أسجع كسجع الجاهلية وكلماتها ؟ » . ومنها : « دعنى من أراجيز
 الأعراب » . ومنها : « أسجاعة بك ؟ » . ومنها : « أسجع كسجع الجاهلية ؟
 قيل : يا رسول الله ، إنه شاعر » . ومنها : « لساننا من أساجيع الجاهلية فى شئ » .
 ومنها : « إنما هذا من إخوان الكهان » . ومنها : « إن هذا يقول يقول
 شاعر ، بل فيه — أى فى الجنين — غرة » . ومنها : « أسجع كسجع
 الأعراب ؟ » .

وقد فهم كثير من العلماء أن هذا الحديث إنما ورد فى ذم السجع والتنفير
 منه . ولا شك أنهم واهمون فى ذلك . ولو كان النبي أراد إلى ذمه لقال :
 « أسجعاً » فقط . وإنما أراد النبي بقوله هذا ، كما يتضح من سياق الحديث ،
 إنكار تشادق هذا الساجع فى ذمه حقاً وجب عليه وعلى عاقلته ، وقصته
 بالسجع على طريقة الكهان فى الجاهلية .

وقد أغرب الباقلانى فى استنباطه من هذا الحديث ص ٨٨ : أن النبي صلى
 الله عليه وسلم رأى أن السجع مذموم ، فلا يصح أن يكون فى دلالة على
 نبوته ! وكيف يذم النبي السجع وكثير من كلامه مسجوع ؟ يقول : « أيها
 الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس
 نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

وقد أخطأ الباقلانى فى قوله : إن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ
 الذى يؤدى السجع . فليس السجع كذلك على الإطلاق ، وإنما هذا نوع من
 السجع ردى لا يقع إلا فى كلام الضعفاء . ومنه نوع آخر يقع فيه اللفظ
 موقعه الرائع ، وهو مع ذلك تابع للمعنى . وهذا هو النوع المحمود منه الذى جاء

في المأثور الصحيح عن ببناء الجاهلية ، وفصحاء الإسلام ؛ وورد في أحاديث الرسول على أكل وجه وأثم نسق اتفق وجوده في كلام البشر ؛ وإليه يُربغُ المثبتون للسجع في القرآن ، القائلون بأن ما كان منه كذلك هو نهاية النهايات ، وأبعد النايات في البلاغة ، وقد بان بطلانوه وصفاء لفظه وتمسك معناه — عن جميع ما جرى هذا الجرى من كلام النلق .

ولو قد تدبر الباقلاني ما حكاه من قول المثبتين للسجع في القرآن : إنه مما يبين به فضل الكلام ، وإنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالتجنيس والالتفات ، وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة . لو تدبر هذا القول ، ولم يكن مدفوعاً إلى معارضته لمخالفته مذهب أصحابه ؛ لراه قولاً وجيهاً ، ولما وجد بين السجع وبين أنواع البديع التي ذكرها من فرق ؛ وقال عنه مثل قوله عن البديع ص ١٧٠ : « ولكن قد يمكن أن يقال في البديع التي حكيناها وأصفناها إليهم : إن ذلك باب من أبواب البراعة ، وجنس من أجناس البلاغة ؛ وإنه لا ينفك القرآن عن فن من فنون بلاغاتهم ، ولا وجه من وجوه فصاحتهم ؛ وإذا أورد هذا المورد ، ووضع هذا الموضع ؛ كان جديراً » .

ولو صنع ذلك لاهتدى إلى سواء الصراط ، ولما ذهب يتمحل اللل الواهية لنفي السجع من القرآن ، كقوله : « لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه سجعاً لكان مذموماً مردولاً ؛ لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه — كان قبيحاً من الكلام ! وللسجع منج مرتب محفوظ ، وطريق مضبوط ، متى أدخل به التكلم وقع الخلل في كلامه ، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة ... فلو كان ما تلى عليهم من القرآن سجعاً لقالوا : نحن نمارضه بسجع معتدل ، فزيد في الفصاحة على طريقة القرآن ، وتتجاوز حده في البراعة والحسن » .

وفوق ما في كلامه هذا من خطأ وتهافت ، فإن فيه هفوة أخرى ، إذ حكم قواعد البلاغة في القرآن ؛ مع أن القرآن هو الأساس الذي يجب أن تحكم إليه قواعد البلاغة ، وأن تجرى على سننه ووفق أحكامه .

وكقولهم : « ولا بد لمن جوز السجع في القرآن وسلك ما سلكوه ، من أن يسلم مذهب إليه النظام وعباد وهشام ، ويذهب مذهبهم في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إيجاز ، وأنه يمكن معارضته ، وإنما صرفوا عنه ضرباً من الصرف ! ويتضمن كلامه تسليم انخبط في طريقة النظم ، وأنه منتظم من فرق شتى ، ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها ! ويستعين بيديهم نظمه وعجيب تأليفه الذي وقع التحدى إليه ! » .

وهذه إزامات عجبية لاتنزم المتبتين للسجع في القرآن بحال من الأحوال ؛ لأنهم يرون أن السجع الرائع مظهر من مظاهر الاقتدار على البلاغة والامتلاك لزمام الفصاحة ؛ وأن السجع الكثير في القرآن قد جاء في أرفع صور البيان ، وباين كل أسجاع الساجسين ؛ كما يؤمنون بأن سر إيجاز القرآن نظمه البديع ، وبلاغته الرائعة المجاوزة لجميع بلاغات العرب .

وأى فارق بين مشاركة القرآن كله لغيره من الكلام في كونه كلاماً عربياً مؤلفاً من ألفاظ فصيحة بليغة ، وبين مشاركة بعض آيه في كونها جاءت مسجوعة ؟ وكيف يكون السجع المحمود من أمارات الفصاحة للعدودة ، التي يقصد إليها أعلام البلغاء في بعض كلامهم لتوشيته وتزيينه ، وتحسينه بقصد المناسبة بين ألفاظه ؛ ثم نجرد القرآن منه ، وننفيه عنه بزعمنا ؛ مع ادعائنا أنه قد اشتمل على أنواع البلاغة والفصاحة جميعاً ؟

ولئن قال الباقلاني : إن السجع عيب يجب نفيه عن القرآن ؛ فإني أقول : إن السجع من الميزات البلاغية التي يحدر بنا أن ننزه القرآن عن خلوه منها .

✕ والفصل السابع من فصول إعجاز القرآن ص ١٠١ في ذكر البديع من الكلام ،
 بدأه الباقلاني بقوله : « إن سألت سائل فقال : هل يمكن أن يعرف إعجاز القرآن
 من جهة تضمنه البديع ؟ قيل : ذكر أهل الصنعة ومن صنف في هذا الفن من
 صفة البديع ألقاظاً نحن نذكرها ، ثم نبين ما سألوها عنه ؛ ليكون الكلام وارداً
 على أمرين ، وباب مقرر مصور » . ثم نقل جملة من بديع الشعر ، بعضها من
 كتابي البديع لابن المعتز ، وقد الشعر لقدامة بن جعفر ؛ وقال ص ١٦٢ : « وقد
 قدر مقدرون أنه يمكن استفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب التي نقلناها ، وأن
 ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه . وليس كذلك عندنا ؛ لأن هذه الوجوه إذا
 وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود والتصنع لها ، والوجوه
 التي قول : إن إعجاز القرآن يمكن أن يعلم منها ، فليس مما يقدر البشر على التصنع
 له والتوصل إليه بحال » . وختم كلامه في هذا الفصل بقوله : إنا « لا نجعل الإعجاز
 متعلقاً بهذه الوجوه الخاصة ، ووفقاً عليها ، ومضافاً إليها ، وإن صح أن تكون
 هذه الوجوه مؤثرة في الجملة ، آخذة بحظها من الحسن والبهجة ، متى وقعت في
 الكلام على غير وجه التكلف المستبشع ، والتعمّل المستشع » ✕

١٧ والفصل الثامن في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن ؛ وعنده أن إعجاز القرآن
 لا يخفى على العربي البليغ الذي قد تنهى في معرفة اللسان العربي ، ووقف على
 طرقها ومذاهبها ، ولا يشتهه على ذي بصيرة ، ولا يخيل عند أخفى معرفة . وأما من
 لم يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف
 اللغة ، فهو كالأعمى في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن إلا بأن يعلم أن
 العرب قد عجزوا عنه ؛ وإذا عجز هؤلاء عنه فهو عنه أعجز .

ثم نقل الباقلاني نصوحاً من خطب النبي وكتبه ، وكلام أبي بكر وعمر وعثمان

وعلى وابن عباس وعبد الله بن مسعود ومعاوية وعمر بن عبد العزيز والحجاج
وقس بن ساعدة وأبي طالب . وقد استقرت هذه النصوص من ص ١٩٦ —
إلى ص ٢٣٤ .

ثم قال : إنه نسخ لقارئ كتابه جملاً من كلام الصدر الأول ومحاوراتهم
وخطبهم ، ليتأملها بسكون طائر ، وخفض جناح ، وتفرغ لب ، وجمع عقل ؛
حتى يقع له الفصل بين كلام الأدميين ، وبين كلام رب العالمين ؛ ويعلم أن نظم
القرآن يخالف نظمهم ، ويتبين الحد الذي يتفاوت بين كلام البليين والخطيبين
والشاعرين ، وبين نظم القرآن جملة .

ثم عقد باباً جليل الشأن عظيم الخطر ص ٢٣٦ ، لبيان أن نظم القرآن يزيد
في فصاحته على كل نظم ؛ قال فيه : « إذا أردنا تحقيق ما ضمنه لك ، فن سبلنا
أن نمسك إلى قصيدة متفق على كبر محلها ، وصحة نظمها ، وجودة بلاغتها ، ورشاقة
معانيها ، وإجماعهم على إبداع صاحبها فيها ؛ مع كونه من الموصوفين بالتقدم في
الصناعة ، والمعروفين بالخلق في البراعة ؛ فنقفك على مواضع خطها ، وعلى تفاوت
نظمها ، وعلى اختلاف فصولها ، وعلى كثرة فضولها ؛ وعلى شدة تسفها ، وبعض
تكلفها ؛ وما تجمع من كلام رفيع ، يقرن بينه وبين كلام وضع ؛ وبين لفظ
سوقي ، يقرن بلفظ ملوكي » .

وبعد أن عرض لكلام مسيلة ، رجع إلى ما ضمنه من الكلام على الأشعار
المتفق على جودتها . فهدى لذلك بالكلام على جودة شعر امرئ القيس وبراعته
وفصاحته ، وما ابتدعه في طرق الشعر ؛ ثم عرض لنقد معلقته حيث يقول
ص ٢٤٣ : « ونظم القرآن جنس متميز ، وأسلوب متخصص ، وقيل عن النظر
متخلص ؛ فإذا شئت أن تعرف عظم شأنه ، فتأمل ما تقوله في هذا الفصل لامرئ
القيس في أجود أشعاره ، وما نين لك من عواره ؛ على التفصيل » . ثم مضى

في نقد للعلقة ، وامتعى منه في ص ٢٧٧ ، بعد أن بين أن « هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة ، وأبيات متوسطة ، وأبيات ضعيفة مرفوضة ، وأبيات وحشية غامضة مستكرهة ، وأبيات معدودة بديعة ؛ وأن وحشيها مستنكر يروع السمع ، ويهول القلب ، ويكد اللسان ؛ ويمس معناه في وجه كل خاطر ، ويكفر مظهره على كل متأمل أو ناظر ؛ ولا يقع بمثله التمدح والتفاسيح » .

ثم قال ص ٢٧٧ : « وقد بينا لك أن هذه القصيدة ونظائرها تضافت في أبياتها تفاوتاً بيناً في الجودة والرداءة ، والسلاسة والانقضاء ، والسلامة والانحلال ، والتمكن والاستصعاب ، والتسهيل والاسترسال ، والتوحش والاستكراه ؛ وله شركاء في نظائرها ، ومنازعون في محاسنها ، ومعارضون في بدائسها . ولا سواء كلام ينحت من الصخر تارة ، ويذوب تارة ؛ ويتلون تلون الحرباء ، ويختلف اختلاف الأهواء ؛ ويكثر في تصرفه اضطرابه ، وتتقاذف به أسبابه ؛ وبين قول يجري في سبكه على نظام ، وفي وصفه على منهج ، وفي وضعه على حد ، وفي صفاته على باب ؛ وفي بهجته وروقه على طريق ، مختلفه مؤتلف ، ومؤتلفه متحد ، ومتباعده متقارب ، وشارده مطيع ، ومطيعه شارد ، وهو على متصرفاته واحد ، لا يستصعب في جال ، ولا يتعقد في شأن » .

ثم عرض لنظم القرآن ونهجه ، فقال : « فأما نهج القرآن ونظمه ، وتأليفه ورصفه ؛ فإن المقول تتيه في جهته ، وتحار في بحر ، وتضل دون وصفه . ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض ، وتستولي به على الأمد ، ونصل به إلى القصد ؛ وتتصور إيجازه كما تتصور الشمس ، وتيقن تنامي بلاغته كما تيقن القجر ؛ وأقرب عليك الغامض ، وأسهل لك المسير » .

ثم ذكر آيات كثيرة ، وبين أسرار إيجازها بياناً شافياً كافياً ، على نحو رائع جميل ، كقوله في ص ٢٩٤ : « ما رأيك في قوله تعالى : ﴿ إن فرعون علا في الأرض

وجعل أهلها شيئا يستضعف طائفة منهم، يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم؛ إنه كان من المفسدين ؟ هذه تشتمل على ست كلمات ، سناؤها وضياؤها على ما ترى ، وسلاستها وماؤها على ما تشاهد ، وروقتها على ما تمانى ، وفصاحتها على ما تعرف . وهي تشتمل على جملة وتفصيل ، وجامعة وتفسير : ذكر الملو في الأرض باستضعاف انطلق يذبح الولدان وسبي النساء ؛ وإذا تحكّم في هذين الأمرين فما ظنك بما دونهما ؟ ! لأن النفوس لا تطمئن على هذا الظلم ، والقلوب لا تفر على هذا الجور . ثم ذكر الفاصلة التي أوغلت في التأكيد ، وكفت في التظلم ؛ وردت آخر الكلام على أوله ، وعطفت عجزه على صدره . ثم ذكر وعده تخليصهم بقوله : ﴿ وزيد أن نحن على الذين استضعفوا في الأرض ونجملهم آئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ . وهذا من التأليف بين المؤلف ، والجمع بين المستأنس .

وقد استغرق كلامه على تلك الآيات من ص ٢٨١ — إلى — ٣٢٢ ؛ ثم رجع إلى حديثه عن امرئ القيس وعن عارض القرآن بشعره ؛ ثم قال ص ٢٢٧ : « فإن قال قائل : أجلك تحاملت على امرئ القيس ، ورأيت أن شعره يتفاوت بين اللين والشراسة ، وبين اللطف والشكاسة ؛ وبين التوحش والاستئناس ، والتضارب والتباعد ؛ ورأيت الكلام الأعدل أفضل ، والنظام المستوثق أكمل ؛ وأنت تجد البحترى يسبق في هذا الميدان ، ويفوت الناية في هذا الشأن ؛ وأنت ترى الكتاب يفضلون كلامه على كل كلام ، ويقدمون رأيه في البلاغة على كل رأى ؛ وكذلك تجد لأبي نواس من بهجة اللفظ ، ودقيق المعنى ؛ ما يتعير فيه أهل الفضل . . . فكيف يرف فضل ما سواه عليه ؟ » .

ثم خلس من الإجابة على هذا السؤال ؛ وقال في ص ٣٣٣ : « ونحن نعد إلى بعض قصائد البحترى فتكلم عليها ، كما تكلمنا على قصيدة امرئ القيس ؛ ليزداد الناظر في كتابنا بصيرة ، ويستخلص من سر المعرفة سريرة ؛ ويطلع كيف

تكون الموازنة ، وكيف تقع للمشابهة والمقاربة . ونجمل تلك القصيدة التي نذكرها
أجود شعره . « وهي التي مطلعها :

أهلاً بذلكم الخيال القبل فضل الذي نهواه أو لم يفعل

ثم أخذ في نقدها حتى قال في ص ٣٧٣ : « وإنما اقتصرنا على ذكر قصيدة
البحترى ؛ لأن الكتاب يفضله على أهل دهره ، ويقدمونه على من في عصره .
ومنهم من يدعي له الإعجاز غلوً ، ويزعم أنه يناغي النجم في قوله غلوً . . . فيينا
قدر درجته ، وموضع رتبته ، وحد كلامه . وهيهات أن يكون الملموع فيه
كلأ يوس منه ، وأن يكون الليل كالنهار ، والباطل كالحق ، وكلام رب العالمين
ككلام البشر .

والحق أن قد الباقلائي لملمة امرئ القيس وقصيدة البحترى ، من نماذج
النقد الأدبي الرائعة ، وصورة الرفيعة البارعة ؛ غير أنه شان حسنها ، وشاب
صفاءها ، بتحامله عليهما ، وإسرافه في نقد بعض أبياتهما ؛ كقوله في نقد قول
امرئ القيس ص ٢٥٣ :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلي

قوله : « دخلت الخدر خدر عنيزة » ذكره تكررراً لإقامة الوزن ، لا فائدة
فيه غيره ، ولا ملاحه له ولا رونق ! وقوله : « قالت لك الويلات إنك مرجلي »
كلام مؤنث من كلام النساء ، نقله من جهته إلى شعره ! وليس فيه غير هذا ! ! .

وكقوله ص ٣٣٥ في نقد قول البحترى :

أهلاً بذلكم الخيال القبل فضل الذي نهواه أو لم يفصل
برق سري في بطن وجرة فاهتدت بسناه أعناق الركاب الضلل

البيت الأول في قوله : « ذلكم الخيال » تقل روح وتطويل وحشو ، وغيره
أصلح له . وأخف منه قول الصنوبري :

أهلاً بذاك الزور من زورِ شمسٍ بدت في فلكِ الدّورِ

وعذوبة الشعر تنهب بزيادة حرف أو نقصان حرف ، فيصير إلى الكرازة ،
وتعود ملاحظته بذلك ملوحة ، وفصاحته عياء ، وبراعته تكلفاً ، وسلاسته تصفاً ،
وملاسته تلويحاً وتقديراً ، فهذا فصل . وفيه شيء آخر ، وهو : أن هذا الخطاب إنما
يستقيم مهما خوطب به الخيال حال إقباله ، فأما أن يحكي الحال التي كانت وسلفت
على هذه العيادة ؛ ففيه عُدَّةٌ ، وفي تركيب الكلام عن هذا المعنى عقدة . وهو
— لبراعته وحذقه في هذه الصنعة — يَمَلُؤُ نحوَ هذا الكلام ، ولا ينظر في
عواقبه ؛ لأن ملاحظة قوله تغطي على عيون الناظرين فيه نحوَ هذه الأمور . ثم قوله
« فل الذي نهواه أو لم يفعل » ؛ ليست بكلمة رشيقة ، ولا لفظة ظريفة ؛ وإن
كانت كسائر الكلام .

ولست أشك في أن الباقلاني قد حاد عن جادة الصواب عند ما حكم بأن بيت
الصنوبري أخف من بيت البحتري . وغنى عن البيان أن بيت الصنوبري ثقيل
بالغ الثقل ؛ وحسبه أن يجتمع في شطره الأول « الزور من زور » ، وأن يكون في
شطره الثاني كلمة « الدّور » ، ليأخذ سبيله إلى مستقره في حضيض الشعر الأوهد .
وأما نقد الباقلاني لبيت البحتري الثاني ، فإني أوردته ليكون بياناً لمنهج في نقده ،
ولأنه استطرد فيه إلى نقد امرئ القيس بنقد لطيف ذهب به ، ولم يسبقه أحد إليه .
قال : « فأما بيته الثاني ، فهو عظيم الموقع في البهجة ، وبديع المأخذ ، حسن الرواء ،
أنيق المنظر والمسمع ، يملأ القلب والفهم ، ويفرح الخاطر ، وتسرى بشاشته في
المروق . وكان البحتري يسمى نحو هذه الأبيات عروق الذهب ؛ وفي نحو

ما يدل على براعته في الصناعة ، وحذقه في البلاغة . ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل ، مع اليباجة الحسنة ، والرونق المليح . وذلك أنه جعل الخيال كالبرق لإشراقه في مسراه ؛ كما يقال : إنه يسرى كنسيم الصبا ، فيطيب ما مرّ به ؛ كذلك يضيء ما مرّ حوله ، وينور ما مرّ به . وهذا غلو في الصنعة ، إلا أن ذكره « بطن وجرة » حشو ، وفي ذكره خلل ؛ لأن النور القليل يؤثر في بطون الأرض وما اطمان منها ، بخلاف ما يؤثر في غيرها ؛ فلم يكن من سيئه أن يربط ذلك بطن وجرة . وتحديد المكان — على الحشو — أحد من تحديد امرئ القيس من ذكر « سقط اللوى بين الدخول فحومل ، فتوضح فالقمرات » ؛ لم يقنع بذكر حد ، حتى حده بأربعة حدود ، كأنه يريد بيع المنزل فيخشى أن Axel يجد أن يكون يمه فاسداً أو شرطه باطلا !! فهذا باب . ثم إنما يذكر الخيال بحفاء الأثر ، ودقة المطلب ، ولطف المسلك . وهذا الذي ذكره يضاد هذا الوجه ، ويخالف ما وضع عليه أصل الباب . ولا يجوز أن يقدر مقدر أن البحتري قطع الكلام الأول ، وابتدأ بذكر برق لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة ؛ لأن هذا القطع إن كان فله ، كان خارجاً به عن النظم المحمود ، ولم يكن مبدعاً ؛ ثم كان لا تكون فيه فائدة ؛ لأن كل برق شمل وتكرر وقع الاهتداء به في الظلام ؛ وكان لا يكون بما نظمه مفيداً ولا متقدماً . وهو على ما كان من مقصده ، فهو ذو لفظ محمود ، ومعنى مستجلب غير مقصود ، ويعلم بمثله أنه طلب العبارات ، وتعليق القول بالإشارات . وهذا من الشعر الحسن الذي يحلو لقطه ، وتقل فوائده .

ومن شواهد تجني الباقلائي على البحتري قوله في ص ٢٤٠ : « وأما قوله :

ما الحسن عندك يا سعاد بمحسن فيما أتاه ولا الجمال بمجمل
غذل للشوق وإن من سجا الموى في حيث يجهله لجأج العذل

قوله في البيت الأول : « عندك » حشو ، وليس بواقع ولا بديع ، وفيه كلفة ، والمعنى الذى قصده ، أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء . وفيه شيء آخر ، لأنه يذكر أن حسننا لم يحسن فى تهيج وجده . وتهيم قلبه ؛ وضد هذا المعنى هو الذى يميل إليه أهل الهوى والحب . وبيت كشاجم أسلم من هذا ، وأبعد من التخلل ؛ وهو قوله :

بحياة حسنك أحسنى ، وبحق من جمل الجلال عليك وقتاً أجلى .

ولست أرى رأى الباقلانى فى أن كلمة « عندك » قد وقعت حشواً متكلفاً ، ليست بواقعة ولا بديمة ؛ وإنما هى فى هذا المقام قد وقعت موقعها الطيبى البديع ، ولم يحتلها التكلف حشواً لا يبنى غنامه فى تأدية المعنى ، وإنما هى أصيلة فى أصل المعنى ، ولا يؤدى معناها غيرها . ولست أشك كذلك فى أن بيت البحترى أمثل من بيت كشاجم .

ونحيل إلى أن الباقلانى قد ضل عنه معنى بيت البحترى ؛ إذ فهم أنه « يذكر أن حسننا لم يحسن فى تهيج وجده وتهيم قلبه » . وإنى أفهم أن المعنى الذى أراغ إليه البحترى : أن حسننا لم يحسن إليه بما يورد الحبيب من حبيبه أن يحسن إليه به ، مما يتمتع نفسه ، ويروى ظمأ حبه ؛ وأن جاهلنا لم يحمل بإصفاة المودة ، وإنماة جنى الحب المشتى . وبذلك يتسق معنى البيت ، مع المعنى الذى يميل إليه أهل الهوى والحب .

ولئن كان الباقلانى قد أخطأ فى نقد بيت البحترى الأول ، وضل عن معناه ؛ فإنه أصاب فى نقده للبيت الثانى ، حيث يقول : « وأما البيت الثانى فإن قوله : « فى حيث » ، حشا بقوله كلامه ، ووقع ذلك مستفكراً وحشياً ، نافرأ عن طبعه ، جافياً فى وضعه ؛ فهو كرقعة من جلد فى ديباج حسن ! فهو يحو حسنه ، ويأتى

على جماله . ثم في المعنى شيء ؛ لأن جملج المذلل لا يدل على هوى مجهول ، ولو كان مجهولاً لم يهتدوا للمذل عليه . فلم أن المقصد استجلاب العبارات . ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن في البيت معنى بديع ، ولا شيء يفوت قول الشعراء في المذل ؛ فإن ذلك جملهم القلول ، وقولهم المكرر المقول .

ثم قال الباقلاني في ص ٣٧٤ « وأما الغرض الذي صنفنا فيه ، في التفصيل والكشف عن إعجاز القرآن ، فلم نجده على التقريب الذي قصدنا ، وقد رجونا أن يكون ذلك مغنياً ووافياً . . . وقد قصدنا فيما أمليناه الاختصار ، ومهدنا الطريق . . . »

ثم عرض لنقد الجاحظ في ص ٣٧٧ : بأن كلامه قريب ، ومنهاجه معيب ؛ ونطاق قوله ضيق . ومن أجل ذلك يستعين بكلام غيره ، ويفزع إلى ما يوشح به كلامه ، من بيت سائر ، ومثل نادر ؛ وحكمة منقولة ، وقصة مأثورة ؛ فإذا أطال ولم يستعن بكلام غيره ، كان كلامه ككلام غيره .

ثم زعم أن أبا الفضل بن العميد قد سلك مسلكه ، ونازعه طريقته ، فلم يقتصر عنه . ولعله قد بان تقدمه عليه ، لأنه يأخذ في الرسالة الطويلة فيستوفى على حدود مذهبه ، ولا يقتصر على أن يأتي بالأسطر من نحو كلامه ؛ كما ترى الجاحظ يفعل في كتبه ، متى ذكر من كلامه سطرأ أنبئه من كلام الناس أوراقاً ؛ وإذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتاباً . وفي هذا الكلام حق كثير ، وظلم مبین ؛ وأين كلام ابن العميد من سحر الجاحظ ؟ هيهات هيهات أن يقارنه أو يقاربه .

ثم عقد فصلاً في ص ٣٨٠ لبيان أن مجزساتر أهل الأعصار عن الإتيان بمثل القرآن ثابت ، كمجزر أهل العصر الأول .

ثم أعقبه بفصل في التحدى ووجه الحاجة إليه في باب القرآن ص ٣٨٢ .

وتلاه بفصل في قدر المعجز من القرآن عند الأشاعرة والمعتزلة ص ٣٨٦ :
« فذهب عامة الأشاعرة إلى أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة ، قصيرة كانت أو طويلة ، أو ما كان بقدرها . قال الأشعري : فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة ، وإن كانت سورة الكوثر ، فذلك معجز ؛ ولم يتم دليل على مجزم عن المعارضة في أقل من هذا القدر . وذهبت المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة » .

وبعد فصل في أنه هل يعلم إيجاز القرآن ضرورة ؟ ص ٣٩٣ وقد ذهب إلى أن الأحمى لا يمكن أن يعلم إيجازه إلا استدلالاً ، وكذلك غير البليغ من العرب ؛ فأما البليغ الذى أحاط بمذاهب العربية وغرائب الصنعة ، فإنه يعلم من نفسه ضرورة مجزته عن الإتيان بمثله ، ويعلم مجز غيره بمثل ما يعرف مجز نفسه .

وجعل الفصل الذى يليه ص ٣٩٤ فيما يتعلق به الإيجاز : أهو الحروف المنظومة ؟ أم الكلام القائم بالذات ؟ أم غير ذلك ؟ وذهب إلى أن التحدى واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف للمنظومة ، التى هى عبارة عن كلام الله تعالى ، فى نظمها وتأليفها ، وهى حكاية لكلامه ، ودلالات عليه ، وأمارات له ؛ على أن يكونوا مستأنفين لذلك ، لا حاكين بما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر فصلاً فى وصف وجوه من البلاغة ، بدأه بقوله : « ذكر بعض أهل الأدب والكلام : أن البلاغة على عشرة أقسام . . » . وهذا البعض الذى لم يشأ أن يصرح باسمه ، هو معاصره أبو الحسن على بن عيسى الرمانى المعتزلى . وقد نقل الباقلانى هذا الفصل الطويل بأمثلة من كتابه : « النكت فى إيجاز القرآن » ؛

وعلق عليه تعليقات شتى . وقد ذيلت كل مثال نقله بما قاله الرومان فيه ؛ لنتم فائدة القارئ ، وليستين الفرق بين الرجلين .

ثم عقد البقلاني فصلا في حقيقة المعجز ص ٤٣٦ ، فيبين معنى إعجازه على أصول الأشاعرة بأنه لا يقدر العباد عليه ، وإنما يفرد الله بالقدرة عليه ؛ ولما لم يقدر عليه أحد شبه بما يميز عنه العاجز ؛ وإنما لا يقدر العباد على مثله لأنه لو صح أن يقدروا عليه بطلت دلالة المعجز ؛ وقد أجرى الله العادة بأن يتعذر فعل ذلك منهم وأن لا يقدروا عليه . ولو كان غير خارج عن العادة لأنوا بمثله ، أو عرضوا عليه من كلام فصاحتهم وبلغائهم ما يمارضه . فلما لم يشتغلوا بذلك علم أنهم فطنوا لخروج ذلك عن أوزان كلامهم ، وأساليب نظامهم ؛ وزالت أطماعهم عنه . وتعرض في هذا الفصل لنظم القرآن ص ٤٣٩ ، وأن أصحابه قالوا فيه : إن الله يقدر على نظم هيئة أخرى تزيد في الفصاحة عليه ، كما يقدر على مثله . وأما بلوغ بعض نظم القرآن الرتبة التي لا مزيد عليها ، فقد قال مخالفونا : إن هذا غير ممكن . . . والذي قوله : أنه لا يمتنع أن يقال : إنه يقدر الله تعالى على أن يأتي بنظم أبلغ وأبعد من القرآن كله . وأما قدر العباد فهي متناهية في كل ما يقدرون عليه ، مما تصح قدرتهم عليه .

وعقد بعد ذلك فصلا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمور تتصل بالإعجاز ، بين فيه أنه محال أن يكون القرآن من كلامه عليه السلام ، ورد فيه على قول من يقول : لولا أن كلامه معجز لم يشتبه على ابن مسعود الفصل بين المؤذنين ، وبين غيرهما من القرآن ؛ وكذلك لم يشتبه دعاء القنوت في أنه هل هو من القرآن أم لا .

وقال : إن هذا من تخليط للحدثين ، وإن الذي يروونه في ذلك خبر واحد ، لا يسكن إليه في مثل هذا ولا يميل به . وقد جوز أن يكون أبي قد كتب دعاء

التقنوت على ظهر مصحفه ثلاثا ينسأه ؛ كما جوز أن يكون ابن مسعود قد شذ عن مصحفه إثبات المودتين ، أو أن يكون الناقل اشتبه عليه الأمر ، لأن مصحفه مخالف في النظم والترتيب مصحف عثمان . وقال : « ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا ، لكانت الصحابة تناظره على ذلك ، وكان يظهر وينتشر ؛ فقد تناظروا في أقل من هذا ؛ وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل ؛ فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه ! ؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعه في المصحف ، فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذة المولدة في الإجماع المقرر ، والاتفاق المعروف ! ؟ » .

ثم قال : « ولو كان القرآن من كلامه ، لكان البون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئهما رجل واحد ؛ وكانوا يمارضونه ؛ لأننا قد علمنا أن القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يخرج إلى حد الإعجاز ، ولا يتفاوت التفاوت الكثير ، ولا يخفى كلامه من جنس أوزان كلامهم ، وليس كذلك نظم القرآن ؛ لأنه خارج من جميع ذلك » .

ثم أجاب إجابة دقيقة موقفة على اعتراض أورده في ص ٤٤٦ ؛ وهو :

« لو كان القرآن معجزاً لم يختلف أهل اللغة في وجه إعجازه ؟ » .

ثم أعقبه بفصل موجز لبيان أن من شرط المعجز أن يعلم أنه أتى به من ظهر عليه .

ثم ذكر الباقلاني الفصل الأخير من كتابه ، ص ٤٥٢ ، وقال في مستهله :

« قد ذكرنا في الإبانة عن معجز القرآن وجيزاً من القول ، رجونا أن يكفي ، وأملنا أن يقطع ؛ والكلام في أوصافه — إن استقصى — بيد الأطراف ، واسع الأكناف ؛ لعل شأنه ، وشريف مكانه . والذي سطرناه في الكتاب ، وإن كان موجزاً ، وما أملناه فيه ، وإن كان خفيفاً — فإنه ينبه على الطريقة ، ويدل على الوجه ، ويهتدي إلى الحجة ؛ ومتى عظم محل الشيء فقد يكون

الإسهاب فيه عيًّا، والإكثار في وصفه تقصيراً . . . ولولا أن العقول تختلف ، والأفهام تتباين ، والمعارف تضائل — لم نحتاج إلى ما تكلفنا ؛ ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ، ولو اتفقوا فيها لم يميز أن يتفقوا في معرفة هذا الفن ، أو يجتمعوا في الهداية إلى هذا العلم ؛ لاتصاله بأسباب خفية ، وتعلقه بعلوم غامضة النور ، عميقة القمر ، كثيرة المذاهب ، قليلة الطلاب ، ضئيلة الأحباب ، وبحسب تأتى مواضع تقع الأفهام دونه ، وعلى قدر لطف مسالكه يكون التصور عنه . . . فإذا كان قد الكلام كله صعباً ، وتميزه شديداً ، والوقوع على اختلاف فنونه متعذراً ؛ وهذا في كلام الآدميين ؛ فما ظنك بكلام رب العالمين ؟ » .

ثم قال : « وقد بينا في نظم القرآن أن الجملة تشتمل على بلاغة منفردة ، والأسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف » . وأطلق لقله العنان في وصف القرآن وما اشتمل من جوامع الماني . وعظيم البلاغة ، وعجيب النظم الفارق لساير النظم ؛ فأتى في ذلك بما يلذ ويشوق . ويمجّب ويغرب ؛ ومن قوله في هذا المعنى : « تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك في منظر بهيج ، ونظم أنيق ، ومعرض رشيق ، غير مُتناص على الأسماع ، ولا مغلق على الأفهام ، ولا مستكره في اللفظ ، ولا مستوحش في المنظر ؛ غريب في الجنس ، غير غريب في القبيل ؛ ممتلئ بماء ونضارة ، ولطفاً وغضارة ؛ يسرى في القلب كما يسرى السرور ، ويمر إلى مواضع كما يمر السهم ، ويضيء كما يضيء الفجر ، ويزخر كما يزخر البحر ؛ طموح العباب ، جوح على المتناول المتناوب ؛ كالروح في البدن ، والنور المستطير في الأفق ، والنيت الشامل ، والضياء الباهر ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حديد ؛ من توهم أن الشعر يلحق شأوه بأن ضلاله ، ووضح جهله ، إذ الشعر سمّت قد تناولته الألسن ، وتناولته القلوب ، وانتالت عليه المواجهس ؛ وضرب الشيطان فيه بسهمه ، وأخذ منه بحظه . وما دونه من

كلامهم ، فهو أدنى محلا ، وأقرب مأخذاً ، وأسهل مطلباً . . . والقرآن كتاب دل على صدق محتله ، ورسالة دلت على صحة قول المرسل بها ، وبرهان شهد له براهين الأنبياء المتقدمين ، وبيئة على طريقة ما سلف إلى الأولين . تحداهم به إذ كان من جنس القول الذى زعموا أنهم أدركوا فيه النهاية ، وبلغوا فيه الغاية ؛ فعرفوا عجزهم ، كما عرف قوم عيسى نقصانهم فيما قدروا من بلوغ أقصى الممكن فى العلاج ، والوصول إلى أعلى مراتب الطب ؛ فجاءهم بما بهرهم من إحياء الموتى ، وإبراء الأنكه والأبرص ، وكما أتى موسى بالمصا التى تلقفت ما برعوا فيه من سحرهم ، وأنت على ما أجمعوا عليه من أمرهم ، وكما سخر لسليمان الريح والطير والجن حين كانوا يولعون به من فائق الصنعة وبدائع اللطف . ثم كانت هذه المعجزة مما يقف عليه الأول والآخر وقوفاً واحداً ، ويبقى حكمها إلى يوم القيامة ... فتأمل ما عرفناك فى كتابنا ، وفرغ له قلبك . واجمع عليه لبك ؛ ثم اعصم بالله يهدك ، وتوكل عليه يعنك ويمجرك ، واسترشد به يرشدك ، وهو حسي وحسبك ، ونعم الوكيل .

• • •

رأى الرافعى فى إعجاز القرآن :

✕ قال فى كتاب « تاريخ آداب العرب » ١٥٣/٢ : « وجاء القاضى أبو بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ فوضع كتابه المشهور « إعجاز القرآن » ، الذى أجمع المتأخرون من بعده على أنه باب فى الإعجاز على حدة ؛ والغريب أنه لم يذكر فيه كتاب الواسطى ، ولا كتاب الرمانى ، ولا كتاب الخطابى الذى كان يصاصره ، وأوماً إلى كتاب الجاحظ بكلمتين لا خير فيهما ، فكأنه هو ابتداء التأليف فى الإعجاز بما بسط فى كتابه واتسع ، وفى ذلك ما يثبت لنا أن عهد هذا التأليف

لا يرد في نشأته إلى غير الجاحظ . على أن كتاب الباقلائي وإن كان فيه الجيد الكثير ؛ وكان الرجل قد هذبه وصفاه وتصنع له ؛ إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابيه هو من غيره ، ولم يتحاش وجهاً من التأليف لم يرضه من سواء ، وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الجاحظ : « لم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى » . فإن مرجع الإعجاز فيه إلى الكلام ، وإلى شيء من المعارضة البيانية بين جنس وجنس من القول ، ونوع وآخر من فنونه ، وقد حشر إليه أمثلة من كل قبيل من النظم والنثر ؛ ذهب بأكثره ، وغررت جلته ؛ وعدّها في محاسنه وهي من عيوبه . وكان الباقلائي ، رحمه الله وأثابه ، واسع الحيلة في الصبارة ، مبسوط اللسان إلى مدى بعيد ، يذهب في ذلك مذهب الجاحظ ومذهب مقلده ابن الصيد ؛ على بصير وتمكن وحسن تصرف ؛ فجاء كتابه وكأنه في غير ما وضع له ؛ لما فيه من الإغراق في الحشد ، والمبالغة في الاستمانة ، والاستراحة إلى النقل ؛ إذ كان أكبر غرضه في هذا الكتاب أن « ينبه على الطريقة ، ويدل على الوجه ، ويهتدى إلى الحجة » وهذه ثلاثة لو بسطت لها كل علوم البلاغة وفنون الأدب — لو سعتها ، وهي مع ذلك حشو ووصل .

على أن كتابه قد استبد بهذا الفرع من التصنيف في الإعجاز ، واحتمل المؤنة فيه بجملة من الكلام والعرية والبيان والنقد ، ووفّى بكثير مما قصد إليه من أمهات المسائل والأصول التي أوقع الكلام عليها ، حتى عدّوه الكتاب وحده ، لا يُشرك العلماء معه كتاباً آخر في خطره ومنزلته ، وبُعد غوره ، وإحكام ترتيبه ، وقوة حجته ، وبسط عبارته ، وتوثيق سرده . فانظر ما عسى أن يكون غيره مما سبقه أو تلاه . وما زاد الباقلائي ، رحمه الله ، على أن ضمن كتابه روح عصره ، وعلى أن جعله في هذا الباب كالاستحيث للخواطر الوانية ، والهيم المتشاقلة في أهل التحصيل والاستيعاب الذين لم يذهبوا عن معرفة الأدب ، ولم ينفلوا عن وجه

اللسان ، ولم ينقطعوا دون محاسن الكلام وعيونه ، ولم يضلوا في مذاهبه وفقونه ،
 حتى قال : « إن الناقص في هذه الصنعة كالخارج عنها ، والشاذي فيها كالبائس
 منها » . وقد كانت علوم البلاغة لم تهذب لعمده ، ولم يبلغ منها الاستنباط العلمي ،
 ولم تجرد فيها الأمهات والأصول ، ككتب عبد القاهر ومن جاء بعده ؛ فبسط الرجل
 من ذلك شيئاً ، وأجل شيئاً ، وهذب شيئاً ، ونحا في الانتقاد منحى الدين سبقوه
 من العلماء بالشعر وأهل الموازنة بين الشعراء ، وكانت تلك المصوّر بهم حفيظة .
 وبالجملة قد وضع ما لم يكن يمكن أن يوضع أوفى منه في عصره » X

• • •

وقد طبع كتاب « إعجاز القرآن » عدة طبعات : أولاها بمطبعة الإسلام بمصر
 في سنة ١٣١٥ ، وثانيها على هامش كتاب الإتيان للسيوطي المطبوع بالمطبعة
 الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١٧ ، وثالثها على هامشه كذلك في المطبعة الأزهرية
 بالقاهرة سنة ١٣١٨ ، والطبعة الرابعة في المطبعة السلفية سنة ١٣٤٩ ؛ وهي
 بتحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب . وقد عارضها بنسخة مخطوطة في دار
 الكتب المصرية ، وصدرها بكلمة طيبة عن البلاغاني . ومع أن هذه الطبعة
 أحسن طبعات الكتاب جميعاً ، فإنها لم تخل من شوائب التصحيف والتحريف ،
 والنقص الكثير ؛ وفيها ما هو أكثر من ذلك . فقد كرر فيها كلام البلاغاني
 من السطر الحادي عشر من صفحة ١٧ إلى السطر الأول من ص ١٩ ،
 فأعيد بنصه وفصه ابتداء من السطر الثاني والمشرين من صفحة ٢١٧ إلى السطر
 التاسع من صفحة ٢١٩ ، مع أنه مقم في هذا الموضع إجمالاً بإياه المقام .

ومن أمثلة النقص الواقع فيها : ما جاء في ص ٤١ : « وكذلك قد يتفاوت
 كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة . فرأينا غير مختلف » وقد ورد
 هذا الكلام في طبعتنا كاملاً ص ٥٩ « ... عند إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتاً

يتنا ، ويختلف اختلافاً كبيراً . ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة
فأيناه غير مختلف » .

ومنها في ص ٧٠ وكقول على « حين سئل عن قول النبي صلى الله عليه
وسلم : إنما قال ذلك والدين في قل » . وهو في طبعنا : « حين سئل عن قول
النبي صلى الله عليه وسلم : غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود — : إن النبي صلى
الله عليه وسلم إنما قال ذلك والدين في قل » .

ومنها ما جاء في ص ٧٧ « ومن البليغ عندم الضلو كقول النمر بن تولب » وهو
في طبعنا : « ومن البليغ عندم الضلو والإفراط في الصفة ، كقول النمر بن تولب » .
ومنها في ٨٣ « إذا فريق منكم برههم يشركون . ويعلمون من البديع
للموازنة » . وفي طبعنا ص ١٣٣ « ... يشركون . ومن هذا الجنس قول هند بنت
النعمان للغيرة بن شعبة ، وقد أحسن إليها : برتك يد نالتها خصاصة بعد ثروة ،
وأغناك الله عن يد نالت ثروة بعد فاقة . ويعلمون من البديع الموازنة » .

ومنها في ص ٨٧ « ونحوه صحة التفسير ، كقول القائل » . وفي طبعنا ص ١٤٣
« ونحوه صحة التفسير ، وهو أن تضع معان تحتاج إلى شرح أحوالها ، فإذا شرحت
أثبتت تلك المعاني من غير عدول عنها ولا زيادة ولا نقصان ، كقول القائل » .
وفي نفس الصفحة منها : « ومن البديع التكيل والتتميم ، كقول نافع بن خليفة » .
وهو في صفحتنا نفسها : « ومن البديع التكيل والتتميم وهو أن يأتي بالمعنى
التي بدأ به بجميع المعاني للصحة التمة لصحته ، المكمل لجودته ، من غير أن
يخلل بيمضها ، ولا أن ينادر شيئاً منها . كقول القائل : وما عيت أن أشكرك
عليه من مواعيد لم تشن بمطل ، ومرافد لم تشب بمن ، وبشر لم يملزجه ملق ،
ولم يخالطه مذق . وكقول نافع بن خليفة » .

ومنها في ص ٢٢٠ « وكذلك لم يشبه دعاء القنوت في أنه هل هو من القرآن

أم ، ولا يجوز أن يخفى عليهم « وهو في طبعنا ص ٢٤٢ » ... هو من القرآن أم لا ، قيل : هذا من تخليط الملحدين ؛ لأن عندنا أن الصحابة لم يخف عليهم ما هو من القرآن ، ولا يجوز أن يخفى عليهم .

وقد رمزت إلى طبعة السلفية برمز « س » ووضعت كل زيادة عليها بين هاتين علامتين [] .

وأمشة التحريف والتصحيح كثيرة مبينة في أماكنها من الكتاب ، ولكننا نذكر منها :

جاء في ص ٦٦ منها « وفطنوا لحسنه فتنبوه من بعد ، وبنوا عليه وطلبوه ، ورتبوا فيه المحاسن التي يقع الاضطراب بوزنها ، وتهش النفوس إليها » . والصواب في طبعنا ص ٩٧ « التي يقع الإطراب بوزنها » .

وجاء في ص ٩٧ « كأمري القيس ، وزهير ، والناطقة وإلى يومه ، ونحن نبين تميز كلامهم » . والصواب في طبعنا ص ١٦٧ « والناطقة ، وابن هرمة » ، ونحن نبين تميز كلامهم » .

وجاء في ص ١٣١ « وإنا قرع له الأسمى إلى إفادته هذه الفائدة خشية أن يباب عليه » . والصواب في طبعنا ص ٢٤٥ « وإنا فزع الأسمى إلى إفادته هذه الفائدة خشية أن يباب عليه » .

وجاء في ص ١١٤ « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، سهيل بن عمرو : اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشرين سنة يأمن فيه الناس » . والصواب في طبعنا ص ٢٠٥ « اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشرين سنة يأمن فيها الناس » .

وجاء في ص ١٣٠ في كلام الباقلاني عن امرئ القيس : « ثم ترى أنفس

الشعراء تشوق إلى معارضته ، وتسأله في طريقته ، وربما عثرت في وجهه على أشياء كثيرة ، وتقدمت عليه في أسباب عجيبة » . والصواب في طبعنا ص ٢٤٢ « . وربما عثرت في وجهه في أشياء كثيرة . »

وجاء في كلام الباقلائي على بيت امرئ القيس :

وما ذرفت عينك إلا لتضربي بهميك في أعمار قلب مقتل
ص ١٣٨ « لأنه إن كان محتاجاً — على ما وصف به نفسه من الصباية —
فقلبه كله لها ، فكيف يكون بكاؤها هو الذي يخلص قلبه لها ؟ » .
والصواب كما في طبعنا ص ٢٦٠ « لأنه إن كان محباً — على ما وصف به
نفسه من الصباية . . » .

ومن أجل ذلك وأمثاله رأيت أن أنشر الكتاب نشرة علمية قويمه ، تقوم
أودّه ، وتكمل قصه ، وكان لي ما أردت ، بحمد الله وتوفيقه .

• • •

وقد اختلفت في نشره على أربع نسخ خطية :

١- النسخة الأولى : صورتها عن نسخة للتحف البريطاني رقم ٧٧٤٩ وعدد أوراقها ١٣٩ ورقة ، وخطها نسخ جميل ، وقد ضبطت كلماتها بالحركات . وكتب في آخرها بخط يخالف خطها : « هذا ما كتبه المؤلف لخزانة كتب عضد الدولة ، وطالع فيه الحسن ابن المؤلف ، سنة تسع وتسعين بعد الثلاثمائة » . ولست أمتري في أن هذه العبارة مرورة ، قد كتبها كاتب ليضفي على النسخة قيمة تاريخية لينسب له بيعها بشئ مرتفع . وببإد أن يكتب الباقلائي هذه النسخة لمكتبة عضد الدولة ، ويكون فيها : « خطبة لقس بن ساعدة الإيادي رضى الله عنه ! » ، ولا يعنى بتصحيحها . وهذه النسخة مقرعة بالتحريف ، وتتقص بعض النصوص ، كما هو مبين في أما كنه من الكتاب . وقد رمزتُ إلى هذه النسخة بالرمز « م » .

والنسخة الثانية : صورتها عن نسخة مكتبة « كوبرلي » بالأستانة ، وهي تقع ١٠٤ ورقة ، ومقاسها ٢٥٥ × ١٦٨ سم وخطها نسخ مشكول بالحركات ، وهي مخرومة من وسطها ، وقد كتب في آخرها بخط ناسخها : « وكان الفرغ من نسخه سلخ الشهر المعظم رجب سنة ثمانية عشر وستائة . علقه الشريف حسن بن الشريف محمد ، بن الشريف علي ، بن الشريف حسين ، الحسيني ، السمرقندي الناسخ ، وصلوات على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً » وقد رمزت إليها بالحرف « ك »

والنسخة الثالثة : مخطوطة خاصة بمجھولة التاريخ ، وليس عليها ما يدل على اسم ناسخها ، وهي مكتوبة بخط مغربي دقيق ، غير مضبوطة وتقع في ١١٢ ورقة ، وقد قُدت منها الورقة الأولى ، وقد رمزت إليها بالحرف « ب » .

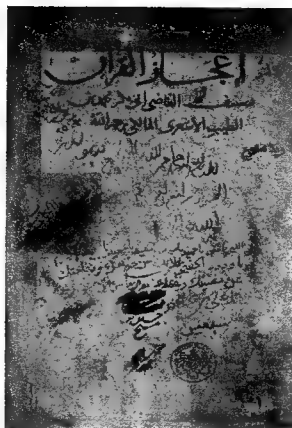
والنسخة الرابعة صورتها عن النسخة المحفوظة بمكتبة « الأسكوريال » بأسبانيا تحت رقم ١٤٣٥ وهي تقع في ١٢٥ ورقة ، وقد جاء في آخرها : « وكان

التفراغ منه في غرة ذى الحجة ، سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة . نسخة من أصل
 الشيخ الإمام أبي الجراح يوسف بن عبد العزيز القتيبي ، التي عليه خط
 شيخه عمدة أهل الحق ، أبي عبد الله الحسين . وأخبرني أنه في نسخة من نسخة
 صحيحة ، عليها مكتوب : فرغ من نسخها في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعمائة .
 وقال لي : توفي القاضي المؤلف ، رحمه الله ، سنة أربع وأربعمائة . وعارضت بنسخي
 هذه بالأصل ، وقرأتها عليه وهو يمسك أصله ، والحمد لله رب العالمين . وقد
 رمرت إلى هذه النسخة بحرف « ا » .

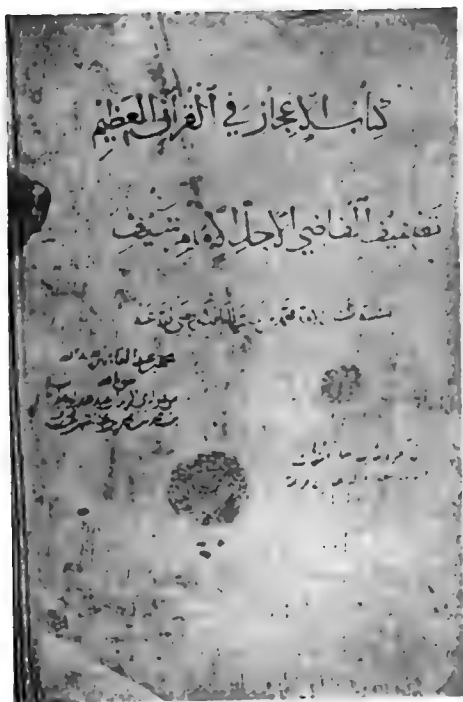
• • •

وبعد ، فإني أحمد الله سبحانه أن وفقني لإخراج الكتاب على هذا النحو ،
 فإن كنت أصبت فالتخير أردت ، وإن تكن الأخرى غسي أني بذلت فيه
 وسعى ، وفي لغات التقاد ما يكمل النقص ويسد الخلل ، والله ولي التوفيق ؟
 السيد أحمد صقر

القاهرة يوم الخميس } ١٨ من المحرم سنة ١٣٧٤ هـ
 ١٦ من صيبر سنة ١٩٥٤ م }



اللوحه رقم : ١
 عنوان نسخه المتحف البريطاني
 الرموز لها بحرف : م



اللوحة : ٤

عنوان نسخة كوبر بلي

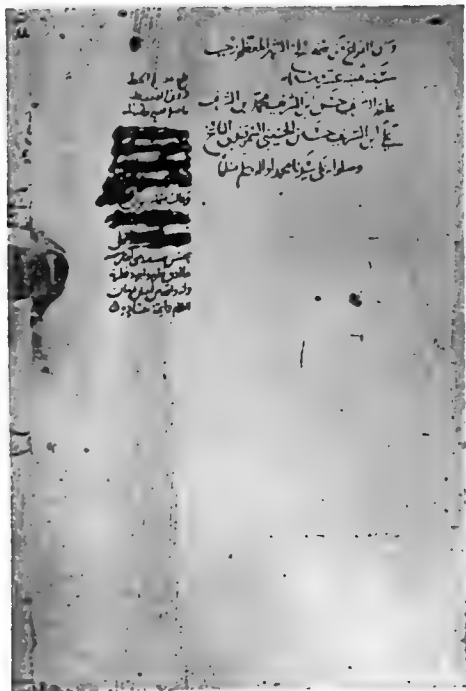
المرموز لها بحرف : ك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُ الْمَوْفِقُ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقُرْآنِ وَالَّذِي هَدَى الْمُشْرِكِينَ
 إِلَى الْإِسْلَامِ وَالَّذِي هَدَى الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ
 وَلَا يَكْفُرُ إِلَّا اللَّهُ الْإِذْ هَدَى الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ
 دِينَهُ وَمَا تَشَاءُ لَا يَخْلُفُ عَهْدَهُ وَالَّذِي يَدْعُو
 بِهِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ عِزًّا وَبَرَكَةً كَثِيرَةً
 وَلِلَّهِ الْإِسْلَامُ بَدَأَهُ وَلَهُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى
 وَلَهُ الْحُكْمُ يَوْمَ تَنْفَخُ الْأُفُفُ وَنُفِخَ فِي
 السُّورِ وَلَهُ الْإِسْلَامُ بَدَأَهُ وَلَهُ الْآخِرَةُ
 وَالْأُولَى وَلَهُ الْحُكْمُ يَوْمَ تَنْفَخُ الْأُفُفُ
 وَنُفِخَ فِي السُّورِ وَلَهُ الْإِسْلَامُ بَدَأَهُ
 وَلَهُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى وَلَهُ الْحُكْمُ
 يَوْمَ تَنْفَخُ الْأُفُفُ وَنُفِخَ فِي السُّورِ
 وَلَهُ الْإِسْلَامُ بَدَأَهُ وَلَهُ الْآخِرَةُ
 وَالْأُولَى وَلَهُ الْحُكْمُ يَوْمَ تَنْفَخُ
 الْأُفُفُ وَنُفِخَ فِي السُّورِ

اللوحة : ٥

الصفحة الأولى من نسخة كوبريلى

المرموز لها بحرف : ك



الوجه : ٦

آخر صفحة من نسخة كوبريالي
المرموز لها بحرف : ك

كتاب التوبة ومخيل الآلة في وجه القصور
 فاموا اديان وعما وحدث جماله السبع فساد
 ومقدوف بخدلان الرحمن واسماء المدان
 والمهاله كثيرة ودرجات الحرمان محبلة
 وملا جعلت باراء القبره مثل السدر رسة
 العامرية حصارا لامة رقت برهبر
 ايامه وحسار بر ثانه وعزيم من السعير
 والخطما الذين اسلموا على اذ القدر الاول ما ستم
 الاثم زانوا ام تحوز اخر وقد بلغنا ارا اعظام
 لا بعد اية الله واسوف هو الا بعه الله وذلك
 جعل الله يومه من ساء فانه لم اعز فبات
 في كتابنا وصرع له للملح واجم عليه لثقت
 ثم اعظم بالله يدرك وموكل عليه نعتك
 وانجرت واسم منده بوشرك وهو حسي
 وحسبك وبع الوكيل والحمد لله رب العالمين
 وحلانه على سبيل محمد حاتم الشمس على اذ اعلم القصر
 وقار البرام منه وعرك ذي الله منه وعمره اذ اعلم
 ستم من اجل القصة الامام اي الحاج موسى بعد العربو الحسني
 الذي عليه خط منه عدة اهل القوا عبد الله النبي واحدي
 انه ستم من ستم عليه مكتوب فوعر ستم في ستم
 الاحرة منه احدي والبع مانه وعلا في يوم العام الموات
 رقت لسه ستم من واهم مانه وعما حبت ستم بعدة بلاط
 ومادنا عليه وهو ستم اصله والحمد لله

اللوحة : ٧

الصفحة الأخيرة من نسخة الأسكوريال

الرموز لها بحرف : ا

اعجاز القرآن

للباقلائي
ابي بكر محمد بن الطيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله المُنعم على عباده بما هداهم إليه من الإيمان، والتمتَم إحسانه بما أقام لهم من جَلِيّ البرهان، الذي حَمِدَ نفسه بما^(١) أنزل من القرآن، لِيَكُونَ بُشِيرًا وَنَذِيرًا، وداعيًا إلى الله بِإِذْنِهِ وَسَرَجًا مُنِيرًا، وهاديًا إلى ما ارتضى لهم من دينه، وسلطانًا أَوْضَحَ وَجْهَ تَبَيَّنَ^(٢)، ودليلاً على وحدانيته، ومُرشدًا إلى معرفة عِزِّهِ وَجَبَرُوتِهِ، وَمُقْضِحًا عَنْ صِفَاتِ جلالِهِ، وَعُلُوِّ شَأْنِهِ وَعَظَمِ^(٣) سُلْطَانِهِ، وَحُجَّةَ لِرَسُولِهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ بِهِ، وَعَلَمًا عَلَى صِدْقِهِ، وَيَنبَغِي عَلَى أَنَّهُ أَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَصَادِقٌ بِأَمْرِهِ)

فأَشْرَفُهُ مِنْ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ صَدَقَ مُتَحَمِّلُهُ، وَرِسَالَةً تَشْتَمِلُ عَلَى قَوْلٍ مُؤَدِّيهِهَا . يَبَيِّنُ فِيهِ سُبْحَانَهُ أَنَّ حُجَّتَهُ كَافِيَةٌ هَادِيَةٌ، لَا يُمْتَاجُ مَعِ وَضُوحِهَا إِلَى يَبْنَةِ تَعْدُودِهَا، أَوْ^(٤) حُجَّةٍ تَتْلُوها، وَأَنَّ الذَّهَابَ عَنْهَا كَالذَّهَابِ عَنِ الضَّرُورِيَّاتِ، وَالتَّشَكُّكِ فِي الْمُشَاهَدَاتِ . وَلِذَلِكَ قَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلْيَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ

(١) : أ (فيا)

(٢) : م (بيته)

(٣) : م (وعظم)

(٤) : م (ولا)

سَيِّئًا وَمَعَادًا

لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ^(١) . وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ :
(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا
سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ^(٢)) .

فله الشكر على جميل إحسانه وعظيم منِّه . والصلاة على محمد
المصطفى وآله ، وسلم .

ومن أم ما يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بحقه ؛
ما كان لأصل دينهم قوامًا ، وقاعدة توحيدهم عمادًا ^(٣) ونظامًا ، وعلى
صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهانًا ، ولمحزته ثبوتًا وحجة ^(٤) .
ولا سيما أن الجهل بمدود الرِّواق ، شديد النفاق ^(٥) ، مُستول على الآفاق .
والعلم إلى عفاء ودُّرُوسٍ ، وعلى خفاء وطُمُوسٍ . وأهله في جَفْوَةِ الزَّمن
الْبَهِيم ^(٦) ، يُقَاسُونَ من عُيُوسِهِ لِقَاءِ الْأَسَدِ الشَّتِيم ^(٧) ، حتى صار
ما يكابدونه قاطعًا عن الواجب من سلوك مناهجه ، والأخذ في سُبُلِهِ .

(١) سورة الأنعام - ٧

(٢) سورة الحجر - ١٥ . يمرجون : يصعدون . سكرت : صارت سكرى ،
أى غشيهم ما غطى أبصارهم ، كما غشى السكران ما غطى عقله ، القرطبي
٩ - ٨ / ١٠

(٣) م : « عصامًا أو »

(٤) ١ : « حجة وتبيانًا » ، م : « حجة لمحزته وتبيانًا »

(٥) الرِّواق : الفُسطاط . التَّفَاق : الرِّواج

(٦) البَهِيم : الأسود

(٧) في اللسان ٢١١ / ١٥ : « أسد شتيم : عابس »

فالناس بين رحلين : ذاهب عن الحق ذاهل عن الرشد ، وآخر
مصدود عن نصرته ، مكدود في صنعة .

فقد أدى ذلك إلى خوض الملحدين ، في أصول الدين ، وتشكيكهم
أهل الضعف في كل يقين .

وقد قلَّ أنصاره ، واشتغل عنه أعوانه ، وأسلمه أهله . فصار
عرضة لمن شاء أن يترصص فيه ، حتى عاد مثل الأمر الأول على
ما خاضوا فيه عند ظهور أمره . فن قائل قال : إنه سحر^(١) ، وقائل
يقول : إنه شعر^(٢) ، وآخر يقول : إنه أساطير الأولين^(٣) ، وقالوا :
لو نشاء لقلنا مثل هذا^(٤) . إلى الوجوه التي حكى الله عز وجل عنهم
أنهم قالوا فيه ، وتكلموا به ، فصرفوه إليه .

وذكر لي عن بعض جهالهم أنه جعل يمدِّله ببعض الأشعار ،
ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ، ولا يرضى بذلك حتى يُفضِّله عليه !
وليس هذا يبدع من ملحدة هذا العصر ، وقد سبقهم إلى عظيم^(٥)

(١) قال تعالى في سورة سبأ — : (وقال الذين كفروا لحق لما جاءهم :
إن هذا إلا سحر مبين)

(٢) قال تعالى في سورة الأنبياء — ٥ : (بل قالوا أضغاث أحلام بل
افتراء بل هو شاعر) . وقال في سورة الصافات — ٣٦ : (ويقولون : أثنا
لنارك وأثنا لشاعر مجنون)

(٣) قال تعالى في سورة الفرقان — ٥ : (وقالوا أساطير الأولين
اكتتبها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلا)

(٤) قال تعالى في سورة الأنفال — ٢١ : (وإذا تلى عليهم آياتنا قالوا
قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين)

(٥) م : « أعظم »

ما يقولونه إخوانهم من ملحمة قریش وغيرهم . إلا أن أكثر مَنْ
كان طعن فيه في أول أمره استبان رُشدَه ، وأبصر قصده ، فتاب
وأتاب ، وعرف من^(١) نفسه الحق بغريزة طبعه ، وقوة إتيقانه ،
لا لتصرف لسانه ، بل لهداية^(٢) ربه وحسن توفيقه . والجهل في هذا
الوقت أغلب ، والملاحدون^(٣) فيه عن الرشد أبعد ، وعن الواجب
أذهب .

وقد كان يجوز أن يقع ممن عمل الكتب النافعة في معاني القرآن ،
وتكلم في فوائده من أهل صنعة المرية وغيرهم من أهل صناعة الكلام ،
أن يَسْتَطُوا القول في الإبانة عن وجه معجزته ، والدلالة على مكانه .
فهو أحقُّ بكثير مما صنفوا فيه من القول في الجزء [والطُّفرة]^(٤) ،
ودقيق الكلام في الأعراض ، وكثير من بدیع الإعراب وغامض
النحو . فالحاجة إلى هذا أمسُّ ، والاشتغال به أوجب .

وقد قَصَّر بعضهم في هذه المسألة ، حتى أدَّى ذلك إلى تحول قوم
منهم إلى مذاهب البراهمة فيها ، ورأوا أن عَجَز أصحابهم عن نصره
هذه المعجزة يوجب أن لا مُسْتَنْصَر^(٥) فيها ، ولا وجه لها ، حين
رَأَوْهم قد بَرَّعُوا في لطيف ما أبدعوا ، واتَّهَمُوا إلى النِّفَاية فيما أَحْدَثُوا

(١) ك : « على »

(٢) ا : « بهداية »

(٣) ك : « وللملحد »

(٤) الزيادة من ا ، م

(٥) س : « وأن لا يستنصر »

وَوَضَعُوا . ثم رأوا ما صنفوه في هذا المعنى غير كامل في بابه ، ولا مستوفى في وجهه ، قد أُخِلَّ بهذيب طرقة ، وأُهْمِلَ ترتيبُ بيانه .
وقد يُعَدَّرُ بعضهم في تفریطِ قمع منه فيه ، وذهاب عنه ؛ لأن هذا الباب مما لا يمكن إحكامه إلا بعد ^(١) التقدم في أمور شريفة المحل ، عظيمة المقدار ، دقيقة المسلك ، لطيفة التأخذ .

وإذا اتينا إلى تفصيل القول فيها ، استبان ما قلناه من الحاجة إلى هذه المقدمات ، حتى يمكن بعدها إحكام القول في هذا الشأن .
وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً ، لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى .

• • •

وسألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة ، تُسْقِطُ الشبهات ، وتزيل الشكوك التي تمرض للجهال ، وتنتهي إلى ما يخطر لهم ، ويُعرض لأفهامهم ، من الطمن في وجه المعجزة .
فأجبتاه إلى ذلك ، متقرئين إلى الله عز وجل ، ومتوكلين عليه وعلى حسن توفيقه ومعاونته .

ونحن نُبَيِّنُ ما سبق فيه البيان من غرنا ، ونشير إليه ولا نبسط القول ، لئلا يكون ما ألفناه مكرراً ومقولاً ، بل يكون مستفاداً من جهة هذا الكتاب خاصة .

(١) من ، لك : « مما يمكن إحكامه بعد »

وَنَصِفُ مَا يَجِبُ وَصْفُهُ مِنَ الْقَوْلِ فِي تَنْزِيلِ مُتَصَرِّفَاتِ الْخُطَابِ ،
وَتَرْتِيبِ وَجْهِ الْكَلَامِ ، وَمَا تَخْتَلِفُ فِيهِ طُرُقُ الْبَلَاغَةِ ، وَتَفَاوُتُ مِنْ
جِهَتِهِ سُبُلُ الْبَرَاعَةِ ، وَمَا يَشْتَبِهُ لَهُ ظَاهِرُ الْفَصَاحَةِ ، وَيَخْتَلِفُ فِيهِ
الْمُخْتَلِفُونَ مِنْ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْعَرِيَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِلِسَانِ الْعَرَبِ فِي أَصْلِ
الْوَضْعِ .

ثم ما اختلفت به مذاهب مستعمليه في فنون ما ينقسم إليه
الكلام ، من شعر ورسائل وخطب ، وغير ذلك من مجاري الخطاب .
وإن كانت هذه الوجوه الثلاثة أصول ما يبين فيه التفاسيح ، وتُقَصِّدُ
فيه البلاغة . لأن هذه أمور يُتَعَمَّلُ لها في الأغلب ، ولا يُتَجَوَّزُ فيها .
ثم من بعد هذا ^(١) الكلام الدائر في محاوراتهم . والتفاوت في
أكثر ، لأن التعمل فيه أقل . إلا من غزارة طبع ، أو فطانة تصنع
وتكلف .

ونشير إلى ما يجب في كل واحد من هذه الطرق ، ليعرف عظيم
عمل القرآن ، ولتعلم ارتفاعه عن مواقع هذه الوجوه ، وتجاوزُه الحدَّ
الذي يصح أو يجوز أن يوازن بينه وبينها ، أو يشبهه ذلك على متأمل .
ولسنا نزع أنه يمكننا أن نبين ما رُمتنا بيانه ، وأردنا شرحه وتفصيله ،
لمن كان عن معرفة الأدب ذاهبا ^(٢) ؛ وعن وجه اللسان غافلا ؛ لأن ذلك

(١) ب : ثم من بعدها

(٢) م : ذاهلا

مما لا سبيل إليه ، إلا أن يكون الناظر فيما نعرض عليه بما قصدنا إليه
 من أهل صناعة العربية قد وَقَفَ على جُلٍّ من محاسن الكلام ومُتَصَرِّفاته
 ومذاهبه ، وعرف جملةً من طرق المتكلمين ، ونظر في شيء من أصول
 الدين .

وإنما ضَمَّنَ الله عز وجل فيه البيانَ لمثل من وصفناه ، فقال :
 ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ^(١) ۝ . قَالَ : ﴿ إِنَّا
 جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ^(٢) ۝ .

(١) سورة فصلت - ٣

(٢) سورة الزخرف - ٣

فصل

في أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن

الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إيجاز القرآن ، أن نبوة نبينا عليه السلام مُنبت^(١) على هذه المعجزة ، وإن كان قد أُيِّدَ بمد ذلك بمعجزات كثيرة . إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة ، وأحوال خاصة ، وعلى أشخاص خاصة . وتُقل بعضها تَقَلًّا متواترًا يقع به العلم وجودًا . وبعضها مما تَقُلُّ تَقَلًّا خاصًا ، إلا أنه حُكي بمشهد من الجمع العظيم وأنهم شاهدوه ، فلو كان الأمر على خلاف ما حُكي لأنكروه ، أو لأنكره بعضهم ، فغلَّ علَّ المعنى الأول ، وإن لم يتواتر أصلُ النقل فيه . وبعضها مما تَقُلُّ من جهة الآحاد ، وكان وقوعه بين يدي الآحاد .

فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة ، تَمَّتِ الثَّقَلَيْنِ ، وبقيت بقاء المَصْرَيْنِ . ولزومُ الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حجة واحد ، وإن كان قد يُعلم بعجز أهل المِصرِ الأوَّل عن الإتيان بمثله وَجْهٌ دلالة ، فيغنى ذلك عن نظير مجدِّد في عجز أهل هذا المِصر عن الإتيان^(٢) بمثله . وكذلك قد يغنى عجزُ أهل هذا المِصر عن الإتيان

(١) م : « أثبت »

(٢) س : « أول المِصر عن مثله »

بمثله ، عن النظر في حال أهل العصر الأول .

وإنما ذكرنا هذا الفصل ، لما حُكي عن بعضهم أنه زعم أنه وإن كان قد عجز عنه أهل العصر الأول فليس أهل هذا العصر بما جازين عنه ، ويكنى عجزُ أهل العصر الأول في الدلالة ، لأنهم خُصُوا بالتَّحدِّي^(١) دون غيرهم .

ونحن نبين خطأ هذا القول في موضعه إن شاء الله .

فأما الذي يبين ما ذكرناه ، من أن الله تعالى حين ابتثته جعل معجزته القرآن ، وبنَى أمر نبوته عليه - : سُورٌ كثيرة وآيات ، نذكر بعضها ، وننبّه بالمذكور على غيره ، فليس يخفى بعد التنبيه على طريقه : فن ذلك قوله تعالى : ﴿الرَّ . كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ^(٢)﴾ . فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به ، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة ، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزةً .

(١) ليس القرآن وإعجازه على ذلك ، فإن أهل العصر الأول لم يُخصَّصوا بالتَّحدِّي دون غيرهم ، وذلك لأن القرآن معجزة باقية على الزمن ، فالتَّحدِّي باقٍ معها على الزمن ، فهو تحدٍ لأهل كلِّ عصر كما كان لأهل العصر الأول ، وقد حبا الله هذا الرسول العربي الكريم بالرسالة « مؤيداً بدلالة على الأيام باقية ، وعلى الدهور والأزمان ثابتة ، وعلى عمر الشهور والسنين دائمة . يزداد ضيائها على كبر الدهور إشراقاً ، وعلى مرَّ الليالي والأيام ابتلاقاً » كما قال الطبري في مقدمة تفسيره ١ / ٣ . فالإعجاز فيها واقع في كل عصر ، والتَّحدِّي بها لازم لأهل كل زمان .

وقال عز وجل : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾^(١) . فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ، ولا يكون حجة إلا وهو معجزة .

وقال عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ . وهذا بَيِّنٌ جَدًّا فيما قلناه ، من أنه جملته سبباً لكونه منذراً . ثم أوضح ذلك بأن قال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(٢) . فلولا أن كونه بهذا اللسان حجة لم يُعَقَّبْ كلامه الأول .

وما من سورة افتُتِحَتْ بذكر الحروف المقطعة إلا وقد أُشْبِعَ فيها بيانُ ما قلناه . ونحن نذكر بعضها لتستدل بذلك على ما بعده . وكثيرٌ من هذه السور إذا تأملته فهو من أوَّله إلى آخره مبنئ على لزوم حجة القرآن ، والتنبيه على وجه معجزته .

فمن ذلك سورة المؤمن^(٣) ، قوله عز وجل : ﴿ حَمِّمْ . نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ . ثم وصف نفسه بما هو أهله من قوله تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ ، وَقَابِلِ التَّوْبِ ، شَدِيدِ الْمِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِلَيْهِ الْمَصِيرُ . مَا يَجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ

(١) سورة التوبة — ٦

(٢) سورة الشعراء — ١٩٢ — ١٩٥

(٣) هي سورة غافر

تَلِيهِمْ فِي الْبِلَادِ ﴿١﴾ . فدل على أن الجدل في تنزيله كفرٌ وإلحاد .

ثم أخبر بما وقع ^(١) من تكذيب الأمم برسلمهم ، بقوله عز وجل : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ . فتوعدهم بأنه آخِذٌم في الدنيا بذنوبهم في تكذيب الأنبياء .

وردَّ براهينهم ، فقال تعالى : ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ . ثم توعدهم بالنار ، فقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ .

ثم عظم شأنَ المؤمنين بهذه الحجة ، بما أخبر من استغفار الملائكة لهم ، وما وعدهم عليه من المغفرة ، فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا : رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ . فلولا أنه برهان قاهر لم يذم الكفار على العدول عنه ، ولم يحمد المؤمنين على المصير إليه .

ثم ذكر تمام الآيات في دعاء الملائكة للمؤمنين ، ثم عطف على وعيد الكافرين ، فذكر آيات ثم قال : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ . فأمر بالنظر في آياته وبراهينه ، إلى أن قال : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ، يُبَلِّغُ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، لِيُنْفِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ .

فجعل القرآن والوحى به كالروح ؛ لأنه يورث إلى حياة الأبد ، ولأنه لا فائدة للجسد من دون الروح . فجعل هذا الروح سبيلاً^(١) للإنذار ، وعلماً عليه ، وطريقاً إليه . ولولا أن ذلك برهان بنفسه لم يصح أن يقع به الإنذار والإخبار عما يقع عند مخالفته ، ولم يكن الخبر عن الواقع في الآخرة عند ردِّهم دلائله^(٢) من الوعيد حجة ولا معلوماً صدقه ، فكان لا يلزمهم قبوله .

فلما خلاص من الآيات في ذكر الوعيد على ترك القبول ، ضرب لهم المثل بمن خالف الآيات وجحد الدلالات والمعجزات ، فقال : ﴿ أَوَلَمْ يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض ، فأخذهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق ﴾ .

ثم بين أن عاقبتهم صارت إلى الشوآى ، بأن رُسُلهم كانت تأتيهم بالبينات ، وكانوا لا يقبلونها منهم . فعلم أن ما قدّم ذكره في السور يثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر قصة موسى ويوسف عليهما السلام ، ومحيطهما بالبينات ، ومخالفتهم حكمها ، إلى أن قال تعالى : ﴿ الذين يحادلون في آيات الله بنير سلطانٍ أتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله

(١) م : سيلا

(٢) م : دلالة

على كل قلب متكبر جبار ﴿ . فأخبر أن جدّهم في هذه الآيات لا يقع بحجة ، وإنما يقع عن جهل ، وأن الله يطبعُ على قلوبهم ، ويصرفهم عن تفهم وجه البرهان ، لجحودهم وعنادهم واستكبارهم .

ثم ذكر كثيراً من الاحتجاج على التوحيد ، ثم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَمْحَدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ ﴾ .

ثم بين هذه الجملة ، وأن من آياته الكتاب ، فقال : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ . إلى أن قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

فدل على أن الآياتِ على ضربين : أحدهما كالمجرات التي هي أدلة^(١) في دار التكليف . والثاني الآيات التي ينقطع عنها المنزّر ، ويقعُ عندها العلمُ الضروري ، وأنها إذا جاءت ارتفع التكليفُ ، ووجب الإهلاكُ . إلى أن قال تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ . فأعلمنا أنه قادر على هذه الآيات ، ولكنه إذا أقامها زال التكليف ، وحقّت العقوبةُ على الجاحدين .

وكذلك ذكر في ﴿ حَمَّ ﴾ السجدة^(٢) على هذا المنهاج الذي شرحنا ، فقال عز وجل : ﴿ حَمَّ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ . فلولا أنه جملة

(١) ١ ، م : « الأدلة »

(٢) هي سورة : فصلت

برهاناً لم يكن بشيراً ولا نذيراً. ولم يَخْتَلِفْ بأن يكون عريياً مفصلاً
أو بخلاف^(١) ذلك.

ثم أخبر عن جحودهم وقلة قبولهم، بقوله تعالى: ﴿فَاعْرَضْ أَكْثَرَهُمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾. ولولا أنه حجة لم يضرهم الإعراض عنه.
وليس لقائل أن يقول: قد يكون حجةً ولكن^(٢) يحتاج في كونه
حجةً إلى دلالة أخرى، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم حجة،
ولكنه يحتاج إلى دلالة على صدقه وصحة نبوته.

وذلك: أنه إنما احتج عليهم بنفس هذا التنزيل، ولم يذكر
حجةً غيره.

وبين ذلك: أنه قال عقيب هذا: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ
إِلَيَّ﴾. فأخبر أنه مثلهم لولا الوحي.

ثم عطف عليه بحمد المؤمنين به المصدقين له، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾. ومعناه الذين آمنوا بهذا
الوحي والتنزيل وعرفوا هذه الحجة.

ثم تصرف في الاحتجاج على الوحداية والقدرة، إلى أن قال:
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾.
فتوعدهم بما أصاب من قبلهم من المكذبين بآيات الله من قوم عاد.

(١) أ م: «خلاف»

(٢) س: «ويحتاج»

ونمود في الدنيا . ثم تَوَعَّدَم بأمر الآخرة ، فقال : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ، إلى انتهاء ما ذكره فيه .

ثم رجع إلى ذكر القرآن فقال : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

ثم أثنى بعد ذلك على من تلقاه بالقبول ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا ﴾ . ثم قال : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وهذا ينبه على أن النبي صلى الله عليه وسلم يعرف إعجاز القرآن ، وأنه دلالة له على جهة الاستدلال ؛ لأن الضروريات لا يقع فيها نزغُ الشيطان . ونحن نبين ما يتعلق بهذا الفصل في موضعه .

ثم قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ ، إلى أن قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِ كُرِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ . وهذا وإن كان متأولاً على أنه لا يوجد فيه غيرُ الحق مما يتضمنه من أقاصيص الأولين وأخبار المرسلين ، وكذلك لا يوجد خُلفٌ فيما يتضمنه ^(١) من الأخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أنبأ أنها تقع في الآتي — : فلا يخرج عن أن يكون متأولاً على ما يقتضيه نظام الخطاب ، من أنه لا يأتيه ما يطله من شبهة سابقة

آياته ، وعَلِمَ من أعلامه ، وأن ذلك يكفي في الدلالة ، وقوم مُقَامِ
معجزاتٍ غيرِهِ وآياتٍ سواءٍ من الأنبياء ، صلوات الله عليهم .

ويدلُّ عليه قوله عز وجل : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده
ليكون للعالمين نذيراً ، الذي له مُلْكُ السموات والأرض ﴾ ^(١) .

ويدل عليه قوله : ﴿ أم يقولون افتَرى على الله كذباً ، فإن يشأ الله
يُخَيِّمَ على قلبك ، وَيَمْحُوْهُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقِّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ ^(٢) .

فدل على أنه جعل قلبه مُستودعاً لوحيه ، ومستنزلاً لكتابه ، وأنه
لو شاء صرف ذلك [عنه] إلى غيره . وكان له حكم دلالاته على تحقيق
الحق وإبطال الباطل مع صرفه عنه . ولذلك أمثلة كثيرة تدل على
نحو الدلالة التي وصفناها .

فبان بهذا وينظائرهُ ^(٣) ما قلناه ، من أن بناء نبوته صلى الله عليه وسلم
على دلالة القرآن ومعجزته ، وصار له من الحكم في دلالاته على نفسه
وصدقه أنه يمكن أن يعلم أنه كلام الله تعالى ، وفارق حكمه حكم غيره
من الكتب المنزلة على الأنبياء ؛ لأنها لا تدل على أنفسها إلا بأمر زائد
عليها ، ووصف مُنْصَافٍ ^(٤) إليها ؛ لأن نظمها ليس معجزاً ^(٥) ، وإن

(١) سورة الفرقان — ١ و ٢

(٢) سورة الشورى — ٢٤

(٣) ١ : « بها وينظائرهما »

(٤) س : « مضاف »

(٥) م : « بمعجز »

كان ما تضمنه^(١) من الأخبار عن الغيوب^(٢) معجزاً :

وليس كذلك القرآن ؛ لأنه يشاركها في هذه الدلالة ، ويزيد عليها في أن نظمه معجز ، فيمكن أن يستدل به عليه ، وحلّ في هذا من وجهٍ محلّ سماع الكلام من القديم سبحانه وتعالى ؛ لأن موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم أنه في الحقيقة كلامه .

وكذلك من يسمع القرآن يعلم أنه كلام الله ، وإن اختلف الحال في ذلك من بعض الوجوه ؛ لأن موسى عليه السلام سمعه من الله عز وجل ، وأسمعه نفسه متكلماً ، وليس كذلك الواحد منّا . وكذلك قد يختلفان في غير هذا الوجه ، وليس ذلك قصداً بالكلام في هذا الفصل .

والذي نرويه الآن ما يتناهى من اتّفاقهما في المعنى الذي وصفنا ، وهو : أنه عليه السلام يعلم أن ما يسمعه كلام الله من جهة الاستدلال ، وكذلك نحن نعلم ما نقرؤه^(٣) من هذا على جهة الاستدلال .

(١) م : « يتضمنه »

(٢) م : « عن الغائبات والغيوب »

(٣) م ، ا : « ما نعلمه »

فصل

في [بيان وجه] الدلالة على أن القرآن معجزٌ

قد ثبت بما بيننا في الفصل الأول أن نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم مبنية على دلالة معجزة القرآن، فيجب أن نبين وجه الدلالة من ذلك :
قد ذكر العلماء أن الأصل في هذا : هو أن يُعلم أن القرآن، الذي هو متلوٌّ محفوظ مرسومٌ في المصاحف، هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه هو الذي تلاه على من في عصره ثلاثاً وعشرين سنة .
والطريق إلى معرفة ذلك هو النقل المتواتر، الذي يقع عنده العلم الضروري به .

وذلك أنه قام به في المواقف، وكتب به إلى البلاد، وتحمله عنه إليها من تابعه، وأورده على غيره ممن لم يتابعه . حتى ظهر فيهم الظهور الذي لا يشتبه على أحدٍ ولا يخيل أنه قد خرج من آتى بقرآن يتلوه ويأخذه على غيره ويأخذ غيره على الناس، حتى انتشر ذلك في أرض العرب كلها، وتمدّى إلى الملوك المُصَابَةِ لهم، كلك الروم والمجم والقيط والحبش، وغيرهم من ملوك الأطراف .

ولما ورد ذلك مضاداً لأديان أهل ذلك العصر كلهم، ومخالفاً لوجوه اعتقاداتهم المختلفة في الكفر؛ وقف جميع أهل الخلاف على جلته، ووقف جميع أهل دينه الذين أكرمهم الله بالإيمان على جلته

وتفاصيله، وتظاهر بينهم، حتى حفظه الرجال، وتنقلت به الرِّحَال، وتعلمه الكبير والصغير. إذ كان عمدة دينهم، وعلماً عليه، والمفروض تلاوته في صلواتهم، والواجب استماله في أحكامهم. ثم تناقله خلفه عن سلفه^(١) مثلهم في كثرتهم وتوفر دواعيهم على نقله، حتى انتهى إلينا، على ما وصفناه من حاله.

فلن يتشكك أحد، ولا يجوز أن يتشكك، مع وجود هذه الأسباب، في أنه آتى بهذا القرآن من عند الله تعالى. فهذا أصل. وإذا ثبت هذا الأصل وجوداً، فإننا نقول: إنه تحدّث إلى^(٢) أن يأتوا بمثله، وقرّعهم على ترك الإتيان به، طول السنين التي وصفناها، فلم يأتوا بذلك. [وهذا أصل ثان].

والذي يدل على هذا الأصل: أننا قد علمنا أن ذلك مذكور في القرآن في المواضع الكثيرة، كقوله: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾^(٣).

وكقوله: ﴿أم يقولون افتراه، قل فاتوا بمسورةٍ مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن

(١) ١: «عن سلفهم»

(٢) ١: «على»

(٣) سورة البقرة - ٢٣ و ٢٤

لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ، وَأَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَهَلْ
أَنتُمْ مُسْلِمُونَ^(١).

فَجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه منه ، ودليلاً على
وحدانيته .

وذلك يدل عندنا على بطلان قول من زعم أنه لا يمكن أن تعلم
بالقرآن الوحدانية ، وزعم أن ذلك مما لا سبيل إليه إلا من جهة
العقل ؛ لأن القرآن كلام الله عز وجل ، ولا يصح أن يعلم الكلام
حتى يُعلم المتكلم أولاً .

فقلنا : إذا ثبت بما نبينُه إعجازه ، وأن الخلق لا يقدرُونَ عليه ، ثبت
أن الذي أتى به غيرهم ، وأنه إنما يختصُّ بالقدرة عليه من يختصُّ
بالقدرة عليهم ، وأنه صدق . وإذا كان كذلك كان ما يتضمنه صدقاً ،
وليس إذا أمكن معرفته من جهة العقل امتنع أن يُعرف من [طريق
القرآن ، بل يمكن عندنا أن يُعرف من] الوجهين .

وليس الغرضُ تحقيقَ القول في هذا الفصل ؛ لأنه خارج عن
مقصود كلامنا ، ولكننا ذكرناه من جهة دلالة الآية عليه .

ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على
أن يأتوا ببَئِثِ هذا القرآن لا يأتونَ بِبَئِثِهِ ولو كان بعضهم لبعضِ
ظَهِيراً^(٢) ۝ ﴾ . وقوله : (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ، بل لا يؤمنون . فليأتوا

(١) سورة هود - ١٣ و ١٤

(٢) سورة الإسراء - ٨٨

بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين^(١) . فقد ثبت بما بيناه أنه تحدّاهم إليه ، ولم يأتوا بمثله .

وفى هذا أمران : أحدهما التحدى إليه . والآخر أنهم لم يأتوا له بمثل^(٢) . والذي يدل على ذلك النقلُ المتواتر الذى يقعُ به العلمُ الضرورى ، فلا يمكن جحودُ واحدٍ من هذين الأمرين .

وإن قال قائل : لعله لم يقرأ عليهم الآيات التى فيها ذكرُ التحدى ، وإنما قرأ عليهم ما سوى ذلك من القرآن — : كان ذلك قولاً باطلاً ، يُعلمُ بطلانه بمثل^(٣) ما يُعلمُ به بطلانُ قول من زعم أن القرآن أضعافُ هذا ! وهو يبلغُ جملَ جمل ! وأنه كُتِبَ ، وسيُظهره المهدى !!

أو يدعى أن هذا القرآن ليس هو الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو شيءٌ وضعه عمرُ أو عثمانُ ، رضى الله عنهما ، حيث وُضِعَ^(٤) المصحفُ .

أو يدعى فيه زيادة أو نقصاناً .

وقد ضمنَ الله حفظَ كتابه أن يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه ، ووعدُهُ الحقَّ .

وحكاية قول من قال ذلك يفنى عن الردِّ عليه ، لأنَّ العدَدَ الذين

(١) سورة الطور — ٣٣ و ٣٤

(٢) م : « يأتوا بمثله »

(٣) م : « مثل »

(٤) م : « وضعاً »

أَخَذُوا الْقُرْآنَ فِي الْأَمْصَارِ وَفِي الْبَوَادِي ، وَفِي الْأَسْفَارِ وَالْحَضَرِ ، وَضَبَطُوهُ حِفْظًا ، مِنْ بَيْنِ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ، وَعَرَفُوهُ حَتَّى صَارَ لَا يَشْتَبُهْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ حَرْفٌ — : لَا يَحْزُوزُ عَلَيْهِمُ السُّهُوُّ وَالنَّسْيَانُ ، وَلَا التَّخْلِيضُ فِيهِ وَالْكُتْمَانُ .

وَلَوْ زَادُوا وَتَقَصَّوْا أَوْ غَيَّرُوا لَظَهَرَ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ شِعْرَ امْرِئِ الْقَيْسِ وَغَيْرِهِ — عَلَى أَنَّهُ لَا يَحْزُوزُ أَنْ يَظْهَرَ ظُهُورُ الْقُرْآنِ ، وَلَا أَنْ يُحْفَظَ كَحِفْظِهِ ، وَلَا أَنْ يُضْبَطَ كَضَبْطِهِ ، وَلَا أَنْ تَمَسَّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ لِإِسَاسِهَا^(١) إِلَى الْقُرْآنِ — لَوْ زِيدَ فِيهِ يَتُّ ، أَوْ تُقِصَّ مِنْهُ يَتُّ ، لَا ، بَلْ لَوْ غَيَّرَ فِيهِ لَفُظَ ، لَتَبَرَّأَ مِنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَأَنْكَرَهُ أَرْبَابُهُ .

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُمْكِنُ [أَنْ يَكُونَ] فِي شِعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ وَنَظَائِرِهِ ، مَعَ أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ تَقَعُ لِحِفْظِ الْمَرِيَّةِ ، فَكَيْفَ يَحْزُوزُ أَوْ يُمْكِنُ مَا ذَكَرُوهُ فِي الْقُرْآنِ ، مَعَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي [الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ] أَصْلُ الدِّينِ ، ثُمَّ فِي الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ ، وَاشْتِمَالِ الْهِمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ عَلَى ضَبْطِهِ :

فَنَهَمَ مِنْ يَضْبِطُهُ لِأَحْكَامِ قِرَائَتِهِ وَمَعْرِفَةِ وَجُوهِهَا وَصَحَّةِ أَدَائِهَا .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْفَظُهُ لِلشَّرَائِعِ وَالْفَقْهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَضْبِطُهُ لِيَعْرِفَ تَقْسِيرَهُ وَمَعَانِيَهُ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْصِدُ بِحِفْظِهِ الْقَصَاحَةَ وَالْبَلَاغَةَ .

ومن الملحدّين من يُحصّله لينظر في عجيب شأنه .

وكيف يجوز على أهل هذه المهم المختلفة والآراء المتباينة ، على كثرة أعدادهم ، واختلاف بلادهم ، وتفاوت أغراضهم — : أن يجتمعوا على التفسير والتبديل والكتمان ؟ !

وبين ذلك : أنك إذا تأملت ما ذكر في أكثر السور مما بيننا ، ومن نظائره في رد قومه عليه ورد غيرهم ، وقولهم ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾^(١) ، [وقول بعضهم إن ذلك سحر] ، وقول بعضهم ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ، إن هذا إلا اختلاق ﴾^(٢) ، إلى الوجوه التي يصرف إليها قولهم في الطعن عليه .

فهم من يستهين بها^(٣) ويجعل ذلك سبباً لتركه الإتيان بمثله .
ومنهم من يزعم أنه مُقتَرى ، فلذلك لا يأتي بمثله .
ومنهم من يزعم أنه دأرس وأنه أساطير الأولين .
وكرهنا أن نذكر كل آية تدل على تحدّيه لتلايق التطويل .
ولو جاز أن يكون بمضه مكتوماً لجاز على كله . ولو جاز أن يكون بمضه موضوعاً لجاز ذلك في كله .
فثبت بما بينناه أنه تحدّاهم به ، وأنهم لم يأتوا بمثله^(٤) ، وهذا الفصل قد بينّا أن الجميع قد ذكروه وبنّوا عليه .

(١) سورة الأنفال — ٣١

(٢) سورة ص — ٧

(٣) ١ ، م : « به »

(٤) م : « وتحلى إليه ... له بمثل »

فلذا ثبت هذا وجب أن يُلمَ بمدّه أن تركهم للإتيان بمثله كان
لمجزم عنه .

والذي يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن : أنه
تحدّاهم إليه حتى طال التحدّي ، وجمله دلالة على صدقه ونبوته ،
وضمّن^(١) أحكامه استباحة دمائهم وأموالهم وسبّ ذريتهم ، فلو كانوا
يقدرّون على تكذيبه لفعّلوا ، وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم وأهلبيهم
وأموالهم من حكمه ، بأمر قريب ، هو عادتهم في لسانهم ، ومألوف من
خطابهم ، وكان ذلك يفيهم عن تكلف القتال ، وإكثار المراء والجدال ،
وعن الجلاء عن الأوطان ، وعن تسليم الأهل والذرية للسبي . فلما لم
تحصل هناك معارضة منهم ، علّم أنهم عاجزون عنها .

يبيّن ذلك أن العدو يقصد لدفع قول^(٢) عدوّه بكل ما قدر عليه
من المكائد ، لا سيما مع استعظامه ما بدّاهه بالمجىء من^(٣) خلق
آلهته ، وتسفيه رأيه في دياتته ، وتضليل آبائه ، والتفريب عليه بما
جاء به ، وإظهار أمر يوجب الاقياد لطاعته ، والتصرف على حكم
إرادته ، والعدول عن إلفه وعادته ، والانخراط في سلك الأتباع بمد أن
كان متبوعاً ، والتشجيع بمد أن كان مُشجّماً ، وتحكيم الغير في ماله ،
وتسليطه إياه على جملة أحواله ، والدخول تحت تكاليف شاقة ،

(١) س : « وتضمن »

(٢) ١ : « لقول »

(٣) ١ : « مع »

وعباداتٍ مُتَّعِبَةٍ ، بقوله . وقد علم أن بعض هذه الأحوال مما يدعو إلى سلب النفوس دونه .

هذا ، وَالْحَمِيَّةُ حَمِيَّتُهُمْ ، والهمم الكبيرة همهم ، وقد بذلوا له السيف فَأَخْطَرُوا^(١) بنفوسهم وأموالهم . فكيف يجوز أن لا يتوصلوا إلى الرد عليه وإلى تكذيبه بأهون سعيهم ومألوف أمرهم ، وما يمكن تناوله من غير أن يرق فيه^(٢) جبن ، [أو يقطع دونه وَتَيْنٌ] ، أو يشتغل به خاطر ، وهو لسانهم الذى يتخاطبون به ، مع بلوغهم فى الفصاحة النهاية التى ليس وراءها مُتَطَلِّعٌ ، والرتبة التى ليس فوقها^(٣) مَنَزَعٌ ١٢

ومعلوم أنهم لو عارضوه بما تحدّاهم إليه لكان فيه توهينُ أمره ، وتكذيبُ قوله ، وتفريقُ جمعه ، وتشيتُ أسبابه ، وكان من صدق به يرجع على أعقابهِ ، ويمود فى مذهب أصحابهِ .

فلما لم يفعلوا شيئاً من ذلك ، مع طول المدة ، ووقوع الفُسْحَةِ ، وكان أمره يتزايد حالاً خالاً ، ويملو شيئاً فشيئاً ، وهم على المعجز عن القدح فى آيته ، والظمن [بما يؤثّر] فى دلالاته — : عُلِمَ مما^(٤) يتناهم كانوا لا يقدرّون على ممارسته ، ولا على توهين حجتِهِ .

(١) س : « وأخطروا »

(٢) ١ ، م : « له »

(٣) س : « مطلع . . . وراءها »

(٤) ١ ، م : « بما »

وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم ﴿قَوْمٌ خَصِيمُونَ﴾^(١) ، وقال :
﴿وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾^(٢) ، وقال : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ
خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾^(٣) .

وعلم أيضاً ما كانوا^(٤) يقولونه من وجوه اعتراضهم على القرآن ،
مما حكى الله عز وجل عنهم من قولهم : ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن
هذا إلا أساطيرُ الأولين﴾^(٥) ، وقولهم : ﴿ما هذا إلا سحرٌ مُفْتَرَى ،
وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾^(٦) ، وقالوا : ﴿يا أيها الذي نُزِّلَ عليه
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(٧) ، وقالوا : ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ﴾^(٨) ،
وقالوا : ﴿أَنْتِنَا لَنَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾^(٩) ، وقال : ﴿وقال الذين
كفروا : إن هذا إلا إفكٌ افتراءٌ وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا
ظُلماً وزوراً ، وقالوا : أساطيرُ الأولين اكتبها فهي تُنلى عليه بُكَرَةً

(١) سورة الزخرف — ٥٨

(٢) سورة مريم — ٩٧

(٣) سورة النحل — ٤

(٤) من : « أن ما كانوا »

(٥) سورة الأنفال — ٣١

(٦) سورة القصص — ٣٦

(٧) سورة الحجر — ٦

(٨) سورة الأنبياء — ٣

(٩) سورة الصافات — ٣٦

وَأَمِيلًا^(١)، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ: إِنَّ تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٢)،
وقوله: ﴿الَّذِينَ جَمَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾^(٣).

إلى آيات كثيرة في نحو هذا ، تدل على أنهم كانوا متحيرين في
أمرهم ، متعجبين من عجزهم ، يفزعون إلى نحو هذه الأمور : من تعليل
وتمذير ، ومدافعة بما وقع التحدى إليه ، ووجد^(٤) الحث عليه .
وقد علم منهم أنهم ناصبوه الحرب ، وجَاهَدُوهُ^(٥) وناذبوه ،
وقطموا الأرحام ، وأخطروا بأنفسهم ، وطالبوه بالآيات والإتيان
[بالملائكة] وغير ذلك من المعجزات ، يريدون تمييزه ليُظهرُوا عليه
بوجه من الوجوه .

فكيف يجوز أن يقدروا على ممارسته القرية المهلة عليهم — وذلك
يَدْحَضُ حُجَّتَهُ ، ويُسَدُّ دَلَالَتَهُ ، ويَظِلُّ أَمْرَهُ — : فيعدلون عن ذلك
إلى سائر ما صاروا إليه من الأمور التي ليس عليها مزيد في المناظرة
والمعاداة ، ويتركون الأمر الخفيف ؟

هذا مما يمتنع وقوعه في المادات ، ولا يجوز اتفاهه^(٦) من المقلاء .
وإلى هذا [الموضع] قد استقصى أهلُ العلم الكلام ، وأكثروا
في هذا المعنى وأحكموه .

(١) سورة الفرقان — ٤ و ٥

(٢) سورة الفرقان — ٨

(٣) سورة الحجر — ٩١

(٤) من : « وعرف »

(٥) من : « جَاهَرُوهُ »

(٦) من : « اتفاهه »

ويمكن أن يقال : إنهم لو كانوا قادرين على ممارسته والإتيان بمثل ما أتى به ، لم يجوز أن يتفق منهم تركُ الممارسة ، وهم على ما هم عليه من الذرابة والسَّلافة^(١) ، والمعرفة بوجود الفصاحة ، وهو يستطيل عليهم بأنهم عاجزون عن مباراته ، وأنهم يَضْمُقُونَ عن مجاراته ، ويكررون^(٢) فيما جاء به ذكرَ عجزهم عن مثل ما أتى به ، ويقرّعون ويؤنّبهم عليه ، ويُدرِكُ آماله فيهم ، وينجح ما سعى له في تركهم^(٣) الممارسة .

وهو يذكر فيما يتلوه تعظيم شأنه ، وتقخير أمره ، حتى يتلو قوله تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعتِ الإنسُ والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ ولقد آتيناك سبباً من المثاني والقرآن العظيم ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له

(١) في اللسان ١٢ - ٢٥ : « وسلقه بلسانه يسلقه سلقاً : أسمعه ما يكره فأكثر ، وسلقه بالكلام سلقاً : إذا آذاه ، وهو شدة القول باللسان ، وفي التنزيل : سلقومك باللسنة حداد : أى بالغوا فيكم بالكلام وخصمكم في الغنيمة أشدّ خاصمة وأبلغها »

(٢) م ، ١ ، « وتكرر »

(٣) س : « ما يسعى له يتركهم »

(٤) سورة الإسراء - ٨٨

(٥) سورة النحل - ٢

(٦) سورة الحجر - ٨٨

لَحَافِظُونَ^(١)، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾^(٢)،
 وقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
 كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ
 جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٤).

إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن تعظيم شأن القرآن . فنها
 ما يتكرر في السورة في مواضع منها، ومنها ما ينفرد فيها . وذلك مما
 يدعوهم إلى المباراة، ومحضهم على المصارعة، وإن لم يكن متحدًا إلى .
 ألا ترى أنهم قد ينافرُ شعراؤهم بعضهم بعضاً ؟ ولهم في ذلك
 مواقفٌ معروفة ، وأخبارٌ مشهورة ، وآثارٌ منقولة مذكورة^(٥) .
 وكانوا يتنافسون على الفصاحة والخطابة والدَّلالة ، ويتبجحون بذلك ،
 ويتفاخرون بينهم . فلن يجوزَ والحال هذه أن يتأفلخوا عن معارضته
 لو كانوا قادرين عليها ، تحدّاهم أو لم يتحدّهم إليها .
 ولو كان هذا القليل مما يَقْدِرُ عليه البشرُ ، لوجب في ذلك أمرٌ
 آخر ، وهو أنه لو كان مقدورًا للعباد لكان قد اتَّفَقَ إلى وقت مبعثه
 من هذا القليل ما كان يمكنهم أن يمارضوه به ، وكانوا لا يفتخرون إلى
 تكلف وضعه ، وتعمل نظمه في الحال .

(١) سورة الحجر — ٩

(٢) سورة الزخرف — ٤٤

(٣) سورة البقرة

(٤) سورة الزمر — ٢٣

(٥) س : « وأيام منقولة وكانوا »

فلما لم نرهم احتجوا عليه بكلام سابق ، وخطبة متقدمة ، ورسالة سالفة ، ونظم بديع ، ولا عارضوه به فقالوا : هذا أضحى مما جئت به وأغرب منه أو هو مثله - : عُلِمَ أنه لم يكن إلى ذلك سبيل ، وأنه لم يوجد له نظير .

ولو كان وجد له مثل لكان يُنقل إلينا ، ولمرفناه . كما نُقل إلينا أشعارُ أهل الجاهلية وكلامُ الفصحاء والحكام من العرب ، وأدبى إلينا كلامُ الكهان وأهل الرجز والسجع والقصيد وغير ذلك من أنواع بلاغاتهم وصنوف فصاحتهم .

فإن قيل : الذي بُنى عليه الأمر في تثبيت معجزة القرآن : أنه وقع التحدى إلى الإتيان بمثله ، وأنهم عجزوا عنه بعد التحدى إليه . فإذا نظر الناظر وعرف وجه النقل المتواتر في هذا الباب ، وجب له العلم بأنهم كانوا عاجزين عنه . وما ذكرتموجبُ سقوط تأثير التحدى ، وأن ما أتى به قد عُرف المعجزُ عنه بكل حال .

قيل : إنما احتيج إلى التحدى لإقامة الحجة وإظهار وجه البرهان [على الكافة] ، لأن المعجزة إذا ظهرت فإنما تكون حجةً بأن يدعيها من ظهرت عليه ، ولا تظهر على مدّعي لها إلا وهي معلومة أنها من عند الله . فإذا كان يظهر وجه الإعجاز فيها للكافة بالتحدى وجب فيها التحدى ، لأنه يزول بذلك الشبهة عن الكل ، وينكشف للجميع أن

المعجز واقع عن المعارضة . وإلا كان^(١) مقتضى ما قدّمناه من الفصل
أَنَّ من كان يعرف وجوه الخطاب ، وَيَقْتَنُ في مصارف^(٢) الكلام ،
وكان كاملاً في فصاحته ، جامعاً للمعرفة بوجوه الصناعة — : لو أنه
احتجّ عليه بالقرآن ، وقيل له : إن الدلالة على النبوة والآية للرسالة
ما تلوّثه عليك^(٣) منه ، لكان ذلك بالغا^(٤) في إيجاب الحجة [عليه] ،
وعلماً في إلزامه فرض المصير إليه .

ومما يؤكد هذا : أن النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الآحاد إلى
الإسلام ، محتجاً عليهم بالقرآن . لأننا نعلم ضرورة [أنه] لم يلزمهم
تصديقّه تقليداً ، ونعلم أن السابقين الأولين إلى الإسلام لم يقلدوه ،
وإنما دخلوا على بصيرة . ولم نعلمه قال لهم : ارجعوا إلى جميع الفصحاء
فإن عجزوا عن الإتيان بمثله فقد ثبتت حجتي .

بل لما رآهم يعلمون إعجازه ، ألزمهم حكمه : قبلوه ، وتابعوا
الحق وبادروا إليه مستسلمين ، ولم يشكّوا في صدقه ، ولم يرتابوا في
وجه دلالته .

فن كانت بصيرته أقوى ، ومعرفته أبلغ ، كان إلى القبول منه

(١) س : « وإلا فأن »

(٢) س : « ويتقن مصارف »

(٣) س : « على الرسالة ما أتلوه »

(٤) س : « بلاغاً »

أسبق . ومن اشتبه عليه وجه الإعجاز ، أو خفي ^(١) عليه بمض' شروط المعجزات وأدلة النبوات ، كان أبطأ إلى القبول ، حتى تكاملت أسبابه ، واجتمعت له بصيرته ، وترادفت عليه مواده .

وهذا فصل يجب أن يتم القول فيه [من] بعد ، فليس هذا بموضع له .

وبين ما قلناه : أن هذه الآية علم يلزم الكل قبوله والالتياذ له ؛ وقد علمنا تفاوت الناس في إدراكه ، ومعرفة وجه دلالاته . لأن الأعجمي لا يعلم أنه معجز إلا بأن يعلم عجز العرب عنه ، وهو يحتاج في معرفة ذلك إلى أمور لا يحتاج إليها من كان من أهل صنعة الفصاحة . فإذا عرف عجز أهل الصنعة حلّ علمهم وجرى مجراهم في ^(٢) توجه الحجة عليه .

وكذلك لا يعرف المتوسط من أهل اللسان ، من هذا الشأن ، ما يعرفه العالي في هذه الصنعة . فربما حل في ذلك محل الأعجمي ، في أن لا توجه عليه الحجة حتى يعرف عجز المتأخر في الصنعة عنه .

وكذلك لا يعرف المتأخر في معرفة الشعر وحده ، أو الغاية في معرفة الخطب أو الرسائل وحدها — [من] غور هذا الشأن — ما يعرف من استكمل معرفة جميع تصاريف الخطاب ووجوه

(١) س : « واشتبه »

(٢) ١ : « مقي »

الكلام وطرق البراعة . فلا تكونُ الحجةُ قائمةً على المختصِّ يعض هذه العلوم باقترادها : دون تحققة لمعجز^(١) البارع في هذه العلوم كلها عنه .

فأما مَنْ كان متناهِياً في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها إظهارُ الفصاحة ، فهو متى سمع القرآن عرف إعجازه . وإن لم يقل ذلك أدى هذا القول إلى أن يقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف إعجاز القرآن حين أوحى إليه ، حتى سبر الحال بمعجز أهل اللسان عنه ! وهذا خطأ من القول .

فصح من هذا الوجه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أوحى إليه القرآن عرف كونه معجزاً ، أو عرف — بأن^(٢) قيل له : إنه دلالة وعلم على نبوتك . — أنه كذلك ، من قبل أن يقرأ على غيره أو يتحدث إلى إليه سواء .

ولذلك قلنا : إن المتناهي في الفصاحة والعلم بالأساليب التي يقع فيها التفاسح ، متى سمع القرآن عرف أنه معجز . لأنه يعرف من حال نفسه أنه لا يقدر عليه ، وهو يعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه ، فيعلم أن عجز غيره كمعجزه هو . وإن كان يحتاج بعد هذا إلى

(١) من : « معجز »

(٢) من : « معجزاً ، وبأن قيل ،

استدلال آخر على أنه علم على نبوته ، ودلالة على رسالته^(١) بأن يقال له :
إن هذه آية لنبى ، وإنها^(٢) ظهرت عليه ، وأدعاها معجزة له ، وبرهاناً
على صدقه .

فإن قيل : فإن من الفصحاء من يعلم عجز نفسه عن قول الشعر ، ولا
يعلم مع ذلك عجز غيره عنه . فكذلك البليغ ، وإن علم عجز نفسه عن
مثل القرآن ، فهو قد يخفى عليه عجز غيره .

قيل : هو مع مستقرّ العادة . وإن عجز عن قول الشعر ، وعلم أنه
مفهم ، فإنه يعلم أن الناس لا ينفكون من وجود الشعراء فيهم .

ومتى علم البليغ المتناهى فى صنوف البلاغات عجزه عن القرآن ، علم
عجز غيره عنه . وأنه كهو . لأنه^(٣) يعلم أن حاله وحال غيره فى هذا
الباب سواء . إذ ليس فى العادة مثل للقرآن يحوز أن^(٤) يعلم قدرة أحد
من البلغاء عليه . فإذا لم يكن لذلك مثل فى العادة — وعرف هذا الناظر
جميع أساليب الكلام ، وأنواع الخطاب ، ووجد القرآن مبايناً لها —
علم خروجه عن العادة ، وجرى مجرى ما يعلم أن إخراج اليد البيضاء
من الجيب خارج عن العادات ، فهو لا يحوزه من نفسه ، وكذلك
لا يحوز وقوعه من غيره ، إلا على وجه تقضى العادة ، بل يرى وقوعه

(١) س : « على نبوة . . . على رسالة »

(٢) س : « لنبىه وإنما »

(٣) س : « غيره لأنه كهو لأنه »

(٤) س : « للقرآن يحوز أو »

موقع المعجزة . وهذا وإن كان يفارق فلق البحر ، وإخراج اليد البيضاء ، ونحو ذلك من وجه ، فهو ^(١) أنه يستوى الناس في معرفة عجزهم عنه ، بكونه ^(٢) ناقضاً للعادة ، من غير تأمل شديد ولا نظير بعيد . فإن النظر في معرفة إعجاز القرآن يحتاج إلى تأمل ، ويفتقر إلى مراعاة مقدمات ، والكشف عن أمور نحن ذاكروها بمد هذا الموضع . فكل واحد منهما ^(٣) يؤول إلى مثل حكم صاحبه ، في الجمع الذي قدمناه .

وبما يبين ما قلناه :— من أن البليغ المنتهى في وجوه الفصاحة يعرف إعجاز القرآن ، وتكون معرفته حجة عليه ، إذا تحدى إليه وعجز عن مثله ، وإن لم ينتظر وقوع التحدى في غيره ، وما الذي يصنع ذلك بالغير .— فهو ما روى في الحديث أن جبير بن مطعم ورد على النبي صلى الله عليه وسلم في معنى حليف له ، أراد أن يفاديه ، فدخل والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ في صلاة الفجر ، قال : فلما انتهى إلى قوله : ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ ، ما له من دافع ، قال : خشيت أن يدركني العذاب . فأسلم .

وفي حديث آخر : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع سورة ﴿ طه ﴾ فأسلم .

(١) س : « وهو أنه »

(٢) س : « فكونه »

(٣) س : « منها »

وقد روى أن قوله عز وجل في أول ﴿حَم﴾ السجدة إلى قوله :
﴿فَأَعْرِضْ أَكْثَرُهُمْ فَهَم لَا يَسْمَعُونَ﴾^(١) نزلت في شيبة وعتبة ابني
ريعة ، وأبي سفيان بن حرب ، وأبي جهل . وذكر أنهم بعثوا م
وغيرهم من وجوه قريش ، بعثة بن ريعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
ليكلمه ، وكان حسن الحديث ، عجيب البيان^(٢) ، يبلغ الكلام ،
وأرادوا أن يأتيهم بما عنده ، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة ﴿حَم﴾
السجدة ، من أولها حتى انتهى إلى قوله : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ
صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُودٍ﴾ ، فوثب غافة المذاب ، فاستحكوه
ماسم ، فذكر أنه لم يفهم^(٣) منه كلمة واحدة ، ولا اهتدى لجوابه .
ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم يخف عليه وجه الاحتجاج والرد .
فقال له عثمان بن مظعون : لتعلموا أنه من عند الله ، إذ لم يهتد لجوابه .
وأبين من ذلك قول الله عز وجل : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ، حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَا آمَنَهُ﴾^(٤) . فجعل
سماعه حجة عليه بنفسه ، فدل على أن فهم من يكون سماعه إياه
حجة عليه .

فإن قيل : لو كان [كذلك] على ما قلتم ، لوجب أن يكون حال

(١) سورة فصلت ٤

(٢) من : «عجيب الشأن»

(٣) من : «لم يسمع»

(٤) سورة التوبة ٦

الفصحاء الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة واحدة في إسلامهم عند سماعه .

قيل له : لا يجب ذلك ؛ لأن صَوَارِفَهُمْ كانت كثيرة ، منها أنهم كانوا يشكون : فقيهم^(١) من يشك في إثبات الصانع ، وفيهم من يشك في التوحيد ، وفيهم من يشك في النبوة . ألا ترى أن أبا سفيان بن حرب ، لما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم عام الفتح ، قال له النبي عليه السلام : أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : بلى . فشهد . قال : أما آن لك أن تشهد أني رسول الله ؟ قال : أما هذه ففي النفس منها شيء ١٩ .

فكانت وجوه شكوكهم مختلفة ، وطرق شبههم متباينة : فمنهم من قَلَّتْ شبهه ، وتأمل الحجة حق تأملها ولم يستكبر ، فأسلم . ومنهم من كثرت شبهه ، أو أعرض^(٢) عن تأمل الحجة حق تأملها ، أو لم يكن في البلاغة على حدود النهاية ، فتطاول عليه الزمان إلى أن نظر واستبصر ، وراعى واعتبر ، واحتاج إلى أن يتأمل^(٣) عَجَزَ غيره عن الإتيان بمثله ، فلذلك وقف أمره .

ولو كانوا في الفصاحة على مرتبة واحدة ، وكانت صواريفهم وأسبابهم متفقة — لتوافوا إلى القبول جملة واحدة .

(١) م : « يشكون منهم »

(٢) م ، س : « وأعرض »

(٣) م : « إلى تأمل »

فإن قيل : فكيف يعرف البليغ الذى وصفتموه إعجاز القرآن ؟ وما الوجه الذى يتطرق به إليه ، والمنهاج الذى يسلكه ، حتى يقف به على جليلة الأمر فيه ؟ قيل : هذا سيبله أن يفرد له فصل .

• • •

فإن قيل : فلم زعمتم أن البلغاء عاجزون عن الإتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف البلاغات ، وتصرفهم فى أجناس الفصاحات ؟ وهؤلاء قلتم : إن من قدر على جميع هذه الوجوه البديعة بوجه^(١) من هذه الطرق الغريبة ، كان على مثل نظم القرآن قادراً ، وإنما يصرفه الله عنه ضرباً من الصرف ، أو يمنعه من الإتيان بمثله ضرباً من المنع ، أو تقصر دواعيه [إليه] دونه ، مع قدرته عليه ، ليتكامل ما أراد الله من الدلالة ، ويحصل ما قصده من إيجاب الحجة ، لأن من قدر على نظم كلمتين بديعتين ، لم يعجز عن نظم مثلهما ، وإذا قدر على ذلك قدر على ضم الثانية إلى الأولى ، وكذلك الثالثة ، حتى يتكامل قدر الآية والسورة ؟ فالجواب أنه لو صح ذلك لصح لكل من أمكنه نظم رباع بيت ، أو مصراع من بيت ، أن ينظم القصائد ويقول الأشعار ، وصح لكل ناطق ، قد يتفق فى كلامه الكلمة البديعة ، نظم الخطب البليغة والرسائل المعجبية ! ومعلوم أن ذلك غير مأتى ولا يمكن .

على أن ذلك لو لم يكن معجزاً على ما وصفناه من جهة نظمه

المتنع ، لكان مها حط من رتبة البلاغة فيه ، ومنع^(١) من مقدار
الفصاحة في نظمه ، [كان] أبلغ في الأعجوبة^(٢) ، إذا صرفوا عن
الإتيان بمثله ، ومنموا من^(٣) معارضته ، وعدلت دواعيهم عنه ، فكان
يستغنى عن إنزاله على النظم البديع ، وإخراجه في^(٤) للمعرض الفصيح
العجيب .

على أنه لو كانوا صرفوا على ما ادعاه ، لم يكن من قبلهم من أهل
الجاهلية مصروفين عما كان يمدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن
النظم وعجيب الرصف ، لأنهم لم يتحدثوا إليه ، ولم تلزمهم حجته .
فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله ، علم أن ما ادعاه القائل بالصرف
ظاهر البطلان .

وفيه معنى آخر : وهو أن أهل الصنعة في هذا الشأن إذا سموا
كلاماً مطعماً ، لم يخفَ عليهم ولم يشتبه لديهم .
ومن كان متناهماً في فصاحته لم يحز أن يطمع في مثل هذا
القرآن بحال .

فإن قال صاحب السؤال : إنه قد يطمع في ذلك . قيل له : أنت
تريد على هذا فتزعم أن كلام الأدي قد يضارع القرآن ، وقد يزيد

(١) م : « وضع »

(٢) م : « في العجوبة »

(٣) م : « عن »

(٤) م : « على »

عليه في الفصاحة ولا يتحاشاه، ومحسب أن ما ألفه^(١) في الجزء والطفرة هو أبداع وأغرب من القرآن لفظاً ومعنى ! ولكن ليس الكلام على ما يقدره مقدر في نفسه، ومحسبه ظان من أمره، والمرجوع في هذا إلى جملة الفصحاء دون الأفراد. ونحن نبين بمد هذا وجه امتناعه عن الفصيح البليغ، ونغيزه في ذلك عن سائر أجناس الخطاب، ليعلم أن ما يقدره من مساواة كلام الناس به تقدير ظاهر الخطأ بين النلط، وأن هذا التقدير من جنس من حكى الله تعالى قوله في محكم كتابه : ﴿إِنَّهُ فَعَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^(٢). فهم يعبرون عن دعواهم — أنهم يمكنهم أن يقولوا مثله — وأن^(٣) ذلك من قول البشر، لأن ما كان من قولهم فليس يقع فيه التفاصل إلى الحد الذي يتجاوز إمكان معارضته.

ومما يبطل ماذكروه من القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة — وإنما منع منها الصرفة — لم يكن الكلام معجزاً، وإنما ون المنع هو المعجز^(٤)، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه.

(١) م : « أن ما قد ألفه »

(٢) سورة المدثر ١٨ — ٢٥

(٣) م : « بأن »

(٤) م : « المنع معجزاً »

وليس هذا بأعجب مما ذهب إليه فريق منهم : أن الكل قادرون على الإتيان بمثله ، وإنما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيبه لو تعلموه لوصلوا إليه به .

ولا بأعجب من قول فريق منهم : إنه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب ، وإنه يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد .

• • •

فإن قيل : فهل تقولون بأن غير القرآن من كلام الله عز وجل معجز ، كالنوراة والإنجيل والصحف ؟

قيل : ليس شيء من ذلك بمعجز^(١) في النظم والتأليف ، وإن كان معجزاً كالقرآن فيما يتضمن من الإخبار عن الغيوب^(٢) .

وإنما لم يكن معجزاً لأن الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ، ولأننا قد علمنا أنه لم يقع التحدى إليه كما وقع التحدى إلى القرآن .

ولمخى آخر : وهو أن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ، ما يقع به التفاضل الذى ينتهى إلى حد الإعجاز ، ولكنه يتقارب . وقد رأيت أصحابنا يذكرون هذا فى سائر الألسنة ، ويقولون : ليس

(١) م : « معجز »

(٢) س : « الإخبار بالغيوب »

يقع فيها من التفاوت ما يتضمن التقديم العجيب . ويمكن بيان ذلك بأننا^(١) لا نجد في القدر الذي نعرفه من الألسنة ، للشيء الواحد ، من الأسماء ما نعرف من اللغة ، وكذلك لا نعرف فيها الكلمة الواحدة تناول المعاني الكثيرة على ما تناوله العربية ، وكذلك التصرف في الاستعارات والإشارات ، ووجوه الاستعمالات البديعة ، التي يحى تفصيلها بعد هذا .

ويشهد لذلك من القرآن ، أن الله تعالى وصفه بأنه ﴿ بلسان عربي مبين ﴾^(٢) ، وكرر ذلك في مواضع كثيرة ، ويؤيد أنه رفعه عن أن يجعله أعجمياً .

فلو كان يمكن في لسان العجم إيراد مثل فصاحته ، لم يكن ليرفعه عن هذه المنزلة . وإنه وإن كان يمكن أن يكون من فائدة قوله إنه عربي مبين ، أنه مما يفهمونه ولا يفقهون فيه إلى الرجوع إلى غيرهم ، ولا يحتاجون في تفسيره إلى سوام^(٣) ، فلا يمتنع أن يفيد ما قلناه أيضاً ، كما أفاد بظاهره ما قدمناه .

ويبين ذلك أن كثيراً من المسلمين قد عرفوا تلك الألسنة ، وهم من أهل البراعة فيها ، وفي العربية ، فقد وقفوا على أنه ليس يقع فيها ،

(١) م : « فلنا »

(٢) سورة الشعراء ١٩٥

(٣) م : « إلى من »

من التفاضل والفصاحة، ما يقع في العريية. ومعنى آخر، وهو أنا لم نجد أهل التوراة والإنجيل ادعوا الإعجاز لكتابهم، ولا ادعى لهم المسلمون. فلم أن الإعجاز بما يختص به القرآن .

وبين هذا أن الشعر لا يتأتى في تلك الألسنة، على ما قد اتفق في العريية . وإن كان قد يتفق منها صنف أو أصناف ضيقة، لم يتفق فيها من البديع ما يمكن ويتأتى في العريية . وكذلك لا يتأتى في الفارسية جميع الوجوه التي تنبئ فيها الفصاحة، على ما يتأتى في العريية .

فإن قيل : فإن المجوس تزعم أن كتاب زرادشت، وكتاب ماني معجزان ؟

قيل : الذي يتضمنه كتاب ماني، من طريق التبرنجات، وضروب من الشعوذة، ليس يقع فيها إعجاز . ويزعمون أن في الكتاب الحكم، وهي حكم منقولة، متداولة على الألسن^(١)، لا تختص بها أمة دون أمة، وإن كان بعضهم أكثر اهتماماً بها، وتحصيلاً لها، وجمعاً لأبوابها .

وقد ادعى قوم أن ابن المقفع عارض القرآن، وإنما فزعوا إلى الدرّة واليتيمة . وهما كتابان : أحدهما يتضمن حكماً منقولة، توجد عند

حكاء كل أمة مذكورة بالفضل . فليس فيها^(١) شيء بدیع من لفظ ولا معنى .

والآخر في شيء من الديانات ، وقد تهوَّس فيه بما لا يخفى على متأمل .

وكتابه الذي ينه في الحكم ، منسوخ من كتاب بزرجمهر في الحكمة ، فأى صنع له في ذلك ؟ وأى فضيلة حازها فيما جاء به ؟ وبعد ، فليس يوجد له كتاب يدعى مدع أنه عارض فيه القرآن ، بل يزعمون أنه اشتغل بذلك مدة ، ثم مرق ما جمع ، واستحيا لنفسه من إظهاره . فإن كان كذلك ، فقد أصاب وأبصر القصد ، ولا يتنوع أن يشبه عليه الحال في الابتداء ، ثم يلوح له رشد ، ويتبين له أمره ، وينكشف له عجزه . ولو كان بقى على اشتباه الحال عليه ، لم يخف علينا موضع غفلته ، ولم يشبهه لدينا وجه شبهته .

ومتى أمكن أن تدعى الفرس في شيء من كتبها أنه ممجز في حسن تأليفه وعجيب نظمه ؟

(٢١) م فصل

﴿ في جملة وجوه إعجاز القرآن ﴾

ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز :

أحدهما : يتضمن الإخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه
البشر ، ولا سبيل لهم إليه . فن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه ،
عليه السلام ، أنه سيظهر دينه على الأديان ، بقوله عز وجل : ﴿ هُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ،
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ^(١) ، ففعل ذلك .

وكان أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، إذا أغزى جيوشه
عرفهم ما وعدهم الله ، من إظهار دينه ، ليثقوا بالنصر ويستيقنوا
بالنجاح .

وكان عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، يفعل كذلك في أيامه ،
حتى وقف أصحاب جيوشه عليه ، فكان سعد بن أبي وقاص ، رحمه الله ،
 وغيره من أمراء الجيوش ، من جهته ، يذكر ذلك لأصحابه ، ويحرضهم

به ، ويوثق لهم ؛ وكانوا يُلقون الظفر في مُتَوَجِّهَاتِهِمْ^(١) ، حتى فُتِحَ إلى آخر أيام عمر ، رضى الله عنه ، إلى بَلْخ ، وبلاد الهند ، وفتح في أيامه مرو الشاهجان ، ومرو الروذ ، ومنعهم من العبور إلى جيحون^(٢) ، وكذلك فُتِحَ في أيامه فارس إلى إصطخر^(٣) ، وكرمان ، ومكران ، وسجستان ، وجميع ما كان من مملكة كسرى ، وكل ما كان يملكه ملوك فارس ، بين البحرين من الفرات إلى جيحون ، وأزال ملك ملوك الفرس ، فلم يمد إلى اليوم ، ولا يمود أبداً ، إن شاء الله تعالى ، ثم إلى حدود إرمينية ، وإلى باب الأبواب . وفتح أيضاً ناحية الشام ، والأردن ، وفلسطين ، وقسطاط مصر ، وأزال ملك قيصر عنها ، وذلك من الفرات إلى بحر مصر ، وهو ملك قيصر . وغزت الخيول في أيامه إلى عمورية ، فأخذ الضواحي كلها ، ولم يبق منها^(٤) إلا ما حَجَزَ دونه بحر ، أو حال عنه جبل منيع ، أو أرض خشنة ، أو بادية غير مسلوكة ۞

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

(١) س : « في موجهاتهم »

(٢) س : « بيجيخون »

(٣) ١ : « إلى الإصطخر »

(٤) س : « دونها »

(٥) سورة آل عمران ١٢

وقال في أهل بدر: ﴿وَإِذْ يَمِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ (١).
ووفى لهم بما وعد.

وجميع الآيات التي يتضمنها القرآن ، من الإخبار عن الغيوب ،
يكثر جدًا ، وإنما أردنا أن تنبه بالبعض على الكل .

...

٢. والوجه الثاني ~~بأنه~~ كان معلوماً من حال النبي صلى الله عليه وسلم ،
أنه كان أمياً لا يكتب ، ولا يحسن أن يقرأ .

وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب
المتقدمين ، وأقاصيصهم وأنبيائهم وسيرهم . ثم أتى بحمل ما وقع وحدث ،
من عظيمات الأمور ومهمات السير ، من حين خلق الله آدم عليه
السلام ، إلى حين مبغته ، فذكر في الكتاب ، الذي جاء به معجزة له :
قصة آدم عليه السلام ، وابتداء خلقه ، وما صار أمره إليه من الخروج
من الجنة ، ثم جلأ من أمر ولده وأحواله وتوبته ، ثم ذكر قصة نوح
عليه السلام ، وما كان بينه وبين قومه ، وما انتهى إليه أمرهم (٢) ؛
وكذلك أمر إبراهيم عليه السلام ، إلى ذكر سائر الأنبياء المذكورين
في القرآن ، والملوك والفراعنة الذين كانوا في أيام الأنبياء ، صلوات الله
عليهم .

(١) سورة الأنفال ٧

(٢) ص ، م : «إليه أمره»

ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه ، إلا عن تعلم ؛ وإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملبساً لأهل الآثار وحلة الأخبار ، ولا متردداً إلى التعلم منهم ، ولا كان ممن يقرأ ، فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه ، علم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي . ولذلك قال عز وجل : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه يمينك ، إذا لارتاب المبتطلون ﴾ ^(١) وقال : ﴿ وكذلك نُصِرَفَ الآيات ، وليقولوا دَرَسْتُ ﴾ ^(٢) . وقد بينا أن من كان يختلف إلى تعلم علم ، ويشغل بملبسة أهل صنعة ، لم يخف على الناس أمره ، ولم يشبهه ^(٣) عندم مذهبه ، وقد كان يعرف فيهم من يحسن هذا العلم ، وإن كان نادراً ، وكذلك كان يعرف من يختلف إليه للتعلم ، وليس يخفى في العرف عالم كل صنعة ومعلمها ، فلو كان منهم لم يخف أمره .

والوجه الثالث : لأنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه . والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة ، ونحن نقص ذلك بعض التفصيل ونكشف الجملة التي أطلقوها .

فالذي يشتمل عليه بديع نظمه ، المتضمن للإعجاز وجوه :
 منها ما يرجع إلى الجملة ، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه ،

(١) سورة النكيت ٤٨

(٢) سورة الأنعام ١٠٥

(٣) م : « ولم يختلف »

وتبيان^(١) مذاهبه، خارج عن المهود من نظام جميع كلامهم، ومبان
 للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في
 تصرفه عن أساليب الكلام المتأد. وذلك أن الطرق التي يتقيد بها
 الكلام البديع المنظوم، تنقسم إلى أعرض الشعر، على اختلاف
 أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف
 الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل موزون غير مسجع، ثم إلى
 ما رسل إرسالاً، فطلب فيه الإصابة والإفادة، وإضام المعاني المعترضة
 على وجه بديع، وترتيب لطيف، وإن لم يكن معتدلاً في وزنه، وذلك
 شبيه^(٢) بجملة الكلام الذي لا يعمل [فيه]، ولا يتصنع له. وقد علمنا
 أن القرآن خارج عن هذه الوجوه، ومبان لهذه الطرق. ويبقى علينا
 أن نبين أنه ليس من باب السجع، ولا فيه شيء منه، وكذلك ليس
 من قبيل الشعر، لأن من الناس من زعم أنه كلام مسجع، ومنهم من
 يدعى^(٣) فيه شعراً كثيراً، والكلام عليهم يذكر بعد هذا الموضع.
 فهذا إذا تأمله المتأمل تبين — بخروجه عن أصناف كلامهم، وأساليب
 خطابهم — أنه خارج عن المادة، وأنه معجز، وهذه خصوصية
 ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل في جميعه.

(١) م : « واختلاف »

(٢) م : « يشبهه »

(٣) م : « أن فيه »

...

ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة، والبراعة،
 والتصرف البديع، والممانى اللطيفة، والفوائد النيرة، والحكم
 الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطول،
 وعلى هذا القدر. وإنما تنسب إلى حكمهم كلمات ممدودة وألفاظ
 قليلة، وإلى شاعرهم^(١) قصائد محصورة، يقع فيها ما يبينه بمد هذا من
 الاختلال، ويمرضها ما تكشفه من الاختلاف، ويشملها^(٢) ما نبديه
 من التعمل والتكلف والتجوز والتعسف. وقد حصل القرآن على
 كثرتة وطوله متناسبا في الفصاحة، على ما وصفه الله تعالى به، فقال
عزَّ من قائل: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها، مثاني تقشعرُّ
منه جلودُ الذين يخشون ربَّهم، ثم تلتين جلودهم وقلوبهم إلى
ذكر الله﴾^(٣) وقوله: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً
كثيراً﴾^(٤). فأخبر سبحانه أن كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت،
 وبأن عليه الاختلال.

وهذا المعنى هو غير المعنى الأول الذي بدأنا بذكره، فتأمله تعرف
 الفصل^(٥).

(١) م : «شاعر»

(٢) م : «ويقع فيها»

(٣) سورة الزمر ٢٣

(٤) سورة النساء ٨٢

(٥) م : «الفصل»

...

وفي ذلك معنى ثالث : وهو أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه
لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف
فيها ، من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج ، وحكم وأحكام ، وإعذار
وإنذار ، ووعد ووعيد ، وتبشير وتخوف ، وأوصاف ، وتعليم أخلاق
كرامة ، وشيم رفيعة ، وسير مأثورة ، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل
عليها . ونجد كلام البليغ الكامل ، والشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ،
يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور .

فن الشعراء من يحدّ في المدح دون الهجو .

ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح .

ومنهم من يسبق في التقرّظ دون التأني .

ومنهم من يحدّ في التأني دون التقرّظ .

ومنهم من يغرب في وصف الإبل أو الخيل ، أو سير الليل ، أو

وصف الحرب ، أو وصف الروض ، أو وصف الحجر ، أو الفزل ، أو

غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتناوله^(١) الكلام ، ولذلك ضرب

المثل بامرئ القيس إذا ركب ، والتابفة إذا رهب ، وبزهير إذا رغب .

ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام .

ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ ، رأيت التفاوت في شعره على

حسب الأحوال التي يتصرف فيها ، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى ،

فإذا جاء إلى غيره قصر عنه ، ووقف دونه ، وبأن الاختلاف على شعره ؛
ولذلك ضرب المثل بالذين مميّتهم ، لأنه لا خلاف في تقدّمهم^(١) في صنعة
الشعر ، ولا شك في تبرزيم في مذهب النظم . فإذا كان الاختلال
يتأتى في شعرهم ، لا خلاف ما يتصرفون فيه ، استثنينا عن ذكر من
هو دونهم ، وكذلك يستغنى به عن تفصيل نحو هذا في الخطب
والرسائل ونحوها . ثم نجد من الشعراء من يحوّذ في الرجز ، ولا
يمكنه نظم القصيد أصلا ، ومنهم من ينظم القصيد ، ولكن يقصر
[تقصيرا عجيبا^(٢)] ، ويقع ذلك من رجزه موقعا بعيدا . ومنهم من يبلغ
في القصيد الرتبة العالية ، ولا ينظم الرجز ، أو يقصر [فيه مها تكلفه
أو تعله^(٣)] .

ومن الناس من يحوذ في الكلام المرسل ، فإذا أتى بالموزون قصر
وتقص تقصانا يينا^(٤) ، ومنهم من يوجد بضد ذلك .

وقد تأملنا نظم القرآن ، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه
التي قدّمنا ذكرها ، على حدّ واحد ، في حسن النظم ، وبديع التأليف
والرصف ، لا تفاوت^(٥) فيه ، ولا انحطاط عن المزية العليا ، ولا

(١) م : « في تقدّمهم »

(٢) س : « يينا »

(٣) س : « تعله »

(٤) س : « عجيبا »

(٥) م : « لا تفاوت »

إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا ، وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب ، من الآيات الطويلة والقصيرة ، فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف ^{من} وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة [تفاوتاً يئناً ، ويختلف اختلافاً كبيراً . ونظرنا القرآن فيما يماذ ذكره من القصة الواحدة] فرأناه غير مختلف ولا متفاوت ، بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة ، فعلنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر ، لأن الذي يقدرون عليه قد يئنا فيه التفاوت الكثير ، عند التكرار وعند تباين الوجوه ، واختلاف الأسباب التي يتضمن .

• • •

ومعنى رابع : وهو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً يئناً في الفصل والوصل ، والعلو والنزل ، والتقريب والتبديد ، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع .

ألا ترى أن كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى إلى غيره ، والخروج من باب إلى سواه ^{حتى} إن أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحترى ، مع جودة نظمه ، وحسن وصفه — في الخروج من النسب إلى المديح . وأطبقوا على أنه لا يحسنه ، ولا يأتي فيه بشيء ، وإنما اتفق له — في ^(١) مواضع معدودة — خروج يرتضى ، وتنقل يستحسن .

وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء إلى شيء، والتحول من باب إلى باب. ونحن تفصل بعد هذا، ونفسر هذه الجملة، ونبين^(١) أن القرآن — على اختلاف [فنونه و] ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة — يحمل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالتناسب، والمتماثل في الأفراد إلى حد الآحاد، وهذا أمر عجيب، تبين به الفصاحة، وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حد المادة، ويتجاوز المرف

...

ومعنى خامس وهو أن نظم القرآن وقع موقفاً في البلاغة يخرج عن عادة كلام^(٢) [الجن، كما يخرج عن عادة كلام الإنس]، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كمجزنا، ويقصرون دونه كقصورتنا، وقد قال الله عز وجل: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله، ولو كان بمضهم لبعض ظهيراً﴾^(٣) فإن قيل: هذه دعوى منكم، وذلك أنه لا سبيل لنا إلى أن نعلم عجز الجن عن [الإتيان] بمثله، وقد يجوز أن يكونوا قادرين على الإتيان بمثله، وإن كنا عاجزين كما أنهم قد يقدرون على أمور لطيفة،

(١) س: «على أن»

(٢) س: «كلام الإنس والجن. فهم يعجزون»

(٣) سورة الإسراء ٨٨

وأَسباب فامضة دقيقة ، لا تقدر نحن عليها ، ولا سبيل لنا للطفها إليها ،
وإذا كان كذلك ، لم يكن إلى علم ما ادعيتُم سبيل .

قيل : قد يمكن أن نعرف ذلك بخبر الله عز وجل ، وقد يمكن أن
يقال إن هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن ،
وما يروون لهم من الشر ، ويحكمون عنهم من الكلام ، وقد علمنا أن
ذلك محفوظ عندهم منقول عنهم . والقدر الذي نقلوه [من ذلك] قد
تأملناه ، فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الإنس ؛ ولعله يقصر
عنها ، ولا يمتنع أن يسمع الناس كلامهم ، ويقع بينهم وبينهم محاورات
في عهد الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، وذلك الزمان مما لا يمتنع فيه وجود
ما ينقض العادات على أن القوم إلى الآن يعتقدون مخاطبة النيران ،
ولهم أشعار محفوظة مدونة^(١) في دواوينهم . قال تأبط شراً :

وأدهم قد جُبَّتْ جِلْبَابُهُ كما اجتابت الكاعبُ الخَيْمَلَا^(٢)
إلى أن حدا الصبحُ أُنْشاءً ومزقَ جِلْبَابُهُ الْآثِيلا^(٣)

(١) س : « مروية »

(٢) ترجمته في الشعر والشعراء ١ / ٢٧١ ، والأبيات في حاسة ابن
الشجري ص ٤٧

(٣) الأدهم هنا : الليل . اجتابت : لبست . الخيمل : ثوب تبتذله
المرأة . والبيت في اللسان ١٣ / ٢٢٣ . وقد نسب ابن برى لحاجز السري

(٤) حدا : ساق . أثناء الليل : أوقاته وقطعه . الأليل : الشديد الظلمة .

على شيم نار تنورثها فبت لها مديراً مقبلاً^(١)
 فأصبحت والنول لى جارة فيا جارتنا أنت ما أهولا
 وطالبتها بضعا ، فالتوت بوجه تهول واستغولا^(٢)
 فمن سال أين ثوت جارتى فإن لها باللوى منزلا
 وكنت إذا ما هممت اعتره ت وأخر إذا قلت أن أفلا

وقال آخر^(٣) :

عشوا نارى ققلت منون أتم فقالوا الجن قلت عمو غلاما^(٤)
 ققلت إلى الطعام فقال منهم زعيم يحسد الإنس الطعاما^(٥)
 ويدكرون لامرى القيس قصيدة مع عمر والجنى ، وأشعاراً لها ،
 كرهنا قلعها^(٦) لطلوها . وقال عبيد بن أيوب :

(١) الشيم : النظر إلى النار ، وفي حماسية ابن الشجرى : « على ضوه » .
 تنورثها : تبصرتها

(٢) البضع : الفرج ، تهول : صار هولة ، من الهول : أى كرهه
 المنظر يفزع منه . واستغول : تلون

(٣) هو شميم بن الحارث الضبي كما فى نوادر أبي زيد ص ١٢٣ .
 راجع خزانة الأدب ٣/٣ والحيوان ٤/٨٢ ، ٦/١٩٧ ومعنى عشوا نارى :
 رأوها لبلا على بعد فقصدوها مستضئين بها . وفى نوادر أبي زيد : أتوا نارى ققلت
 منون قالوا سراة الجن ...

(٥) س : « فقلت لى »

(٦) س : « ذكرها »

فله درُ النّسول أى رفيقة
أرنت بلحن بمد لحن وأوقدت
✓ وقال ذو الرمة^(١) بمد قوله :
قد أعسف النازح المجهول معسفه
للجن بالليل في حافاتها زجل
دوية ودجى ليل كأنهما
وقال أيضاً :

وكم عرست بعد السرى من معرس به من كلام الجن أصوات سامر^(٢)

(١) س : « يتقفر » . وفي الحيوان ١٦٥/٦ « متقفر » ، وفي منتهى الطلب
« يتقفر » .

(٢) أرنت : صوّت . وفي منتهى الطلب : « تعنت » ، وفي س والحيوان
٤٨٢/٥ ، ١٢٣/٥ : « تبوخ وتزهر »

(٣) ديوانه ص ٥٧٤ والحيوان ١٧٥/٦

(٤) أعسف : أسير على غير هداية . اننازح : البعيد . والأخضر هنا :
الأسود ، والمراد به الليل . وفي الديوان : « أغصف » أى أسود ، والهام : ذكر
البوم ، وأثناء الصدى .

(٥) حافاتها : جوانبها . زجل : صوت . عيشوم : من ضروب النبت
يتخشش إذا هبت عليه الريح

(٦) م : « في حافاتها » . والدوية : القلاة ، واليم : البحر . الدجى :
الليل . والرطانة : كلام العجم والروم وما ليس بعربي من اللغات . حافاته :
جوانبه . شبه البرية وما تراكم عليها من سواد الليل بالبحر وأمواجه .

(٧) ديوانه ص ٢٩٢ والحيوان ١٧٦/٦ والتعريس : التزول آخر الليل
للنوم والاستراحة . سامر : الذين يتحدثون بالليل .

وقال :

ورمل عَزِيفُ الجَنِّ في عَقَبَاتِهِ هَزِيزٌ كَتَضَرَابِ الْمُتَغَنِّينَ بِالطَّبْلِ^(١)
 وإذا كان القوم يمتقدون كلام الجن ومخاطباتهم ، ويحكون عنهم ،
 وذلك القدر المحكى لا يزيد أمره على فصاحة العرب ، صَحَّ ما وصف
 عندهم من عجزهم عنه كعجز الإنس .

وبين ذلك من القرآن : أن الله تعالى حكى عن الجن ما تفاوضوا
 فيه من القرآن فقال : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون
 القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قُضِيَ وَلَوْا إلى قومهم
 مُنْذِرِينَ ﴾^(٢) ، إلى آخر ما حكى عنهم فيما يتلوه .

فإذا ثبت أنه وصف كلامهم ، ووافق ما يمتقدونه من تقل
 خطابهم ، صح أن يوصف الشيء المألوف بأنه ينحط عن درجة القرآن
 في الفصاحة .

وهذان الجوابان أسدُّ عندى من جواب بعض المتكلمين عنه ، بأن
 عجز الإنس^(٣) عن القرآن يثبت له حكم الإعجاز ، فلا يعتبر غيره .

(١) ديوانه ص ٤٨٨ والحِويان ١٧٦ / ٦ . وفي الديوان : وفي عقداته
 هدوءاً . وعزيف الجن : صوت يسمع بين الرمال . وعقدات الرمل :
 ما انعقد منه . هدوءاً : أى بعد ساعة من الليل . هزيز : صوت ، يعنى صوت
 الرحي وما أشبهها .

(٢) سورة الأحقاف ٢٩

(٣) م : « الإنسان »

ألا ترى أنه لو عرفنا من طريق المشاهدة عجز الجن عنه ، فقال لنا قائل : فذّلّوا على أن الملائكة تمجّز عن الإتيان بمثله ، لم يكن لنا في الجواب غير هذه الطريقة التي قد بيناها .

وإنما ضَمَمْنَا هذا الجواب ، لأن الذي حُكِيَ وذكر عجزُ الجن والإنس^(١) عن الإتيان بمثله ، فيجب أن نعلم عجز الجن عنه ، كما علمنا عجز الإنس عنه . ولو كان وصف الملائكة عنه ، لوجب أن نعرف ذلك أيضاً بطريقه .

فإن قيل : أتم^(٢) قد انتهيت إلى ذكر الإعجاز في التفاصيل ، وهذا

الفصل إنما يدل على الإعجاز في الجملة ؟

قيل : هذا كما أنه يدل على الجملة ، فإنه يدل على التفصيل أيضاً ،

فصح^(٣) أنه يلحق هذا القليل ، كما كان يصح أن يلحق بياب الجمل .

• • •

ومعنى سادس : ~~وهو أن الذي ينقسم عليه الخطاب ، من البسط والاختصار ، والجمع والتفريق ، والاستمارة والتصريح ، والتجاوز والتحقيق ، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم ، موجود في القرآن . وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم ، في الفصاحة~~

(١) م : « والإنس أنهم عجزوا عن »

(٢) م : « إنه قد »

(٣) م : « فصح »

والإبداع والبلاغة / وقد ضمنا يان ذلك [من] بمدً، لأن الوجه ههنا ذكر المقدمات ، دون البسط والتفصيل .

• • •

ومعنى سابغ : وهو أن المعاني التي تضمنها^(١) ، في أصل وضع الشريعة والأحكام ، والاحتجاجات في أصل الدين ، والرد على الملحدين ، على تلك الألفاظ البديعة ، وموافقة بعضها بعضاً في اللطف والبراعة ، مما يتعذر على البشر ويمتنع . وذلك^(٢) أنه قد علم أن تحوير الألفاظ للمعاني المتداوله المألوفة ، والأسباب الدائرة بين الناس ، أسهل وأقرب من تحوير الألفاظ لمعاني مبتكرة ، وأسباب مؤسسة مستحدثات . فإذا برع اللفظ في المعنى البارع ، كان أطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر ، والأمر المتقرر المتصور ، ثم انضاف إلى ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تأييد ما يتبدأ تأسيسه ، ويراد تحقيقه ، بأن التفاضل في البراعة والفصاحة ، ثم إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى ، والمعاني وفقها ، لا يفضل أحدهما على الآخر ، فالبراعة أظهر والفصاحة أتم .

• • •

ومعنى ثامن : وهو أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته

(١) س : « تتضمن »

(٢) س : « ويمتنع ذلك »

بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما بين شعر،
فتأخذها^(١) الأسماع، وتشوف إليها النفوس، ويرى وجه روتقها
بادياً غامراً سائر ما تُقرن^(٢) به، كالدرّة التي ترى في سلك من خرز،
وكالياقوتة في واسطة المقد.

وأنت ترى الكلمة من القرآن يتعمل بها في تضاعيف كلام كثير،
وهي غرّة جميعه، وواسطة عقده، والمنادى على نفسه بتيّزه وتخصّصه،
بروتقه وجماله، واعتراضه في حسنه^(٣) ومائه، وهذا الفصل أيضاً مما
يحتاج فيه إلى تفصيل وشرح ونص، ليتحقق ما ادّعيته منه.

ولولا هذه الوجوه التي يبتناها، لم يتحير فيه أهل الفصاحة،
ولكانوا يفرعون إلى التعلل للمقابلة، والتصنع للمعارضة، وكانوا
ينظرون في أمرهم، ويراجعون أنفسهم، أو كان يراجع بعضهم بعضاً
في معارضته ويتوقفون لها.

فلما لم نرم اشتغلوا بذلك، علم أن أهل المعرفة منهم بالصنعة إنما
عدلوا عن هذه الأمور، لعلهم بمعجزهم عنه، وقصور فصاحتهم دونهم
ولا يتمتع أن يلتبس — على من لم يكن بارعاً فيهم، ولا متقدماً
في الفصاحة منهم — هذا الحال حتى لا يعلم إلا بعد نظر وتأمل، وحتى

(١) س : « فتأخذنه ... إليه النفوس ... وجه روتقه ... ما يقرن،

(٢) س : « في جنسه »

يرف حال عجز غيره . إلا أنا رأينا صناديدهم وأعيانهم ووجوههم سلموا
 ولم يشتغلوا بذلك ، تحقّقاً بظهور العجز وتبيناً له . أما قوله تعالى حكاية
عنهم : (لو نشاء لقلنا مثل هذا)^(١) فقد يمكن أن يكونوا كاذبين فيما
أخبروا به عن أنفسهم ، [وقد يمكن أن يكون قاله منهم أهل الضعف في
هذه الصناعة دون المتقدمين فيها] ، وقد يمكن أن يكون هذا الكلام إنما
خرج منهم ، وهو يدل على عجزهم . ولذلك أورده الله مورد تقريرهم ،
لأنه لو كانوا على ما وصفوا به أقسمهم لكانوا يتجاوزون الوعد إلى
الإنجاز ، والضمان إلى الوفاء ؛ فلما لم يفعلوا^(٢) ذلك — مع استمرار
التحدّي وتطاول زمان الفسحة في إقامة الحجة عليهم بمجرّم عنه — علم
عجزهم ، إذ لو كانوا قادرين على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط .

ومعلوم من حالهم ومحيّتهم أن الواحد منهم يقول في الحشرات
 والهوام والحيات وفي وصف الأزيمة والأنساع والأمور التي لا يؤبّه لها
 ولا يحتاج إليها ، ويتنافسون في ذلك أشد التنافس ، ويتبجحون به
 أشد التبجح . فكيف يجوز أن تمكنهم ممارسته في هذه الماقي الفسيحة ،
 والمبارات الفصيحة ، مع تضمن المعارضة لتكذيبه ، والذب عن أديانهم
 القديمة ، وإخراجهم أنفسهم من تسفيه رأيهم ، وتضليله إياهم ، والتخلص
 من منازعته ، ثم من محاربه ومقارعته . ثم لا يفعلون شيئاً من ذلك ،

(١) سورة الأتفال ٣١

(٢) من : لم يستعملوا

وانما يحيلون أنفسهم على التماثيل ، ويمثلونها بالأباطيل . [هذا حال] .

ومعنى تاسع ، وهو : أن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسمة وعشرون حرفاً ، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة ، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة ، وهو أربعة عشر حرفاً ، ليبدل بالمذكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم .

والتي تنقسم إلى هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية وبنوا عليها وجوهها أقسام ، نحن ذكروها :

فمن ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة ، وأخرى مجهورة .
فالمهموسة منها عشرة : وهي الحاء ، والمهاء ، والحاء ، والكاف ،
والشين ، والثاء ، والفاء ، والتاء ، والصاد ، والسين .

وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة .
وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف
المذكورة في أوائل السور .

وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء ، لا زيادة ولا نقصان .
« والمجهور » معناه : أنه حرف أشيع الاعتماد في موضعه ومنع أن
يجرى معه [النفس] حتى يتقضى الاعتماد ويجرى الصوت .

« والمهموس » كل حرف أضيف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس. وذلك مما يحتاج إلى معرفته ثبني^(١) عليه أصول العربية.

وكذلك مما يقسمون إليه الحروف ، يقولون : إنها على ضربين :
أحدهما حروف الخلق ، وهي ستة أحرف : العين ، والحاء ، والهمزة ،
والهاء ، والخاء ، والنين .

والنصف [الآخر] من هذه الحروف مذكور في جملة الحروف التي
تشتمل عليها الحروف المثبتة^(٢) في أوائل السور ، وكذلك النصف من
الحروف التي ليست بحروف الخلق .

وكذلك تنقسم هذه الحروف إلى قسمين آخرين : أحدهما حروف
غير شديدة ، وإلى الحروف الشديدة ، وهي التي تمنع الصوت أن يجري
فيه ، وهي الهمزة ، والقاف ، والكاف ، والجيم ، والطاء ، والذال ،
والطاء ، والباء^(٣) .

وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضاً هي مذكورة في جملة تلك
الحروف التي بنى عليها تلك السور .

ومن ذلك الحروف المطبقة ، وهي أربعة أحرف ، وما سواها
مفتحة . فالمطبقة : الطاء ، والظاء ، والصاد ، والضاد .

(١) س : « لثبني »

(٢) س : « المبيية »

(٣) م : « والباء »

وقد علمنا أن نصف هذه [الحروف] في جملة الحروف المبدوء بها

في أوائل السور .

وإذا كان القوم — الذين قسموا في الحروف هذه الأقسام لأغراض لهم في ترتيب الرمية وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، رأوا مبانى اللسان على هذه الجهة ، وقد نبه بما ذكر في أوائل السور على ما لم يذكر ، على حد التنصيف الذى وصفنا — دل على أن وقوعها الموضع الذى يقع التواضع عليه ، بعد المهد الطويل ، لا يجوز أن يقع إلا من الله عز وجل ، لأن ذلك يجرى مجرى علم النيوب .

وإن كان إنما تقبوا على ما بنى عليه اللسان في أصله ولم يكن لهم في التقسيم^(١) شيء ، وإنما التأثير لمن وضع أصل اللسان . فذلك أيضاً من البديع الذى يدل على أن أصل وضعه وقع موقع الحكمة التى يقصر عنها اللسان .

فإن كان أصل اللغة توقيفاً فالأمر في ذلك آيئ ، وإن كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضاً ؛ لأنه لا يصح أن تجتمع مهمم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى . وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من وجه .

وقد يمكن أن تماد فاتحة كل سورة لقائدة^(٢) تخصها في النظم ، إذا كانت حروفاً ، كنحو ﴿آم﴾ ، لأن الألف المبدوء بها هى أقصاها

(١) م : « فلم ... في الذى قسم شيء »

(٢) م : « سورة قائدة »

مَطْلَمًا ، واللام متوسطة ، والميم متطرفة ، لأنها تأخذ في الشفة ، فبه
 يذكرها على غيرها من الحروف ، وبين أنه إنما أتام بكلام منظوم مما
 يتعارفون من الجروف التي تتردد بين هذين الطرفين .
 ويشبه أن يكون التنصيف وقع في هذه الحروف دون الألف ، لأن
 الألف قد تلتى ، وقد تقع الهزمة وهي موقفاً واحداً .

(١) ومعنى طائر ، وهو : أنه سهل سبيله ، فهو خارج عن الوحش
 المستكره ، والغريب المستنكر ، وعن الصنعة المتكلفة . وجمله قريباً إلى
 الأهم ، يادِرُ معناه لفظه إلى القلب ، ويسابق المغزى منه عبارته إلى
 النفس . وهو مع ذلك ممتنع المطْلَب ، عسير المتناول ، غير مُطْمَع مع
 قربه في نفسه ، ولا مُؤهِم مع دنوه في موقعه أن يُقَدَّر عليه أو يُظفر به .
 فأما الانحطاط عن هذه الرتبة إلى رتبة الكلام المبذل ، والقول
 المسفس ، فليس يصح أن تقع فيه فصاحة أو بلاغة ، فيطلب فيه
 الممتنع^(٢) ، أو يوضع فيه الإعجاز .

ولكن لو وضع في وحشٍ مستكره ، أو عُمر بوجوه الصنعة ،
 وأطبق بأبواب التمسف والتكلف — : لكان لقائل أن يقول فيه
 ويمتد ، أو يعيب ويقرع .

ولكنه أوضع مناره ، وقرب منهاجَه ، وسهل سبيله ، وجمله في
 ذلك متشابهاً متماثلاً ، ويُن مع ذلك إعجازم فيه .

وقد علمت أن كلام فصاحتهم وشعر بلناتهم لا ينفك من تصرف
 في غريب مستنكر، أو وحشى مستكره، ومعان مستبعدة. ثم
 عدوهم إلى كلام مبتذل وضع لا يوجد دونه في الرتبة، ثم نحوهم إلى
 كلام معتدل بين الأمرين، متصرف بين المزلتين.
 فمن شاء أن يتحقق هذا نظر في قصيدة امرئ القيس:

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل ما تصرف إليه هذه القصيدة
 ونظائرها ومنزلتها من البلاغة، ونذكر وجه فوت نظم القرآن عليها،
 على وجه يؤخذ باليد، ويُتناول من كُتِبَ، ويَتَصَوَّر في النفس كتصور
 الأشكال. ليتبين ما ادعيناه من الفصاحة العجيبة للقرآن.

واعلم أن من قال من أصحابنا: إن الأحكام معللة بمثل موافقة لمقتضى
 العقل، جعل هذا وجهاً من وجوه الإعجاز، وجعل هذه الطريقة دلالة
 فيه، كنحو ما يعللون به الصلاة ومعظم القروض وأصولها. ولهم في
 كثير من تلك العلل طرق قريبة، ووجوه تستحسن.

وأصحابنا من أهل خراسان يولمّون بذلك، ولكن الأصل الذي
 يبنون عليه، عندنا غير مستقيم. وفي ذلك كلام يأتي في كتابنا
 في الأصول.

وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة والإفراد، فإننا
 جمعنا بين أمور، وذكرنا المزية المتعلقة بها. وكل واحد من تلك

الأمر مما قد يمكن اعتاده في إظهار الإعجاز فيه .

فإن قيل : فهل تزعمون أنه معجز ، لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه ، أو لأنه عبارة عنه ، أو لأنه قديم في نفسه ؟

قيل : لستنا نقول بأن الحروف قديمة ، فكيف يصح التركيب على الفاسد ؟ ولا نقول أيضاً : إن وجه الإعجاز في نظم القرآن [من أجل] أنه حكاية عن كلام الله ^(١) ، لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة والإنجيل وغيرها من كتب الله عز وجل معجزات في النظم والتأليف . وقد يتنا أن إعجازها في غير ذلك ، وكذلك كان يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومنفردا ، وقد ثبت خلاف ذلك .

(١) س : « عن الكلام القديم »

فصل

﴿ في شرح ما بيننا من وجوه إعجاز القرآن ﴾

فأما الفصل الذى بدأنا بذكره من الإخبار عن النيوب ، والصدق والإصابة فى ذلك كله .

فهو كقوله تعالى : ﴿ قُلِ الْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى يَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ^(١) ﴾ . فأغزام أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، إلى قتال العرب والفرس والروم .

وكقوله : ﴿ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ^(٢) ﴾ . وراهن أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى ذلك ، وصدق الله وعده .

وكقوله فى قصة أهل بدر : ﴿ وَإِذْ يَمِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَآ لَكُمْ ^(٣) ﴾ .

[وكقوله] : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ^(٤) ﴾

وكقوله : ﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْوَيْلَ بِالْحَقِّ لَنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ^(٥) ﴾ .

(١) سورة الفتح ١٦

(٢) سورة الروم ١ - ٤

(٣) سورة الأنفال ٧

(٤) سورة القمر ٤٥

(٥) سورة الفتح ٤٥

وكقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا^(١)﴾. وَصَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى وَعْدَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ.

وقال في قصة الْمُخَلَّفِينَ عَنْهُ فِي غَزْوَتِهِ: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا^(٢)﴾. فَحَقَّ ذَلِكَ كُلُّهُ وَصَدَقَ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ^(٣) الَّذِينَ خَوَّطَبُوا بِذَلِكَ مَعَهُ أَحَدٌ.

وكقوله: ﴿يُظَاهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ^(٤)﴾.

وكقوله: ﴿قَتْلُ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لِنَافَةِ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ^(٥)﴾. فَامْتَنَعُوا مِنَ الْمُبَاهَلَةِ، وَلَوْ أَجَابُوا إِلَيْهَا اضْطَرَمَّتْ عَلَيْهِمُ الْأُودِيَةُ نَارًا، عَلَى مَا ذُكِرَ فِي الْخَبَرِ.

وكقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ^(٦)﴾. وَلَوْ تَمَنَّوْهُ لَوَقَعَ بِهِمْ. فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ فَصْلٌ.

(١) سورة النور ٥٥

(٢) سورة التوبة ٨٣

(٣) من: «المُخَلَّفِينَ»

(٤) سورة التوبة ٢٣

(٥) سورة آل عمران ٦٠

(٦) سورة البقرة ٩٤ - ٩٥

• • •

وأما الوجه الثاني الذى ذكرناه ، من إخباره عن قصص الأولين وسير المتقدمين ، فمن العجيب المتنع على من لم يقف على الأخبار ، ولم يشتغل بدرس الآثار^(١) . وقد حكى فى القرآن تلك الأمور حكاية من شهدا وحضرا .

ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ، إذا لارتاب المبطلون ﴾^(٢) .

وقال : ﴿ وما كنت بجانب الغرabi إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ﴾^(٣) .

وقال : ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ، ولكن رحمة من ربك ، لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾^(٤) . فبين وجه دلالة من إخباره بهذه الأمور العائبة السالفة .

(١) قال المؤلف فى كتاب « التمهيد » : ص ١٣٠ « والوجه الآخر : ما انطوى عليه القرآن من قصص الأولين وسير الماضين ، وأحاديث المتقدمين ، وذكر ما شجرت بينهم وكان فى أعصارهم ، مما لا يجوز حصول علمه إلا لمن كثر لقاءه لأهل السير ، ودرسه لها وعنايته بها ، وبجالسته لأهلها ، وكان ممن يتلو الكتب ويستخرجها ، مع العلم بأن النبى ، صلى الله عليه ، لم يكن يتلو كتاباً ولا يخطه يمينه ، وأنه لم يكن ممن يعرف بدراسة الكتب وبجالسة أهل السير والأخذ عنهم ، ولا لى إلا من لقوه ، ولا عرف إلا من عرفوه ، وأنهم يعرفون دأبه ودينه ، ومنشأه وتصرفه ، فى حال إقامته بينهم وظعنه عنهم ، فدل ذلك على أن الخبير له عن هذه الأمور هو الله سبحانه علام الغيوب »

(٢) سورة المكنوت ٤٨

(٣) سورة القصص ٤٤

(٤) سورة القصص ٤٦

وقال : (تلك من أنباء الغيب نُوحِيها إليك ، ما كنتَ تعلمُها أنتَ ولا قومك من قبلِ هذا ، فاصبر ، إن العاقبة للمتقين)^(١) .

• • •

فأما الكلام في الوجه الثالث ، وهو الذي يبناه من الإيجاز الواقع في النظم والتأليف والرَّصْف ، فقد ذكرنا من هذا الوجه وجوهاً : منها : أننا قلنا : إنه نظم خارجٌ عن جميع وجوه النظم المتباد في كلامهم ، ومباينٌ لأساليب خطابهم .

ومن ادعى ذلك لم يكن له بدٌّ من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر ، ولا السجع ، ولا الكلام الموزون غير المقفى . لأن قوماً من كفار قريش ادَّعَوْا أنه شعر .

ومن الملحدة من يزعم أن فيه شعراً .

ومن أهل الملة من يقول : إنه كلام مسجّع ، إلا أنه أفصح مما قد اعتادوه من أسجاعهم .

ومنهم من يدعى أنه كلام موزون .

فلا يخرج بذلك عن أصناف ما يتعارفونه من الخطاب .

فصل

{ في نقي الشعر من القرآن }

قد علمنا أن الله تعالى نقي الشعر عن القرآن وعن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : { وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكرٌ وقرآن مبين ^(١) } . وقال في ذم الشعراء : { والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون ^(٢) } . إلى آخر ما وصفهم به في هذه الآيات . وقال : { وما هو بقول شاعر ^(٣) } .

وهذا يدل على أن ما حكاه عن الكفار — من قولهم : إنه شاعر، وإن هذا شعر . — لا بد من أن يكون محمولاً على أنهم نسبوه [إلى أنه يشعر بما لا يشعر به غيره من الصنعة اللطيفة في نظم الكلام، لا أنهم نسبوه] في القرآن إلى أن الذي أتاها به هو من قبيل الشعر الذي يتعارفونه على الأعارض المحصورة المألوفة .

أو يكون محمولاً على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم وأهل الفطنة منهم في وصفهم إياهم بالشعر، لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرق لهم في المنطق . وإن كان ذلك الباب خارجاً عما هو عند العرب شعرٌ على الحقيقة .

(١) سورة يس ٦٩

(٢) سورة الشعراء ٢٢٤ — ٢٢٥

(٣) سورة الحاقة ٤١

أو يكون محمولاً على أنه أطلقه^(١) بعض الضملاء منهم في معرفة أوزان الشعر، وهذا أبعد الاحتمالات.

فإن حمل على الوجهين الأولين كان ما أطلقوه صحيحاً، وذلك أن الشاعر يظن لما لا يظن له غيره، وإذا قدر على صنعة الشعر كان على ما دونه - في رأيهم وعندهم - أقدر، فنسبوه إلى ذلك لهذا السبب.

فإن زعم زاعم أنه قد وجد في القرآن شعراً كثيراً، فمن ذلك ما يزعمون أنه بيت تام أو أبيات تامة، ومنه ما يزعمون أنه مصراع، كقول القائل:

قد قلت لما حاولوا سلوتي ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾^(٢)
وبما يزعمون أنه بيت، قوله: ﴿وجفان كالجواب وقُدُورِ
راسيات﴾^(٣). قالوا: هو من الرمل، من البحر الذي قيل فيه:
ساكنُ الريح نطو فُ المزنِ مُنْخَلُ العزالي^(٤)

(١) س: «أطلق عن بعض»

(٢) سورة المؤمنون ٣٦

(٣) سورة سبأ ١٣

(٤) يصف يوماً مطيراً. والنطوف: القطر، وليلة نطوف: قاطرة تمطر حتى الصباح. المزن: السحاب. والعزالي: بكسر اللام: جمع عزلاء، وهي مصب الماء من الرواية والقربة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء. يقال للسحابة إذا أنهمرت بالمطر: قد حلت عزاليها، على تشبيه اتساع المطر واندفاعه بالذي يخرج من قم المزادة.

وقوله : ﴿ من تزكى فإنما يتركى لنفسه ﴾^(١) . كقول الشاعر من
بجر الخفيف :

كل يوم بشمسهِ وغدٌ مثل أمسه
وكقوله عز وجل : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب ﴾^(٢) . قالوا هو من المتقارب .
وكقوله : ﴿ ودانية عليهم ظلالها وذلّت قطوفها تذليلا ﴾^(٣) .
ويشبعون حركة الميم ، فيزعمون أنه من الرجز .
وذ كر عن أبي نواس أنه ضمن ذلك شعرا ، وهو قوله^(٤) :
وفتية في مجلس وجوههم ريحانهم قد عدموا التثجيلا
دانية عليهم ظلالها وذلّت قطوفها تذليلا
وقوله عز وجل : ﴿ ويُنزِم وَيُنصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ
مُؤْمِنِينَ ﴾^(٥) . زعموا أنه من الوافر ، كقول الشاعر^(٦) :
لنا غم نسوقها غزارا كأن قرون جلّتها عصى^(٧)
وكقوله عز وجل : ﴿ أَرَأَيْتَ الذي يكذب بالدين . فذلك الذي

(١) سورة فاطر ١٨

(٢) سورة الطلاق ٢ - ٣

(٣) سورة الإنسان ١٤

(٤) أخبار أبي نواس ٥٣/٥

(٥) سورة التوبة ١٤

(٦) امرؤ القيس كما في اللسان ١٢ - ٣٢ والديوان ص ١٩٢

(٧) نسوقها : نسوقها . غزار : كثيرة . جلّتها : جمع جليل ، وهي الغم
الكبيرة المسنة .

يَدْعُ الْيَتِيمَ^(١) مِنْهُ أَبُو نَاسٍ فِي شِعْرِهِ فَقَصَلَ، وَقَالَ: «فَذَاكَ الَّذِي»،
وشعره :

وَقَرَأَ مَعْلَنَا لِيَصْدَعَ قَلْبِي وَالْهَوَى يَصْدَعُ الْفَوَادِ السَّقِيَا^(٢)
أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِاللَّيْلِ مِنْ فَذَاكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَا
وهذا من الخفيف . كقول الشاعر :

وَقَوَادِي كَعْدِهِ بَسْلِيْمِي بِهِوًى لَمْ يُحْلَلْ وَلَمْ يَتَغَيَّرْ
وكما ضمنه في شعره من قوله :

سَبْحَانَ (مِنْ) سَخَّرَ هَذَا لَنَا (حَقًّا) وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ^(٣)
فزاد فيه حتى انتظم له الشعر .

وكما يقولونه في قوله عز وجل : ﴿وَالْمَادِيَاتِ صَبْحًا ، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا^(٤)﴾ .

ونحو ذلك في القرآن كثير ، كقوله : ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا .
فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا . فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا^(٥)﴾ وهو عند شعراء من بحر
البسيط .

والجواب عن هذه الدعوى التي ادَّعَوْهَا ، من وجوه :

(١) سورة الماعين ١٤

(٢) أخبار أبي نواس ٥٣/٢ وقد ذكرهما المؤلف في كتاب التهيد ص ١٢٨ ولم ينسبهما .

(٣) أخبار أبي نواس ٥٥/٢ وفي ١ : ولنا هذا . قال تعالى في سورة الزخرف ١٣ : ﴿سَبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ﴾ .

(٤) سورة الماديات ١ - ٢

(٥) سورة الذاريات ١ - ٣

أولها : أن الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن، لو كانوا يستقدونه
 شعراً ، ولم يروه خارجاً عن أساليب كلامهم — : لبادروا إلى ممارسته ،
 لأن الشعر مستخر لهم مسئّل عليهم ، ولهم فيه ما علمت من التصرف
 المحيىب ، والاعتدال اللطيف . فلما لم نرم اشتغالوا بذلك ، ولا عوتلوا
 عليه — : علم أنهم لم يستقدوا فيه شيئاً مما يقدره الضمفاء في الصنعة ،
 والمُرمِدون في هذا الشأن . وإن استدراك من يحمىء الآن على فصحاء
 قريش وشعراء العرب قاطبة في ذلك الزمان وبلغائهم وخطبائهم ،
 وزعمه أنه قد ظفر بشعر في القرآن [وقد ذهب أولئك نفر عنه وخفى
 عليهم مع شدة حاجتهم ^(١)] عندم [إلى الطعن في القرآن والنقض منه
 والتوصيل إلى تكذيبه بكل ما قدروا عليه — فلن يجوز أن يخفى على
 أولئك ، وأن يجهلوه ، ويعرفه من جاء الآن ، وهو بالجهل حقيق]
 إذا كان كذلك ، علم أن الذى أجاب به العلماء عن هذا السؤال
 سديد ، وهو أنهم قالوا : إن البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون
 شعراً ، وأقل الشعر يتان فصاعداً . وإلى ذلك ذهب أكثر أهل
 صناعة العربية من أهل الإسلام .

وقالوا أيضاً : إن ما كان على وزن يتيين ، إلا أنه يختلف وزنها
 أو قافيتها ^(٢) ، فليس بشعر .

(١) ب : « حاجته عندهم »

(٢) س : « يختلف رويها وقافيتها »

ثم منهم من قال : إن الرجز ليس بشعر أصلاً ، لا سيما إذا كان مشطوراً أو منهوكاً . وكذلك ما كان يقاربه ^(١) في قلة الأجزاء . وعلى هذا يسقط السؤال .

ثم يقولون : إن الشعر إنما يطلق ، متى قصد القاصد إليه — على الطريق الذي يتمدد ويسلك ، ولا يصح أن يتفق مثله إلا من الشعراء ، دون ما يستوى فيه العامى والجاهل ، والعالم بالشعر واللسان وتصرفه وما يتفق من كل واحد ، فليس يكتسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر . لأنه لو صح أن يسمى كل من اعترض في كلامه ألفاظ تنزن بوزن الشعر ، أو تنتظم انتظام بعض الأعارض — : كان الناس كلهم شعراء . لأن كل متكلم لا ينفك من أن يعرض في جملة كلام كثير يقوله ، ما قد يتزن بوزن الشعر وينتظم انتظامه .

ألا ترى أن العامى قد يقول لصاحبه : « أغلق الباب واثني بالطعام » . ويقول الرجل لأصحابه « أكرموا من لقيتم من عجم » ؟ ومتى تتبع الإنسان هذا [النحو] عرف أنه يكثر في تضاعيف الكلام مثله وأكثر منه ^(٢) .

(١) س : « يقارنه »

(٢) قال الجاحظ في البيان والتبيين ١ — ٢٨٨ :

« ويدخل على من طعن في قوله (تبت يدا أبي لهب) وزعم أنه شعر لأنه في تقدير مستعملن مفاعلن . . . فيقال له : اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستعملن مستعملن كثيراً ، ومستعملن مفاعلن . وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقلار شعراً . ولو أن رجلاً من الباعة صاح :

وهذا القدر الذى يصح فيه التوارد، ليس يمدّه أهل الصناعة سرقة، إذا لم تعلم فيه حقيقة الأخذ. كقول امرئ القيس :
وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتَجَمَّلُ^(١)
وكقول طرفة :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتَجَلَّدُ^(٢)
ومثل هذا كثير .

فإذا صح مثل ذلك فى بعض البيت ولم يمتنع التوارد فيه ، فكذلك لا يمتنع وقوعه فى الكلام المنشور اتفاقاً غير مقصود إليه ، فإذا اتفق لم يكن ذلك شعراً .

وكذلك يمتنع التوارد على بيتين ، وكذلك يمتنع فى الكلام المنشور وقوع البيتين ونحوهما .

فثبت بهذا أن ما وقع هذا الموقع لم يمدّ شعراً ، وإنما يمدّ شعراً ما إذا قصده صاحبه : تأتى له ولم يمتنع عليه .

من يشتري باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام فى وزن مستغعلن مفعولات ! وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد إلى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد ينبأ فى جميع الكلام . وإذا جاء المقدار الذى يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصود إليها ، كان ذلك شعراً . وسمعت غلاماً لصديق لى ، وكان قد سقى بطنته ، وهو يقول لغلمان موله : اذهبوا إلى الطبيب وقولوا : قد اكوى . وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج فاعلاتن مفاعلن . فاعلاتن مفاعلن . مرتين . وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر على باله قط أن يقول بيت شعر أبداً ، ومثل هذا كثير ، ولو تتبعته فى كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته .

(١) ديوانه ص ١٢٥

(٢) ديوانه ص ٢١

فإذا كان هو مع قصده لا يتأتى له ، وإنما يترض في كلامه عن غير قصد إليه - : لم يصح أن يقال : إنه شعر ، ولا إن صاحبه شاعر ، ولا يصح أن يقال : إن هذا يوجب أن مثل هذا لو اتفق من شاعر فيجب أن يكون شعراً ، لأنه لو قصده لكان يتأتى له ^(١) .

وإنما لم يصح ذلك ، لأن ما ليس بشعر فلا يجوز أن يكون شعراً من أحد ، وما كان شعراً من أحد من الناس كان شعراً من كل أحد ^(٢) . ألا ترى أن السوقي ^(٣) قد يقول : « اسقنى الماء يا غلامُ سريعاً » ، وقد يتفق ذلك من السامى ومن لا يقصد النظم .

فأما الشعر ^(٤) إذا بلغ الحد الذى يبتأ ، فلا يصح أن يقع إلا من قاصد إليه .

وأما الرجز فإنه يترض في كلام العوام كثيراً ، فإذا كان يبتأ واحداً فليس ذلك بشعر .

وقد قيل : إن أقل ما يكون منه شعراً أربعة أبيات ، بمد أن تتفق قوافيها ، ولم يتفق ذلك في القرآن بحال . فأما دون أربعة أبيات منه أو ما يجرى مجراه في قلة الكلمات ، فليس بشعر .

وما اتفق في ذلك من القرآن مختلف الروى ، ويقولون : إنه

(١) م : « منه »

(٢) م : « من واحد . . . كل أحد من الناس »

(٣) م : « أن المفهم إن أخذ السوق »

(٤) م : « فأما النظم »

متى اختلف الروى خرج عن أن يكون شعراً .

وهذه الطرق التى سلكوها فى الجواب ، ممتدة أو أكثرها .

ولو كان ذلك شعراً لكانت النفوس تشوف إلى ممارسته ، لأن طريق الشعر غير مستصحب على أهل الزمان الواحد ، وأهله يتقاربون فيه ، أو يفربون فيه بسهم .

...

فإن قيل : فى القرآن كلام موزون كوزن الشعر ، وإن كان غير مقفى ، بل هو موزون متساوى الضروب ، وذلك أحد^(١) أقسام كلام العرب . قيل : من سبيل الموزون من الكلام أن تتساوى أجزاؤه فى الطول والقصر ، والسواكن والحركات . فإن خرج عن ذلك لم يكن موزوناً ، كقوله :

رب أخ كنتُ به مقتبلاً أشدُّ كفى بُرّاً صحتِهِ
تمسكاً منى بالودِّ ولا أحسبه يزهد فى ذى أمل^(٢)
تمسكاً منى بالودِّ ولا أحسبه ينير المهد ولا
يحول عنه أبداً فغاب فيه أملى

وقد علمنا أن القرآن ليس من هذا القليل ، بل هذا قليل غير ممدوح ،

(١) من : « وذلك آخر »

(٢) م ، ١ : « أحسبني أزهد »

ولا مقصود من جملة الفصيح، وربما كان عندهم مستكراً، بل أكثره على ذلك.

وكذلك^(١) ليس في القرآن من الموزون الذي وصفناه أولاً، وهو الذي شرطنا فيه التعادل والتساوى في الأجزاء، غير الاختلاف الواضح في التقفية. ويبيّن^(٢) ذلك أن القرآن خارج عن الوزن الذي بينا، وتم فائدته بالخروج منه. وأما الكلام الموزون فإن فائدته تم بوزنه.

(١) م : «وليس»

(٢) م : «وبين»

فصل

(في تَفْهِي السَّجْع من القرآن)

ذهب أصحابنا كلهم إلى تَفْهِي السَّجْع من القرآن ، وذكره [الشيخ]
أبو الحسن الأشعري [رضى الله عنه] في غير موضع من كتبه .

وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السَّجْع في القرآن ، وزعموا
أن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع فيها
التفاضل في البيان والفصاحة ، كالتجنيس والالتفات ، وما أشبه ذلك
من الوجوه التي تُعرف بها الفصاحة .

وأقوى ما يستدلون به عليه : اتفاق الكل على أن موسى أفضل
من هرون عليهما السلام ، ولمكان^(١) السَّجْع قيل في موضع : ﴿ هرون
وموسى ﴾ . ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون ، قيل :
﴿ موسى وهرون ﴾ .

قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر ، لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب
إلا مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي
نسبه^(٢) شعراً ، وذلك القدر ما يتفق وجوده من المفحَم ، كما يتفق

(١) م : « ولكن »

(٢) م : « يسمى »

وجوده من الشاعر . وأما ما في القرآن من السجع فهو كثير ، لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه .

ويننون الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع . قال أهل اللغة : هو موالة الكلام على وزن واحد . وقال ابن دريد : « سجت الحمامة » معناه : ردّدت صوتها . وأنشد :

طربت فأبكتك الحمام السواجعُ تَمِيلُ بها صَحْوَ غصون نوائح
النوائح : الموائيل ، من قولهم : جائع نائع ، أي متمايل ضحفاً^(١) .
وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ، ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلياً فيها لم يقع بذلك إعجاز .
ولو جاز أن يقولوا : هو سجع معجز ، لجاز لهم أن يقولوا :
شعر معجز .

وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ، وقيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ، لأن الكهانة تنافي النبوات ، وليس كذلك الشعر .

وقدرُوى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاؤهُ وكَلَّمُوهُ في شأن الجنين : كيف نَدَى من لا شَرِبَ ولا أَكَلَ^(٢) ، ولا صاح فاستهل ، أليس دَمُهُ قد يُطَلُّ ؟ فقال : « أسجاعة كسجاعة الجاهلية ؟ » ،

(١) نقل المؤلف هذا النص من كتاب الجمهرة لابن دريد ٢ - ٩٣

(٢) في الأصول : « من لا أكل ولا شرب » راجع البيان والبيان

وفي بعضها : « أَسَجَمًا كَسَجْعِ الْكِهَانِ » ؛ فرأى ^(١) ذلك مضمومًا لم يصح أن يكون في دلالته .

والذي يقدرونه ^(٢) أنه سجع فهو وم ، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعًا ، لأن ما يكون به الكلام سجعًا يختص بيمض الوجوه دون بعض ، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع . وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابيًا للمعنى . وفصل بين أن ينظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظمًا دون اللفظ ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع ، كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى انتظم ^(٣) المعنى بنفسه دون السجع ، كان مستجلبًا لتحسين ^(٤) الكلام دون تصحيح المعنى .

فإن قيل : فقد يتفق في القرآن ما يكون من التثنية جميعًا ، فيجب أن تُسموا أحدهما سجعًا .

قيل : الكلام في تفصيل هذا خارج عن غرض كتابنا ، ولأكثرنا نأثى على فصلٍ فصلٍ من أول القرآن إلى آخره ، ونبين في الموضع الذي يدعون الاستغناء عن السجع من الفوائد ما لا يخفى ، ولكنه

(١) م : « فرأى أن ذلك »

(٢) م : « يقررونه »

(٣) س : « متى ارتبط »

(٤) س : « مستجلبًا لتحسين »

خارج عن غرض كتابنا . وهذا التقدير يحقق الفرق بين الموضعين .
ثم إن سلم لهم مُسَلَّم موضعاً أو مواضع معدودة ، وزعم أن وقوع
ذلك موقع ^(١) الاستراحة في الخطاب إلى الفواصل لتحسين الكلام
بها ، وهى الطريقة التى يبين القرآن بها سائر الكلام ، وزعم أن الوجه
فى ذلك أنه من الفواصل ، أو زعم أن ذلك وقع غير مقصود إليه —
فإن ^(٢) ذلك إذا اعترض فى الخطاب لم يُمدَّ سجعاً ، على ما قد بينا فى
التقليل من الشعر ، كالبيت الواحد ، والمصراع ، والبيتين من الرجز ،
ونحو ذلك يمرض فيه ، فلا يقال إنه شعر ، لأنه لا يقع مقصوداً إليه ،
ولأنما يقع مغموراً فى الخطاب ، وكذلك حال السجع الذى يزعمونه
ويقدرونه .

ويقال لهم : لو كان الذى فى القرآن على ما تقدرونه سجعاً : لكان
مذموماً مردولاً ، لأنَّ السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه ،
كان قبيحاً من الكلام ، والسجع منهج مرتب محفوظ ، وطريق مضبوط ^(٣) ،
مضى أخل به التكلم وقع ^(٤) الخلل فى كلامه ، ونُسب إلى الخروج عن
النقصاحة . كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المهود كان مخطئاً ، وكان
شعره مردولاً ، وربما أخرجه عن كونه شعراً .

(١) م : « وقوع »

(٢) م : « وأن »

(٣) م : « والسجع منهج قريب . . . وطريقة مضبوطة »

(٤) م : « أرفع »

وقد علمنا أن بعض ما يدعونه سجعاً متقارباً^(١) القواصل، متداني المقاطع ، وبعضها مما يمتدّ حتى يتضاعف طوله عليه ، وتردّ الفاصلة على ذلك الوزن الأوّل بمدّ كلام كثير ، وهذا في السجع غير مرضى ولا محمود .

فإن قيل: متى خرج السجع [من] المعتدل إلى نحو ما ذكرتموه ، خرج من أن يكون سجعاً ، وليس على المتكلم أن يلتزم أن يكون كلامه كله سجعاً ، بل يأتي به طوراً ثم يمدل عنه إلى غيره ، ثم قد يرجع إليه . قيل : متى وقع أحد مصرّاعى البيت^(٢) مخالفاً للآخر ، كان تخلیطاً وخَبَطاً ، وكذلك متى اضطرب أحد مصرّاعى الكلام المسجّع وتفاوت كان خبطاً .

[وقد] عُلِمَ أن فصاحة القرآن غير مذمومة في الأصل ، فلا يجوز أن يقع فيها نحو هذا الوجه من الاضطراب^(٣) .

ولو كان الكلام الذى هو في صورة السجع منه لما تحيّر واقع فيه ، ولكانت الطباع تدعو إلى الممارسة ؛ لأن السجع غير ممتنع عليهم ، بل هو عادتهم ، فكيف تُنْقَضُ العادة بما هو نفسُ المادة ، وهو غير خارج عنها ولا مُتَبَيِّنٌ^(٤) منها ؟ وقد يتفق في الشعر كلام [مترن] على منهاج السجع ،

(١) م : « متفاوت »

(٢) م : « الشعر »

(٣) م : « من الاختلال »

(٤) س : « مميز »

وليس بسجع عندهم . وذلك نحو قول البحترى :

تَشَكَّى الوجى ؛ واللبلُ ملتبسُ الدجا

غُرَيْرِيَّةُ الْأَنْسَابِ مَرَّتُ بِقَيْعِهَا^(١)

وقوله^(٢) :

قَرِيبَ الْمَدَى ، حَتَّى يَكُونَ إِلَى التَّدَى ،

عَدُوَّ الْبَيْتِ ، حَتَّى تَكُونَ مَعَالِي^(٣)

وَرَأَيْتُ بَعْضَهُمْ يَرْتَكِبُ هَذَا ، فَيَزْعُمُ^(٤) أَنَّهُ سَجْعٌ مِذَاخِلُ !

ونظيره من القرآن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ ، وَيَقُولُ
أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾^(٥) . وقوله : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾^(٦) وقوله : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٧) ، وَجِهَادٍ فِي

(١) ديوانه ١ - ٥ والوجى : أن يشتكى البعير باطن خضفه . الغرير :
فحل من الإبل ، والإبل الغريرية : منسوبة إليه . وكان مرت : قفرا نبات فيه .
والقيع من الأرض : المكان المتسع فيه أروم شجر من ضروب شتى . وفي س :
« نقيعها »

(٢) ديوانه ٢ - ٧٨٥ يمدح به محمد بن عمر .

(٣) س : م : « يكون » وفي م بعد البيت : « وقوله غريرية الأنساب
مرت بقيعها ، ورأيت » إلخ .

(٤) م : « حتى يزعم »

(٥) سورة النحل ٢٧

(٦) سورة الإسراء ١٦

(٧) سورة التوبة ٢٤

سبيله^(١) . وقوله : ﴿ والتوراة والإنجيل ، ورسولاً إلى بني إسرائيل ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ إني ومن العظم مني ﴾^(٣) .

ولو كان ذلك عند سجعاً لم يتحيروا فيه ذلك التحير ، حتى سماه بعضهم سحراً ، وتصرفوا فيما كانوا يسمونه به ويصرفونه إليه ويتوهمونه فيه . وم في الجملة عارفون بمجرم عن طريقه ، وليس القوم بما جازين عن تلك الأساليب المعتادة عند المألوفة لديهم .

والذي تكلمنا به في هذا^(٤) الفصل كلام على جملة دون التفصيل . ونحن نذكر بعد هذا في التفصيل ، ما يكشف عن مَبَايِنَة ذلك وجوه السجع .

ومن جنس السجع المتاد عند ، قولُ أبي طالب^(٥) لسيف بن ذى يزن : « أُنبتَكَ مَنبِتًا طابَتْ أرومَتُهُ ، وعَزَّتْ جُرثومَتُهُ ، وثَبَّتْ أصلُهُ ، وبَسَقَ فرعُهُ ، ونَبَتَ زرعُهُ ، في أَكْرَمِ مَوَاطِنَ ، وأَطْيَبِ مَعْدِنَ » . وما يجري هذا المجرى من الكلام .

والقرآن غالف لهذه^(٦) الطريقة غالفته للشعر وسائر أصناف كلامهم الدائر بينهم .

(١) سورة آل عمران ٤٨ - ٤٩

(٢) سورة مريم ٤

(٣) م : « على هذا »

(٤) في دلائل النبوة ١ / ٢٤ : « قول عبد المطلب » مع اختلاف في الرواية قليل .

(٥) م : « منبتك منبت »

(٦) س : « لنحو هذه »

ولا معنى لقولهم: إن ذلك مشتق من تريد الحماة صوتها على نسقٍ واحد وروى غير مختلف ، لأن ما جرى هذا الجرى لا يُبنى على الاشتقاق وحده ؛ ولو بُنى عليه لكان الشعر سجعاً ، لأن رويته يتفق ولا يختلف ، وتتردد القوافي على طريقة واحدة .

وأما الأمور التي يستريح إليها الكلام ، فإنها تختلف : فربما كان ذلك يسمى ^(١) قافية ، وذلك إنما يكون في الشعر ، وربما كان ما انفصل عنه الكلامان ^(٢) مقاطع السجع ، وربما سمي ^(٣) ذلك فواصل . وفواصل القرآن — مما هو مختص بها ^(٤) — لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب .

وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع وتأخير ه عنه في موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام ، فليس بصحيح ، لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه . وهي ^(٥) : أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة ، تؤدي معنى واحداً ، من الأمر الصعب ، الذي تظهر به الفصاحة ، وتبين به البلاغة ^(٦) . وأعيد كثير من القصص في مواضع [كثيرة] مختلفة ، على ترتيبات

(١) ا ، ب : « مسمى »

(٢) م : « عنده »

(٣) مكلنا في ا ، ب ، م

(٤) م : « يسمى »

(٥) م : « مما يختص بها »

(٦) م : « وهو »

متفاوتة ، وُنِيهُوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكرراً .
ولو كان فيهم تَكُنُّ من الممارسة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها
بألفاظ لهم تؤدي تلك المأني ونحوها^(١) ، وجملوها بإزاء ما جاء به ،
وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه ، وإلى مساواته فيما [حكى و] جاء به .
وكيف وقد قال لهم : (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ^(٢)) . ففعل
هذا يكون المقصد — بتقديم بعض الكلمات^(٣) وتأخيرها — إظهار
الإعجاز^(٤) على الطريقين جيماً ، دون السجع^(٥) الذي توهموه .

فإن قال قائل : القرآن مختلط من أوزان كلام العرب ، ففيه
من جنس خطبهم ، ورسائلهم [وشرم] وسجهم ، وموزون كلامهم
الذي هو غير مقفى ، ولكنه أبدع فيه ضرباً من الإبداع ، لبراعته
وفصاحته .

قيل : قد علمنا أن كلامهم ينقسم إلى نظم وثر ، وكلام مقفى غير
موزون ، [وكلام موزون غير مقفى^(٦)] ، ونظم موزون ليس بمقفى ،
كالخطب والسجع ، ونظم مقفى موزون له روى^(٧) .

(١) م : « فيه »

(٢) م : « وتحيها »

(٣) سورة الطور ٣٤

(٤) م : « الكلام »

(٥) م : « إظهاراً للإعجاز »

(٦) م : « السجع »

(٧) ما بين الرقمين ساقط من م

ومن هذه الأقسام ما هو سجية الأغلب من الناس . فتناولوه أقرب ،
وسلوكة لا يتعذر . ومنه ما هو أصعب تناولاً ، كالموزون عند بعضهم ،
والشعر عند الآخرين ^(١) .

وكل هذه الوجوه لا تخرج عن أن تقع لهم بأحد أمرين : إما بتعمل
وتكلف وتعلم ^(٢) وتصنع ، أو باتفاق من الطبع وقذف من النفس على
اللسان للحاجة إليه .

ولو كان ذلك مما يجوز اتفاهه من الطبائع ، لم ينفك العالم من
قوم يتفق ذلك منهم ، ويعرض ^(٣) على ألسنتهم ، وتجيش به خواطرهم ،
ولا ينصرف ^(٤) عنه الكل ، مع شدة الدواعي إليه .
ولو كان طريقه التعلم لتصنعوه وتعلموه ^(٥) ، والمهلة لهم فسيحة ،
والأمد واسع .

• • •

وقد اختلفوا في الشعر كيف اتفق لهم ؟ فقد قيل : إنه اتفق
في الأصل غير مقصود إليه ، على ما يعرض من أستاذ النظام
في نضاعيف الكلام ، ثم لما استحسنوه واستطابوه ورأوا أنه قد تألفه

(١) س : « أو الشعر عند الآخرين »

(٢) سقطت هذه الكلمة من م

(٣) ا : « ويعرض » س : « ويعرض »

(٤) م : « ولا ينصرف »

(٥) م : « طريقه التعلم لتصنعوا فيه وتعلموه »

الأسماع وقبلة النفوس ، تَتَّبِعُوهُ ^(١) من بعدُ وتعلموه . وحكى لى
بعضهم عن أبى عمر غلامٍ ثَلَبَ عن ثَلَب : أن العرب تعلم أولادها
قولَ الشعر بوضع غير ممقول ، يوضع على بعض أوزان الشعر كأنه
على وزن :

* قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل *

ويسمى ذلك الوضع « التير ^(٢) » واشتقاقه من المتر ، وهو الجذب
أو القطع ، يقال : مترت الحبل ، أى ^(٣) قطعتة أو جذبتة . ولم يذكر
هذه الحكاية عنهم غيره ، فيحتمل ما قاله ^(٤) .

وأما ما وقع السبق إليه فيشبه أن يكون على ما قدمنا
ذكره أولاً .

وقد يحتمل — على قول من قال : إن اللمة اصطلاح — أنهم
تواضعوا على هذا الوجه من النظم .

وقد يمكن أن يقال مثله على المذهب الآخر ، وأنهم وقفوا على
ما يتصرف إليه القول من وجوه التفاصيل ، وتواقفوا ^(٥) بينهم
على ذلك .

(١) م : « تَتَّبِعُوهُ . . . وتعلموه »

(٢) م : « التَمْتَر »

(٣) س : « بمعنى »

(٤) م : « فحتمل ما قاله »

(٥) س : « أو تواقفهم »

وَيُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ : إِنْ التَّوَاضَعُ وَقَعَ عَلَى أَصْلِ الْبَابِ ، وَكَذَلِكَ التَّوَقِيفُ ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَى فَنُونِ تَصَرُّفِ الْخُطَّابِ ، وَإِنْ أَقْبَلَ تَمَالَى أَجْرَى عَلَى لِسَانِ بَعْضِهِمْ مِنَ النَّظْمِ مَا أَجْرَى ، وَفَطَنُوا لِحُسْنِهِ فَتَبِعُوهُ مِنْ بَعْدُ ، وَبَنَوْا عَلَيْهِ وَطَلَبُوهُ ، وَرَتَّبُوا فِيهِ الْمَحَاسِنَ الَّتِي يَقَعُ الْإِطْرَابُ^(١) بوزنها ، وَتَهَشُّ النُّفُوسُ إِلَيْهَا ، وَجَمَعَ دَوَاعِيَهُمْ وَخَوَاطِرَهُمْ عَلَى اسْتِحْسانِ وُجُوهِ مِنْ تَرْتِيبِهَا ، وَاخْتِيَارِ طَرِيقٍ مِنْ تَزْيِيلِهَا ، وَعَرَفَهُمْ عَاسِنَ الْكَلَامِ ، وَدَلَّهُمْ عَلَى كُلِّ طَرِيقَةٍ عَجِيبَةٍ ، ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ عَجْزَهُمْ عَنِ الْإِتْيَانِ [بِمِثْلِ^(٢)] الْقُرْآنِ ، [وَأَنْ] الْقَدَرُ الَّذِي تَنْتَاهِي إِلَيْهِ قُدْرُهُمْ هُوَ مَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ لَفْظِهِمْ^(٣) ، وَلَمْ يَشْذَ مِنْ جَمِيعِ كَلَامِهِمْ ، بَلْ قَدْ عَرَضَ فِي خُطَابِهِمْ ، وَوَجَدُوا أَنَّ هَذَا لَمَّا تَمَذَّرُ^(٤) عَلَيْهِمْ مَعَ التَّحْدِيِّ وَالتَّقْرِيعِ الشَّدِيدِ وَالْحَاجَةِ الْمَاسَّةِ إِلَيْهِ ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِطَرِيقِ وَضْعِ النَّظْمِ وَالنَّثَرِ ، وَتَكْمُلِ أَحْوَالِهِمْ فِيهِ - : دَلَّ عَلَى أَنَّهُ اخْتَصَّ بِهِ لِيَكُونَ دَلَالَةً عَلَى النُّبُوَّةِ وَمُسْجَرَةً عَلَى الرِّسَالَةِ . وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ الْقَوْمُ إِذَا اهْتَدَوْا فِي الْإِبْتِدَاءِ إِلَى وَضْعِ هَذِهِ الْوُجُوهِ الَّتِي يَتَصَرَّفُ إِلَيْهَا الْخُطَّابُ عَلَى بَرَاعَتِهِ وَحُسْنِ انْتِظَامِهِ ، فَلَا أَنْ يَقْدُرُوا بَعْدَ التَّنْبِيهِ عَلَى وَجْهِهِ وَالتَّحْدِيِّ إِلَيْهِ : أَوَّلَى أَنْ يَإِدُرُوا إِلَيْهِ ، لَوْ كَانَ لَهُمْ إِلَيْهِ سَبِيلٌ .

(١) م : « الاضطراب بوزنها » !

(٢) س : « الإتيان بالقرآن »

(٣) م ، ا : « هو ما لم يفهم »

(٤) س : « إنما تعذر »

ولو كان الأمر على ما ذكره السائل : لوجب أن لا يتحيروا في أمرهم ، ولا تدخل عليهم شبهة فيما نابهم ^(١) ، ولكاتوا يسرعون إلى الجواب ويبادرون إلى المارضة .

ومعلوم من حالهم أن الواحد منهم يقصد إلى الأمور البعيدة عن الوم ، والأسباب التي لا يحتاج إليها ، فيكثر فيها من شعر ورجز ؛ ونجد من يمينه على قلبه عنه ، على ما قدمنا ذكره من وصف الإبل وتاجها ؛ وكثير من أمرها لا فائدة في الاشتغال به في دين ولا دنيا . ثم كانوا يتفاخرون باللسن والدلالة والفصاحة والذراية ^(٢) ، ويتنافرون فيه ، وتجري بينهم فيه الأسباب المنقولة في الآثار ، على ما لا يخفى على أهله .

فاستدلنا بتحريم في أمر ^(٣) القرآن على خروجه عن عادة كلامهم ، ووقوعه موقفاً يخرق العادات . وهذه سبيل المعجزات .

فبان بما قلنا أن الحروف التي وقعت في الفواصل متناسبة موقع النظائر التي تقع في الأسجاع ، لا يخرجها عن حدّها ، ولا يدخلها في باب السجع .

وقد يتناهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء ، فكان

(١) م : « عليهم فيه شبهة فيما يأتيهم »

(٢) س : « والذراية »

(٣) م : « في القرآن »

بعضُ مَصَارِيه^(١) كَلْتَيْنِ، وَبعضُهَا أَرْبَع^(٢) كَلِمَاتٍ، وَلَا يَرُونَ فِي ذَلِكَ
فَصَاحَةً، بَلْ يَرُونَهُ حِجْزًا.

فَلَوْ رَأَوْا أَنَّ مَا تَلَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ سَجْعًا لَقَالُوا: نَحْنُ نَمَارِسُهُ
بِسَجْعٍ مُمْتَدِّلٍ، فَزَيْدٌ فِي الْفَصَاحَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الْقُرْآنِ، وَتَجَاوَزَ حَدَّهُ
فِي الْبَرَاءَةِ وَالْحَسَنِ.

وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ مَنْ قَدَّرَ أَنَّهُ تَرَكَ السَّجْعَ تَارَةً إِلَى غَيْرِهِ ثُمَّ رَجَعَ
إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ مَا تَخَلَّلَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ يُؤْذِنُ بِأَنَّ وَضْعَ الْكَلَامِ غَيْرُ مَا قَدَّرُوهُ
مِنَ التَّسْجِيعِ^(٣)، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ بَابِ السَّجْعِ لَكَانَ أَرْفَعَ نَهَائِيَّتَهُ
وَأَبْعَدَ غَايَتَهُ^(٤).

وَلَا بَدَلُ لِمَنْ جَوَّزَ السَّجْعَ فِيهِ وَسَلَّكَ مَا سَلَكُوهُ مِنْ أَنْ يُسَلِّمَ
مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ^(٥) النَّظَامُ، وَعَبَادُ بْنُ سَلْيَانَ، وَهَشَامُ الْفَوْطِيُّ، وَيَذْهَبُ
مَذْهَبُهُمْ، فِي أَنَّهُ لَيْسَ فِي نَظْمِ الْقُرْآنِ وَتَأْلِيفِهِ إِعْجَازٌ، وَأَنَّهُ يُمْكِنُ
مَعَارَضَتُهُ، وَإِنَّمَا صُرِّفُوا عَنْهُ ضَرْبًا مِنَ الصَّرْفِ^(٦).

(١) م : «مصارعيه»

(٢) س : «تبلغ كلمات»

(٣) م : «من السجع»

(٤) م : «أرفع نهاية وأبعد غاية»

(٥) م : «مذهب النظام»

(٦) قال أبو الحسن الأشعري في كتابه «مقالات الإسلاميين»

ص ٢٢٥ : «واختلفوا في نظم القرآن، هل هو معجز أم لا؟ على ثلاثة أقاويل :
فقال المعتزلة - إلا النظام وهشام الفوطي وعباد بن سليمان - : تأليف القرآن
ونظمه معجز ، محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم ، وأنه علم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم .

ويتضمن كلامه تسليم الخطأ في طريقة النظم ، وأنه مستظم من فرق شتى ، ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها ، ويستعين يديع نظمه وعجيب تأليفه الذي وقع التحدى إليه . وكيف يُعجزهم الخروجُ عن السجع والرجوعُ إليه ، وقد علمنا عادتَهُم في خطبتهم وكلامهم أنهم كانوا لا يرمون أبداً طريقة السجع والوزن ، بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة ، فإذا ادَّعَوْا على القرآن مثل ذلك لم يجدوا فاصلةً بين نظمي الكلامين .

وقال النظام : الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه للعباد ، لولا أن الله منعهم بمنع وصجر أحسبهما فيهم .

وقال هشام وعباد : لا نقول : إن شيئاً من الأعراض يدل على الله سبحانه ، ولا نقول أيضاً : إن عرضاً يدل على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يجعل القرآن علماً للنبي صلى الله عليه وسلم . وزعموا أن القرآن أعراض .

٦ فصل

﴿ في ذكر البديع من الكلام ﴾

لأن سأل سائل فقال : هل يمكن أن يُعرف إعجاز القرآن من جهة ما تضمنه ^(١) من البديع ؟

قيل : ذكر أهل الصنعة ومن صنّف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظاً نحن نذكرها ، ثم نبين ما سألوا عنه ، ليكون الكلام وارداً على أمر مبين ، وباب مقرر مصور ^(٢) .

ذكروا : أن من البديع في القرآن قوله عز ذكره : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ ^(٤) .
وقوله : ﴿ وَاشْتَمَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ ^(٥) . وقوله : ﴿ وَآيَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ ^(٦) . وقوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴾ ^(٧) . وقوله : ﴿ تَوْرُ عَلَى نُورٍ ﴾ ^(٨) .

(١) من : « ما تضمنه »

(٢) من : « مبين مقرر وباب مصور »

(٣) سورة الإسراء ٢٤

(٤) سورة الزخرف ٤

(٥) سورة مريم ٤

(٦) سورة يس ٣٧

(٧) سورة الحج ٥٥

(٨) سورة النور ٣٥

وقد يكون البديع في الكلمات الجامعة الحكيمة ، كقوله :
﴿ولكم في القصص حياة^(١)﴾ .

وفي الألفاظ الفصيحة ، كقوله : ﴿فلما أَسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا^(٢)﴾ .

وفي الألفاظ الإلهية ، كقوله : ﴿وله كُلُّ شَيْءٍ^(٣)﴾ . وقوله :
﴿وما بكم من نعمة فمن الله^(٤)﴾ . وقوله : ﴿لَينَ الثُّلُكُ الْيَوْمَ ؟
 قُلِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ^(٥)﴾ .

...

ويذكرون من البديع قول النبي صلى الله عليه وسلم : « خيرُ الناسِ
رَجُلٌ يُمْسِكُ لِمَنَاكِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَلَّمَا مِمَّعَ هَيْعَةٍ
 طَارَ إِلَيْهَا^(٦) » .

وقوله : « رَبَّنَا تَقَبَّلْ تَوْبَتِي ، وَاعْسِلْ حَوْبَتِي^(٧) » .

(١) سورة البقرة ١٧٩

(٢) سورة يوسف ٨٠

(٣) سورة النمل ٩١

(٤) سورة النحل ٥٣

(٥) سورة غافر ١٦

(٦) في القاتق للزخشرى ٣/ ٢٢٣ « الميعة : الصبيحة التي يفرغ منها وأصلها من هاع يبيع إذا جبن » .

(٧) القاتق ١/ ٣٠٦ وقال الشريف الرضى في المحازات النبوية ص ٢٠٢ : « وهذه استعارة ، والحوبة والحوب : المأثم ، والمراد احطط عني وزري وتغمد ذنبي وضطيتي ، ولكن المعصية لما كانت كالدارن الذي يصيب الإنسان فيفحش أثره ، ويقبح منظره ؛ أقام عليه الصلاة والسلام إماطة وزرها ،

وقوله : « غَلَبَ عَلَيْكُمْ دَاوُ الْأُمِّ قَبْلَكُمْ : الحسدُ والبغضاء ، وهي حالقة الدِّين ، لا حالقة الشَّعر ^(١) » .

وقوله : « النَّاسُ كِلَابٌ مَائَةٌ ، لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً ^(٢) » .

وقوله : « وَهَلْ يَكْبُثُ النَّاسُ عَلَى مَنَآخِرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ^(٣) » .

وقوله : « إِنْ مَّا يُنَبِّتُ الرَّيِّعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُبْلِمُ ^(٤) » .

وكقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، في كلام له قد نقلناه

واسقاط لثمنها مقام غسل الأدران وإماطة الأدناس ؛ لأن الإنسان بعدها يعود نقي الأبواب طاهراً من العاب . وهذا الدعاء من النبي على وجه التعبد والخضوع والتطامن والخشوع ، لا أن له حوبة يستحط وزرها ويستغسل درنها ، أو يكون ذلك على طريق التعليم لأمنته

(١) في الفائق ١ / ٢٩٠ « هي قطيعة الرحم والتظام لأنها تبتاح الناس وتهلكهم ، كما يخلق الشعر ، يقال : وقعت فيهم حالقة لا تدع شيئاً إلا أهلكتهم » .
(٢) البيان والتبيين ٢ / ٢٠ وفي اللسان ١٣ / ٢٩٤ ، « الراحلة كل يعبر نجيب قوى على الأسفار والأهمال تام الخلق حسن المنظر . . . أراد صلى الله عليه وسلم أن الكامل في الخير والهدى في الدنيا مع رغبته في الآخرة والعمل لها قليل ، كما أن الراحلة النجبية نادرة في الإبل الكثيرة » .

(٣) الفائق ١ / ٢٦١ والمحازات النبوية ١٢١ - ١٢٢ وفي اللسان ٤ / ١٣٠ عن الأزهري : « أى ما قالته الألسنة وهو ما يقتطعونه من الكلام الذى لا خير فيه ، واحلتها حصيدة ، تشبيهاً بما يحصد من الزرع إذا جلد ، وتشبيهاً للسان وما يقتطعه من القول بحمد المنجل الذى يحصد به » .

(٤) في اللسان ٩ / ١٤٠ « الحبط : أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها » . وفيه ١٦ / ٢٣ « أو يلم ، قال أبو عبيد : معناه أو يقرب من القتل » وفيه ٩ / ١٣٩ « قال الأزهري : فأما قوله صلى الله عليه وسلم : وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً ، فهو مثل الحريص والمفرط في الجمع والمنع ، وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب التى تحلّولها الماشية

بعد هذا على وجهه ، وقوله لخالد بن الوليد رضى الله عنه : « احرم من على الموت تُوهِبُ لك الحياة » . وقوله : « فَرَّ من الشَّرَفِ يَنْبُكَ »

الشرف .

وكقول على بن أبي طالب في كتابه إلى ابن عباس . وهو عامله على البصرة : « أَرْغَبُ رَاغِبِهِمْ ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْهُمْ » . وقوله رضى الله عنه ، حين سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : [غَيَّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ — : إِنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَمَّا وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُ الْإِسْلَامِ ، فَكُلِّ امْرِئٍ وَمَا اخْتَارَ ^(١) .

وسأل على رضى الله عنه بعض كبراء فارس ، عن أحمد ملوكهم عندهم ؟ فقال : لَأَرْدَشِيرَ فَضِيلَةَ السَّبْقِ ، غير أن أحمدم أنوشروان . قال : فأئى أخلاقه كان أغلب عليه ؟ قال : الحلم والأناة ، فقال على رضى الله عنه : « هُمَا تَوَاقُفٌ يُنْتَجُهُمَا عُلُوُّ الْمَهْمَةِ ^(٢) » .

وقال : « قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَحْسِنُ » .

وقال : « الْعِلْمُ قُفْلٌ ، وَمِفْتَاحُهُ الْمَسْئَلَةُ ^(٣) » .

وكتب خالد بن الوليد إلى مَرَازِبَةَ فارس : « أما بعد ، فالحمد لله

فستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك ، كذلك الذى يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشغ على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها يهلك فى الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب » .

(١) البديع لابن المعتز ص ٢٠

(٢) البديع ٢١

(٣) البديع ٢١ والصناعتين ٢١٣

الذى فُضَّ خَدَمَتكم، وُفِّرَ كَلَتكم». وَالْخَدَمَةُ: الْحَلَقَةُ الْمُسْتَدِيرَةُ،
ولذلك قيل للخلاخيل: خِدَامٌ^(١).

وقال الحجاج: «دَلُونِي عَلَى رَجُلٍ يَمِينُ الْأَمَانَةَ»^(٢).

ولما عَقَدَتِ الرَّأْسَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ الرَّاسِي^(٣) عَلَى الْخَوَارِجِ،
أَرَادَهُ عَلَى الْكَلَامِ، قَالَ: «لَا خَيْرَ فِي الرَّأْيِ الْفَطِيرِ»^(٤)، وَقَالَ:
«دَعُوا الرَّأْيَ يُنِيبُ»^(٥).

وقال أعرابي في شكر نعمة^(٦): «ذَاكَ عُنْوَانُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

(١) نقل المؤلف هذا النص بشرحه من كتاب البديع ص ٢١ وفي اللسان
٥٨/١٥ «فُضَّ» الله خدمتهم: أى فرق جماعتهم، والخدمة بالتحريك:
سير غليظ مضفور مثل الحلقة، يشد في رسغ البعير، ثم يشد إليها سرائح نعله،
فإذا انقضت الخدمة انحلت السرائح وسقطت النعل، ففُضِرَ ذلك مثلاً لذهاب
ما كانوا عليه وتفرقه، وشبه اجتماع أمر العجم واتساقه بالحلقة المستديرة، فلهذا
قال: فض الله خدمتكم: أى فرقها بعد اجتماعها

(٢) البديع ٢٢ وفي الصناعتين ٢١٤ بعد ذلك: «أعجف الخيانة».

(٣) خرج عبد الله بن وهب هذا على «علي» في أربعة آلاف، فباعه
الخوارج لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ راجع الطبرى ٤٢/٦

(٤) الفطير: ما أعجل عن إدراكه وإنضاجه، وفي البديع بعد ذلك
«والكلام القصب»، فلما فرغوا من البيعة له قال: «دعوا الرأى» إلخ وكذلك في
البيان والتبيين ١/٢٠٥ والصناعتين ٢١٤

(٥) في البيان والتبيين والصناعتين بعد ذلك: «فإن غوبه يكشف لكم
عن محضه». وفي البديع: «عن فضه».

(٦) في البديع ٢٣ والصناعتين ٢١٤ «وقيل لأعرابي: إنك لحسن الكدنة
فقال: ذاك عنوان، إلخ. والكدنة: كثرة الشحم واللحم، كما في اللسان ١٧/٢٣٦

قوله : « قيد الأوابد » عندهم من البديع ومن الاستعارة ، و يروونه من الألفاظ الشريفة ^(١) ، وعنى بذلك أنه إذا أرسل هذا الفرس على الصيد صار قيـداً لها ، وكانت بحالة المقيد من جهة سرعة إحضاره .
 واقتدى به الناس ، واتبعه الشعراء ، فقيل : « قيد النواظر » و « قيد الألاحظ » و « قيد الكلام » و « قيد الحديث » و « قيد الرهان » .

وقال الأسود بن يعفر :

بمقلص عتد جهيز شدة قيد الأوابد والرهان جواد ^(٢)
 وقال أبو تمام :

لها منظر قيد الأوابد لم يزل يروح ويندو في خفارته الحب ^(٣)

(١) في الصناعتين ٢٠٧ : « والحقيقة : مانع الأوابد من الذهاب والإفلات . والاستعارة أبلغ ، لأن القيد من أعلا مراتب المنع عن التصرف ، لأنك تشاهد ما في القيد من المنع فلست تشك فيه » .

وقال قدامة في نقد الشعر ص ٥٨ : « فلما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة وأنه جواد ، فلم يتكلم باللفظ بعينه ، ولكن بأردافه ولواحقه التابعة له ، وذلك أن سرعة إحضار الفرس يتبعها أن تكون الأوابد — وهى الوحش — كالمقيدة له إذا نجا في طلبها . والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللفظة فيقولون : هو أول من قيد الأوابد ، وإنما عنى بها الدلالة على جودة الفرس وسرعة إحضاره ، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن عند الناس من الاستجادة ما جاء من إتيانه بالردف له . وفي هذا برهان على أن وضعنا الإرداف من أوصاف الشعر ونعوته واقع بالصواب » .

(٢) فرس مقلص : طويل القوائم ، وفي المفضليات ١٩ / ٢ « بمشمر » وهى بمعناها . وعتد : قوى سريع الوثبة معد للجري . جهيز شدة : سريع علوه . الرهان : المراهنة ، يعنى أنه إذا دخل السباق حبس الرهن فلا يناله غيره . لجواد : القوي السابق البعيد الجرى .

(٣) ديوانه ١٧ / ١ « قيد النواظر » .

وقال آخر :

الحاظه قيدُ عيونِ الورى فليس طرُفٌ يَشُدُّه

وقال آخر :

* قَيْدُ الْحُسْنِ عَلَيْهِ الْحَدَقَا *

وذكر الأصبى وأبو عبيدة وحماد ، وقبلهم أبو عمرو . أنه أحسن
في هذه اللفظة ، وأنه أتبع فلم يلحق ، وذكره في باب الاستعارة البليغة .
وسماها بعضُ أهل الصنعة ^(١) باسم آخر ، وجملوها من باب
الإرداف ، وهو : أن يريد الشاعر دلالةً على معنى فلا يأتي باللفظ الدال
على ذلك المعنى ، بل بلفظ هو تابع له وردف ^(٢) .

قالوا : ومثله قوله ^(٣) :

* نَوْوَمُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَلِقْ عَنْ تَفَضُّلِ *

وإنما أراد ترفُّعها بقوله : « نَوْوَمُ الضُّحَى » ^(٤) .

(١) يقصد المؤلف قدامة بن جعفر ، فإنه هو الذى وضع الإرداف من
أوصاف الشعر ونوعته ، راجع نقد الشعر ٥٧ - ٥٨

(٢) فى نقد الشعر ٥٧ بعد ذلك : « فلذا دل على التابع أبان عن المتبوع » .

(٣) يريد امرأ القيس ، وصدر البيت :

• ويضحى فبيت المسك فوق فراشها •

(٤) قال قدامة فى نقد الشعر ص ٥٧ : « وإنما أراد امرؤ القيس أن يذكر
ترفه هذه المرأة وأن لها من يكئها فقال : نَوْوَمُ الضُّحَى ، وإن فئت المسك يبق
إلى الضحى فوق فراشها ، وكذلك سائر البيت ، أى هى لا تنتطق لتخدم ، ولكنها
فى بيتها متفضلة . ومعنى عن فى هذا البيت معنى بعد » . راجع الصناعتين ٢٧٦

ومن هذا الباب قول الشاعر^(١) :

بعيدةً تهوى القُرْطُ إِمَّا لَتَوْفَلٍ أبوها، وإِمَّا عَبْدُ شمسٍ وهاشمُ
وإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَصِفَ طُولَ جِيدِهَا ، فَأَتَى بِرَدْفِهِ^(٢) .

ومن ذلك قول امرئ القيس :

* وليل كعج البحر أرخى سُدُولَهُ^(٣) *

وذلك من الاستعارة المليحة .

ويحملون من هذا القليل ما قدمنا ذكره^(٤) من القرآن : (واشتمل الرأسُ شيئاً) ، (وأخفِضْ لها جناحَ الذلِّ من الرحمة) .

ومما يَدُونُهُ من البديع اتشبيهُ الحسن ، كقول امرئ القيس :

كَأَنَّ عَيْوَنَ الْوَحْشِ حَوْلَ خَائِنَتِنَا وَأَرْحَلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ^(٥)

(١) هو عمر بن أبي ربيعة كما في ديوانه ص ٢٠٠

(٢) قال قدامة : « وإِنَّمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَصِفَ طُولَ الْجِيدِ ، فَلَمْ يَذْكُرْ بِلَفْظِهِ الْخَاصَّ بِهِ ، بَلْ أَتَى بِمَعْنَى هُوَ تَابِعٌ لَطُولِ الْجِيدِ ، وَهُوَ بَعْدُ مَهْوَى الْقُرْطِ » .
راجع المعلقة ٢٨٢/٢ ، والصناعتين ٢٦ ٢٠

(٣) وصحزه كما في ديوانه ص ١٠٠ :

• عَلَى بَأَنَوَاعِ الْمُسُومِ لِيَتَلَى •

راجع البديع ص ٢٤

(٤) راجع ص ١٠١

(٥) الصناعتين ص ١٨٥ والكامل ٧٤١ وفي اللسان ٣٩٨/٩ : « وَالْجَزَعُ

الْحَرْزُ الْيَمَانِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ ، وَاحْتَلَتْهُ جَزَعَةٌ ، قَالَ ابْنُ بَرِّي :
سَمِيَ جَزَعًا لِأَنَّهُ مَجْرَعٌ ، أَيْ مَقْطَعٌ بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ ، أَيْ قَطْعٌ سَوَادُهُ بَيَاضُهُ » .

وقوله :

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا

لدى وَكْرِهَا (الْعُنَاب) وَالْحَشَفُ الْبَالِي (١)

واستبدعوا تشبيه شيتين بشيتين على حسن تقسيم ، ويزعمون أن

أحسن ما وُجد في هذا للمُحدثين (٢) قولُ بشار :

كَانَ مُثَارَ التُّغَى فَوْقَ رَوْثِهِمْ وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (٣)

وقد سبق امرؤ القيس إلى صحة التقسيم في التشبيه ، ولم يتمكن

بشار إلا من تشبيه إحدى الجملتين بالأخرى ، دون صحة التقسيم

والتفصيل .

وكذلك عَدُو (٤) من البديع قول امرئ القيس في أذُنِي الفرس :

(١) البديع ص ١٢٢ وسر الفصاحة ٢٣٧ وأخبار أبي تمام ١٧ والصناعتين ص ١٨٥ ، ١٨٩ وأسرار البلاغة ص ١٦٨ والعمدة ١ / ٢٦٠ وقال المبرد في الكامل ص ٧٤٠ : « فإن اعترض معترض فقال : فهلا فصل فقال : كأنه رطبيا العناب ، وكأنه يابس الحشف ؟ قيل له : العربي الفصيح الفطن اللقن يرى بالقول مفهوماً ، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيباً » .

(٢) م : « ما وجد للمحدثين في نحو هذا » .

(٣) م : « رؤوسنا » م : « ليل تهاوت » والبيت في ديوانه ١ / ٣١٨ والصناعتين ص ١٨٩ والعمدة ١ / ٢٦٠ وأسرار البلاغة ص ١٥١ .

(٤) م : « وكذلك عدوا من البديع قول طريقة بن العبد في أذُنِي ناقته :

مؤلتان يعرف العتق فيهما كسامتي شاة بمحمل مفرد

مذحورة أم فرقد ، ومثله قول امرئ القيس في وصف الفرس :

وعينان كالساويتين ومحجر إلى سنبل مثل الصفيح المنصب

(وسامعتان) يُعرَفُ العِثْقُ فيها

كسَامِعَتَيْنِ مُذْعَوْرَةٍ وَسَطَرٍ بِرَبٍّ^(١)

وَاتَّبَعَهُ طَرَفَةٌ ، قَال فِيهِ :

وسامعتان يُعرَفُ العِثْقُ فيها

كسَامِعَتَيْنِ شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ^(٢)

ومثله قول امرئ القيس في وصف الفرس :

وعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ وَتَحْجِرٍ إِلَى سَنَدٍ مِثْلِ الصَّفِيعِ الْمُنْصَبِ^(٣)

وقال طَرَفَةٌ فِي وصف عيني ناقته :

وعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ اسْتَكْتَا

بِكَهْفِي حِجَابِي صَخْرَةٍ قَلْتُ مَوْرِدٍ^(٤)

(١) لم يرد هذا البيت في ديوان امرئ القيس ، وورد في ديوان علقمة ص ٢٤ . والسامعتان : الأذنان . المذعورة : المفزعة ، يعني بقرة الوحش ذعرت فنصبت أذنها وحددتها ، الربرب : جماعة بقرة الوحش .

(٢) البيت في اللسان ٢٦/١٠ وروايته الأولى : « وموالتان » وفي ٢٤/١٣ : « وألئت الشيء تأليلاً » : أى حددت طرفه ، ومنه قول طرفة بن العبد يصف أذن ناقته بالحدة والانتصاب : موالتان . إلخ

(٣) م : « إلى سنبك » والسند : الخلد . وفي اللسان ٢٠/١٦٨ : « الماوية : المرأة كأنها نسبت إلى الماء لصفائها وأن الصورة ترى فيها كما ترى في الماء الصافي ، والميم أصلية فيها ، وقيل : الماوية : حجر البلور » وعجرج العين : ما دار بها من العظم الذي في أسفل الجفن .

(٤) في اللسان ٣/٥٢ : « الحجاج : العظم الثابت عليه الحاجب » والقلت : النقرة في الجبل تملك الماء . وقلت العين : فقرتها .

ومن البديع في التشبيه قول امرئ القيس :
 له أنطلا ظبي وساقا نامة
 وإرخاء سرحان وتقرب ثقلي^(١)

وذلك في تشبيه أربعة أشياء بأربعة أشياء ، أحسن فيها .

• • •

ومن التشبيه الحسن في القرآن قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْخَوَارِجُ الْمُنَشَّاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾^(٢) . وقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ يَيْفُزُ مَكْنُونٌ ﴾^(٣) .
 ومواضع نذكرها بعد هذا .

ومن البديع في الاستمارة قول امرئ القيس :
 وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهُوم ليتلى^(٤)
 فقلت له لما تخطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكل كل

(١) ديوانه ص ١٠٢ وقد الشعر ص ٣٨ والصناعتين ص ١٨٩ والعمدة ٢٥٩ / ١ والأمالى ٢ / ٢٥٠ . والأبطل : الخاصرة . والإرخاء : شدة العلو . شبه خاصرته بخاصرتي الطي في دقهما ، وشبه ساقيه بساق النعامة في قصرهما . ويستحب ذلك مع طول الوظيف ، وفي شدتهما ، لأن ساق النعامة ظمياء ليست برهلة ، كما قال البكري في شرح الأمالى ٢ / ٨٧٨ . والسرحان الذئب . والتقريب : رفع اليدين معاً ووضعهما معاً في العلو ، ويقال : إن الذئب أحسن الدواب تقريباً . والتفعل : ولد الثعلب .

(٢) سورة الرحمن ٢٤

(٣) سورة الصافات ٤٩

(٤) ديوانه ص ١٠٠ والبديع ص ٢٤ ، ٢٥ والصناعتين ص ٢١٧ والموازنة ص ١١ والموضح ص ٣١ ودلائل الإعجاز ٦٢ وطبقات الشعراء ٧١ القمدول : السور . يتلى : ينظر ما عندي من صبر أو جزع . تخطى : امتد . صلبه : وسطه . أردف : أتبع . أعجازه : مآخيره . ناء : نهض . الكل كل : الصلور .

وهذه كلها استعارات أتت بها في ذكر طول الليل .

ومن ذلك قول النابغة :

وصدر أراح الليل عازب همة تضاعف فيه الحزن من كل جانب^(١)

فاستعاره من إراحة الراعي إبله إلى مواضعها التي تأوى إليها بالليل .

وأخذ منه ابن الدميني فقال :

أقضى نهارى بالحديث وبالثنى ويجمعني والهم بالليل جامع^(٢)

ومن ذلك قول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطلاً وعزى أفراس الصبا ورواحله^(٣)

ومن ذلك قول امرئ القيس :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال^(٤)

(١) ديوانه ص ٩ والبديع ص ٢٦ : والصناعتين ص ٢١٧ وفي الموشح ص ٣١ « قال الصولي . . . جعل صدره مألماً للهموم ، وجعلها كالنم العازبة بالنهار عنه ، الراححة مع الليل إليه ، كما تريح الرعاة السائمة بالليل إلى أماكنها . وهو أول من وصف أن الهموم متزايدة بالليل . . . »

(٢) البيت لابن الدميني في ديوانه ص ١٧ والأغاني ١٥ / ١٥٤ والموشح ص ٣٢ وصدره هناك :

أظل نهارى فيكم متعللاً .

وقد ورد منسوباً لقيس ابن خزيمة في الأمالي ٢ / ٣١٦ والأغاني ٩ / ٢١٨ وإلى مجنون ليلى في مصارع العشاق ص ٢٤٨ والأغاني ٢ / ٤٥ وقد صحح أبو الفرج نسبته إلى ابن الدميني راجع الأغاني ٩ / ٢١٨ .

(٣) البديع ص ٢٦ والموازنة ص ١١ والصناعتين ٢١٧ ومعاهد التنصيص ٢٦٠ وديوانه ص ٤٢ وفي ص : « عن ليلى » .

(٤) ديوانه ص ١٠٨

وأخذه أبو تمام فقال :

* مُمَوَّ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ ^(١) *

ولمّا أراد امرؤ القيس إخفاء شخصه .

ومن ذلك قوله :

* كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَغْفَرَا ^(٢) *

يريد أنهم غير مطمئنين .

ومن ذلك ما كتَبَ إلى الحسن بن عبد الله بن سعيد ، قال :
أخبرني أبي ، قال : أخبرنا عسل بن ذكوان ، أخبرنا ^(٣) أبو عثمان
المازني ، قال : سمعت الأصمعي يقول : أجمع أصحابنا أنه لم يُقَلَّ أحسنُ
ولا أجمعُ من قول النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي وإن خِلْتُ أن المُنْتَأَى عنك واسع ^(٤)
قال الحسن بن عبد الله : وأخبرنا محمد بن يحيى ، أخبرنا عون بن

(١) وصدره كما في ديوانه ص ٤٥ :

• سما للعلی من جانبها كليهما •

وهو في مدح أبي دلف العجلي

(٢) وصدره كما في ديوان امرئ القيس ص ٥١

• ولا مثل يوم في قناران ظلته •

وقناران : اسم موضع . والأعفر . الظلي الذي تعلو بياضه حرة . جاء في اللسان

٢٦١ / ٦ : « ويقال : رماني عن قرن أعفر ، أي رماني بداهية . . . وذلك أنهم
كانوا يتخفون القرون مكان الأسته ، فصار مثلاً عندهم في الشدة تنزل بهم .
ويقال للرجل إذا بات ليلته في شدة تقلقه : كنت على قرن أعفر ، ومنه قول
امرئ القيس . . . »

(٣) م : « قال لنا »

(٤) ديوانه ص ٤١

محمد الكِنْدِي ، أخبرنا قَتْنَبُ بْنُ مَحْرَزٍ ، قال ^(١) : سمعت الأعمش يقول :
سمعت أبا عمرو يقول : كان زهير يمدح السُّوقَ ، ولو ضرب على
أسفل قدميه مِثْثًا دَقَلَ صِينِي ^(٢) على أن يقول كقول النابغة :
فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي وإن خلت أن المتأى عنك واسع
— : لما قال ؛ يريد أن سلطانه كالليل يصل إلى كل مكان .

واتبعه الفرزدق فقال :

ولو سحلتني الريح ثم طلبتني لكنت كشيء أذكر كشيء مقاديرُهُ ^(٣)
فلم يأت بالمعنى ولا اللفظ على ما سبق إليه النابغة .

ثم أخذه الأخطل فقال :

وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لا عارٌ بما فعل الدهر ^(٤)
وقد روى نحو هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم : « نصرتُ
بالرُّعب ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وليدخلن هذا الدينُ على
ما دخل عليه الليل » .

(١) سقط هذا الخبر من م

(٢) في اللسان ١٣ / ٢٦٢ : « الدقل : ضرب من النخل ، وخشبة طويلة
تشد في وسط السفينة يمد عليها الشراع ، وتسميه البحرية الصاري »

(٣) م : « كسيل » والبيت في ديوان الفرزدق ص ٣١٣ وروايته :
« وأن لو ركبت الريح . . . كشيء أدركته » وقبله :
« فأيقنت أني إن نأيتك لم يرد بي التأى إلا كل شيء أحاذره
وفي زهر الآداب ٤ / ١٧٩ « لكنت كود »

(٤) لا يوجد في ديوانه .

وأخذه علي بن جبلة^(١) فقال : وما لأمري حاولته منك مهرب^(٢) ولو رفعت في السماء المطالع^(٣)
 لي ، هارب لا يهتدي لكاهه ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع^(٤)
 ومثله قول سلم الخاسر :
 فأنت كالدهر ميثوثا جباله والدهر لا ملجأ منه ولا هرب^(٥)
 ولو ملكت عنان الريح أصرفه في كل ناحية ما فاتك الطلب^(٦)
 فأخذه البحرى فقال :
 ولو أنهم ركبوا الكواكب ليكن ينجيهم عن خوف بأسك مهرب^(٧)
 ومن بديع الاستعارة قول زهير :
 فلما ورذن الماء زرقا جمائه وضعن عصى الحاضر المنخم^(٨)
 وقول الأعشى :
 وإن عتاق العيس سوف يزوركم ثناء على أعجازهن مطلق^(٩)

(١) ك : « علي بن أبي طالب » ا

(٢) معاهد التنصيص ١٤٩ وزهر الآداب ٤ / ١٨٠ وفي س ، ك :

« عنك مهرب ولو كان في جوف السماء »

(٣) س ، ك : « طالع »

(٤) معاهد التنصيص ص ١٤٩

(٥) ديوانه ٢ / ١٨٩ وزهر الآداب ٤ / ١٨٠

(٦) ديوانه ص ١٣

(٧) ديوانه ص ١٤٩

ومنه أخذ نُصِيبُ فقال :

فما جُوا فَأَتَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَنُوا أَمْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ^(١)

ومن ذلك قول تَابَطَ شَرًّا :

خَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ تَكْدَحِ الصِّفَا بِهِ كَدْحَةَ وَالْمَوْتَ خَزْيَانُ يُنْظَرُ^(٢)

ومن الاستمارة في القرآن كثير ، كقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ^(٣) ﴾ يريد ما يكون الذِّكْرُ عنه شرفاً .

وقوله : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً^(٤) ﴾ . قيل : دين الله أراد .

وقوله : ﴿ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى ، فَارَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ^(٥) ﴾ .

ومن البديع عندم [التَّلَوُّ والإفراط في الصفة] ، كقول النمر بن تولب :

(١) نقد الشعر ٢٧ والشعر والشعراء ١ / ٣٧٢ والأغاني ١ / ٣٣٧

(٢) الأغاني ١٨ / ٢١٥ وشرح الحماسة للتبريزي ١ / ٨٠ وقال المزدني في شرحه ١ / ٨٢ : « ويقول : أسهلت ولم يؤثر الصفا في صدرى أثراً ، لا خلساً ولا خشاً ، والموت كان طمع في ، فلما رآني وقد تخلصت بقي مستحيماً ينظر ويتحير . والواو من قوله : « والموت » واو الحال . وهذا من فصيح الكلام ، ومن الاستعارات الملبحة »

(٣) سورة الزخرف ٤٤

(٤) سورة البقرة ١٣٨

(٥) سورة البقرة ١٦

أَبْقِ الْحَوَادِثُ وَالْأَيَّامُ مِنْ نَعْرِ
تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبَتْ بِهِ
وَكَقُولِ النَّابِغَةِ :

تَقْدُ السَّلُوقِ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ
وَيُوقِدْنَ بِالصَّفَاحِ نَارَ الْجُبَابِ
وَكَقُولِ عَنَتْرَةِ :

فَاذْوَراً مِنْ وَقَعِ الثَّنَاءُ بِلَبَانِهِ
وَشَكَ إِلَى بَمْبُورَةٍ وَمَحْمُومٍ
وَكَقُولِ أَبِي عَامٍ :

لَوْ يَلِمُ الرُّكْنُ مَنْ قَدْ جَاءَ يَلِثُهُ
لَحَرَ يَلِثُ مِنْهُ مَوْطِئُ الْقَدَمِ
وَكَقُولِ الْبَحْتَرِيِّ :

وَلَوْ أَنَّ مَشْتَقَا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا
فِي وَسْمِهِ ، لَمَشَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ
وَمِنْ هَذَا الْجِنْسِ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ يَوْمَ قُورِلْ لُجْنُهُمْ هَلْ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ
هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ (٧) .

(١) نقد الشعر ١٧ والموشح ٧٨ والعمدة ٥٨ / ٢ والوساطة ٤٣٥
والصناعتين ٢٨٣ والأغاني ١٩ / ١٦٢ والشعر والشعراء ١ / ٢٧٠

(٢) يريد بعد قطع الهادي والزراعيين والساقين

(٣) ديوانه ص ٤٤ وفيه : « وتوقد » والعمدة ٥٩ / ٢ ، ٢٨٥ وتأويل
مشكل القرآن ١٣١

(٤) شرح القصائد العشر ص ٢٠٤

(٥) غير موجود في ديوانه

(٦) ديوانه ١٨ / ١ والصناعتين ٢٨٦ والموازنة ١ / ٢٩٦

(٧) سورة ق - ٣٠

وقوله : (إِذْ أَرْأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَفِيْظًا وَفِيْرًا ^(١)) .

وقوله : (تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ النِّفْثِ ^(٢)) .

• • •

٤) وما يمدونه من البديع (المائلة) وهو ضرب من الاستعارة ، [سماه

قُدَامَةُ التَّمْثِيلِ ، وهو على المكس من الإدراف ؛ لأن الإدراف مبنى

على الإسهاب والبسط ، وهو مبنى على الإيجاز والجمع ^(٣)] .

وذلك أن يقصد الإشارة إلى معنى ، فيضع ألفاظاً تدل عليه ؛ وذلك

المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذى قصد الإشارة إليه .

نظيره من المنشور : أن يزيد بن الوليد بلغه أن مروان بن محمد يتلصك

عن يمينه ، فكتب إليه : « أما بعد ، فإنى أراك تقدم رجلاً وتؤخر

أخرى ، فاعتمد على أكتفهما شئت ^(٤) » .

وكنحو ما كتب به الحجاج إلى المهلب ^(٥) : « فإن أنت فعلت

ذلك ؛ وإلا أشرعتُ إليك الرمح » . فأجابه المهلب : « فإن أشرع الأمير

الرمح ، قلبتُ إليه ظهرَ المِجَنِّ » .

(١) سورة الفرقان ١٢

(٢) سورة الملك ٨

(٣) الزيادة من م

(٤) سر القصاحة ص ٢٢٢

(٥) نى سر القصاحة بعد ذلك : « حين حضه على قتال الأزارقة وتوعده

وكقول زهير :

ومن يَمْنَعُ أطرافَ الزَّجاجِ فإنه يُطِيعُ العوَالِي دُبَّتْ كُلُّ لَهْدَمٍ ^(١)

وكقول امرئ القيس :

وما ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمِيكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبِ مَقْتَلٍ ^(٢)

وكقول عمرو بن مَعْدَى كَرِب :

ظَلَوْنَا قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحَهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنْ الرِّمَاحُ أَجَرَتْ ^(٣)

(١) ديوانه ص ٣١ الزجاج : جمع زج وهو الحديدية التي تتركب في أسفل الرمح ٢ ، واللسان يركب عاليته ، ولزج تركب به الرمح في الأرض ، واللسان يطعن به . قال أبو عبيدة : هذا مثل ، يقول : إن الزج ليس يطعن به ، إنما الطعن باللسان ، فن أبي الصلح وهو الزج الذي لا طعن به أعطى العوالم وهي التي بها الطعن . راجع اللسان ١١٠/٣ والصناعتين ص ٢٧٩ وصر الفصاحة ص ٢٢١ .
(٢) ديوانه ص ٩٧ والصناعتين ص ٢٧٩ والعمدة ٢٤٧/١ والميسر والقداح ص ١٢٢ وفي اللسان ٢٤٩/٦ : « أراد بقوله : بسهميك ههنا : سهمي قداح الميسر ، وهما المعلل والرقيب ، فللمعلل سبعة أنصباء ، والرقيب ثلاثة ، فإذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها ، ولم يطمع غيره في شيء منها ، وهي تقسم على عشرة أجزاء . فالمنعني : أنها ضربت بسهامها على قلبه فخرج لها السهمان ، فقلبت على قلبه كله وقتنته فلكته . . . وهذا التفسير في هذا البيت هو الصحيح . ومقتل : مذلل . »

(٣) شرح الحماسة للتبريزي ١٦٠/١ والبيان والتبيين ٢١٤/١ واللسان ١٩٦/٥ وقال المرزوقي في شرح الحماسة ١٦٢/١ : « يقول لو أن قومي ألبوا في الحرب واجتهدوا لاقتحرت بهم وذكرت بلامهم ، ولكن رماحهم أجرت لسانى ، كما يجز لسان الفصيل . وجعل الفعلين للرماح لأن المراد مفهوم في أن التقصير كان منهم لا منها . والإجزار : أن يشق لسان الفصيل للرماح فيجعل فيه عويد لتلا يرضع أمه . »

وكقول القائل^(١) :

بنى عما لاتذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا^(٢)

وكقول الآخر^(٣) .

أقول وقد شدوا لسانى بنسمة أمعشر تيمر أطلقوا عن لسانيا

ومن هذا الباب^(٤) فى القرآن قوله : ﴿ فَاَصْبِرْهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾^(٥) .

وكقوله : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾^(٦) . قال الأصمى : أراد البدن ، قال :

(١) هو الشمينذر الحارثى ، أو سويد بن صُميع المرتضى ، وكان قتل أخوه غيلة ، فقتل قاتل أخيه نهراً فى بعض الأسواق من الحضر . كما فى شرح الحماسة للمرزوقى ١ / ١٢٤ والتبريزى ١ / ١١٩ .

(٢) قال المرزوقى : « يقول : دعوا التفاخر فى الشعر وبالشعر ، فإنكم قصرتم بصحراء الغمير ولم تبلوا فيها ، فتنتطق ألسنتكم لدى المساجلة ، وتستجيب قوافى الشعر لكم ، إذا أردتم نظمها وإنشادها عند المنافرة والمحاكمة ، لأنكم أمتم قوافى الشعر ودفنتموها ، فكما أن الميت لا يجيب إذا دُعى ، كذلك لا يجيبكم الشعر إذا أردتموه ، مع سوء بلائكم وقبح آثاركم » .

(٣) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى ، كما فى المفضليات ١ / ١٥٥ وشرح الحماسة للمرزوقى ١ / ١٦٣ وذيل الأملى ١٣٢ والأغانى ١٥ / ٧٣ ، ٧٦ والبيان والتبيين ٢ / ٢٦٨ وفى ذيل الأملى : « قوله : وقد شدوا لسانى بنسمة : هذا مثل ، لأن اللسان لا يشد بنسمة . وإنما أراد : افعلوا فى خيراً يبتلى لسانى بشكركم ، فإن لم تفعلوا فلسانى مشلود لا يقدر على مدحكم ويروى : معاشرتم أطلقوا لى لسانيا .

(٤) م : « هذا المعنى »

(٥) سورة البقرة ١٧٥

(٦) سورة المدثر ٤

وقول العرب : « فِدَى لَكَ ثَوْبَانِ » . يريد^(١) نفسه . وأنشد :
 أَلَا أبلغُ أبا حفصٍ رسولًا فِدَى لَكَ من أختي ثَمَّةٍ إزارِي^(٢)

(٥) الْبَدِيعُ (المطابق) والتغني
 ويرون من البدیع أيضًا ما يسمونه « المطابقة » ، وأكثرهم على
 أن معناها أن يذكر الشيء وضده ، كالليل والنهار ، والسواد والياض .
 وإليه ذهب الخليل بن أحمد والأصمعي ، ومن المتأخرين عبد الله
 ابن المعتز .

وذكر ابن المعتز من نظائره من المتثور ما قاله بعضهم^(٣) : « أتيناك
 لتسلك بنا سبيل التوسع ، فأدخلتنا في ضيق الضبان » .
 ونظيره من القرآن : « ولكم في القصص حياة »^(٤) .
 وقوله : « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي »^(٥) .
 وقوله : « يؤلج الليل في النهار ويؤلج النهار في الليل »^(٦) . ومثله
 كثير جدًا .

(١) م « يريدون » .
 (٢) البيت من قصيدة كتبها إلى عمر بن الخطاب ، أبو المنهال بُقْبَلَةُ
 الأكبر الأشجعي ، في شأن واليهم الغزل جعدة بن عبد الله السلمي ، الذي كان
 يخرج الجوارى إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو فيعقلهن ويقول :
 لا يمشي في العقال إلا الحصان . فرما وقعت فتكشفت . . . راجع اللسان
 ٧٥ / ٥ والمتنلف والمختلف للأمدى ص ٦٣ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٠٥ .

(٣) كتاب البدیع ص ٧٤

(٤) سورة البقرة ١٧٩

(٥) سورة الروم ١٩

(٦) سورة الحج ٦١

وكتول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار : « إنكم تكثرون عند الفزع ، وتَقْلُونَ عند الطعم »^(١) .

وقال آخرون : بل المطابقة أن يشترك معنيان بلفظة واحد وإليه ذهب قدامة بن جعفر الكاتب^(٢) .

فمن ذلك قول الأفوه الأودى :

وأقطعُ الهوجلِ مُستأنساً بهوجلِ مُستأنسٍ عتريس^(٣)
عنى بالهوجل الأول : الأرض ، وبالثانى : الناقة^(٤) .

ومثله قول زياد الأعجم :

وأنبتهم يستصرئون بكاهل ولؤلؤم فيهم كاهل وسنام^(٥)

(١) البديع ص ٧٤

(٢) راجع نقد الشعر ص ٦٠

(٣) ديوانه ص ١٦ : بهوجل عبرانة « ومر القصاحة ص ١٨٥ ونقد الشعر ٦٠ والعمدة ١ / ٢٩٠ . والعبرانة كما فى اللسان ٦ / ٣٠١ « الناقة الصلبة ، تشبيهاً بعير الوحش ، والألف والنون زائدتان » . والعتريس كما فى اللسان ٨ / ٤ « الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة اللحم الجواد الجريئة » .

(٤) فى اللسان ١٤ / ٢١٤ « الهوجل : المفازة البعيدة التى ليمت بها أعلام ، والأرض التى لا معالم بها . والهوجل : الناقة السريعة الذهابة فى سيرها ، وقيل : هى الناقة التى كان بها هوجاً من سرعتها » .

(٥) البديع ص ٥٨ ونقد الشعر ٦٠ ومر القصاحة ص ١٨٤ وفى م و ك : « يستظرون » وفى الأغاني ١١ / ١٧١ « أتت بنو يشكر سويد بن أبى كاهل ليجو زياداً الأعجم فأبى عليهم ، فقال : زياد :

• وأنبتهم يستصرئون ابن كاهل • »

ومثله قول أبي ذؤاد :

عهدتُ لها منزلاً دائراً وآلاً على الماء يَحْمِلُنَ آلاً^(٣)

فالآل الأول : أعمدة الخيام تُنصب على البئر للسقي ، والآل الثاني : السراب^(٤) .

وليس عنده قول من قال : المطابقة إنما تكون باجتماع الشيء وضده — : بشيء .

ومن المعنى الأول قول الشاعر :

أهين لهم قسي لا كرمها بهم ولن تُكرّم النفس التي لا تُهينها^(٥)
ومثله قول امرئ القيس :

وتردّي على صُمّ صلاب مَلَاطِسٍ شديداً عَقْدٍ لِيَنَاتِ مِتَانِ^(٦)

(١) فقد الشعر ص ٦٠ واللسان ١٣ / ٣٩

(٢) في العمدة ١ / ٢٨٨ . . . هكذا فسروه منهم قدامة ، والذي قال الخنفاق : يعني أعمدة تحمل أعمدة مثلها ذكره أبو حنيفة . وقوله على الماء : يعني الماء العذ الذي هو الخضر يرجعون إليه بعد تبليلهم وانقطاع ماء السماء . وقد أخبرك الشاعر على القول الأول أنهم يحملون أعمدة الأخبية والبيوت .

(٣) البيت لأعرابي حجب عن باب السلطان ، كما في البيان والتبيين ٢ / ١٨٩ وأمالى المرتضى ١ / ٢٠٥ والصناعتين ص ٢٤٠

(٤) ديوانه ص ١٤٥ وفي اللسان ١٩ / ٣٣ : « ردت الخيلُ ردباً وردياناً : رجعت الأرض بمخاقرها في سيرها وعدوها » .

والملاطس : جمع ملطس ، وهو المعول الذي يكسر به الصخر .
وفي م : « مثالي » .

وكقول النابغة :

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب^(١)

وكقول زهير ، وقد جمع فيه طبأين :

بِئْزَمَةِ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ وَأَمْرٍ مَطَاعٍ ، فَلَا يُلْقَى لِحَزْمِهِمْ مِثْلُ^(٢)

وكقول الفرزدق :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ^(٣)

وعما قيل فيه ثلاث تطبيقات قول جرير :

وَبَاسِطٍ خَيْرٍ فِيكُمْ يَمِينُهُ وَقَابِضٍ شَرٍّ عَنْكُمْ بِشِمَالِيَا^(٤)

وكقول رجل من بَلْعَنَبَرٍ^(٥) :

يَمْجُزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْفَرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا^(٦)

(١) ديوانه ص ٤٥ والصناعتين ٢٤٣ وفي اللسان ٢ / ٢٣٤ : « واللازب :

الثابت ، وصار الشيء ضربة لازب ، أى لازماً . هذه اللغة الجيدة ، وقد قالوها بالميم ، والاول أفصح » .

(٢) ديوانه ص ١٠٨ م « لعزمة » . وك وس « فلا يلقي » .

(٣) ديوانه ص ٤٦٧ والكامل ١ / ١٨ والصناعتين ص ٢٤٣ وفي ١

« في السواد ، والأغاني ١٩ / ١٦ والموشح ١٠٣

(٤) ديوانه ص ٦٠٥ والصناعتين ٢٤٤ والوساطة ص ٢٩ وسر الفصاحة

ص ١٩١

(٥) هو قريط بين أنيف ، كما في شرح الحماسة للتبريزي ص ٨ :

« والعرب تقول : بلعنبر ، وبنو لعنبر ، وكذلك يفعلون فيما فيه ألف ولام إذا لم يكن ثم إدغام » .

(٦) شرح المرزوقي ٣١ / ١

وروى عن الحسن^(١) بن علي رضي الله عنهما أنه تمثل بقول القائل :
فلا الجود يُغنى المال والجُدُّ مُقبلٌ ولا البخل يُبقى المال والجُدُّ مدبر^(٢)
وكقول الآخر :

فَفسِرَ كاعلاني وتلك سَجِيَّتِي وظُلْمَةُ ليلي مثلُ ضوءِ نهارِها^(٣)
وكقول قيس بن الخطيم :
إذا أنت لم تنفع فضرَّ، فإنما يُرجى الفتى كما يضر وينفع^(٤)
وكقول السموأل :

وما ضرتنا أنا قليلٌ وجارنا عزيز وجار الأكرهين ذليل^(٥)
فهذا باب يروونه من البديع .

٦
وباب آخر وهو « التَّجْنِيسُ » . ومعنى ذلك : أن تأتي بكلمتين

متجانستين :

فنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها
[ومنها^(٦)] . وإليه ذهب الخليل^(٧)

(١) م « أن الحسين »

(٢) البيت غير منسوب في الصناعتين ص ٢٤٤

(٣) ديوانه ص ٤٤ والصناعتين ص ٢٤٥ وقد نسبه الصولي في أخبار

أبي تمام ص ٢٨ لعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر .

وقد سقط هذا البيت من م

(٤) شرح الحاشية للثيريزي ١/ ١١٠ والمرزوقي ١/ ١١٢ .

(٥) الزيادة من م

(٦) البديع ص ٥٥

ومنهم من زعم أن المجانسة أن تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق^(١).

وكقوله عز وجل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾^(٢).

وكقوله : ﴿ وَأَسَلْتُكَ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾^(٣).

وكقوله : ﴿ يَا أَسْفَا عَلَى يُوسُفَ ﴾^(٤).

وكقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ يُهْتَدُونَ ﴾^(٥).

وكقوله : ﴿ وَمَنْ يَنْهَوْنِ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾^(٦).

وكقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أَسْلَمُ سَالِمًا اللَّهُ ، وَغِفَارًا غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ، وَغُصْبَةً غَصَبَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ،] وَتُجِيبُ أَجَابَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ^(٧) » .

وكقوله : « الظلم ظلمات يوم القيامة »^(٨).

وقوله : « لا يكون ذو الوجهين وجهها عند الله »^(٩).

(١) فقد الشعر ص ٦١ و م « على وجه »

(٢) سورة الروم ٤٢

(٣) سورة النمل ٤٤

(٤) سورة يوسف ٨٤

(٥) سورة الأنعام ٨٢

(٦) سورة الأنعام ٢٦

(٧) الزيادة من م والحديث في البديع ص ٥٦ والصناعتين ٢٥١

(٨) الصناعتين ص ٢٥١ والبديع ص ٥٦

(٩) الصناعتين ٢٥٢ ٢

وكتب بعض الكتاب : « المفرع التَّعْذُر واجب ، فأريك فيه ^(١) » .
وقال معاوية لابن عباس : ما لكم يا بني هاشم تصاون في أبصاركم ؟
فقال : كما تصاون في بصائركم ^(٢) .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « هاجروا ولا تهجروا ^(٣) » .
ومن ذلك قول قيس بن عاصم :
ونحن حَفَرْنَا الحَوْفَ زَانَ بَطْمَعَةٍ كَسَتْهُ نَجِيمًا مِنْ دَمِ الجَوْفِ أَشْكَلا ^(٤)
وقال آخر ^(٥) :

* أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالْيَلَى الْمَلَوَانِ ^(٦) *

(١) الصناعتين ٢٥٢

(٢) البديع ص ٥٦ والصناعتين ٢٥٢

(٣) الصناعتين ٢٥٢ : والبديع ص ٥٦ وفي اللسان ١١١ / ٧ قال أبو عبيد : يقول : أخلصوا الهجرة لله ، ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير حصة منكم فهذا هو التهجر .

(٤) حفزته بالرمح : طعنته . والبيت لسوار بن حبان المتقرى ، يفتخر بطعن « الحوفزان » واسمه الحارث بن شريك الشيباني ، ولم يكن سوار الحافر له ، وإنما الحافر له قيس بن عاصم المتقرى في يوم جدود ، كما قال ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب ص ٣١٦ ، ١٢٣ . والنجيع : الدم الطرى ، وقيل : النجيع دم الجوف خاصة . والأشكال : الذى يخالطه بياض من الزبد . راجع الأغاني ١٢ / ١٥٣ واللسان ٧ / ٢٠٣ وأما المرتضى ١ / ٧٧ والنقائض ص ١٤٦ وفيها : « نجيع نجيعاً » وص ٣٢٨ : « سقته » وكذلك في اللسان ١٣ / ٣٨١ والبيت منسوب في الصناعتين ص ٢٥٤ كما هنا لقيس بن عاصم .

(٥) هو نعيم بن أبي بن مقبل ، كما في الاقتضاب ص ٤٧٢ والجواليقي ص ٤٠٣ والأمالى ١ / ٢٣٣ واللسان ٢٠ / ١٦٠

(٦) وصدروه :

« ألا يا ديار الحى بالسبعان .

والملوان : الليل والنهار . وجعلهما ابن مقبل النداء والعتى :

وقال الآخر^(١) :

وذاكم أن ذلة الجار حالفكم وأن أنفكم لا تعرف الألقا^(٢)
وكتب إلى بعض مشايخنا ، قال : أنشدنا الأخفش عن البرد
عن التوزي^(٣) :

وقالوا^(٤) : حمامات فقم لقاءها وطلح فزيرت والمطي طلوح^(٥)
عقاب بأعقاب من النأى بعدما جرت نية تسلي المحب طروح^(٦)
وقال صبابي : همد فوق بانه هدى وبيان بالنجاح يلوح^(٧)
وقالوا : دم دامت موثيق عهده ودام لنا حسن الصفاء صريح^(٨)

(١) م : « الآخر أظنه التوزي »

(٢) البيت لرجل من بني عبس في البديع ص ٥٨ والموازنة ٢٤٩/١
والصناعتين ٢٥٥ وقد الشعر ٦١ وصلوه فيه تحريف . وسر الفصاحة ص ١٨٤
والعمدة ٢٩٢/١ وفيه : « وذلكم » كما في م

(٣) م « عن التنوخي » التوجي « ك » الثوري

(٤) الشعر لأبي حبة النخري كما في أمالي القالي ١ / ٧٠ وزهر الآداب
٢ / ١٦٧ ونسب للراعي في الزهرة ص ٢٤٧

(٥) م : « وطلح قريب » وهو تحريف ، وفي زهر الآداب : « وطلح
فيلت » ، وطلح : أجهد السير وهزها .

(٦) قال البكري في شرح الأمالي ١ / ٢٤٤ : « بإعقاب بالكسر بخط
أبي علي » . وفي ك ، س : « من النأى » وفي الأمالي « تسلي المحب » وفي زهر
الآداب « بعد ما نأت نأية بالظاعنين طريق »

(٧) في الزهرة « وقالوا : نراه هدهداً . . وبيان والطريق تلوح »

(٨) في الزهرة : « دامت مودة بيننا . . صفوصفاء صريح » وفي الأمالي
وفي زهر الآداب « موثيق بيننا . . حلو الصفاء » وقال البكري : « وقوله حلو
الصفاء : هو نعمت لشيء مخوف ، ولولا ذلك ما نعته بعد بصريح كأنه عهد
حلو الصفاء أوود »

وقال آخر^(١) :

أقبلن من مِصرَ يُبارِنَ البَرى^(٢) .

وقال القطامي :

ولما رَدَّها في الشَّوْلِ شَالَتْ بِذَيْالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعاً^(٣)

وقد^(٤) يكون التجنيس بزيادة حرف [أو بنقصان حرف^(٥)]

أو ما يقارب ذلك ، كقول البحتري :

هل لما فات من تلاقٍ تَلَفٍ أَمْ لَشَاكٍ مِنَ الصَّبَابَةِ شَافٍ^(٦)

(١) هو جليح بن شميذ كما في ديوان الشياخ ص ١٠٥ وكان من حديثه أنه أقبل من مصر مع جماعة من الشعراء منهم الشياخ ، فكان الرجل منهم ينزل فيسوق بأصحابه ويرتجز . وقد ارتجز الجليح بالقوم فقال قصيدة مطلعها : « طاف الخيال من سليمي فاعتري » وهي مشتهة في ديوان الشياخ ص ١٠٥ - ١٠٨ .
(٢) وقيله : « له علامات على حدِّ الصَّوْى » وبعده : « يشكون قرْحاً بالدُفوف والكَلَى » الصوى : حجارة تجعل علامة في الطريق . والضمير في « أقبلن » للمطايا . يبارين : من المباراة ، وهي المعارضة في السير . والبرى : جمع برة بالضم ، وهي حلقة تجعل في أنف البعير . والدُفوف جمع دف ، وهو الجنب . وقد ورد منسوباً في الصناعتين ص ٢٥٥ لجليح بن سويد ، وفيه « من مِصرَ » وهو تحريف .

(٣) ديوانه ص ٤٣ والصناعتين ص ٢٥٦ والبدیع ص ٥٦ والموازنة ١١ / ١ ، ٢٤٩ والشول : طروقة القمل . ردَّها لأنه ظن أنها لم تعمل فشالت بنفها لأنها لاقح ، وذَيْال : ذنب طويل . ولفاع : ثوب نلتفع به .

(٤) م : « قال القاضي الجليل رحمه الله : وقد يكون إلخ »

(٥) الزيادة من ا ، ب ، م

(٦) ديوانه ١ / ٣٦٦ « أَلَمَافَاتٍ مِنْ تَلَاقٍ » ، و « ك : « ومن تَلَفٍ »

وقال ابن مقبل :

يَمْسِخُ هَيْلَ النَّقَا مَالَتِ جَوَانِبُهُ يَنْهَالُ حِينًا وَنِهَاءُ التَّرَى حِينًا^(١)

وقال زهير :

مَ يَضْرِبُونَ حَبِيكَ الْبَيْضِ إِذْ لَحِقُوا لَا يَنْكُلُونَ إِذَا مَا اسْتَلْحِمُوا وَحُمُوا^(٢)
ومن ذلك قول أبي تمام :

يَعْدُونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ^(٣)
وأبو نواس يقصد في مصرعتي مقدمات شعره هذا الباب^(٤) ،
كقوله :

أَلَا دَارِهَا بِالْمَاءِ حَتَّى تُتْلِيَهَا فَلَنْ تَكْرُمَ الصَّهْبَاءُ حَتَّى تُتْمِنَهَا
وكذلك قوله :

دِيَارُ نَوَارٍ مَا دِيَارُ نَوَارٍ كَسَوْنَكَ شَجَوَاهُنَّ مِنْهُ عَوَارٍ^(٥)
وكقول ابن المعتز :

سَأَتْنِي عَلَى عَهْدِ الْمَطِيرَةِ وَالْقَصْرِ وَأَدْعُو لَهَا بِالسَّائِئِ كَنِينٍ وَبِالْقَطْرِ^(٦)

(١) حاسة ابن الشجرى ١٨٨ وجمهرة أشعار العرب ص ١٦٢ ، والميل :
من الرمل : الذى لا يثبت مكانه حتى ينال فيسقط ، كما فى اللسان ١٣٩/١٤ ،
والنقا : كما فى اللسان ٢٠ - ٢٣١ : « الكتيب من الرمل » وفى م : « مثل النقا »
(٢) ديوانه ص ١٥٩ والصناعتين ٢٦٠ ، استلحموا : أدركوا ،
وحيموا : غضبوا

(٣) ديوانه ص ٤٢ والصناعتين ٢٦١

(٤) م : « هذا الباب كله »

(٥) ديوانه ٧٤

(٦) ديوانه ٣٥

وكقوله أيضاً :

هي الدار إلا أنها منهم قفروا وأتى بها ثلث وأنها سقر^(١)
وكقوله :

للأمانى حديث [قد] يقر ويسوء الدهر من قد يسر^(٢)
وكقول المتنبي :

وقد أراى الشباب الروح فى بدنى وقد أراى المشيب الروح فى بدنى^(٣)
وقد قيل : إن من هذا القيل قوله عز وجل : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ، سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ، فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾^(٥) .

ويعتدون من البديع « المُقَابَلَة » ، وهى أن يوفق بين معان ونظائرهما والمضاد بضدها ، وذلك مثل قول النابغة الجعدي :

ففى تم فيه ما يسر صديقهُ على أن فيه ما يسوء الأعداء^(٦)

(١) ديوانه ص ٤٢

(٢) م حديث يعز ديوانه ٤٤ « قد ينر ويسر الدهر »

(٣) ديوانه ٢/ ٦٦ « يقول : إنه إنما كان حياً حين كان شاباً ، فلما شاب صار كأنه قد مات وانتقل روحه إلى غيره . والبديل فى هذا البيت : الولد » .

(٤) سورة الأنبياء ٣٧

(٥) سورة الزمر ١٤ ، ١٥

(٦) الصناعتين ٢٦٥ والأمالى ٢/ ٢ وأمالى المرتضى ١/ ١٩٤ والعمدة ٢/ ١٥ ، ٤٦ والشعر والشعراء ١/ ٢٥٢ وشرح الحماسة للتبريزى ٣/ ٨٣ وقد عاد أبو هلال المسكوى فنسبه إلى جندل بن جابر القزرى فى ص ٣٢٤ وهو وهم لا شك فيه .

وقال تأبط شرًا :

أهز به في ندوة الحى عطفه كما هز عطفى بالمجان الأوارك^(١)

وكقول الآخر :

وإذا حديث ساءنى لم أكتب وإذا حديث سرتنى لم أشر^(٢)

وكقول الآخر :

وذى إخوة قطعت أرحام بينهم كما تركونى واحدًا لا أخاليًا^(٣)

ونظيره من القرآن : (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ .

ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ^(٤)) .

[ومن هذا الجنس قول هند بنت النعمان للمغيرة بن شعبة ، وقد

أحسن إليها : برّتك يد نالتها خصاصة بعد ثروة ، وأغناك الله عن يد

نالت ثروة بعد فاقة^(٥)] .

(١) الصناعتين ٢٦٤ وشرح الحماسة للتبريزي ٩١ / ١ والمرزوقي

٩٤ / ١ عطفه : جانبه . والمجان : الإبل البيض الكرام ، والأوارك : التي
ترعى الأراك . يقول : أحرك بالثناء جانبه كما حرك جانبي بعطيته ، أى أسره
بملك حتى يرتاح ويطرب كما سرتنى حتى اهتزت »

(٢) الصناعتين ٢٦٦ وفقد الشعر ٤٧ وفي حماسة البيهقي ص ١١٩

وقال عبد الله بن سليم الأزدي : وإذا حديث ... لم أبشر ، وبعده :

أخشى الفواحش منهما كلتيهما ورعيت نفسى ناشئاً للمكبر
وى ص ، م « لم أسرر » والأشر : المرح .

(٣) ص ، ك والصناعتين ٢٦٦ : « أقران بينهم »

(٤) سورة النحل ٥٣ ، ٥٤ .

(٥) الزيادة من م ، وكلام هند مع بعض التغيرات من الفصاحة ص ٢٥٢

سليح من البديع . . .

ويمدون من البديع « الموازنة » ، وذلك كقول بعضهم : أصبر
على حرِّ اللّقاء ، ومضض النزال ، وشدة المصاع^(١) .

وكقول امرئ القيس :

سليمُ الشّظَا عَبلُ الشّوى شَنِجُ النّسَا

[له حَبَابٌ مُّشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالِ^(٢)]

ونظيره من القرآن : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ . وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ
وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ^(٣) 》 .

. . .

ويمدون من البديع « المساواة » ، وهي أن يكون اللفظ مساوياً

(١) كذا في ا ، ب ، م ، ك وفي س : « المصارع » وهو تحريف .
والمصارع كما في اللسان ١٠ / ٢١٤ « المقاتلة والمجالدة بالسيوف » .

(٢) الزيادة من م والبيت في ديوانه ص ١١١ وللصناعتين ٢٩٦ وللشظى
كما في اللسان ١٩ / ١٦٢ : عظم ملزق بالنزاع فإذا تحرك من موضعه قيل :
قد شظي القوس بالكسر . وللشظى : انشقاق العصب . « وفي اللسان
١٣ / ٤٤٦ « وفرس جبل الشوى : أى غليظ القوائم » والنسا : من الورك إلى
الكمب كما في ٢٠ / ١٩٣ وفي ٣ / ١٣٤ : « وفرس شنج النسا : متقبضه ،
وهو مدح له ، لأنه إذا تقبض نساؤه وشنج لم تسترخ رجلاه . وفي ١ / ٢٩٠ :
« الحجة : بالتحريك : رأس عظم الورك » وفي ١٤ / ٥٢ : « على الفال :
أراد على القاتل قلب ، وهو عرق في الصمغين يكون في خربة الورك ينحدر في
الرجل »

(٣) سورة البروج ١-٣

للمعنى ، لا يزيد عليه ولا ينقص عنه ، وذلك بُدٌّ من البلاغة ، وذلك

كقول زهير :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُتَلَمُّ^(١)

وكقول جرير :

فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْيَتِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُهَالِ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي^(٢)

وكقول الآخر^(٣) :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَقْصِرْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَاءِ أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

وكقول الهذلي^(٤) :

فَلَا تَجْزَعْ عَنْ مَنْ سَنَّتْ أَنْتَ سِرَّتَهَا وَأَوَّلُ رَاضٍ سَنَةً مِنْ سَيْرُهَا^(٥)

وكقول الآخر^(٦) :

إِنِّي أَفَاتُ مَطَاوِعُوكَ فَطَاوِعِيهِمْ وَإِنْ عَاصُوكَ فَاعْصِي مَنْ عَصَاكَ

(١) ديوانه ٣٢ ونقد الشعر ص ٥٥ وسر القصاحة ص ٢٠٦

(٢) ديوانه ص ٤٦٢ وفي ١ ، ك : « على أعداء جهالم » وصوابه من

ب ، م

(٣) هو زهير كما في ديوانه ص ٣٠٠ وسر النصيحة ص ٢٠٦ ونقد

الشعر ص ٥٥ وفيه « لم ترحل عن »

(٤) هو خالد بن محرز بن أنخت أبي ذؤيب ، كما في ديوان أبي ذؤيب

ص ١٥٦ ، ١٥٧ وفي نقد الشعر ص ٥٥ هو خالد بن زهير بن أخي أبي ذؤيب

الهذلي .

(٥) كلنا في م ، ١ ونقد الشعر وفي م ، ك : « راض سيرة »

(٦) البيت لخليفة بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كما في

شرح الحماسة للتبريزي ٣ / ٣١٥ وغير منسوب في اللسان ١٩ / ١٣٩ والأغاني

١٥ / ١٥٧ ونسب في الزهرة ص ١٢٢ لبعض الأعراب ، وفي معجم البلدان

٨ / ٣٠٠ لأبي العميتل .

ونظير ذلك في القرآن كثير .

...

وبما يمدونه من البديع « الإشارة » ، وهو اشتغال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة . وقال بعضهم في وصف البلاغة : [البلاغة] لحة دالة^(١) .

ومن ذلك قول طرفة :

فَظِلُّ لَنَا يَوْمٌ لَذِيذٌ بِنَمَةٍ فَقُلْ فِي مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَغَيِّبٌ^(٢)
وَكَقَوْلِ زَيْدِ الْخَلِيلِ :

فَيَحْيِيَّةٌ مَنْ يَحْيِيْبُ عَلَى غَيٍّ وَبَاهِلَةٌ بِنِ أَعْصَرٍ وَالرِّبَابِ^(٣)

(١) هو خلف الأحمر ، كما في العملة ١ / ٢١٣

(٢) لا يوجد هذا البيت في ديوان طرفة ، وهو لامرئ القيس كما في ديوانه ص ٢٠ وقد الشعر ص ٥٧ وأما البيت الذي يصلح أن يكون شاهداً للإشارة من شعر طرفة فهو قوله :

مرفوعها زَوَلٌ وموضوعها كَرَّ غَيْثٍ لِحَبِّ وَسْطِ رَيْحٍ
فقوله « زول » مشار به إلى معان كثيرة ، وهو شبيه بما يقول الناس في إجمال نعت الشيء ، واختصاره عجب ، راجع نقد الشعر ص ٥٦ والبيت محرف فيه وهو على الصواب في اللسان ٩ / ٤٨٩ ، ١٠ / ٢٧٩

(٣) البيت له في الأغاني ١٦ / ٥٢ وفيه : « وخيبة من تعجب ... بن أعصر والكلاب » والشعر والشعراء ١ / ٢٤٦ وفيه « فخبية من يغير ... والركاب » وهو غير منسوب في أمالي المرتضى ١ / ٢٠٨ وفيه : « وباهلة بن يعصر » وفي الإصابة ١ / ٥٥٥ والشعر والشعراء ١ / ٢٤٦ والمعاني الكبير ٥٧٦ وقد شرحه ابن قتيبة بقوله : « يقول من غزا فخاب فإنه يكر على غنى وباهلة فيغتم ؛ لأنهم لا يمتنعون ممن أرادهم ، كالركاب ، وهي الإبل ، لأنها لا تمتنع على من أرادها . ابن الأعرابي : يقول : من صار في يده أسير من غنى وباهلة فقد خاب لقلة غناؤه ، والدليل على ذلك قوله :

وأدى الغتم من أدى قُشيرا ومن كانت له أسرى كلاب

ونظيره من القرآن: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ
بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّهُ بِهِيَ الْمَوْتَىٰ لَبَلَّ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا^(١)﴾ ومواضع كثيرة.

ويعذون من البديع «المبالغة»، و«الغلو».

والمبالغة: تأكيد معاني القول، وذلك كقول^(٢) الشاعر:

ونكرم جارنا ما كان فينا وتنبه الكرامة حيث مالا^(٣)

ومن ذلك قول الآخر^(٤):

وم تركوك أسلح من حبارى رأيت صقرا وأشرد من نعام

والدليل على التفسير الأول قول الفرزدق يهجو أعم باهلة:

أجعل دارما كابني دخان وكانا في الغنيمة كالركاب

ابنا دخان: غنى وباهلة، وكانوا يسبون بذلك في الجاهلية، كالركاب،
أى لا امتناع بهم كما لا تمتنع الركاب، وكان الرجل منهم في الجاهلية إذا
قتل رجلا من أفياء العرب لم يكره في دمه وفاء منه حتى يزداد عشرا من الإبل
أونحوها، وهذا قول أبي عبيدة، وذكر أن الأشعث الكندي قال للنبي
صلى الله عليه وسلم: أتكافأ دماءنا يا رسول الله؟ قال: نعم ولو قتلت رجلا من
باهلة لقتلتك به.

(١) سورة الرعد ٣١

(٢) م: «القول كقول»

(٣) البيت لعمر بن الأيهم كما في نقد الشعر ص ٥٠ وفيه «حيث
سارا» ولعمرو بن الأيهم التغلبي في العملة ٥٢/٢ وفيه «حيث كانا» ولعميرة
بن الأهم التغلبي في الصناعتين ٢٨٨ ولأعشى تغلب ص ٢٧١

(٤) هوأوس بن عكفماء يخاطب يزيد بن عمرو بن الصق، كما في الكامل
٤٢٢/٢ وللقائض ص ٩٣٣ والخزاعة ١٣٩/٣ واللسان ٢٣١/١١ ونقد
الشعر ص ٥١ والصناعتين ص ٢٨٩.

قوله : « رَأَيْتُ صَقْرًا » مبالغة .

ومن الغلظة قول أبي نؤاس :

تَوَهَّمْتُهَا فِي كَأْسِهَا فَكَأْنَا تَوَهَّمْتُ شَيْئًا لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ
فَمَا يَرْتَقِي التَّكْيِيفُ فِيهَا إِلَى مَدَى يَحْدُ بِهِ إِلَّا وَمَنْ قَبْلَهُ قَبْلُ^(١)
وقول زهير :

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ بِمَجْدِهِمْ — قَعْدُوا^(٢)
وكقول النابغة :

بَلَفْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاوْنَا وَإِنَّا لَتَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا^(٣)
وكقول الخنساء :

وَمَا بَلَغْتُ كَفًّا أَمْرِي مُتَنَاوِلَ بِهَا الْمَجْدِ إِلَّا حَيْثُمَا نَلْتُ أَطْوَلَ^(٤)
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونُ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلَ^(٥)

(١) م : « فما يرجع »

(٢) ديوانه ص ٢٨٢ وقد نسبته أبو تمام في الوحشيات لأبي الجويرية :
عيسى بن أوس ، وترجمته في المقتطف ص ٧٩ ومعجم الشعراء ص ٢٥٨ وفي ١ :
« فوق النجم »

(٣) في الأغاني ٤ / ١٣٠ قال النابغة الجعدي : « أنشدت النبي صلى
الله عليه وسلم هذا الشعر فأعجب به :

بَلَفْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجَدُونَا وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَيْنَ الْمَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى ؟ قُلْتُ الْجَنَّةَ . فَقَالَ :
« قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قُلْتُ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ » والبيت في الشعر والشعراء ١ / ٢٤٧ وفي
اللسان ٦ / ٢٠٢ . والمظهر : المصعد

(٤) ديوانها ص ١٨٤ من قصيدة في أخيها صخر . وفي م : « كف امرئ
متناول من المجد »

(٥) م : « مدحة وإن ظننا إلا النسي » وفي الديوان « مدحة ولا صفة إلا النسي »

وقول الآخر^(١) :

له همم لا تمتحنى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن مشار جودها على البر صار البرأندى من البحر

ويرون من البديع « الإيفال » في الشعر خاصة ، فلا يطلب مثله
في القرآن إلا في القواصل ، كقول امرئ القيس :

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَانَتِنَا وَأَرْحَلُنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ^(٢)
فقد أوغل بالقافية في الوصف وأكد التشبيه بها ، والمعنى قد

يستقل دونها .

ومن البديع عندم « التوشيح » . وهو أن يشهد^(٣) أول البيت
بقافيته وأول الكلام بآخره ، كقول البحتري :

- (١) زعم صاحب معاهد التنصيص ٢٠٨/١ أنه لحسان بن ثابت ،
وذكر بعضهم أنه لبكر بن النطاح في أبي دلف
- (٢) البيت منسوب لعلامة الفحل في ديوانه ص ٢٨ وديوان امرئ القيس
ص ٢٧ ولأمرئ القيس في الصناعتين ص ٣٠١ والعمدة ٢/ ٥٥. وسر القصصحة
١٤٨ وفي نقد الشعر ص ٦٣ : « فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل
القافية ، وذلك أن عيون الوحش شبيهة به ، ثم لما جاء بالقافية أوغل بها في الوصف
ووكده وهو قوله : الذي لم يثقب ، فإن عيون الوحش غير مثقبة وهي بالجزع
الذي لم يثقب أدخل في التشبيه »
- (٣) ص : « أن يشيد »

فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّتْهُ بِمَحَلٍّ وليس الذي حرّمته بمحرام^(١)

ومثله في القرآن : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

...

ومن ذلك « رُدُّ عَجْزِ الْكَلَامِ عَلَى صَدْرِهِ » . كقول الله عز وجل :
﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ
وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ .

وكقوله : ﴿ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِكُمْ بِمَذَابٍ ، وَقَدْ
خَابَ مِنْ أَفْتَرَى ﴾ .

ومن هذا الباب قول القائل^(٢) :

وإن لم يكن إلا تملُّ ساعةٍ (قليلاً) فإنني نافعٌ لى (قليلاً)
وكقول جرير :

(١) ديوانه ص ١٠ وفي الصناعتين ص ٣٠٣ « وذلك أن من سمع
النصف الأول عرف الأخير بكماله »

(٢) سورة المائدة ٣٩

(٣) سورة الإسراء ٢١

(٤) سورة طه ٦١ وفي مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص
٢٢٤ : « السَّحْتُ : القشر الذي يستأصل »

(٥) هو ذو الرمة ، كما في ديوانه ص ٥٥٠ وفي نوادر القالي ص ٢١٦ :
« إلا معرس ساعة قليل »

- سَقَى الزَّمْلَ جَوْنَ مُسْتَهْلٍ نَعْمَاهُ وما ذاك إلا حُبُّ مَنْ حَلَّ بِالرَّمْلِ^(١)
 وَكَقَوْلِ الْآخِرِ^(٢) :
 يَوْدُ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالنِّفَى فكيف يرى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ
 وَكَقَوْلِ أَبِي صَخْرٍ الْهَذَلَى :
 عَجِبْتُ لِسَمَى الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فلما انقضى ما يَتَنَا سَكَنَ الدَّهْرِ^(٣)
 وَكَقَوْلِ الْآخِرِ :
 أَصْدُ بِأَيْدِي الْعِيسِ عَنْ قَصْدٍ أَرْضِهَا وقلبي إليها بالموَدَّةِ قَاصِدُ^(٤)
 وَكَقَوْلِ عَمْرٍو بْنِ مَعْدَى كَرْب :
 إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعَّهُ وجاوزهُ إِلَى مَا نَسْتَطِيعُ^(٥)

ومن البديع « صحة التقسيم » : ومن ذلك قول نُصَيْب :

- (١) ديوانه ص ٤٦٠ : « مستهل ربابه » وكذلك في البديع ص ٩٥
 والصناعتين ص ٣٠٦ والمعدة ٢ / ٤
 (٢) هو النمر بن تولب كما في الأغاني ١٩ / ١٥٩ والصناعتين ١٢٧ ،
 ٣٠٧ وجمهرة أشعار العرب ١١٠ وشرح شواهد المغنى ٢١٥
 (٣) شرح الحماسة للتبريزي ٣ / ٢٠٨ والأغاني ٢١ / ١٤٩ والشعر
 والشعراء ٢ / ٥٤٦
 (٤) الصناعتين ٣٠٦ « قصد دارها »
 (٥) الشعر والشعراء ١ / ٣٣٥ والأصمعيات ص ٤٥ والصناعتين ص
 ٣٠٦ والأغاني ١٤ / ٣٣ ومعاهد التنوير ص ٢ / ٢٣٦ وحماسة البحتري ٢٣٦

فقال فريقُ القوم: لا، وفريقُهم: نعم، وفريقُ قال: ويحك ما ندرى^(١)
 وليس في أقسام الجواب أكثر من هذا.
 وكقول الآخر^(٢):

فكأنَّها فيه نهارٌ ساطعٌ وكأنَّه ليلٌ عليها مظلمٌ^(٣)

وقول المتنِّع الكِنْدِي:

وإن يأكُلوا لحمي وفَرَّتْ لحومهم وإن يهدموا عِبدِي بنيتُ لهم مجدًا^(٤)
 وإن ضَيَّعوا غيبي حفظتُ غيوبهم وإن هَوَّوْا غَيَّيْ هَوَيْتُ لهم رُشدًا
 وإن زَجَرُوا طيْرًا بنحسٍ تمرُّ بي زَجَرْتُ لهم طيْرًا تمرُّ بهم سعدًا
 وكقول عروة بن حزام:

بِئْسَ لو أَرَاهُ عَانِيًا لَفَدَيْتَهُ وَمَنْ لَوْ رَأَى عَانِيًا لَفَدَانِي^(٥)
 ونحوه قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا، يُخْرِجُهُم مِّنَ

(١) الممددة ٢٠ / ٢ وسر الفصاحة ٢٢٤ وس، ك « ما يدرى »

ونقد الشعر ص ٤٦ « لا أخرى » وفي الصناعتين : « وفريق لا يمين الله ما ندرى » وفي اللسان ١٧ / ٣٥٤ :

فقال فريقُ القوم لما نشدتهم نعم وفريقُ كَيِّمُنُ الله ما ندرى

(٢) هو بكر بن النطاح ، كما في الأمل ١ / ٢٢٧ وقبلة :
 يضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو وحفَّ أسنمُ

(٣) س ، ك « فكأنما »

(٤) الأمل ١ / ٢٨١ وفي الأغاني ١٥ / ١٥٧ والشعر والشعراء

٧١٦ / ٢ إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم » وحاسة البحري ٢٤٠

(٥) الأغاني ٢٠ / ١٥٥ وفي س ، ك : « لو أراه غائباً . . . رأى غائباً »

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ، يُخْرِجُونَهُمْ

مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ^(١)

...

ونحوه « صحة التفسير ». [وهو أن توضع معانٍ تحتاج إلى شرح

أحوالها، فإذا شرحت أثبتت تلك المعاني من غير عدول عنها ولا
زيادة ولا نقصان ^(٢)]. كقول القائل ^(٣):

وَلِي فَرَسٌ لِلْعِلْمِ بِالْحِلْمِ مُلْجِمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرِجٌ

...

ومن البديع « التكيل والتسيم ».

[وهو أن يأتي بالمعنى الذي بدأ به يجميع المعاني المصححة التمية

لصحته، المكملة لجودته ، من غير أن يخل ببعضها، ولا أن يفادر
شيئاً منها. كقول القائل : وما عسيت أن أشكرك عليه من مواعيد
لم تُشَنِّ بمطل ، ومَرَّافِدَ لم تُشَبِّ بمنّ ، وبشر لم يمازجه ملق ، ولم
يخالطه مذق ^(٤)].

(١) سورة البقرة ٢٥٧

(٢) الزيادة من م

(٣) هو محمد بن وهيب كما في عيون الأخبار ١ / ٢٨٩ أو محمد بن

حازم الباهلي كما في معجم الشعراء ص ٤٢٩ أو صالح بن جناح اللخمي كما في

نقد الشعر ص ٤٩ والصناعتين ص ٢٧٢

(٤) الزيادة من م

وكتول نافع بن خليفة :

رجالٌ إذا لم يقبلوا الحقَّ منهم وَيُطَوِّه عَادُوا بالسيفِ القواطعُ ^(١)
وإنما تم جودة المعنى بقوله : « وَيُطَوِّه » .

وذلك كقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ إلى آخر
الآية . ثم قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ^(٢) .

...

ومن البديع « التزصيع » . وذلك على ألوان ^(٣)

منها قول امرئ القيس :

مَخَشٍ مَجَشٍ مُقْبِلٍ مُدِيرٍ مَعَا كَتَيْسٍ ظِلَاءِ الحَلَبِ العَدَوَانِ ^(٤)

ومن ذلك كثير من مقدمات أبي نواس :

يَا مِنَّةً أَمْتَنَهَا الشُّكْرُ مَا يَنْقُضِي مَنِّي لَهَا الشُّكْرُ ^(٥)

وكتوله ، وقد ذكرناه قبل هذا ^(٦) :

(١) نقد الشعر ص ٤٩ وفي العمدة ٤٩/٢ والصناعتين ص ٣٠٩ وسر
الفصاحة ٢٥٥ « بالسيف القواطع »

(٢) سورة لقمان ٣٤

(٣) ص ، ك : « من ألوان »

(٤) ديوانه ص ١٤٥ ونقد الشعر ١١ والصناعتين ٢٩٦ وانظر اللسان ٣٢٣/١

(٥) ديوانه ص ١٠١

(٦) راجع ص ١٣١

ديارُ نوارٍ ما ديارُ نوارٍ كسوناك شجواهُنَّ منه عوارٍ

ومن ذلك « الترسيع مع التجنيس » ، كقول ابن المعتز :

ألم تجزع على الربع الحيلِ وأطلالٍ وآثارٍ محولٍ^(١)

ونظيره من القرآن كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي
النَّارِ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴾^(٢).

وقوله : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَحْنُونَ ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مُحْنُونَ ﴾^(٣).

وكقوله : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾^(٤).

وكقوله : ﴿ وَالطُّورِ . وَكِتَابٍ مُّسْطُورٍ ﴾^(٥).

وقوله : ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾^(٦).

وقد أوعل الشعراء بنحو هذا ، فأكثرُوا فيه ، ومنهم من اقتنع

(١) ديوانه ٥٩

(٢) سورة الأعراف ٢٠١ - ٢٠٢

(٣) سورة القلم ٢ - ٣

(٤) سورة المعاديات ٧ - ٨

(٥) سورة الطور ١ - ٢

(٦) سورة النازعات ٣ - ٤

بالتَّرْصِيعِ فِي بَعْضِ أَطْرَافِ الْكَلَامِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَنَى كَلَامَهُ [كَلَهُ]^(١) عَلَيْهِ ، كَقَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :

أَبْدَانُهُنَّ وَمَا لَيْسَ نَ مِنَ الْحَرِيرِ مَعَ حَرِيرٍ^(٢)
أَزْدَانُهُنَّ وَمَا مَسَّ نَ مِنَ الْمَيِّرِ مَعَ عَيْرٍ^(٣)
وَكَقَوْلِهِ :

فَلِرَاهِبٍ أَنْ لَا يَرِثَ مَكَانَهُ وَلِرَاهِبٍ أَنْ لَا يَرِثَ نَجَاحَهُ^(٤)
وَمَا يَقَارِبُ التَّرْصِيعَ ضَرْبُ يَسْمَى « الْمَضَارَعَةُ » . وَذَلِكَ كَقَوْلِ
الْخَنَسَاءِ :

حَامِي الْحَقِيقَةِ مَحْمُودُ الْخَلِيقَةِ م مَدَى الطَّرِيقَةِ قَتَاعٌ وَضَرَارٍ^(٥)
جَوَابُ قَاصِيَةِ جَزَارٍ نَاصِيَةٍ عَقَادُ أَلْوَةِ لِلْخَيْلِ جَرَارٍ^(٦)

...

وَمِنَ الْبَدِيعِ بَابُ « التَّكَافُؤِ » . وَذَلِكَ قَرِيبٌ مِنْ « الْمَطَابَقَةِ »

(١) الزيادة من أ ، م

(٢) ديوانه ص ٢٨٠ وفيه « أبشارهن وما أدرعهن »

(٣) في الديوان : « ونسيمهن وما »

(٤) ديوانه ٢ / ٧٨ وفي س ، ك ، أ : « ألا يريب أمانه »

(٥) لا يوجد هذا البيت في ديوانها ، وهو لها في الصناعتين ص ٢٩٨ ،

والحقيقة : ما يحق عليه أن يحمله . وفي س : « الحقيقة »

(٦) م « حوال قاصية ... ألونه » ك : « جزار ناصية » والذي في

ديوانها :

حمال ألوية هباط أودية شهاد أندية للجيش جرار

كقول المنصور: لا تخرجوا من عز الطاعة، إلى ذل المصيبة^(١). وقول
عمر بن ذر^(٢): إنا لم نجد لك إذ عصيت الله فينا خيراً من أن نطيع
الله فيك^(٣).

ومنه قول بشار:

إذا أيقظت حروب العدا فنبه لها عمراً ثم نم^(٤)

[ومنه قول أعرابي يذم قومه: ألسن عامرة من الوعد، وقلوب
خربة من العزم. وقال آخر: وساع في الهوى، وطرب في الحاجة]^(٥).

ومن البديع باب «التعطف». كقول امرئ القيس^(٦):

﴿عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَلَى عَوْدٍ خَلَقَ﴾^(٧)

(١) الصناعتين ص ٢٤١

(٢) في البيان والتبيين ١/ ٢٦٠ «مر عمر بن ذر بعبد الله بن عياش
المنتوف، وقد كان سفه عليه فأعرض عنه، فتملق بشوبه ثم قال له: يا هناء إنا
لم نجد إلخ»

(٣) قال الجاحظ: «وهذا كلام لأخذه عمر بن ذر عن عمر بن الخطاب
قال عمر... وإنك والله ما عاقبت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه»

(٤) نقد الشعر ص ٥٣ وفي الأغاني ٣/ ١٩٣ «إذا دهمت عظام
الأموء» والبيت في مدح الجواد الشجاع عمر بن العلاء.

(٥) الزيادة من م وفي الصناعتين ص ٢٤١ «ووصف أعرابي غلاماً
فقال: ساع في الحرب قطوف في الحاجة»

(٦) م «باب العطف كقول رويه»

(٧) الصناعتين ص ٣٣٥ وفي اللسان ٤/ ٣١٧ «العود الأول: رجل
مسن، والعود الثاني: جل مسن، والعود الثالث: طريق قديم» وهو غير موجود
في ديوان امرئ القيس.

وقد تقدم مثاله^(١).

...

ومن البديع « السلب والإيجاب » ، كقول القائل :
ونكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين قول^(٢)

...

ومن البديع « الكناية والتعريض » . كقول القائل :
وأحمر كالديباج ، أما سماؤه قريباً ، وأما أرضه فحول^(٣)
ومن هذا الباب « لحن القول » .

...

ومن ذلك « العكس والتبديل » . كقول الحسن^(٤) : « إن من
خوفك لتأمن خير من أمنتك لخفاف » . وكقوله : « اللهم أغنى

(١) راجع ص ١٢٣

(٢) الصناعتين ص ٣٢٢ وشرح الحماسة للتبريزي ١١٦/١ وشرح
المرزوقي ١٢٠/١

(٣) قال ابن السيد البطليمي في الاقتضاب ص ٣٣٥ « هذا البيت
ينسب إلى طفيل الغنوي ، ولم أجده في ديوان شعره ، يصف فرساً آخر وشبهه
بالديباج في حسن لونه وملاحة جلده ، وأراد بسمائه أعاليه ، وبأرضه : قوائمه ،
وشبه قوائمه لقلته لحمها بالأرض المحل التي لا نبات فيها » والبيت لطفي في اللسان
١٩ / ١٢٤ والحواليق ١١١ والمعاذني الكبير ١٥٥ وغير منسوب في ديوان المعاني
٢ / ١٠٦ وأمالى المرتضى ٤ / ٧٥ وأساس البلاغة ١ / ٤٦٠

(٤) في البديع لوص ٧٦ : « وقال الحسن وقد أنكر عليه الإفراط في
تخويف الناس : إن الخ والصناعتين ص ٢٣٩

بالفقر إليك ، ولا تفقرني بالاستغناء عنك^(١) . وكقوله : « بع
دنياك بأخرك ، تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، فتفسرهما
جميعاً »^(٢) .

وكقول القائل :

وإذا الدرُّ زانٌ حُسنَ وجوهٍ كانَ للدرِّ حُسنٌ وجهك زِيناً^(٣)
وقد يدخل في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ يُوجِبُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
وَيُوجِبُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾^(٤) .

• • •

ومن البديع « الالتفات » ، فن ذلك ما كتب إلى الحسن بن
عبد الله العسكري ، أخبرنا محمد بن يحيى^(٥) الصُّولي ، [قال] :
حدثني يحيى بن علي المنجم ، عن أبيه ، عن إسحاق بن إبراهيم ، قال :
قال لي الأصمعي : أتعرف التفاتات جرير ؟ قلت : لا ، فاهي ؟ قال :
أَتَنَسَّى إِذْ تَوَدَعْنَا سُلَيْمَى بفرع بِشَامَةٍ سَقَى الْبَشَامَ^(٦)

(١) الصناعتين ص ٢٩٣

(٢) البيان والتبيين ٣ / ١٣٢

(٣) البيت للمالك بن أسماء بن خارجة كما في أمالي المرتضى ٢ / ٩١ والموشح

ص ٢٢٠ وهو غير منسوب في البيان والتبيين ١ / ١٩٥

(٤) سورة الحج ٦١

(٥) ص ، ك « محمد بن عبد الله الصولي »

(٦) ديوانه ص ٥١٢ والبديع ص ١٠٧ والصناعتين ص ٣١١ واللسان

١٤ / ٣١٧ والعمدة ٢ / ٤٤ والبشام كما في اللسان ١٤ / ٣١٦ شجر طيب

الريح والطعم يستاك به »

ومثل ذلك لجرير :

متى كان الخيام بنى طُلُوح - سُقِيتِ النَيْثَ - أَيْتُهَا الخِيَامُ؟^(١)

/ ومعنى الالتفات أنه اعترض في الكلام^(٢) قوله: «سُقِيتِ النَيْثَ»،

ولم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً، وكان الكلام مستظماً، وكان يقول :

«متى كان الخيام بنى طُلُوح أَيْتُهَا الخِيَامُ» ؟ فتى خرج عن الكلام

الأول ثم رجع إليه على وجه يطف، كان ذلك التفاتاً .

ومثله قول النابغة الجعدي :

أَلَا زَعَمْتُ بنو سَعْدٍ بَأَنِّي - أَلَا كَذَبُوا - كَبِيرُ السِّنِّ قَانِي^(٣)

ومنه قول كثير :

لَوْ أَنَّ الْبَازِلِينَ ، وَأَنْتِ مِنْهُمْ ، رَأَوْكَ ، تَعْلَمُوا مِنْكَ الْمِطَالَ^(٤)

ومثله قول أبي تمام :

(١) ديوانه ص ٥١٢ والبيدع ص ١٠٧ واللسان ١٩ / ٦٨ وفوطلوح :

اسم موضع .

(٢) قال ابن المعتز في البيدع ص ١٠٦ « الالتفات هو انصراف المتكلم

عن مخاطبة إلى الإخبار ، وعن الإخبار إلى مخاطبة ... »

(٣) البيدع ١٠٨ والصناعتين ٣١٢ والمعمرين ص ٦٤ وفيه « بنو كعب »

والعمدة ٤٣ / ٢ وفي م « ألا كنبت »

(٤) ديوانه ص ١٥٠ ويروي « الباخطين ... العطايا » وفي الصناعتين

٣٦ ، ٣١٢ والبيدع ١٠٨ « ولو أن الباخطين ... المطالا » وفي م « ولو أن

الماطلين »

وَأُجِدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِيْتَاهِم دَارِكُمْ فَيَا دَمْعُ أُجِدْتُ عَلَى سَاكِنِي نَجْدٌ^(١)
وَكَقُولِ جَرِير :

طَرِبَ الْحَمَامُ بَنَى الْأَرَاكَ فَشَاقَنِي لَا زِلْتَ فِي غَلَلٍ وَأَيْلِكَ نَاضِرٌ^(٢)
الْتَفَتَ إِلَى الْحَمَامِ فَدَعَا لَهَا .
ومثله قول حسان :

إِنْ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ قُتِلَتْ فَهَاتِيهَا لَمْ تُقْتَلِ^(٣)
ومنه قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

وَأُجِلْ إِذَا مَا كُنْتَ لَا بُدَّ مَا نَمَّا وَقَدْ يَمْنَعُ الشَّيْءُ الْفَتَى وَهُوَ مُجْمَلٌ^(٤)
وكقول ابن ميادة :

فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو فِي الْيَأْسِ رَاحَةً وَلَا وَصْلُهُ يَصْفُو لَنَا فِكْلَارْمَهُ^(٥)
ونظير ذلك من القرآن ما حكى الله تعالى عن إبراهيم الخليل من قوله :
(أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

(١) ديوانه ص ٦٣ والبديع ١٠٧

(٢) ديوانه ٣٠٤ وفيه « الأراك فهاجني » والبديع ص ١٠٧ والعمدة

٤٢ / ٢ والصناعتين ٣١١

(٣) ديوانه ٣١١ والصناعتين ص ٣١١ وفي اللسان ٦٨ / ١٤ « وقتل
الخمر قتلا : مزجها فأزال بذلك حديثها قال حسان : إن التي عطيني ... قوله
قتلت دعاء عليه ، أي قتلت الله لم مزجتها ؟ »

(٤) نقد الشعر ٥٣ والصناعتين ص ٣١١

(٥) نقد الشعر ٥٣ وفي الصناعتين ص ٣١٢ : « ولاودة يصفو ...
كأنه يقول : وفي اليأس راحة ، والْتَفَتَ إِلَى الْمَعْنَى لِتَقْدِيرِهِ أَنْ مَعَارِضاً يَقُولُ لَهُ :
وَمَا تَصْنَعُ بِصَرْمِهِ ؟ فيقول : لأنه يؤدي إِلَى الْيَأْسِ ، وَفِي الْيَأْسِ رَاحَةٌ . »

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا^(١) ﴿ إلى قوله :
 ﴿فَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ^(٢)﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَمَا
 ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ . وَبَرِّزُوا لِلَّهِ حَيِّمًا^(٣)﴾ .

ومثله قوله : ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ
 وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ، وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ،
 وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ، دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ
 هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ^(٤)﴾ .

ومثله قوله : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَأَنْسَخَ مِنْهَا ،
 فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ
 أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَلَاهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ، إِنْ تَحْمِلْ
 عَلَيْهِ يَلْهَثْ ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ^(٥)﴾ .

ومثله قوله : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا
 نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . فَمَنْ تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ^(٦)﴾ .

(١) سورة العنكبوت ١٦ - ١٧

(٢) آية ٢٤

(٣) سورة إبراهيم ١٩ - ٢١

(٤) سورة يونس ٢٢

(٥) سورة الأعراف ١٧٥ - ١٧٦

(٦) سورة المائدة ٣٨ - ٣٩

. . .

ومنهم من لا يمدُّ الاعتراضَ والرجوع^(١) من هذا الباب، ومنهم
من يفرده عنه، كقول زهير :

قِفْ بالديار التي لم ينفُها القَدَمُ نَعَمْ، وَغَيْرَهَا الْأَزْوَاحُ وَالذِّمَمُ^(٢)
وَكَقُولِ الْأَعْرَابِي :

أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ، وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ^(٣)
وَكَقُولِ ابْنِ هَرَمَةَ :

لَيْتَ حَظِّي كُلَّ حَظَّةٍ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمَهْنُ^(٤)

. . .

ومن الرجوع قول القائل :

بِكُلِّ تَدَاوِينَا فَلَمْ يُشَفَّ مَا بَنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ^(٥)
وَقَالَ الْأَعَشَى :

(١) في البديع ص ١٠٨ « ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض
كلام في كلام لم يتم معناه، ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد . . . ومنها
الرجوع وهو أن يقول شيئاً ويرجع عنه . . . »

(٢) العمدة ٢ / ٤٤ ديوانه ص ١٤٥

(٣) البيت ليزيد بن الطيرة كما في شرح حسانة أبي تمام ٢٨٩/٣ والأماشي
١ / ١٩٦ وغير منسوب في البديع ص ١٠٩ والصناعتين ٣١٣

(٤) الصناعتين ص ٣١٣

(٥) البيت لابن اللعين كما في ديوانه ص ٢٨ وحسانة أبي تمام ٢٥٧/٣

صَرَمْتُ ولم أَصْرِفْكُمْ وَكَصَارِمِ
أَخْ قَدْ طَوَى كَشْحًا وَأَبَّ لِيْذَهْبًا^(١)
وكقول بشار :

لى حيلة فيمن ينه مُ وليس في الكذاب حيلة^(٢)
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُو لُ فِخْلِي فِيهِ قَلِيلَه^(٣)
وقال آخر :

وما بى اتصار إن عدا التهر ظالمًا على ، لى إن كان من عندك النصر^(٤)

(١) ديوانه ص ٨٩ وفي اللسان ١٩٩/١ « أب للسير : تهباً للذهب وتجهز ، قال الأعشى ... أى صرمتكم فى تَهَيَّئِ للمفارقةكم ، ومن تهباً للمفارقة فهو كمن صرم » وفي ٤٠٧/٣ « ويقال : طوى فلان كشحه : إذا قطعك وعاداك ، ومنه قول الأعشى : وكان طوى كشحا وأب ليذهب »

(٢) فى الكامل ١٧/٢ لبعض المحدثين ، وطبقات الشافعية ٣٢٠/٢ لأبى الحسن التميمي ، منصور بن إسماعيل ، وقد أنشداهما القاضي ابن قريعة كما فى المنتظم ٩٢/٧ ونسبهما المرزبانى فى معجم الشعراء ص ٥٠٢ لإبى مروان يحيى بن مروان . وفى الوشح ص ٣٥٠ عن العملى قال : « أنشدنا أبو العباس المبرد لمحمود بن مروان بن أبى حفصة : لى حيلة ... قال المبرد : وقد ناقض هذا الشاعر ، لأنه قال : « وليس فى الكذاب حيلة » ثم قال : « فحيتى فيه قليلة » ثم أنشدنا لنفسه :

إن النوم أغطى دونه خبرى وليس لى حيلة فى مفترى الكذب ،
وهما من غير نسبة فى غرر الخصال ص ٤٩ والنخاطر والأعلاق ١٠٦

(٣) م « يكذب » وفى المشرح ومعجم الشعراء : « يكذب ما يريد »

(٤) البيت لأبى البيداء الريحى كما فى خزانة الأدب لابن حجة الحموى

ص ٤٤٩ وفى س ، ك والصناعتين ص ٣١٤ « إن غدا الدهر ظالمى »

...

وباب آخر من البديع يسمى «التذليل». وهو ضرب من التأكيد، وهو ضد ما قدمنا ذكره من الإشارة^(١)، كقول أبي ذؤاد :

إِذَا مَا عَقَدْنَا لَهُ ذَمًّا شَدَدْنَا الْعِجَاجَ وَعَقَدَ الْكَرْبَ^(٢)

وأخذه الحطيئة فقال :

[قومٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لَجَارِمٌ

شَدُّوا الْعِجَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَ^(٣)

(١) في الصناعتين ص ٢٩٤ «فأما التذليل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتأكد عند من فهمه ، وهو ضد الإشارة والتعريض . . . » .

(٢) في اللسان ١٥٤ / ٣ «العجاج : خيط أو سير يشد في أسفل الدلو ، ثم يشد في عرونها أو عرقوتها ، وربما شد في إحدى آذانها» والكرب كما في اللسان ٢٠٨ / ٢ «الحبل الذي يشد على الدلو بعد المنين وهو الحبل الأول ، فإذا انقطع المنين بقي الكرب»

(٣) البيت في اللسان ٢٠٩ / ٢ ، ١٥٤ / ٣ وفي ديوان الحطيئة ص ٧ ونظام الغريب ص ١٩٩ ومبادئ اللغة ص ٢١ وشرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٤٠ وقال ابن تقيية في أدب الكاتب ص ١٩٢ : «والخشبستان اللتان تعمرضان على الداو كالصليب هما «العرقوتان» والسيور التي بين آذان الدلو والراقي هي «الوذم» ، «العجاج» في الدلو الثقيلة : حبل أو بطن يشد تحتها ، ثم يشد إلى العراقي ، فيكون عوناً للوذم ، فلأن كانت الداو خفيفة شد خيط في إحدى آذانها إلى العرقو ، و «الكرب» أن يشد الحبل إلى العراقي ، قال الحطيئة : قوم إلخ وقال ابن السيد في الاقتضاب ص ٣٥١ «وأراد الحطيئة : أنهم إذا عقلوا عقداً أحكموه وأوثقوه كالحكام عقد الدلو إذا شد عليها العجاج والكرب ، وليس هناك عجاج ولا كرب في الحقيقة وإنما هو مثل»

وكقول الآخر^(١) :

فدعوا نزالٍ فكنتُ أولَ نازلٍ وعلامُ أركبهُ إذا لم أنزلِ ؟^(٢)
وكقول جرير :

لقد كنتَ فيها يا فرزدقُ تابِماً ورِيشُ الذنابيِ تابعٌ للقوامِ^(٣)
ومثله قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا . يَسْتَضِيعُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِخُّ أُنْثَاهُمْ وَيَسْتَخِفِّي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾^(٤) .

• • •

٥٠ أوليب من البديع يسمى الاستطراد^(٥) . فمن ذلك ما كتب إلى
الحسن بن عبد الله قال : أنشدني أبو بكر بن دُرَيْدٍ ، قال : أنشدنا
أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، لحسان بن ثابت ، رضى الله تعالى عنه :

(١) للزيادة من م .

(٢) البيت غير منسوب في الصناعتين ص ٢٩٥ واللسان ١٤ / ١٨١
وهو لربيعة بن مقروم الضبي كما في الأغاني ١٩ / ٩٣ وفي اللسان « وصف
فرسه بحسن الطراد فقال : وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه »

(٣) ديوانه ص ٥٦١

(٤) سورة القصص ٤ - ٨ .

(٥) في الصناعتين ص ٣١٦ « وهو أن يأخذ المتكلم في معنى ، فيبينا
يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سببا إليه » .

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّتِي حَدَّثْتَنِي فَتَجَوَّزْ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ^(١)
 تَرَكَ الْأَجْبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طَيْرَةٍ وَجِلَامٍ^(٢)
 وَكَقَوْلِ السَّمَوَالِ :

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا تَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٍ^(٣)
 وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

خَلِجِي مِنْ كَعْبٍ أَعَيْنَا أَمَا كَمَا عَلَى دَهْرِهِ ، إِنَّ الْكَرِيمَ مُعِينٌ^(٤)
 وَلَا تَبْخَلَا بِجُحْلِ ابْنِ قَرْعَةَ ، إِنَّهُ خَافَةَ أَنْ يُرْجَى نَدَاءُ حَزِينٍ^(٥)
 وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

فَا ذَرِّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَأَنَّا مِنَ الْيَمِّ نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشَامٍ^(٦)

(١) ديوانه ص ٣٦٣ والصناعتين ص ٣١٦ وفي س ، ك : « كاذبة التي » ويشير حسان إلى فرار الحارث بن هشام عن أخيه أبي جهل يوم بدر
 (٢) س ، ك : « لم يقاتل دونهم ورى برأس » وفي اللسان ١٧٤ / ٦
 الطمر : القرس الجواد ، وقيل : المستعد للعدو والأثني طمرة »

(٣) الصناعتين ص ٣١٧ والبدیع ص ١١٠ والعمدة ٣٧ / ٢ وشرح الحماسة للتبريزي ١ / ١١١ والمرزوقي ١ / ١١٤ وزهر الآداب ٤ / ١٦٣
 (٤) الشعر لبشار كما في البدیع لابن المعتز ص ١٠٩ والصناعتين ص ٣١٨ والعمدة ٢ / ٣٨ وفي الكامل ١ / ٢٣٣ « وقال بشار بن برد يذكر عبيد الله بن قرة » وفي س ، ك : « نراه حزين »

(٥) البيت لإسحق بن إبراهيم الموصلي يصف السكر ، كما في البدیع لابن المعتز ص ١١١ وحماسة ابن الشجري ص ٢٥٩ وغير منسوب في الصناعتين ص ٣١٨ والبيان والتبيين ١ / ٤٠٢ وجاء في خاص الخالص ص ٦٠ : « ولما بلغ أحمد بن هشام قول إسحاق الموصلي — قال : يا أبا محمد لم هجرتي؟ قال : لأنك فعلت على طريق القافية » !

وكتول زهير :

إن البخیل ملوم حیث کان ولـ ککن الجواد علی علانیه هـرم^(١)

وفیما^(٢) کتب إلى الحسن بن عبد الله ، قال : أخبرنی محمد بن یحیی

[قال] : حدثنی محمد بن علی الأنباری^(٣) ، قال : سمعت البحتری

یقول : أنشدنی أبو تمام لنفسه :

وسأبحر هطل التمداء هتان علی الجراء أمین غیر خوان^(٤)

أظمی القصوص ولم تظما قوائمه فخل عینک فی ریان ظمان^(٥)

ولو ترأه مشیحا والحصی فلیق بین السنا بک من مشنی ووخذان^(٦)

أیقنت - إن لم تثبت - أن حافره من صخر تذرأومن وجه عثمان^(٧)

وقال لی : ما هذا من الشعر ؟ قلت لا أدری . قال : هذا المستطرد ،

أو قال : الاستطراد ، قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : یرى أنه یصف

الفرس ، ویرید هجاء عثمان^(٨) .

(١) البدیع ص ١١٠ والصناعتین ٣١٧ والعمدة ٢ / ٣٨ وديوانه ص

١٥٢ . علی علانیه : علی عسره ویسره

(٢) م : « وما »

(٣) فی أخبار أبی تمام ص ٦٨ . حدثنی أبو الحسن علی بن محمد

الأنباری

(٤) الصناعتین ٣١٧ وأخبار أبی تمام ص ٦٨ والعمدة ٢ / ٣٨ وديوانه

ص ٢٠١ وفيه « أمون » وزهر الآداب ٤ / ١٦٢ وديوان المعاني ١ / ١٩٨

ومعجم الأدباء ١٩ / ٢٥٠

(٥) م ، ك « فخل عینک »

(٦) فی الديوان والصناعتین « تحت السنا بک »

(٧) فی الديوان « خلقت إن لم » . ویرید بعثان : عثمان بن إدریس السامی

(٨) م ، ك : « وقال »

وقال البحرى :

ما إن يَافُ قَدَى ولو أوزدته يوما خلائقَ حَمْدونه الأَحوِل^(١)

قال : قيل للبحرى : إنك أخذت هذا من أبى تمام ، فقال :
ما يَهابُ عَلَى أن آخذ منه وأَتبعه فيما يقول .

ومن هذا الباب قول أبى تمام :

صُبَّ الفِراقُ عَلَيْنَا صُبَّ من كَثَبَ عليه إِسحقُ يومَ الرُوعِ مَتَقَمًا^(٢)
ومنه قول السرى الرِّفاء :

نَزَعَ الوِشاةَ لَنَا بِسَهْمِ قَطِيعَةٍ يُرْمَى بِسَهْمِ الحَيْنِ من يَرى به^(٣)
لَيْتَ الزَّمانَ أَصابَ حَبَّ قُلُوبِهِم بَقْنَا ابنَ عبدِ اللَّهِ أوْ بِحِراهِ
ونظيره من القرآن : (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُ
ظِلَالُهُ عَنِ اليمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ، وَلِلَّهِ يَسْجُدُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ^(٤) .)

(١) ديوانه ٢ / ٢١٨ والصناعتين ٣١٨ وزهر الآداب ٤ / ١٦٢ ومعجم
الأدباء ١٩ / ٢٥٠

(٢) ديوانه ص ٣٠٢ والصناعتين ٣٦٤ وفى ص « صب من كتب » ب
« صبا من كتب » ويعنى بإسحاق : إسحاق بن إبراهيم المصعبى ، ولى بغداد الذى
كان يطلب العلماء ويمتحنهم بأمر المأمون فى فتنة خلق القرآن ، ويقال : إنه
ما كان أحد أشغف بشعر أبى تمام منه ، وكان يعطيه عطاء كثيرا . وكانت وفاة
إسحاق فى سنة ٢٣٥

(٣) ديوانه ص ٢١ وفيه : « ترى بسهم قطيعة ترى به »

(٤) سورة النحل ٤٨ — ٤٩

كأنه كان المراد أن يجرى بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله عز وجل ، وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص .

...

او من البديع عندم « التكرار » . كقول الشاعر :

هَلَّا سَأَلْتُ جَمُوعَ كَذِّ دَمَةٍ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا؟^(١)

وكقول الآخر :

وَكَاثَتْ فَرَازَةَ تَصَلَّى بَنَّا فَأَوَّلَى فَرَازَةُ أَوَّلَى فَرَازَا^(٢)

ونظيره من القرآن [كثير ، كقوله تعالى]^(٣) : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا^(٤) ﴾

والتكرار في قوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ^(٥) ﴾ . وهذا فيه معنى زائد على التكرار ؛ لأنه يفيد الإخبار عن النيب .

...

ومن البديع عندم ضرب من « الاستثناء » . كقول النابغة :

(١) البيت لعبيد بن الأبرص كما في ديوانه ص ٢٨ ومختارات ابن

الشرجي ٢ / ٣٩ والصناعتين ١٤٤ وتأويل مشكل القرآن ص ١٤٣ ، ١٨٣

(٢) البيت لعوف بن عطية بن الخرع الرِّبَازِي كما في المفضليات

٢ / ٢١٦ وفيها « فكادبت فرارة » وفي م ، ك « أولى لها » وهو في الصاحبي ص

١٩٤ وسيبويه ١ / ٣٣١ وتأويل مشكل القرآن ص ١٨٣

(٣) الزيادة من ا وفي م « ومن التكرار في القرآن كثير كقوله تعالى :

(٤) سورة الانشراح ٥ - ٦

(٥) سورة الكافرون : ١

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنٌ فلولٌ من قِراعِ الكتائب^(١)
وكقول النابغة الجعدي :

فَتَى كَلَّتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَاً^(٢)
فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعْدَايَا
وكقول الآخر :

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْمَدْوِ مَيِّبٌ^(٣)
وكقول أبي تمام :

تَنْصَلُ رَبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ وَالْوَدَادِ^(٤)

• • •

ووجوه البديع كثيرة جداً ، فاقصرنا على ذكر بعضها ، ونهنا
بذلك على ما لم نذكر ، كراهة التطويل ، فليس الغرض ذكر جميع
أبواب البديع .

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٤ والصناعتين ص ٣٢٤ والبديع ص ١١١
والعمدة ٢ / ٤٥

(٢) الأما إلى ٢ / ٢ وفيه : « كَلَّتْ خَيْرَاتُهُ » والشعر والسعراء ١ / ٢٥٢
وأما المرفعي ١ / ١٩٤ وشرح الحماسة للتبريزي ٣ / ١٩ والبديع ص ١١١
والصناعتين ص ٣٢٤ والعمدة ٢ / ٤٦ .

(٣) البيت لعريقة بن مسافع العبسي ، كما في الأصمعيات ص ١٥ والأما إلى
١٤٩ / ٢

(٤) م « كقول أبي تمام »

(٥) ديوانه ص ٨١ يعتلج إلى أحمد بن أبي جواد والموازنة ص ٣١٥

...

/ وقد قدر مقدرون أنه يمكن استفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب التي قفلناها، وأن ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه .

وليس كذلك عندنا ؛ لأن هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدرب والتعود والتصنع لها ، وذلك كالشعر الذي إذا عرف الإنسان طريقه صح منه العمل له وأمكنه نظمه .

والوجوه التي تقول : إن إعجاز القرآن يمكن أن يُعلم منها ؛ فليس مما يقدر البشر على التصنع له والتوصل إليه بحال . وبين ما قلنا : أن كثيراً من المحكمين^(١) قد تصنع لأبواب الصنعة ، حتى حتى جميع شعره منها ، واجتهد أن لا يفوته بيت إلا وهو مملوء من الصنعة ، كما صنع أبو تمام في لاميته :

متى أنت عن ذهليّة الحى ذاهلٌ وصدرك منها مدة الدهر آهلٌ^(٢)
تُطلُّ الطلولُ التمتع في كلِّ موقفٍ وتمثلُ بالصبر الديارُ المواصلُ^(٣)
دوارسٌ لم يخفِّ الرّيعُ زُبوعها ولا مرّ في أغفالها وهو غافلٌ^(٤)

(١) م « قد تصنعوا لأبواب الصنعة حتى حتى بعضهم شعره جميعاً منها ، واجتهد ألا يعن له بيت إلا وهو مملوء من الصنعة . . . في كلمته »

(٢) ديوانه ص ٢٥٥ وفيه « وقلبك منها » . وذهلية : منسوبة إلى قبيلة ذهل

(٣) م « تطل طلول » ب « ويمثل »

(٤) في اللسان ١٤ / ١١ « وكل ما لا علامة فيه ولا أثر عماره من

الأرضين والطرق ونحوها : غفل ، والجمع أغفال »

قد سحبت فيها السحاب دُولها وقد أخلت بالنور تلك الخماثل^(١)
 كفّين من زاد العفاة إذا انتحى على الحي صرف الأزيمة التماحل^(٢)
 لهم سلف سمر العوالي وسامر^(٣) وفيهم جال لا يفيض وجامل^(٤)
 ليالى أصلت العزاء وخزلت بعقلك آرام الخدور العقائل^(٥)
 من الهيف لو أن الخلاخيل صيرت لها وشعاً جالت عليه الخلاخل^(٦)
 معى الوحش إلا أن هاتا أو انس^(٧) فنا الخط إلا أن تلك ذوابل^(٨)
 هوى كان خلماً إن من أطيب الهوى هوى جلت في أفيائه وهو خامل^(٩)
 ومن الأدباء من عاب عليه هذه الأبيات ونحوها على ما قد تكلف^(١٠)
 فيها من البديع ، وتعمل من الصنعة ، فقال : قد أذهب ماء هذا الشعر

(١) في اللديوان « فيها السحاب ذيلها ... منها الخماثل » ، وم « فيها الخماثل » .

(٢) م « من دار العفاة » ، واللديوان : « المتماحل »

(٣) سمر العوالي : الرماح . وفي اللسان ١٣ / ١٣١ « الجامل : قطيع من الابل معها رعياتها وأربابها ، قال الخطيئة :

فإن تلك ذا مال كثير فإنهم لهم جامل ما يهدأ الليل سامره »

(٤) م « وك » وخزلت » م « وحولت » « وحولت » .

(٥) راجع الموازنة ١ / ١٣٠ .

(٦) راجع الموازنة ١ / ١٤٠ .

(٧) م « في أثناؤه » ، واللديوان « إن من أحسن الهوى » .

(٨) م « على ما تكلف » .

وروثه وفائده ، اشتغالا بطلب التطبيق وسائر ما جمع فيه ^(١) .

وقد تمصب عليه أحمد بن عبيد الله بن عمار ^(٢) ، وأسرف حتى تجاوز إلى الفرض من محاسنه .

ولما قد أولع به من الصنعة ربباً غطى على بصره حتى يُبدع في القيسح ، وهو يريد أن يبدع في الحسن . كقوله في قصيدة له أولها :
سرت تستجير الدمع خوف نوى غدٍ وعاد قتاداً عندها كل مرقد ^(٣)
فقال فيها :

ليمرى لقد حررت يوم لقيته لو أن القضاء وحده لم يُبرد ^(٤)
وكقوله :

لو لم تدارك مُسنّ المجد مذ زمن بالجود والبأس كان المجد قد خرفاً ^(٥)
فهذا من الاستعارات القبيحة ، والبديع المقيت ^(٦) !!

(١) في الموازنة ص ١٣ « روى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : سمعت أبي يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، ثم اتبعه أبو تمام ، واستحسن مذهبه وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الأصناف ، فسلك طريقاً وعراً ، واستكره الألفاظ والمعاني ، ففسد شعره ، وذهبت طلاوته ، ونشف ماؤه »

(٢) م « ابن عبد الله » وهو خطأ .

(٣) ديوانه ص ١٠١ وفيه « غلت تسجير »

(٤) م « لقد حررت ... لم يحرد » الموازنة ٢٥٩ الوساطة ٦٨ الموشح ٣٠٨

(٥) ديوانه ص ٢٠٤ وفيه : « لو لم تفت ... كان الجود » الوساطة ٦٩

الموشح ٣٠٨ الصناعتين ٢٣٦ الموازنة ٢٣١

(٦) م « المعيب »

وكقوله :

تسمون ألفاً كآساد الشرى نَضِجَتْ أعمارُهم قبل نُضِجِ التَّينِ والعِنَبِ^(١)

وكقوله :

لَوْ لَمْ يُمْتَ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذَا لَمَاتِ، إِذْ لَمِعَتْ، مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ^(٢)

وكقوله :

* خَشِنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِي خَشِينِ^(٣) *

وكقوله :

أَلَا لَا يَمِدُّ الدَّهْرُ كَفَاءً بِسَيِّئٍ إِلَى مَجْتَدِي نَصْرٍ فَتَقَطَّعَ مِنَ الزُّنْدِ^(٤)

وقال في وصف المطايا :

(١) ديوانه ص ١١ والموشح ٣٠٨ ، ٣٢٢ وأخبار أبي تمام ص ٣٠

(٢) ديوانه ص ٣٨٨ والوساطة ص ٦٩ وفي الموشح ص ٣٠٩ « فكأنه لو نصر أيضاً وظفر كان يموت من الغم حيث لم ينصر ويقتل ، فهذا معنى لم يسبقه أحد إلى الخطأ في مثله » ! !

(٣) هذا الشطر مطلع قصيدة له ، وعجزه كما في ديوانه ص ٣٢١ « وأنجح فيك قول الباذلين » وقد ورد في الصناعتين ص ٢٦٢ والموشح ص ٣٢٤ وفي ص ٣١٠ « وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في مغازلتهم ، وإنما أوقعه في ذلك محبته ها هنا للتجنيس ، وهو بهجاء النساء أولى ! » وفي الموازنة ص ٤٣٧ « فأما قوله : خشنت عليه ، فهو لعمري من تجنيساته القبيحة ، وعهدتُ عُجَانُ البغداديين يقولون فيه : قليل نورة . يذهب بالخشونة »

(٤) ديوانه ص ١١٥ من قصيدة يمدح بها أبا العباس نصر بن منصور ابن بسم ، وفيه « فتقطع للزند » والبيت في الصناعتين ٢٣٦ والوساطة ٦٨ والموازنة ص ٢٢٩ والموشح ص ٣١١

لو كانت كلّفها عيب حاجةً يوماً لَزَنِي شَدَقاً. وَجَدِيلًا^(١)
وكقوله :

فَضَرَبْتَ الشَّاءَ فِي أَخْذَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرْتُهُ عَوْدًا رَكُوبًا^(٢)
فهذا وما أشبهه إنما يحدث من غلوّه في حجة الصنعة ، حتى يعميه
عن وجه الصواب . وربما أسرف في المطابق والمجانس ووجوه البديع
من الاستعارة وغيرها ، حتى استثقل نظّمه ، واستوخِمَ رصفه ، وكان
التكلف^(٣) بارداً ، والتصرف جامداً . وربما اتفق مع ذلك في كلامه
النادر المليح ، كما يتفق البارد القبيح .

• • •

وأما البحترى فإنه لا يرى في التجنيس ما يراه أبو تمام ، ويقلُّ
التصنع له . فإذا وقع في كلامه كان في الأكثر حسناً رشيّقا ، وظريفاً
جبيلاً . وتصنعه للمطابق كثير حسن ، وتمعّقه في وجوه الصنعة على
وجه طلب السلامة ، والرغبة في السلاسة . فلذلك يخرج سليماً من
العيب في الأكثر .

(١) ديوانه ص ٢٤٣ وفيه « لأنسى شديقاً » والوساطة ص ٦٥ وفي الموشح
ص ٣١١ ما أحسن قوله : « لَزَنِي شَدَقاً وَجَدِيلًا ، وما معنى تزنيته ناقة أو بهيمة ؟
وفي اللسان ١١٢/١٣ « وجديل وشديم : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن
المنذر » . ويشير أبو تمام إلى قول عبيد الراعي الفخري :

شم الخوارك جناحاً أعضادها صهيلاً تناسب شديقاً وجديلًا

(٢) ديوانه ص ٢٧ وفيه « غادرته قوداً » والوساطة ص ٦٨ والصناعيتين ص

٢٣٦ والموشح ص ٣١٣ . والقود ، والعود : البعير المسن .

(٣) ص : « واستوخِمَ رصفه وكان التكليف » .

وأما وقوف الألفاظ به عن تمام الحُسنَى ، وقعود المبارات عن
الغاية القصوى ، فشيء لا بدّ منه ، وأمر لا يحصى عنه كيف وقد وقف
على من هو أجل منه وأعظم قدراً في هذه الصنعة ، وأكبر في الطبقة ،
كأمرئ القيس ، وزُهَيْر ، والنايضة ، وابنِ هَرَمَةَ^(١) . ونحن نبين نَمِيزُ
كلامهم ، وانحطاطَ درجة قولهم ، ونزولَ طبقة نظمهم عن بدیع نظم
القرآن ، في باب مفرد ، يتصوّر به ذو الصنعة ما يجب تصوّره ،
ويتحقّق^(٢) وجهُ الإعجاز فيه ، بمشيئة الله وعونه .

(١) في جميع الطبقات السابقة « والنايضة وإلى يومه ونحن نبين » ! ! !

(٢) م « ويتيقن » .

• • •

ثم رجع الكلام بنا إلى ما قدمناه، من أنه لا سبيل إلى معرفة
إعجاز القرآن من البديع التي ادَّعَوْه في الشعر ووصفوه فيه .

وذلك : أن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ، ويخرج عن
العرف ، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له ، كقول
الشعر ، ورصف الخطب ، وصناعة الرسالة ، والحذق في البلاغة . وله
طريق يُسلك ، ووجه يُقصد ، وسُلَّم يُرتقى فيه إليه ، ومثال قد يقع
طالبه عليه . فربَّ إنسان يعود أن ينظم جميع كلامه شعراً ، وآخر
يثمود^(١) أن يكون جميع خطابه سجعاً ، أو صنعةً متصلة ، لا يُسقط
من كلامه حرفاً^(٢) ، وقد يتأتَّى له لما قد نموده^(٣) . وأنت ترى أدباء
زماننا يضعون^(٤) المحاسن في جزء . وكذلك يؤلفون أنواع البارع ، ثم
ينظرون فيه إذا أرادوا إنشاء قصيدة أو خطبة فيحسنون^(٥) به كلامهم .
ومن كان قد تدرب وتقدم في حفظ ذلك ، استغنى^(٥) عن هذا
التصنيف ، ولم يحتاج إلى تكلف هذا التأليف ، وكان ما أشرف عليه
من هذا الشأن باسطاً من باع كلامه ، وموشحاً بأنواع البديع ما يحاوله
من قوله .

(١) من ، ك « شعرا أو يثمود » .

(٢) من ، ك « حرف وقد يياده به ما قد » .

(٣) من ، ك « يضيفون » .

(٤) من ، ك « فيحشون » .

(٥) من ، ك « اشتغل » .

وهذا طريق لا يتعذر ، وباب لا يمتنع ، وكل يأخذه مأخذاً ،
ويقف منه موقفاً^(١) ، على قدر مامعه من المعرفة ، وبحسب ما يمدّه
من الطبع .

فأما شأؤُ نظم القرآن ، فليس له مثال يُحتذى عليه^(٢) ، ولا إمام
يُقتدى به ، ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً ، كما يتفق للشاعر البيت
النادر ، والكلمة الشاردة ، والمعنى الفذ الغريب ، والشيء القليل
المجيب ، وكما يلحق من كلامه^(٣) بالوحشيات ، ويضاف من قوله إلى
الأوابد . لأن ما جرى هذا المجرى ووقع هذا الموقع ، فإنما يتفق للشاعر
في لمع من شعره ، وللكاتب في قليل من رسائله ، وللخطيب في يسير
من خطبه . ولو كان كل شعره نادراً ، ومثلاً سائراً ، ومعنى بديعاً ،
ولفظاً رشيقاً ، وكل كلامه مملوءاً من رَوْقته ومائه ، ومحلّى^(٤) بهجته
وحسن روائه ، ولم يقع فيه المتوسط بين الكلامين ، والمتروك بين
الطرفين ، ولا البارد^(٥) المستقل ، والنث المستنكر — لم يَينِ الإعجازُ
في الكلام ، ولم يظهر^(٦) التفاوت المجيب بين النظام والنظام .

(١) م ، ك « ويقف فيه » .

(٢) م ، ك « يحتذى إليه » .

(٣) م « بكلامه بالوحشيات » .

(٤) م ، ك « وملا » .

(٥) م « ولا يشاركه البارد » .

(٦) م ، ك « ولم يين » .

وهذه جملة تحتاج إلى تفصيل^(١) ، ومُبهمٌ قد يحتاج في بعضه إلى تفسير^(٢) . وسنذكر ذلك بمشيئة الله وعونه .

ولكن قد يمكن أن يقال في البديع النى حكيمناه وأصفناه إليهم :
إن ذلك باب من أبواب البراعة ، وجنسٌ من أجناس البلاغة ، وإنه
لا ينفك القرآن عن فنّ من فنون بلاغاتهم ، ولا وجه من وجوه
فصاحتهم / وإذا^(٣) أورد هذا المورد ، ووضع هذا الموضع ، كان
 جديرًا^(٤) .

وإنما لم نطلق القول إطلاقاً ، لأننا لا نجعل الإعجاز متعلقاً بهذه الوجوه
الخاصة ، ووفقاً عليها ، ومضافاً إليها ، وإن صح أن تكون هذه الوجوه
مؤثرة في الجملة ، أخذه بحظها من الحسن والبهجة ، متى وقعت في
الكلام على غير وجه التكلف المُستبشع ، والتعمل المُستشنع .

(١) م « إلى التفصيل ومنهم من يضطر في بعضه إلى التفسير »

(٢) م « فإذا ورد . . . جديرًا به »

فصل

في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن

قد بينا أنه لا يتبها لمن كان لسانه غير العربية ، من المعجم والتراكب وغيرهم ، أن يعرفوا إعجاز القرآن إلا بأن^(١) يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك ، فإذا عرفوا هذا — بأن علموا أنهم قد تحذوا إلى^(٢) أن يأتوا بمثله ، وقُرّعوا على ترك الإتيان بمثله ، ولم يأتوا به — : تبينوا أنهم عاجزون عنه ، وإذا عجز أهل ذلك اللسان ، فهم عنه أعجز .

وكذلك تقول : إن من كان من أهل اللسان العربي — إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة ، وما يمدونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره — فهو كالأعجمي : في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن ، إلا بمثل ما بينا أن يعرف به الفارسي الذي بدأنا بذكره ، وهو ومن ليس من أهل اللسان ، سواء .

فأما من كان قد تنهى في معرفة اللسان العربي ، ووقف على طرقها ومذاهبها — فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم من الفصاحة ، ويعرف ما يخرج عن الوسع ، ويتجاوز حدود القدرة —

(١) من ، ك « إلا أن » .

(٢) من ، ك « تحذوا على » .

فليس يخفى عليه إيجاز القرآن، كما يميز بين جنس الخطب والرسائل
والشعر، وكما يميز بين الشعر الجيد والردى، والفصيح والبديع،
والنادر والبارع والغريب.

وهذا كما يميز أهل كل صناعة صنعتهم، فيعرف الصيرفي من
النقد ما يخفى على غيره، ويعرف البزاز من قيمة الثوب وجودته
وردايته ما يخفى على غيره، وإن كان ينبغي مع معرفة هذا الشأن أمر
آخر، وربما^(١) اختلفوا فيه :

لأن من أهل الصنعة من يختار الكلام المتين، والقول الرصين .
ومنهم من يختار الكلام الذى يروق مأوه، وتروع بهجته ورواؤه،
ويسلس مأخذه، ويسلم وجهه ومنفذه، ويكون قريب المتناول،
غير غريب اللفظ، ولا غامض المعنى .

كما [قد]^(٢) يختار قوم ما ينمض معناه، ويترتب لفظه، ولا
يختار ما سهل على اللسان، وسبق إلى البيان .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصف زهيراً، فقال: كان
لا يمدح الرجل إلا بما فيه^(٣)؛ وقال لعبد بنى الحسحاس حين أنشدته :

(١) م «آخر ربما» .

(٢) الزيادة من م .

(٣) م «ويختار» .

(٤) راجع الأغاني ٩ / ١٤٧ والشعر والشعراء ١ / ٨٧

* كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً^(١) * :
 أما إنه لو قلتَ مثلَ هذا لأجزتك عليه^(٢) .
 ورؤى أن جريراً سُئِلَ عن أحسن الشعر ؟ فقال : قوله
 إن الشقَّ الذي في النار منزله
 والفوز فوزُ الذي ينجو من النار^(٣)
 كأنه فضله لصدق معناه .

ومنهم من يختار الغلو في قول الشعر والإفراط فيه^(٤) ، حتى ربما
 قالوا : أحسنُ الشعر أ كذبُه ؛ كقول النَّابِغة :
 يقدُّ السُّلُوقُ المضاعفَ نسجَه
 ويُوقِدَنَّ بالصفَّاحِ نارَ الحُبَّاحِبِ^(٥)
 وأكثرهم على مدح المتوسط بين المذهبين : في الغلو^(٦) والاعتقاد ،
 وفي المتانة والسَّلامة .

ومنهم من رأى أن أحسن الشعر ما كان أكثر صنعةً ، وألطف

- (١) صلحه في ديوان صميم ص ١٦ • عميرة ودّع إن تجهزت غاديا •
 (٢) في الأغاني ٣/٢٠ • لو قلت شعرك كله . . . وفي البيان
 والتبيين ١/٧٢ • لو قلمت الإسلام على الشيب لأجزتك •
 (٣) من أبيات جميلة أنشدها ابن الأعرابي ، كما في أمالي المرتضى
 ٤٥/٢ - ٤٦ • وقيله :

ما شقوة المرء بالإقتار يقتره ولا سعادته يوماً بكثر

- (٤) سقطت كلمة « فيه » من م
 (٥) ديوانه ص ٤٤ والعمدة ٢/٥٩ ، ٢٨٥
 (٦) ص « في الغلو »

نملاً ؛ وأن يتخير الألفاظ الرشيقة للمعاني البديعة والتوافى الواقعة ،
كنهب البُحْثَرِي ، وعلى ما وصفه عن بعض الكتاب^(١) [في قوله]^(٢) :

فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَ

كَ أَمْرُوهُ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ^(٣)

وبدیع كأنه الزهر الضَّاء

حَكُّ فِي رَوْتَيِ الرَّيْعِ الْجَدِيدِ

حُزْنَ مُسْتَمَلِّ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا

وَتَجَنَّبَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

وَرَكَّبَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَذْرَكَ

نَ بِهِ غَايَةَ الْمُرَادِ الْبَعِيدِ^(٤)

[كَالْعَذَارَى غَدَوْنَ فِي الْحُلَلِ]

بِيضٍ إِذَا رُحْنَ فِي الْخُطُوطِ السُّودِ^(٥)

ويرون أن من تمدى هذا كان سالكاً مسلماً عالمياً ، ولم يروه
شاعراً ولا مصيباً .

(١) هو محمد بن عبد الملك الزيات .

(٢) الزيادة من م

(٣) ديوانه ٦٩٣ / ٢

(٤) في « ورمين اللفظ »

(٥) الزيادة من م . وفيها « فالعذارى » والتصويب من الديوان

وفيهما كتب [إلى] الحسن بن عبد الله أبو^(١) أحمد المَسْكُورِي؛
قال: أخبرني محمد بن يحيى، قال: أخبرني عبد الله بن الحسين^(٢) قال:
قال لي البحتري:

دعاني على بن الجهم، فضيت إليه، فأفضنا في أشعار المحدثين،
إلى أن ذكرنا شعر أشجع [السلمي]؛ فقال لي: إنه يُعْلِي، وأعادها
مرات، ولم أفهمها؛ وأَقِفْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْ مَعْنَاهَا، فَلَمَّا انصرفتُ
أَفْكَرْتُ فِي الْكَلِمَةِ، وَنَظَرْتُ فِي شِعْرِهِ، فَإِذَا هُوَ رُبَّمَا مَرَّتْ لَهُ
الآيَاتُ مَسْئُولَةً لَيْسَ فِيهَا يَتِ رَائِعٌ؛ وَإِذَا هُوَ يَرِيدُ هَذَا بِمَعْنَى: أَنْ
يَعْمَلُ الْآيَاتُ فَلَا يَصِيبُ فِيهَا بَيْتٌ نَادِرٌ^(٣)؛ كَمَا أَنَّ الرَّائِي إِذَا رَمَى
بِرِشْقَةٍ فَلَمْ يَصِبْ بِشَيْءٍ^(٤)، قِيلَ: قَدْ أَخْلَى. قال^(٥): وكان علي بن
الجهم أحسن الناس علماً بالشعر^(٦).

وقوم من أهل اللغة يميلون إلى الرّصين من الكلام، الذي يجمع
الغريب والمعاني، مثل أبي عمرو بن العلاء، وخَلَفِ الْأَثَرِ،
والأصمعي.

(١) م «ابن أحمد» وهو خطأ.

(٢) م «ابن الحسن» وهو خطأ.

(٣) م «فيها بيتاً نادراً»

(٤) م «شيئاً»

(٥) سقطت كلمة «قال» من م

(٦) راجع أخبار أبي تمام ص ٦٣

ومنهم من يختار الوحشي من الشعر ؛ كما اختار المفضل^(١) للمنصور من المفضليات ؛ وقيل : إنه اختار ذلك لميله إلى ذلك الفن .

وذكر الحسن بن عبد الله : أنه أخبره بمض الكتاب عن علي بن العباس ؛ قال : حضرت مع البحتري مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر^(٢) ، وقد سألت البحتري عن أبي نواس ومسلم بن الوليد : أيهما أشعر ؟ فقال البحتري : أبو نواس أشعر ؛ فقال عبيد الله : إن أبا العباس ثعلباً لا يطابقك على قولك ، ويفضل مسلماً .

فقال البحتري : ليس هذا من عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لم الشعر دون عمله ، إنما يعلم ذلك مَنْ دَفَعَ فِي مَسَلِّكَ^(٣) الشعر إلى مضايقه ، واتبع إلى ضروراته^(٤) .

فقال له عبيد^(٥) الله : وريتك بك زنادي يا أبا عبادة ، وقد وافق حكمك حكم أخيك بشار بن برْد في جرير والفرزدق ، [فَإِنْ دَعَبَلَا حدثني عن أبي نواس : أنه حضر بشاراً ، وقد سئل عن جرير والفرزدق ، و]^(٦) أيهما أشعر ؟ فقال : جرير أشعرهما ؛ فقيل له :

(١) م « اختار ذلك المفضل »

(٢) كان والياً على شرطة بغداد . ولد سنة ٢١٣ وتوفي سنة ٣٠٠ راجع

ترجمته في وفيات الأعيان ٢ / ٣٠٤ - ٣٠٦

(٣) م « وقع في مسلك » م ، او دفع في مسلك ،

(٤) دلائل الإعجاز ص ١٩٥

(٥) م « عبيد »

(٦) الزيادة من م ، ا

بأذا ؟ فقال : لأن جريراً يشتد ، إذا شاء ، وليس كذلك الفرزدق ،
لأنه يشتد أبداً .

قيل له : فإن يونس وأبا عبيدة يفضلان الفرزدق على جرير .
فقال : ليس هذا من عمل أولئك القوم ، إنما يعرف الشعر من
يُضطر إلى أن يقول مثله ؛ وفي الشعر ضروب لم يحسنها الفرزدق ،
ولقد ماتت التوارُ امرأته ، فراح عليها بقول جرير :

لولا الحياة لعادنى أستبصارٌ ولزرت قبرك والحبيب يزارٌ^(١)

وروى عن أبي عبيدة : أنه قال للفرزدق^(٢) : مالك لا تنسب كما
ينسب جرير ؟ فجاب حولاً ، ثم جاء فأشدد :

يا أخت ناجية بن سامة إننى أخشى عليك بنى إن طلبوا دى^(٣)

والأعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام^(٤) من الجنس الذي جمعه في
كتاب « الحماسة » ، وما اختاره من « الوحشيات » ؛ وذلك أنه
تنكّب^(٥) المستنكر الوحش ، والمبتذل العامى ، وآتى بالواسطة .

وهذه طريقة من يُنصف في الاختيار ، ولا يمدل به غرض^(٦)

(١) ديوانه ص ١٩٩ والصناعتين ص ١٧ والشعر والشعراء ٤٦٤/١ .

(٢) م « قال قيل للفرزدق » .

(٣) ديوانه ص ٧٧٨ .

(٤) م « أبو تمام » .

(٥) م ، ك « تنكّر » .

(٦) م « به إلى غرض » .

يخص . لأن الذين اختاروا الغرب فإنما اختاروه لفرض لهم في تفسير ما يشبهه على غيرهم ، وإظهار^(١) التقدم في معرفته ، وعجز غيرهم عنه ؛ ولم يكن قصدُهم جيّدَ الأَشْعارِ لشيء يرجعُ إليها في أنفسها .
وبيّن هذا : أن الكلام موضوعٌ للإبانة عن الأغراض التي في النفوس . وإذا كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على^(٢) المراد ، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب ، ولم يكن مُستَكْرَهَ المَطْلَعِ على الأذن ، و [لا]^(٣) مستكر المَوْرِدِ على النفس ، حتى يتأبى بُغْرَابَتُهُ^(٤) في اللفظ عن الإفهام ، أو يتنوع بتعويض^(٥) معناه عن الإبانة . ويجب أن يتنكب ما كان عامي اللفظ^(٦) ، مُبْتَدَلِ العبارة ، رَكِيكَ المعنى ، سَفْسَافٍ الوضع ، مُجْتَلَبِ التَّامِيسِ^(٧) على غير أصلٍ ممّهد ، ولا طريقٍ مُوطّد .

وإنما فَضِّلَتِ العربية على غيرها ، لاعتدالها في الوضع . لذلك وضع أصلها على أن أكثرها [هو]^(٨) بالحروف المتدلة ، فقد أهملوا الألفاظ

(١) م « في نفسه لكونه مما يشبهه على غيرهم وإظهاره » .

(٢) ا « عن » .

(٣) الزيادة من م .

(٤) م « لغرابته » .

(٥) م « لتعويض » .

(٦) م ، ك « ما كان عليه اللفظ » .

(٧) م « سفسافاً في الوضع مختلف التاميس » .

(٨) الزيادة من م .

الْمُسْتَكْرَمَةِ فِي نَظْمِهَا ، وَأَسْقَطُوا مِنْ كَلَامِهِمْ ، وَجَعَلُوا عَامَّةً^(١) لِسَانِهِمْ عَلَى الْأَعْدَلِ . وَلِذَلِكَ صَارَ أَكْثَرُ كَلَامِهِمْ مِنَ الثَّلَاثِ ، لِأَنَّهُمْ بَدَعُوا بِمَحْرَفٍ وَسَكَنُوا عَلَى آخَرٍ ، وَجَعَلُوا حَرْفًا وَصَلَةً بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ ، لِيَتِمَّ الْإِبْتِدَاءُ وَالْإِتْمَاءُ عَلَى ذَلِكَ ، وَالثَّنَائِيُّ أَقْلُ ، وَكَذَلِكَ الرَّبَاعِيُّ وَالْخَمْسِيُّ أَقْلُ ؛ وَلَوْ كَانَ كُلُّهُ ثَنَائِيًّا لَتَكَثَّرَتِ الْحُرُوفُ ؛ وَلَوْ كَانَ كُلُّهُ رَبَاعِيًّا أَوْ^(٢) خَمَاسِيًّا لَكَثُرَتِ الْكَلِمَاتُ .

وَكَذَلِكَ بَنَى أَمْرُ الْحُرُوفِ الَّتِي ابْتَدَى بِهَا السُّورُ عَلَى هَذَا . فَأَكْثَرُ هَذِهِ السُّورِ الَّتِي ابْتَدَتْ بِذِكْرِ الْحُرُوفِ ، ذُكِرَ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَحْرَفٍ ، وَمَا هُوَ أَرْبَعَةُ أَحْرَفٍ سَوْرَتَانِ ، وَمَا ابْتَدَى بِخَمْسَةِ أَحْرَفٍ سَوْرَتَانِ .

فَأَمَّا مَا بَدَى بِمَحْرَفٍ وَاحِدٍ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ :

فَنَهْمٌ مِنْ لَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ حَرْفًا ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ فِعْلًا وَاسْمًا لَشَيْءٍ خَاصٍّ . وَمَنْ جَعَلَ ذَلِكَ حَرْفًا قَالَ : أَرَادَ أَنْ يَحْتَقِقَ الْحُرُوفَ مُفْرَدَةً وَمَنْظُومَةً .

وَلِضَيْقِ مَا سَوَى كَلَامِ الْعَرَبِ ، أَوْ لَخُرُوجِهِ عَنِ الْإِعْتِدَالِ ، يَتَكَرَّرُ^(٣) فِي بَعْضِ الْأَلْسِنَةِ الْحَرْفُ الْوَاحِدُ فِي الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْكَلِمَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ كَثِيرًا^(٤) ؛ كَنَحْوِ تَكَرَّرِ الطَّاءِ وَالسَّيْنِ فِي لِسَانِ

(١) م : « فَجَرَى لِسَانِهِمْ » .

(٢) م « رَبَاعِيًّا وَخَمَاسِيًّا » .

(٣) م ، ك « يَتَكَرَّرُ » .

(٤) سَقَطَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ م

يُونَان؛ وكنحو الحروف الكثيرة التي هي ^(١) اسم لشيء واحد في لسان الترك. ولذلك لا يمكن أن يُنظَمَ من الشعر في تلك الألسنة على الأعراف التي تُمكنُ في اللغة العربية.

والعربية أشدها تمكناً، وأشرفها تصرفاً وأعدلها؛ ولذلك ^(٢) جعلت حليّة لنظم القرآن، وعَلِقَ بها الإعجاز، وصار دلالة في النبوة ^(٣).

• • •

وإذا كان الكلام إنما يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس، التي لا يمكن التوصلُ إليها بأقْسَمِها وهي محتاجة إلى ما يعبر عنها؛ فما كان أقرب في تصويرها، وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها، وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد، وأشدَّ تحقيقاً في الإيضاح عن المطلب ^(٤) وأعجب في وضعه، وأرشَقَ في نصرته، وأبرع في نظمه — : كان أولى وأحقَّ بأن يكون شرفاً.

وقد شبهوا النطق بالخطِّ، والخطُّ يحتاج مع يانه إلى رشاقة

(١) م «الكثيرة هي».

(٢) م «وكنلك».

(٣) س، ك «وصارت دلالة في النبوة».

(٤) س «عن الطلب».

وصحة ، [وملاحظة^(١)] ولطف ، حتى يحوز الفضيلة ويجمع الكمال .
 وشبهوا الخطأ والنطق بالتصوير ؛ وقد أجمعوا أن من أخذق
 المصوّرين ، من صور لك الباكي المتضاحك ، والباكي الحزين ،
 والضاحك المتباكى ، والضاحك المستبشر . وكما أنه يحتاج إلى لطف
 يد في تصوير هذه الأمثلة ، فكذلك يحتاج إلى لطف في اللسان والطبع
 في تصوير ما في النفس للغير .

وفي جملة الكلام ما تقصر^(٢) عبارته وتفضل معانيه ؛ وفيه
 ما تقصر معانيه^(٣) وتفضل العبارات ؛ وفيه ما يقع كل واحد منهما وفقاً
 للآخر ، ثم ينقسم ما يقع وفقاً إلى أنه قد يفيدها على [جملة ، وقد
 يفيدها على]^(٤) تفصيل .

وكل واحد منهما قد ينقسم إلى ما يفيدها على أن يكون كل واحد
 منهما بديعاً شريفاً ، وغريباً لطيفاً ؛ وقد يكون كل واحد منهما مستجلباً
 متكلفاً ، ومصنوعاً متعسفاً ؛ وقد يكون [كل]^(٥) واحد منهما حسناً
 رقيقاً ، وبهيجاً نصيراً^(٦) ؛ وقد يتفق أحد الأمرين دون الآخر ؛ وقد

(١) الزيادة من ا ، م . ومكانها بياض في ك .

(٢) س ، ك « الكلام إلى ما تقصر » .

(٣) س ، ك « المعاني »

(٤) الزيادة من ا ، م .

(٥) الزيادة من ا ، م ، ك .

(٦) ك ، م « نظيراً » .

يتفق أن يسلّم الكلام والمعنى من غير رشاقة ولا نصارة في واحد منها ؛ [و] ^(١) إِنَّمَا يُمَيِّزُ مِنْ يُمَيِّزُ ، ويعرفُ مَنْ يَعْرِفُ . والحكمُ في ذلك صعب شديد ، والفصل فيه شأو بعيد . وقد قلَّ من يميز أصناف الكلام ؛ فقد حكى عن طبقة أبي عُبَيْدَةَ وَخَلَفَ الأَحرار وغيرهما في زمانهما ^(٢) ، أَنَّهُمْ قَالُوا : ذهب من يعرف فَقَدْ ^(٣) الشعر .

وقد يتأقّل هذا اختلاف القوم في الاختيار ، وما يجب أن يجمعوا عليه ، ويرجعوا عند التحقيق إليه ؛ فكلّامُ الْمُقْتَدِرِ نَمَطٌ ، وكلام المتوسّط ^(٤) بابٌ ، وكلام المطبوع له طريق ، وكلام المتكلّف له منهاج ، والكلامُ المصنوع المطبوع له بابٌ .

ومتى قدّم الإنسان في هذه الصنعة لم تَخَفَ عليه هذه الوجوه ، ولم تشبهه عنده هذه الطرق ؛ فهو يميّز قدرَ كلِّ متكلم بكلامه ^(٥) ، وقدرَ كلِّ كلام في نفسه ؛ ويَحِلُّه محلّه ، ويعتقد فيه ما هو عليه ، ويحكم فيه ^(٦) بما يستحق من الحكم .

(١) الزيادة من ك ، م .

(٢) م ، ك « وغيرهم في زمانهم » .

(٣) م « يعرف هذا الشعر » .

(٤) م ، ك « وكلام المتوسّع باب » .

(٥) سقطت هذه الكلمة من م .

(٦) م « عليه ما يستحق » .

وإن كان المتكلم يَجُودُ في شيء دون شيء ، عرف ذلك منه ، وإن كان^(١) يَم إحصائه ، عرف^(٢) .

ألا ترى أن منهم من يَجُودُ في المدح دون الهجو ، ومنهم من يَجُودُ في الهجو وحده^(٣) ؛ ومنهم من يَجُودُ في المزج^(٤) والسُخف ؛ ومنهم من يَجُودُ في الأوصاف .

والعالم لا يَشِدُّ عنه [شيء من ذلك ، ولا تحفى عليه]^(٥) مراتب هؤلاء ، ولا تنعب عليه أقدارهم ؛ حتى إنه إذا عرف طريقة شاعر في قصائد معدودة ، فأَنشِدَ غيرها من شعره — لم يَشْكُ أن ذلك من نَسَجِهِ ، ولم يَرْتَبْ في أنها^(٦) من نظمه ؛ كما أنه إذا عرف خطأ رجل لم يشبه عليه خطه حيث رآه^(٧) من بين الخطوط المختلفة ، وحتى يميز بين رسائل كاتب وبين رسائل غيره ؛ وكذلك أمرُ الخطب .

فإن اشتبه عليه البعض ، فهو لاشتباه الطريقين ، وتماثل الصورتين . كما قد يشبه شعر أبي تمام بشعر البُحْتَرِيِّ : في القليل الذي يترك أبو تمام فيه التصنع ، ويقصد فيه التسهل ، ويسلك الطريقة الكتابية ،

(١) م « ولو كان » .

(٢) م « عرفه » .

(٣) م « في الهجو دون المدح ، ومنهم من يعكس » .

(٤) م ، ك « في المدح » .

(٥) الزيادة من م .

(٦) م ، ك « في أنه » .

(٧) م « يراه » .

وتوجه في تقرب الألفاظ وترك تمويص الماني ، ويتفق له مثل بهجة
أشعار البحتري وألفاظه .

ولا يخفى على أحد يميز هذه الصنعة سبك أبي نواس [من سبك
مسلم ^(١)] ، ولا نسج ابن الرومي من نسج البحتري ؛ وبينه
ديباجة ^(٢) شعر البحتري ، وكثرة مائه ، وبديع رواقه ، وبهجة
كلامه ؛ إلا فيما يسترسل فيه ، فيشتبه بشعر ^(٣) ابن الرومي ؛ ويحركه
ما لشعر ^(٤) أبي نواس من الحلاوة والركة والرشاقة والسلاسة ، حتى
يفرق بينه وبين شعر مسلم .

وكذلك يميز بين شعر الأعشى في التصرف ، وبين شعر أرمي
القيس ، وبين شعر النابغة وزهير ، وبين شعر جرير والأخطل ،
والبسيط والفرزدق . وكل له منهج معروف ، وطريق مألوف .

ولا يخفى عليه في زماننا الفصل بين رسائل عبد الحميد وطبقته ،
وبين طبقة من بعده ؛ ^(٥) حتى إنه لا يشتبه عليه ما بين رسائل ابن العميد ،
وبين رسائل أهل عصره ومن بعده ممن برع في صنعة الرسائل ،

(١) الزيادة من م .

(٢) اوتيه ، م « وشبهه » .

(٣) م « فيشيه بغير شعر » .

(٤) م « في شعر » .

(٥) سقط ما بين الرقعين من م .

وتقدّم في شأوها ، حتى جمع فيها بين طرق المتقدمين وطريقة
التأخرين ، [و] حتى خلّص لنفسه طريقة^(١) ، وأنشأ لنفسه منهاجاً ؛
فسلك تارة طريقة الجاحِظ ، وتارة طريقة السّجّ ، وتارة طريقة
الأصل ؛ وبرّع في ذلك باقتداره ، وتقدّم بحِذِّه ؛ ولكنّه لا يخفى مع
ذلك على أهل الصنعة طريقه من طريق غيره ؛ وإن كان قد يشبهه
البعض ، ويَدِقُّ القليل ، وتَمْنُضُ الأطراف ، وتشذُّ النواحي .

وقد يتقارب^(٢) سَبْكُ قَهْرٍ من شعراء عصر ، وتدناني رسائل
كتاب دهر ، حتى تشبه اشتباهاً شديداً ، وتماثل تماثلاً قريباً ؛
فيغض الأصل^(٣) .

وقد يَنشَأُ كُلُّ الفرع والأصل ، وذلك فيما لا يتعذر إدراك^(٤)
أَمِّه ، ولا يَتَصَبَّبُ طَلَابُ شَأوه ، ولا يَتَمَنَعُ بُلُوغُ غايته ، والوصول
إلى نهايته ؛ لأنّ الذي يتفق من الفصل^(٥) بين أهل الزمان إذا تفاضلوا
[في سبق^(٦)] ، وتفاوتوا في مضمار ؛ فصل قريب ، وأمر يسير .

وكذلك لا يخفى عليهم معرفة سارق الألفاظ و [لا] سارق^(٧)

(١) م « طريقاً » .

(٢) ١ ، م « وقد يتفاوت » .

(٣) م « الفصل » ، ك « الفصل » .

(٤) م « إدراك » ، أ « أمر » .

(٥) م « الفصل » .

(٦) الزيادة من م ومكانها بياض في ك .

(٧) الزيادة من م .

المعانى، ولا من يَحْتَرَعها، ولا من يُلْمُ بها، ولا من يَجَاهِرُ بِالْأَخْذِ
 مِنْ يُكَاثِمُ بِهِ، ولا من يَخْتَرَعُ الْكَلَامَ اخْتِرَاعًا، وَيَتَدَبَّعُهُ أَتْدَاعًا،
 مِنْ يُرَوِّى^(١) فِيهِ، وَتُجِيلُ الْفَكْرُ فِي تَنْقِيحِهِ، وَيَصْبِرُ عَلَيْهِ، حَتَّى
 يَتَخَلَّصَ لَهُ مَا يَرِيدُ، وَحَتَّى يَتَكَرَّرَ نَظَرُهُ فِيهِ.

قال أبو عبيدة: سمعت أبا عمرو يقول: زهيرٌ والحُطَيْثَةُ وأشباههما
 عبيدُ الشعرِ؛ لأنهم تَقَحَّوه، ولم يَنْهَبُوا فِيهِ مِنْهُبِ الْمَطْبُوعِينَ^(٢).
 وكان زهيرُ يسمي كَبْرَ شعره «الْحَوَليَّاتِ الْمُنْقَعَةِ». وقال عديُّ
 ابن الرِّقَاعِ:

وقصيدةٍ قد بَتُّ أَجْمَعُ يَنْهَا حَتَّى أَقَوِّمَ مِيلَهَا وَسِنَادَهَا^(٣)
 نَظَرَ الْمُتَقَفِّ فِي كُتُوبِ قَنَاتِهِ حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا
 وكقول سُوَيْدِ بْنِ كُرَاعٍ:

أَيْتُ بِأَبْوَابِ الْقَوَافِ كَأَنَّا

أَصَادِي بِهَا سِرِّبًا مِنَ الْوَحْشِ نُزْعًا^(٤)

ومِنْهُمْ مَنْ يُعْرِفُ بِالْبَدِيعَةِ وَحِدَّةِ الْخَطَرِ، وَفَاقِذِ الطَّبَعِ وَسُرْعَةِ

(١) م ١ م يروى

(٢) الشعر والشعراء ١/ ٢٣، ٩٤ والبيان والتبيين ٢/ ١٢

(٣) الموشح ص ١٣ والأغاني ٨/ ١٨٤ والشعر والشعراء ٢/ ٦٠١

(٤) الأغاني ١١/ ١٢٩ وفيه «شرباً» وهو خطأ، والبيان والتبيين ٢/ ١٢

والشعر والشعراء ١/ ٢٣، ٢/ ٦١٦ والمصاداة: المداواة

النظم : يَرْتَجِلُ القول ارتجالاً ، ويطبعه ^(١) عَفْوَاً صَفْوَاً ؛ فلا يَقْدُرُ به
عن قوم قد تمبأ وكذوا أنفسهم ، وجاهدوا خواطرم .

وكذلك لا [يمكن أن] ^(٢) يَخْفَى عليهم الكلام الملوّى ، واللفظ
الملوكى ؛ كما لا يخفى عليهم الكلام العامى ، واللفظ السوقى ؛ ثم ترام
يُنزلون الكلام تنزيلاً ، ويُعطونه - كيف تصرف - حقوقه ،
ويعرفون مراتبه ؛ فلا يخفى عليهم ما يختص به كل فاضل تقدم فى
وجه من وجوه النظم ، من الوجه الذى لا يُشاركه فيه غيره ، ولا
يُسَاهِمُهُ سواه .

أَلَا ترام وصفوا زُهيراً بأنه أَمْدَحُهُمْ وَأَشْدُّهُمْ أَمْرَ شِعْرِ ^(٣) ؛ قاله
أبو عبيدة ^(٤) ؟

وَرَوَى أَن الْقَرَزْدَقَ أَتَّحَلَ يَتًا مِنْ شِعْرِ جَرِيرٍ ، وقال : هذا
يشبه شعرى .

فكان هؤلاء لا يخفى عليهم ما قد نسبناه إليهم من المعرفة بهذا
الشأن ؛ وهذا كما يعلم البزّاز أن ^(٥) هذا الديباج عُمل بِتُسْتَرٍ ^(٦) ، وهذا

(١) م « ويطبعه » .

(٢) الزيادة من م .

(٣) م « أثر » .

(٤) الشعر والشعراء ٩٣ / ١ .

(٥) م ، ك « البزّازون » .

(٦) مدينة من كور الأهواز ، فتحها أبو موسى الأشعرى فى عهد عمر .
وكانت بها مصانع للثياب والعائم ، معجم البلدان ٣٧٧ / ٢ وابن خلكان
١٥٠ / ٢ .

لم يعلم بُسْتَرٌ ؛ وأن هذا من صنعة فلان دون فلان ، ومن نسج فلان دون فلان ؛ حتى لا يخفى عليه ، وإن كان قد يخفى على غيره .

ثم إنهم يعلمون أيضاً من له سَمْتُ نفسه ، ورَفْتُ برأسه ؛ ومن يقتدى في الألفاظ أو في المعاني أو فيهما بنيره ، ويحمل سواء قدوة له ؛ ومن يُلم في الأحوال بمنهج غيره ، ويطور^(١) في الأحيان [يَجَنَّبَاتِ كلامه]^(٢) .

وهذه أمور مُمَهَّدَةٌ عند العلماء ، وأسباب معروفة عند الأدباء ؛ وكما يقولون : إن البَحْثَرِيَّ يَغير على أبي تمام إغارة ، ويأخذ منه صريحاً وإشارة ؛ ويستأنس بالأخذ منه بخلاف^(٣) ما يستأنس بالأخذ من غيره ، ويألف أتباعه كما لا يألف أتباع سواء ؛ وكما كان أبو تمام يُلمُّ بأبي نواس ومُسلم ؛ وكما يعلم أن بعض الشعراء يأخذ من كل أحد ولا يتحاشى ، ويؤلف ما يقوله من فرق شتى .

وما الذي تقع التَّشَبُّهُ جُودُهُ الأخذ ، وإنكارُهُ معرفة الطائيتين ؛ وأهل الصنعة يدلُّون على كلِّ حرفٍ أخذه منهما جِهاراً ، أو أَلَمَّ بهما فيه سرّاً ؟ !

(١) م ، ك « ويأتي » .

(٢) الزيادة من ا ، م ومكانها يياض في ك .

(٣) م « خلاف » .

وأما ما لم يأخذ عن الثير ، ولكن سلك النمط ، وراعى التهج ؛ فهم يعرفونه ، ويقولون : هذا أشبه به من الثمرة بالثمرة ، وأقرب إليه من الماء إلى الماء ؛ وليس بينهما إلا كما بين الليلة واللييلة . فإذا تبأينا وذهب أحدهما في غير مذهب صاحبه ، وسلك في غير جانب^(١) ؛ قيل : بينهما ما بين السماء والأرض ، وما بين النجم والنون^(٢) ، وما بين المشرق والمغرب .

• • •

وإنما أطلت عليك ، ووضعتُ جميعهُ بين يديك ؛ لتعلم أن أهل الصنعة يعرفون دقيق هذا الشأن وجليله ، وغامضه وجليله ، وقريبه وبميدته ، ومُتَوَجِّه ومستقيمه . فكيف يخفى عليهم الجنس الذى هو بين الناس مُتَدَاوِل ، وهو قَرِيب مُتَنَاوِل ؛ من أمر يخرج عن أجناس كلامهم ، ويبعد عما هو فى عرفهم ، ويضوت مَوَاقِع قُدْرِهِمْ ؟

ولذا اشتبه ذلك فإنما يشبهه على ناقص فى الصنعة ، أو قاصِر عن معرفة طرق الكلام الذى يتصرفون فيه ويُدِيرُونَهُ^(٣) بينهم ولا يتجاوزونه ؛ فلكلامهم مُبْلَل مضبوطة ، وطرقُ معرفة محصورة . وهذا كما يشبهه على من يدعى الشعر — من أهل زماننا — والعلم بهذا

(١) م ، « مسلكه » .

(٢) فى اللسان ١٧ / ٣١٦ النون الحوت ، والجمع أنوان ونيتان .

(٣) م « وسديرونه » .

الشأن؛ فيدعى أنه أشعر من البَحْتَرَى، وتوم أنه أدق مسلِكاً من أبي نُؤاس، وأحسن طريقاً من مُسلم! وأنت نطم أنهما متباعدان، وتحقق أنهما لا يجتمعان؛ ولعل أحدهما إنما يلحظ غبار^(١) صاحبه، ويطلع ضياء نَجْمِه، ورُاعِي خُفُوق^(٢) جناحه، وهو راكِدٌ في موضعه. ولا يَصُرُّ البَحْتَرَى ظَنَّهُ، ولا يُلِحِّقُه بِشَأْوِه وَهْمُه^(٣).

فإن اشتبَه على متأدب أو مُتَشاعِر أو ناشئ أو مُزْمِد، فصاحَةُ القرآن، وموقعُ بلاغته، وعجيبُ براعته —: فاعليك منه؛ إنما يخبر عن قصه^(٤)، ويدلُّ على عجزه، ويُبَيِّن عن جهله، ويُصَرِّح^(٥) بسخافته فيه، وركاكة عقله.

وإنما قدَّمنا^(٦) ما قدَّمناه في هذا الفصل، لتعرف أن ما ادَّعَيْنَاهُ من معرفة البليغ بملوِّ شأن القرآن وعجيبِ نظمهِ وبديعِ تأليفهِ، أمرٌ لا يجوزُ غيرُهُ، ولا يحتملُ سواه، ولا يشبِّهه على ذى بصيرة، ولا يَحِيلُ عند^(٧) أخى معرفة؛ كما يعرف الفصل بين طبائع^(٨) الشعراء

(١) م: «عبارة» ا «طريقة».

(٢) م، ك «خفوف».

(٣) م «وهمه».

(٤) م «نقصانه».

(٥) م «ويوح».

(٦) م «وإنما قلنا».

(٧) م «ولا يخل على».

(٨) ك، ا، م «طبائع».

من أهل الجاهلية، وبين المخضمين، وبين المحدثين؛ ويميز بين من
يجرى على شاكلة طبعه وغريزة قسه، وبين من يشتغل بالتكلف
والتصنع، وبين من يصير التكلف له كالطبع، وبين من كان مطبوعه
كالتعمّل^(١) المصنوع.

مِهَات مِهَات !! هذا أمر — وإن دَقَّ — فله قوم يقتلونه علماً،
وأهل يحيطون به ضمّاً؛ ويُمرّفونه^(٢) إليك إن شئت، ويُصورونه
لديك إن أردت، ويُجلّونه على خواطرك إن أحيت، ويُعرضونه
لفطمتك إن حاولت؛ وقد قال القائل:

الحرب بالضرب أقوامٌ لها خُلُقوا وللدّواوين كتابٌ وحُسابٌ
ولكل عمل رجال، ولكل صنعة ناس، وفي كل فرقة الجاهل والعالم
والمتوسط؛ ولكن قد قلّ من يميز في هذا الفن خاصّة، وذهب من
يُحصّل في هذا الشأن، إلا قليلاً.

فإن كنت ممن هو بالصفة التي وصفناها — من التناهي في معرفة
الفصاحات، والتحقّق^(٣) بمجاري البلاغات — فإنما يكفيك التأمل،
ويفنيك التّصوّر.

وإن كنت في الصنعة مُرَمِّداً، وفي المعرفة بها متوسطاً؛ فلا بُدَّ

(١) م، ك « كالتعمّل ».

(٢) م « ويقدمونه ».

(٣) م « والتحقّق ».

لك من التقليد ، ولا غنى بك عن التسليم . إن الناقص في هذه الصنعة كالخارج عنها ، والشاى فيها كالباى منها .

فإن أراد أن يقرب عليه أمراً^(١) ، ويفسح له طريقاً ، ويفتح له باباً — ليعرف به إيجاز القرآن — فإننا نضع بين يديه الأمثلة ، ونعرض عليه الأساليب ، ونُصوِّر له صور^(٢) كل قَبيل من النظم والنثر ، ونُخَصِّرُهُ^(٣) من كل فن من القول شيئاً يتأمله حق تأمله ، ويراعيه حق رعايته^(٤) ؛ فيستدل استدلال العالم ، ويستدرك استدراك^(٥) الناقد ، ويقع^(٦) له الفرق بين الكلام الصادر عن الرُبُويَّة ، الطالِع عن الإلهيَّة ؛ الجامع بين الحُكْم والحِكم ، والإخبار عن الغيوب والغائبات ؛ والمتضمن لمصالح الدنيا والدين ، والمستوعِب لِجَلِيَّةِ اليقين ؛ والماتى المخترعة فى تأسيس أصل الشريعة وفروعها بالألفاظ الشريفة ؛ على تَقْنِنِهَا ونصْرَتِهَا . ونَعْمِدُ إلى شىء من الشعر المُجَمِّع عليه ، قَبِيْنُ وجه النقص فيه ، ونَدُلُّ على انحطاط رتبته ، ووقوع أبواب الخلل فيه ؛ حتى إذا تأمل ذلك ، وتأمل ما نذكره — من تفصيل إيجاز القرآن وفصاحته ، وعجيب براعته — انكشف له واتضح ، وثبت

(١) م «أمدأ» .

(٢) م «صورة» .

(٣) م «ونحضر له» .

(٤) م ، ك «مراعاته» .

(٥) م «الاستدلال» .

(٦) م «ويقطع» .

مُلاصَفاً لِدِيهِ وَوَضَحَ؟ وَلِيَعْرِفَ خُسُودَ الْبَلَاغَةِ، وَمَوَاقِعَ الْبَيَانِ
وَالْبَرَاغَةِ، وَوَجْهَ التَّقْدِمِ فِي الْفَصَاحَةِ.

وَذَكَرَ الْجَاخِظَ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ^(١) :- أَنَّ الْفَارْسِيَّ سُمِّلَ ،
فَقِيلَ لَهُ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ .

وَسُمِّلَ الْيُونَانِيَّ عَنْهَا ؟ فَقَالَ : تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ ، وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ .
وَسُمِّلَ الرُّومِيَّ عَنْهَا ؟ فَقَالَ : حَسْنُ الْاِقْتِضَابِ عِنْدَ الْبِدَاغَةِ^(٢) ،
وَالْفَزَاةُ يَوْمَ الْإِطَالَةِ .

وَسُمِّلَ الْهِنْدِيَّ عَنْهَا ؟ فَقَالَ : وَضُوحُ الدَّلَالَةِ ، وَاتِّهَازُ الْفَرَسَةِ ،
وَحَسْنُ الْإِشَارَةِ .

وَقَالَ مَرَّةً^(٣) : أَلْتَمَسْتُ حَسْنَ الْمَوْقِعِ ، وَالْمَعْرِفَةَ بِسَاعَاتِ^(٤) الْقَوْلِ ،
وَقَلَّةَ الْخُرْقِ بِمَا^(٥) التَّبَسُّعُ مِنَ الْمَعَانِي ، أَوْ غَمَضُ وَشَرْدُ مِنَ اللَّفْظِ وَتَمَذُّرُ
وَزِينَتِهِ^(٦) أَنْ تَكُونَ الشَّمَائِلُ مَوْزُونَةً ، وَالْأَلْفَاظُ مَعْدَلَةٌ ، وَاللَّهْجَةُ نَقِيَّةً^(٧) ؛

(١) ٨٨ / ١

(٢) م « الْبَلْدِيَّةُ »

(٣) فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ « قَالَ : وَقَالَ مَرَّةً : جَمَاعَ الْبَلَاغَةِ التَّمَاسُ . . . »

(٤) م « بِسَاعَاتِ » م « بِتَبَاعَاتِ »

(٥) م « وَقَلَّةَ الْخُرْقِ فِيهَا »

(٦) فِي الْبَيَانِ ٨٩ / ١ « ثُمَّ قَالَ : وَزَيْنَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَبِهَاقِهِ وَحَلَاوَتِهِ

وَسَنَاوُهُ أَنْ تَكُونَ الشَّمَائِلُ »

(٧) م « وَبِلَهْجَةٍ نَقِيَّةٍ » وَفِي الْبَيَانِ بَعْدَ ذَلِكَ : « فَإِنْ جَامَعَ ذَلِكَ السَّنْ

وَالسَّمْتُ وَالْجَمَالَ وَطُولَ الصَّمْتِ ، فَقَدْ تَمَّ كُلُّ التَّمَامِ ، وَكَمَلَ كُلُّ الْكَمَالِ »

وأنت^(١) لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ويكون في قول
فضل^(٢) التصرف في كل طبقة ، ولا يدق المعاني كل التدقيق ،
ولا يُنقح الألفاظ كل التنقيح ، و [لا] يصفها كل التصفية ، و [لا]
يهذبها بنفاية التهذيب^(٣) .

وأما البراعة فهي فيما يذكر^(٤) أهل اللغة : الحذف بطريقة الكلام
وتجويده . وقد يوصف بذلك كل متقدم في قول أو صناعة .

وأما الفصاحة فقد اختلفوا فيها :

فهم من عبّر عن معناها بأنه : ما كان جَزَلَ اللفظ ، حَسَنَ المعنى .
وقد قيل : معناها : الاقتدار على الإبانة عن المعاني الكامنة في
النفوس ، على عبارات جليّة ، ومعاني قويّة بهية .

• • •

والذي يصوّر عندك ما صيّنّا تصويره ، ويحصل لديك^(٥) معرفته —
إذا كنت في صناعة الأدب متوسطاً ، وفي علم العربية متبيّناً^(٦) — :

(١) هذا الكلام من الصحيفة التي زعم الجاحظ أن فيها البلاغة عند
الهند . وأولها كما ذكر في البيان ٩٢ / ١ « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك
أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ
لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوق ، ويكون في قواه ... »

(٢) م : « فصل »

(٣) راجع بقية الصحيفة المزعومة في البيان ٩٢ / ١

(٤) م ، س : « البراعة فيها »

(٥) س ، ل : « عندك »

(٦) م : « مشاركا »

أن تنظر أولاً في نظم القرآن، ثم في شيء من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فتمعرف الفصل بين النظمين، والفرق بين الكلامين. فإن تبين لك الفصل، ووقعت على جلية الأمر وحقيقة الفرق — : فقد أدركت الغرض، وصادفت المقصد؛ وإن لم تفهم الفرق، ولم تقع^(١) على الفصل — : فلا بد لك من التقليد، وعلمت أنك من جملة العامة، وأن سبيلك سبيل من هو خارج عن أهل اللسان.

خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم

روى طَلْحَةُ بْنُ عُيْدَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَخْطُبُ عَلَى مَنبَرِهِ يَقُولُ :

« أَلَا أَيُّهَا^(١) النَّاسُ ؛ تَوْبُوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَبَادِرُوا
الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا ؛ وَصِلُوا الَّذِينَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ
— بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْمَلَانِيَةِ — : تُرْزَقُوا
وَتُؤَجَّرُوا وَتُنَصَّرُوا .

واعلموا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ الْجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هَذَا ،
فِي حَامِي هَذَا ، فِي شَهْرِي هَذَا ؛ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : حَيَاتِي وَمَنْ بَعْدِي^(٢)
مَوْتِي ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا وَلَهُ إِمَامٌ : فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ ، وَلَا بَارَكَ لَهُ فِي
أَمْرِهِ ؛ أَلَا وَلَا حُجَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَوْمَ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَدَقَةَ لَهُ ، أَلَا
وَلَا بَرٍّ لَهُ .

أَلَا وَلَا يَوْمُ أَغْرَابِيٍّ مُهَاجِرًا ، أَلَا وَلَا يَوْمُ فَاجِرٍ مُؤْمِنًا ؛ إِلَّا أَنْ
يَقْبِرَهُ سُلْطَانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ .

(١) م : « أَلَا يَا أَيُّهَا »

(٢) م : « وَبَعْدِي »

خطبة له صلى الله عليه وسلم

« أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ ، فَاتَّبِعُوا^(١) إِلَى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنْ لَكُمْ نَهَايَةٌ ، فَاتَّبِعُوا إِلَى نَهَايَتِكُمْ .

إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ خَافَتَيْنِ : بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى ، لَا يَذَرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ ؛ وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ ، لَا يَذَرِي مَا اللَّهُ تَعَالَى قَاضٍ عَلَيْهِ فِيهِ .
فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمَنْ دَنِيَاهُ لِآخِرَتِهِ ؛ وَمَنْ الشَّيْئَةِ^(٢) قَبْلَ الْكَبِيرِ ، وَمَنْ الْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَوْتِ .

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ : مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَتَبٍ ، وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ ، إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ » .

خطبة له صلى الله عليه وسلم

« إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، أَحَدُهُ وَأَسْمَعِيْنُهُ ؛ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَقْسَانَا ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ؛ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ^(٣) لَهُ .

(١) في البيان والتبيين ٣٠٢/١ « خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات : حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ... وهي في عيون الأخبار ٢٣١/٢

(٢) من : « فَاتَّبِعُوا »

(٣) في البيان « وَمَنْ الشَّيْئَةِ قَبْلَ الْكَبِيرَةِ »

(٤) من أول الخطبة إلى هنا هو صدر خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، كما في العقد القرئيد ٥٧/٤ والبيان والتبيين ٣١/٢

إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ؛ قَدْ أَطْلَعَ مَنْ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ ،
وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ
النَّاسِ ؛ إِنَّهُ أَحْسَنُ ^(١) الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ .

أَحْيُوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ ، وَأَحْيُوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ بِكُمْ ؛ وَلَا تَمْلُوا كَلَامَ
اللَّهِ وَذِكْرَهُ ، وَلَا تَقْسُوا عَلَيْهِ قُلُوبَكُمْ . أَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا .
أَقْوُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَصَدَّقُوا صَالِحَ مَا تَعْمَلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ؛ وَتَحَابُّوا
بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

خطبة له صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق

قال بعد حمد الله :

« أَيُّهَا النَّاسُ ؛ أَتَدْرُونَ ^(٢) فِي أَيِّ شَهْرٍ أَنْتُمْ ، وَفِي أَيِّ يَوْمٍ أَنْتُمْ ،
وَفِي أَيِّ بَلَدٍ أَنْتُمْ ؟

قَالُوا : فِي يَوْمٍ حَرَامٍ ، وَشَهْرٍ حَرَامٍ ، وَبَلَدٍ حَرَامٍ .

قَالَ : أَلَا فَإِنْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كُحْرَمَةٌ
يَوْمَكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْهُ .

ثُمَّ قَالَ : أَسْمَعُوا مِنِّي تَمِيشُوا ؛ أَلَا لَا تَظْلَمُوا ، أَلَا لَا تَظْلَمُوا ،
أَلَا لَا تَظْلَمُوا .

(١) من : « إِنَّهُ أَصْلَقُ » .

(٢) من : « هَلْ تَدْرُونَ » .

أَلَا إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا يُطِيبَ نَفْسٍ مِنْهُ .
 أَلَا إِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْتَرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي
 هَذِهِ ؛ أَلَا وَإِنْ أَوَّلَ دَمٍ وَضِيعَ دَمٍ رِيعةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
 — كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ ، فَقَتَلْتَهُ هَذَا (١) — .

أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رَبَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ؛ أَلَا وَإِنْ اللَّهُ تَعَالَى
 قَضَى أَنْ أَوَّلَ رَبَا يُوضَعُ : رَبَا عَمِّي الْمُبَاسِ ؛ لَكُمْ (رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ،
 لَا تَطْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) .

أَلَا وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ (٢) ، (مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الَّذِينَ أَلَقِمُوا ؛ فَلَا تَطْلُمُوا
 فِيهِمْ أَقْسَمُ) .

أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا : يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ (٣) .

(١) هذه الجملة التفسيرية ثابتة في النسخ كلها . وفي م : « بنو هذيل » .
 (٢) كذا في كل النسخ وفي البيان والعقد « والأرض » . وإن عدة الشهور
 عند الله اثني عشر شهراً في كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض ، منها
 أربعة حرم : ثلاث متواليات ، وواحد فرد . ذوالقعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ،
 ورجب الذي بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .
 (٣) في العقد بعد ذلك : « فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم
 تضلوا : كتاب الله ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . » وكذلك في البيان .

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسَّ أَنْ يَبْعِدَهُ الْمَصْلُونَ ، وَلَكِنْ فِي
التَّخْرِيشِ بَيْنَكُمْ^(١) :

اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ؛ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ^(٢) ، لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ
شَيْئًا ، وَإِنْ لَهنَّ عَلَيْكُمْ حَقٌّ ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ : أَنْ لَا يُؤْطِئَنَّ فَرْشَكُمْ
أَحَدًا غَيْرَكُمْ ؛ فَإِنْ خِفْتُمْ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ، وَاهْجُرُوهُنَّ فِي
الْمَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ؛ وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ ؛ فَإِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ اللَّهُ تَعَالَى ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ
بِكَلِمَةِ اللَّهِ .

أَلَا وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ ، فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أُتِمَتَتْهُ
عَلَيْهَا .

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ ، فَقَالَ : أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؛ لِيُبَلِّغَ
الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ؛ قَرُبَ مُبَلِّغٌ أُبَلِّغُ مِنْ سَامِعٍ .

(١) فِي الْبَيَانِ وَالْعَقْدِ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسَّ أَنْ يَبْعِدَ فِي
أَرْضِكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يَطَاعَ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ »
(٢) فِي اللِّسَانِ ١٩ / ٣٣٦ « عَوَانٌ : أَيْ أَسْرَى أَوْ كَالْأَسْرَى ، وَاحِدَةٌ
الْعَوَانِ عَانِيَةٌ ، وَهِيَ الْأَسِيرَةُ ، يَقُولُ : إِنَّمَا هُنَّ عِنْدَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَسْرَى . قَالَ ابْنُ
سَيْدَةَ : وَالْعَوَانُ : النِّسَاءُ ؛ لِأَنَّهُنَّ يَظْلَمْنَ فَلَا يَنْتَصِرْنَ » . وَفِي النِّهَايَةِ : « الْعَالِي :
الْأَسِيرُ ، وَكُلٌّ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتِكَانٍ وَخَضِعٍ فَقَدْ عَنَا يَعْنُو ، وَهُوَ عَانٌ ، وَالْمَرْأَةُ عَانِيَةٌ ،
وَجَمْعُهَا : عَوَانٌ » .

خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة
 وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكُفَّةِ ، ثُمَّ قَالَ :
 « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ صَدَقَ ^(١) وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ،
 وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ .

أَلَا كُلُّ مَأْثُورَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى ، فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ؛
 إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ ، وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ .
 أَلَا وَقَتْلُ الْخَطَاِ الْعَمْدِ بِالسُّوْطِ وَالْمِصَا ، فِيهِ الدِّيَةُ مُنْطَلَقَةٌ ، مِنْهَا
 أُرِيْمُونَ خَلِيفَةً ^(٢) ، فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا .

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ؛ إِنْ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَنَمَطَهَا
 بِالْآبَاءِ ؛ النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ ؛ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ :
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
 لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ^(٣) 》 .
 يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ — أَوْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ — مَا تَرَوْنَ أَتَى فَاعِلٌ بِكُمْ ؛ قَالُوا :
 خَيْرًا ؛ أَخُ كَرِيمٍ ، وَابْنُ أَخٍ [كَرِيمٍ . ثُمَّ] قَالَ : فَادْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ .

خطبته صلى الله عليه وسلم بالخَيْفِ

وَرَوَى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ

(١) س ، لك « صدق الله »

(٢) فِي اللِّسَانِ ٤٤٣/١٠ « الْخَلِيفَةُ يَفْتَحُ الْخِلَاءَ وَكَسَرَ اللَّامَ : الْحَامِلُ مِنَ التَّوَقُّعِ ،

(٣) سُورَةُ الْحَجَرَاتِ ١٣

بالتَّخْفِيفِ مِنْ مَنِيٍّ ، قَالَ (١) :

« نَضَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالِي فَوَعَلَهَا » (٢) ، ثُمَّ أَذَاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ؛
فَرُبَّ حَامِلٍ قَهْلَهُ لَا قَهْلَهُ لَهُ ؛ وَرُبَّ حَامِلٍ قَهْلَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَقْبَهُ مِنْهُ .
ثَلَاثٌ لَا يُغْلَى (٣) عَلَيْهِنَ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ،
وَالنَّصِيحَةُ لِأَوَّلَى الْأَمْرِ ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ ، إِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ
مِنْ وَرَائِهِ .

وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةُ : جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ ، وَجَمَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ؛
وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ .

وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الدُّنْيَا : فَفَرَّقَ اللَّهُ أَمْرَهُ ، وَجَمَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ؛
وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ .

(١) مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ وَرَوَى « زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ » لَيْسَ فِي كَ ، وَهُوَ ثَابِتٌ فِي أ ، م
(٢) « نَضَرَ اللَّهُ عَبْدًا » يَجُوزُ فِي « نَضَرَ » تَخْفِيفُ الضَّادِ الْمَفْتُوحَةِ وَتَشْدِيدُهَا .
وَقَدْ رَوَى بِالْوَجْهِينَ . فَعَلَى التَّخْفِيفِ يَكُونُ هَذَا الْفِعْلُ الثَّلَاثِيَّ مُتَعَدِيًا ، وَهُوَ فِي
أَصْلِهِ لَازِمٌ . وَلَكِنْ جَازَ فِيهِ الْأَمْرَانِ ، يُقَالُ : « نَضَرَ وَجْهَ فُلَانٍ » ، وَ « نَضَرَ
اللَّهُ وَجْهَهُ » ، وَ « نَضَرَ » وَ « أَنْضَرَ » أَيْضًا .

(٣) فِي اللِّسَانِ ٤ / ١٣ « قِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ : لَا يُغْلَى عَلَيْهِنَ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ :
أَيُّ لَا يَكُونُ مَعَهَا فِي قَلْبِهِ غَشٌّ وَدَغْلٌ وَفُتَاقٌ ، وَلَكِنْ يَكُونُ مَعَهَا الْإِخْلَاصُ فِي
ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَرَوَى لَا يَغْلَى وَلَا يَغْلَى ، فَمَنْ قَالَ يُغْلَى بِالْفَتْحِ لِلْيَاءِ وَكُسْرِ
الْفَيْنِ فَإِنَّهُ يَجْعَلُ ذَلِكَ فِي الضَّغْنِ وَالْغُلِّ وَهُوَ الضَّغْنُ وَالشَّحْنَاءُ ، أَيْ لَا يَدْخُلُهُ حَقْدٌ
يُزِيلُهُ عَنِ الْحَقِّ . وَمَنْ قَالَ يُغْلَى بِضَمِّ الْيَاءِ جَعَلَهُ مِنَ الْخِيَاةِ . . . وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ :
وَيُرَوَّى يَغْلَى بِالتَّخْفِيفِ ، مِنَ الْوُغُولِ ، الدَّخُولِ فِي الشَّيْءِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ
الْإِخْلَالَاتِ الثَّلَاثَ تَسْتَصْلِحُ بِهَا الْقَاوِمُ ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا طَهَّرَ قَلْبَهُ مِنَ الدَّغْلِ وَالْخِيَاةِ
وَالشَّرِّ . وَعَلِيهِنَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، تَقْدِيرُهُ لَا يَغْلَى كَأَنَّهَا عَلَيْهِنَ . . . ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ
فِي النُّوَادِرِ : غُلٌّ بِصَرِّ فُلَانٍ : حَادٍ عَنِ الصُّوَابِ ، مِنْ غُلٍّ يُغْلَى ، وَهُوَ مَعْنَى
قَوْلِهِ : ثَلَاثٌ لَا يُغْلَى عَلَيْهِنَ قُلُوبُ أَمْرِيٍّ مُؤْمِنٍ ، أَيْ لَا يَجْعِدُ عَنْ الصُّوَابِ غَاشًا »

خطبة له صلى الله عليه وسلم
رواها أبو سعيد الخدري رضي الله عنه

قال ^(١) : خَطَبَ بَعْدَ الْمَصْرِ ، فَقَالَ :
« أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ^(٢) ؛ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ،
فَنَظِيرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ؛ فَاتَّقُوا الدِّينَ ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ .
أَلَا لَا يَمُنُّ رَجُلًا خَافَهُ النَّاسُ ، أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا عَلِمَهُ .
قَالَ : وَلَمْ يَزَلْ يَخْطُبُ حَتَّى لَمْ تَبْقَ مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا مَجْرَةٌ عَلَى
أَطْرَافِ السَّمَاءِ ؛ فَقَالَ :
إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فَيَمَاضٍ ، إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا
فَيَمَاضٍ » .

كتابُ النبي صلى الله عليه وسلم إلى مَلِكِ فَارِسَ
« مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ :
سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَشَهِدَ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ وَأَدْعُوكَ

(١) هذه الكلمة من م فقط

(٢) في اللسان ٣٣٧/٥ « والدنيا خضرة مفسرة : أى ناعمة غضة طرية
طيبة ، وقيل : موقفة محبة . وفي الحديث : إن الدنيا حلوة خضرة مفسرة ، فمن
أخذها بحبها بورك له فيها » .

بِذَمِّهِ اللَّهُ تَعَالَى ؛ فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَبِحَقِّ الْقَوْلِ عَلَى الْكَافِرِينَ . فَأَسْلِمَ تَسْلَمٌ . » .

كِتَابُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّجَاشِيِّ

« مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ :

سَلِّمُ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ ^(١) الطَّيِّبَةِ ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى ، فَحَمَلَتْهُ مِنْ رُوحِهِ وَفَضْلِهِ ؛ كَمَا خَلَقَ آدَمَ يَدِهِ وَفَضْلِهِ .

وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَالْمُؤَالَاهِ عَلَى طَاعَتِهِ ؛ وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي ؛ وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُودَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَقَدْ ^(٢) بَلَغْتُ وَنَصَحْتُ ، فَاقْبَلُوا نَصِيحِي . وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى . » .

نُسخة عهد الصلح مع ^(٣) قريش عام الحديبية

« هذا ^(٤) ما صالح عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سُهَيْلَ

(١) قال أبو حيان التوحيدي في البصائر والنخائر ١ / ١١٤ : « البتل : القطع ، ومنه العفراء البتل ؛ لأنها قطعت عن الرجال »
(٢) م « قد »

(٣) م « عهد الصلح بين قريش »

(٤) في إمتاع الأسماع ٢٩٧ « باسمك اللهم ، هذا ما اصطلاح »

ابن عمرو : أنطلقا على وضع الحرب عن الناس عشرين ، يأمن فيها^(١) الناس ، ويكف بعضهم عن بعض : على أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش^(٢) بغير إذن^(٣) وليه ، رده عليهم . ومن جاء قريشاً بمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يرُدُّوه عليه^(٤) ؛ وأن يَنْتَناعِيَةً مكفوفة^(٥) ؛ وأنه لا إسلال^(٦) ، ولا إغلال^(٧) ؛ وأنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده

(١) س ، ك : عشرين سنة يأمن فيه .

(٢) س ، ك : ويكف فيه بعضهم .

(٣) قوله : من قريش ، ساقط من ك ، س .

(٤) م : « بغير أذيه وأنه رده »

(٥) م : « لم يرده عليه » .

(٦) في اللسان ١٢٦ / ٢ « وروى عن ابن الأعرابي أنه قال : معناه أن بيننا وبينهم في هذا الصلح صدراً معقوداً على الوفاء بما في الكتاب ، نقياً من الغيل والغدر والخداع . والمكفوفة : المشرجة المعقودة . والعرب تكنى عن الصدور والقلوب التي تحتوي على الضائر الخفاة بالعياب ، وذلك أن الرجل إنما يضع في عيبه حرّ متاعه ، وصون ثيابه ، ويكتم في صدره أخصّ أسرارهِ التي لا يحب شيوعها ، فسميت الصدور والقلوب عياباً تشبيهاً بعياب الثياب . . . وقال بعضهم : أراد به الشر بيننا مكفوف كما تكف العيبة إذا أُشْرِجَتْ . وقيل : أراد أن بينهم موادعة ومكافة عن الحرب ، يجريان مجرى المودة التي تكون بين المتصافين الذين يبقى بعضهم إلى بعض »

(٧) في اللسان ١٣ / ٣٦٤ « قال أبو عمرو : الإسلال : السرقة الخفية .

قال الجوهري : وهذا يحتمل الرشوة والسرقة جميعاً . ويقال : الإسلال الغارة الظاهرة ، وقيل : سل السيوف ، وفي ١٤ / ١٣ « قال أبو عبيد : الإغلال : الخيانة ، والإسلال : السرقة . وقيل : الإغلال : السرقة ، أي لا خيانة ولا سرقة : لا رشوة » .

دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعهدهم دخل فيه؛
وأنت ترجع عنا علمك هذا، فلا تدخل علينا مكة؛ فإذا كان عاماً
قابلاً خرجنا عنك، فدخلتها بأصحابك، فأقت بها ثلاثاً؛ وأن ملك
سلاح الزاكب، والسيوف في القرب^(١)؛ فلا تدخلها بنير هذا..

...

ولا أطول عليك، وأتصر على ما ألقينته إليك^(٢)؛ فإن كان لك
في الصنعة حظ، أو كان لك في هذا المعنى حس، أو كنت تضرب
في الأدب بسهم، أو في العريية بقسط — وإن قل ذلك السهم،
أو نقص ذلك النصيب —؛ فأحسب أنه يشته عليك الفرق بين براعة
القرآن، وبين ما نسخناه لك من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم في
خطبه ورسائله؛ وما عساك تسمعه من كلامه؛ ويتساقط إليك
من الفاظه؛ وأقدر أنك ترى بين الكلامين بونا بعيداً، وأمداً
مديداً؛ وميداناً واسعاً، ومكاناً شامعاً.

...

فإن قلت: لعله أن يكون لعمل القرآن وتصنع لنظمه؛ وشبه
عليك الشيطان ذلك من خيئه —؛ فتثبت في نفسك، وارجع إلى عقلك،

(١) س، لك: «في الركب». والقرب: جمع قيراب، وهو غمد السيف.

كما في اللسان ١٦١/٣

(٢) م: «عليك».

وَأَجْمَعُ لَبَكْ؛ وَتَيَقَّنُ أَنَّ النُّخْبَ يُحْتَشَدُ لَهَا فِي الْمَوَاقِفِ الْمَطَامِ، وَالْمَحَافِلِ
الْكِبَالِ، وَالْمَوَاسِمِ الضَّخَامِ؛ وَلَا يُتَجَوَّزُ فِيهَا؛ وَلَا يُسْتَهَانُ بِهَا.
وَالرَّسَائِلُ إِلَى الْمُلُوكِ مِمَّا يَجْمَعُ لَهَا الْكَتَابُ جُرَامِيْزُهُ^(١)، وَيُسَمَّرُ لَهَا
عَنْ جِدِّ وَاجْتِهَادٍ؛ فَكَيْفَ يَقَعُ بِهَا الْإِخْلَالُ؟ وَكَيْفَ تَمْرُضُ^(٢)
لِلتَّضَرُّعِ؟ فَسَتَعْلَمُ، لَا عَمَلَةَ أَنَّ نَظْمَ الْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ؛ وَأَنَّ
كَلَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَمْرِ النَّبَوِيِّ.

فَإِذَا أُرِدَتْ زِيَادَةُ فِي التَّيَقُّنِ^(٣)، وَتَقَدُّمًا فِي التَّعَرُّفِ، وَإِشْرَافًا عَلَى
الْجَلِيَّةِ، وَفَوْزًا بِمُخَيَّرِ الْقَضِيَّةِ؛ فَتَأَمَّلْ — هَذَاكَ اللَّهُ — مَا تَنْسَخُهُ
لَكَ مِنْ خُطْبِ الصَّحَابَةِ وَالْبُلَّاءِ؛ تَعْلَمَ أَنَّ نَسْجَهَا وَنَسْجَ مَا تَقْلَنَا —
مِنْ خُطْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَاحِدٌ، وَسَبْكُهَا سَبْكٌ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ؛
وَلَمَّا يَقَعُ بَيْنَ كَلَامِهِ وَكَلَامِ غَيْرِهِ، مَا يَقَعُ مِنَ التَّفَاوُتِ بَيْنَ كَلَامِ
الْفَصِيحِينَ، وَبَيْنَ^(٤) شُعْرِ الشَّاعِرِينَ؛ وَذَلِكَ أَمْرٌ لَهُ مَقْدَارٌ مَعْرُوفٌ،
وَاحِدٌ — يَنْتَهِي إِلَيْهِ — مُضْبُوطٌ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جَمِيعَ كَلَامِ الْآدَمِيِّ مِنْهَاجٌ، وَجِلَّتْهُ طَرِيقُ^(٥)؛

(١) فِي اللِّسَانِ ١٨٣/٧ «وَيُقَالُ: جَمَعَ فَلَانٌ لِفُلَانٍ جُرَامِيْزَهُ: إِذَا
اسْتَعَدَّ لَهُ وَعَزَمَ عَلَى قَصْدِهِ. وَجُرَامِيْزُ الرَّجُلِ: جِسْمُهُ وَأَعْضَاؤُهُ». وَانْظُرْ جَمْعَ
الْأَمْثَالِ ١/ ١٧٤

(٢) م: ١: «وَكَيْفَ يَتَمْرَضُ»

(٣) م: «فِي التَّيَقُّنِ»

(٤) م: «وَشُعْرٌ»

(٥) م: «مِنْهَاجًا... طَرِيقًا»

وتبينت^(١) ما يمكن فيه من^(٢) التخلّوت :- فنظرت إلى نظم القرآن
 نظرة أخرى ، وتأملت مرّة ثانية ؛ فترأى بُعد موقعه ، وحال محو
 وموضعه ؛ وحكمت واجب من اليقين ، وتلجج^(٣) الصدر
 بأصل الدين .

(١) ا، م : « وتصورت »

(٢) سقطت من م

(٣) م : « وتلجج من الصدر » . وفي اللسان ٤٥ / ٣ : « وتلججت نفسي
 بالشئء تلججاً : اشتغيت به واطمأنت إليه . . . وتلجج قلبه : تيقن »

خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال ^(١) :

« أما بعد ؛ فإنني وليتُ أمرَكُمْ ، ولستُ بخيرِكُمْ ؛ ولكن نَزَلَ القرآن ، وسَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وعلَّمتنا قُلُوبَنَا . واعلموا أَنَّ أَكْبَسَ الْكَيْسِ الثَّقَى ، وَأَنَّ أَحَقَّ الْحَقِّ الْفُجُورُ ؛ وَأَنَّ أَقْوَامَكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ ، حَتَّى أَخَذَ لَهُ بِحَقِّهِ ؛ وَأَنَّ أضعَفَكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ ، حَتَّى أَخَذَ مِنْهُ الْحَقُّ .

أيها الناس ؛ إنا أنا مُتَّبِعٌ ، وَلستُ مُبْتَدِعٌ ؛ فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي ؛ وَإِنْ زُغْتُ فَتَوَمَّوْنِي ^(٢) . »

عهد لأبي بكر الصديق إلى عمر رضي الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آخر

(١) في عيون الأخبار ٢ / ٢٣٤ هـ الحيثم ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : لما بويع أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، صعد المنبر فَنَزَلَ مِرْقَاةً مِنْ مَقْعَدِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « والخطبة في العقد ٥٩ / ٤ باختلاف .

(٢) في عيون الأخبار بعد ذلك : « أقول قول هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم »

عهدِه بالدنيا، وأوّل عهدِه بالآخرة ؛ ساعةٌ يؤمّن فيها الكافرُ، ويَتَّقِي فيها الفاجرُ .

إني استخلفتُ عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برَّ وعدَل : فذاك ظَنّي به ، ورأيتُ فيه ؛ وإن جازَ وبَدَل فلا علم لي بالنبيِّ ، والخبيرَ أَرَدْتُ لكم ^(١) ؛ ولكلِّ أمرئٍ ما أَكْتَسَبَ من الإثمِ ؛ وسيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ^(٢) .

• • •

وفي حديث عبد الرحمن بن عَوْفٍ رحمة الله عليه ؛ قال : دخلتُ على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، في عِلَّتِه التي مات فيها ؛ قلتُ : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله ، فقال : أما إني — على ذلك — لشديدُ الوجعِ ؛ ولَمَّا لَقِيتُ منكم — يا معشر المهاجرين — أشدُّ عليَّ من وَجَعِي .

إني وَلِيتُ أُمُورَكم خيرَكم في نفسِي ، فكلُّكم وَرِمٌ ^(٣) أَنَّهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ دُونِهِ .

والله لتتخذنَّ نَفَائِدَ ^(٤) الدِّيَاجِ وسُتُورَ الحريرِ . ولتألمنَّ النَّوْمَ

(١) م : « لكم »

(٢) ورد هذا العهد في الكامل للمبرد ٨ / ١

(٣) قال المبرد ٧ / ١ « يقول : امتلأ من ذلك غضباً . وذكر أَنَّهُ دون السائر ، كما يقال : فلان شامخ بأنفه ، يريد رافع رأسه . وهذا يكون من الغضب »

(٤) قال المبرد : « واحدها نَفِيْدَة ، وهي الوسادة وما يتضد من المتاع ... ويقال : تضدت المتاع ، إذا ضمنت بعضه إلى بعض ، فهذا أصله » .

على الصوف الأذري^(١)، كما يَأْمُ أَحَدُكُمْ التَّوَمَ عَلَى حَسَكِ الْجَمْعَانِ^(٢)؛
والذي قسى يده لَأَن يُقَدِّمَ أَحَدُكُمْ قُضْرَبَ رَقَبَتِهِ فِي غَيْرِ حَدَرٍ،
خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَن يَخْوُضَ تَعَمَّرَاتِ الدُّنْيَا .

يَا هَادِي الطَّرِيقِ جُرْتُ^(٣)؛ إِنَّمَا هُوَ — وَاللَّهِ — الْفَجْرُ أَوِ الْبَجْرُ^(٤) .
قال : قلتُ : خَفَضَ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
فَإِنْ هَذَا يَبْهِيضُكَ^(٥) إِلَى مَا يَبْكُ ؛ فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ صَالِحًا مُصْلِحًا ، لَا تَأْمِي
عَلَى شَيْءٍ فَأَتَاكَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ؛ وَلَقَدْ تَخَلَّيْتُ بِالْأَمْرِ وَحَدَّكَ ، فَارَأَيْتَ
إِلَّا خَيْرًا .

...

وله خطب ومقامات مشهورة اقتصرنا منها على ما قلنا ، منها قِصَّةُ
السَّقِيفَةِ .

(١) قال المبرد ١ / ٦ « الأذري منسوب إلى أذريجان » .

(٢) قال المبرد : « السعدان نبت كثير الحسك (الشوك) تأكله الإبل
فتسمن عليه ، ويغذونها غذاء لا يوجد في غيره ، فمن أمثال العرب : مرعى ولا
كالسعدان ، تفضيلا له »

(٣) م ، ك : « جزت »

(٤) م ، ك : « البحر » قال المبرد ١ / ٧ « يقول : إن انتظرت حتى
يضى لك الفجر الطريق أبصرت قصدك ، وإن خبطت الظلمات وركبت العشواء
هجمًا بك على المكروه . وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا وتجييرها أهلها »

(٥) قال المبرد : « يبيضك ، مأخوذ من قولهم : مبيض العظم :
إذا جبر ثم أصابه شيء يعتنه فأذاه ، فكسره ثانية أو لم يكسره ، وأكثر ما يستعمل
في كسره ثانية » .

نسخة كتاب كتبه^(١) أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل
إلى عمر بن الخطاب، رضى الله عنهم :

سلام عليك ؛ فإننا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ؛ فإننا عهدناك وأمر قسك لك^(٢) منهم ؛ فأصبحت وقد
وئيت أمر هذه الأمة أحرها ، وأسودها ؛ يجلس بين يديك الصديق
والمدو ، والشريف والوضيع ؛ ولكل حصته من العدل ؛ فانظر كيف
أنت — يا عمر — عند ذلك ؛ فإننا نحذرك يوماً نكنو فيه الوجوه ،
وتجب فيه القلوب .

وإنما كنا تحدث أن أمر هذه الأمة يرجع^(٣) فى آخر زمانها ؛
أن يكون إخوان الملاينة أعداء السريرة ؛ وإنما نعوذ بالله أن تنزل
كتابنا سوى المتزل الذى نزل من قلوبنا ؛ فإننا إنما كتبنا إليك
نصيحة لك ؛ والسلام .

فكتب إليهما :

من عمر بن الخطاب ، إلى أبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ؛
سلام عليكما ؛ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو^(٤) .

(١) م ، ك : « كتب » .

(٢) م : « إليك » .

(٣) م ، ك : « أن هذه الأمة ترجع » .

(٤) فى سيرة عمر ص ٥٥٢ « أما بعد فإلى أوصيكم بتقوى الله ، فإنه رضا
ربكم ، وحظ أنفسكم ، وغبية الأكياس لأنفسهم عند تفريط العجزة » . وقد
بلغنى كتابكمَا . . . »

أما بعد ؛ فقد جاءني كتابكما ، ترعنان أنه بلغكما أنني وليت أمر هذه الأمة : أحمرها وأسودها ، مجلس بين يدي الصديق والعدو ، والشريف والوضيع ؛ وكتبنا : أن أنظر كيف أنت يا عمر عند ذلك ؟ وإنه لا حول ولا قوة لغير — عند ذلك — إلا بالله .

وكتبنا نَحْذِرُ أُنِي مَا حَذَرْتَ بِهِ الْأُمُّ قَبْلَنَا ؛ وَقَدِيمًا كَانَ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِأَجَالِ النَّاسِ : يُقَرَّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعُودٍ ؛ حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، مِنْ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ ؛ ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، إِنَّ اللَّهَ مَرِيعُ الْحِسَابِ .

وكتبنا ترعنان أن أمر هذه الأمة يرجع في آخر زمانها : أن يكون إخوانُ الملائنة أعداء السَّريرة ؛ ولستم بذلك ، وليس هذا ذلك الزَّمان ، ولكن زمانُ ذلك ^(١) حين تَظْهَرُ الرِّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ ؛ فَتَكُونُ رَغْبَةُ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ إِصْلَاحِ دِينِهِمْ ، وَرَهْبَةُ بَعْضِ النَّاسِ إِصْلَاحِ دِيَانِهِمْ .

وكتبنا نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَزِلَ كِتَابَكُمَا مَنَى سِوَى الْمَنْزِلِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قُلُوبِكُمَا ؛ وَإِنَّمَا كَتَبْنَا نَصِيحَةً لِي ؛ وَقَدْ صَدَّقْتُكُمَا ؛ فَتَعَمَّدَانِي مِنْكُمْ بِكِتَابٍ ؛ وَلَا غِنَى بِي عَنْكُمَا ^(٢) .

(١) م « ولستم بذلك ... زمان هذا » .

(٢) (٢) الرياض النضرة ٢ / ٦١

عهد من عهد عمر رضى الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، إلى عبد الله بن قيس^(١) :
سلام عليك .

أما بعد ؛ فَإِنَّ الْقَضَاءَ : فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ؛ فَافْهَمْ
إِذَا أَدْلَى إِلَيْكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقِّ لَا تَقَاذَلَهُ .

آسٍ^(٢) بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلِكَ وَعَجْلِكَ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ
شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ^(٣) ، وَلَا يَأْسٌ ضَعِيفٌ^(٤) مِنْ عَدْلِكَ .

الْيَتَنُ عَلَى مَنْ أَدْعَى ، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ؛ وَالصَّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ ، إِلَّا صَلْحًا أَحْلَ حَرَامًا ، أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا .

وَلَا يَمْنَعَنَّكَ^(٥) قَضَاءُ قَضَيْتَهُ بِالْأَمْسِ — فَرَاغَتْ فِيهِ عَقْلُكَ ،
وَهْدَيْتَ لِرُشْدِكَ — : أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمُرَاجَعَةٌ
الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادَى فِي الْبَاطِلِ .

(١) هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار الجاني
الصحابي المشهور ، راجع تاريخ الإسلام ٢/ ٢٥٥ - ٢٥٨ والمعارف
ص ١١٥ وابن سعد ٩/ ٦ وخلاصة تلخيص الكمال ص ١٧٨
(٢) قال المبرد ٩/ ١ : يَقُولُ : سَوَّرَ بَيْنَهُمْ ، وَتَقْدِيرُهُ : اجْعَلْ بَعْضَهُمْ أَسْوَأَ
بَعْضٍ .

(٣) قال المبرد : « أَى فِي مِلْكٍ مَعَهُ لَشَرْفِهِ » .

(٤) كَ : « شَرِيفٌ » .

(٥) مَ ، كَ : « وَلَا يَمْنَعَنَّكَ » .

الْمُهْمُ الْقَهْمُ ، فَمَا تَلَجَّجَ فِي صَدْرِكَ ^(١) ؛ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ
وَلَا سِتَةٍ ؛ هُمْ أَعْرِفِ الْأَشْيَاءَ وَالْأَمْثَالَ ، وَقِسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ ،
وَاعْمِدْ إِلَى أَشْبَهَاءِ الْحَقِّ .

وَأَجْمَلْ لِمَنْ أَدْعَى حَقًّا غَالِبًا أَوْ يَبْنِي أَمْدًا ^(٢) يَنْتَعِي إِلَيْهِ ؛ فَإِنْ
أَخْضَرَ يَبْنِي أَخَذَتْ لَهُ بِحَقِّهِ ؛ وَإِلَّا اسْتَحَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةُ ؛ فَإِنَّهُ أَنْتَى
لِلشَّكِّ ، وَأَجْلَى لِلْعَمَى .

الْمُسْلِمُونَ عُذُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ؛ إِلَّا تَجَلُّدًا فِي حَدٍّ ، أَوْ مُجَرَّبًا
عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُورٍ ، أَوْ ظَنِينًا فِي وِلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ ^(٣) ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ
السَّرَائِرَ ، وَدَرَأَ بِالْأَيْمَانِ وَالْبَيِّنَاتِ ^(٤) .

وَيَاكَ وَالْعَلَقَ ^(٥) وَالضُّجْرَ ، وَالتَّأَذَّى بِالْخُصُومِ ، وَالتَّنَكُّرَ عِنْدَ

(١) قَالَ الْمَبْرَدُ ١٠ / ١ « يَقُولُ : تَرَدَّدَ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ الْمَضْغَةُ وَالْأَكْلَةُ
يُرَدِّدُهَا الْمَاضِغُ فِي فِيهِ ، فَلَا تَزَالُ تَتَرَدَّدُ إِلَى أَنْ يَسِيغَهَا أَوْ يَقْلِفُهَا ، وَالْكَلِمَةُ
يُرَدِّدُهَا الرَّجُلُ إِلَى أَنْ يَصِلَهَا بِأُخْرَى »
(٢) كَ : « أَمْرًا » .

(٣) فَسَّرَ الْمَبْرَدُ : « الظَّنِّينَ بِأَنَّهُ الْمُتَّهَمُ ، ثُمَّ قَالَ : « وَإِنَّمَا قَالَ عَمَرُ ذَلِكَ
لَمَّا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مُلْعُونٌ مُلْعُونٌ مِنْ أَتَمْتَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ
أَدْعَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ . فَلَمَّا كَانَتْ مَعَهُ الْإِقَامَةُ عَلَى هَذَا لَمْ يَرَهُ لِلشَّهَادَةِ مَوْضِعًا »
(٤) قَالَ الْمَبْرَدُ « وَدَرَأَ ، إِنَّمَا هُوَ دَفَعَ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : احْرُؤُوا الْخُلُودَ بِالشَّبَهَاتِ » .

(٥) مَ : كَ : « وَالْعَلَقُ » وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ وَالْبَيَانِ وَالْبَيِّنِينَ : « وَالْعَلَقُ » .
قَالَ الْمَبْرَدُ : « وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِيَّاكَ وَالْعَلَقَ وَالضُّجْرَ فَإِنَّهُ ضَبِيقُ الصَّدْرِ وَقَلَّةُ الصَّبْرِ ، يُقَالُ
فِي سُوءِ الْخَلْقِ : رَجُلٌ غَلَقَ . وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : أَغْلَقَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ، إِذَا لَمْ
يَتَضَحَّحْ وَلَمْ يَنْتَفِخْ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : غَلَقَ الرَّهْنُ أَيْ لَمْ يَوْجِدْ لَهُ تَخْلُصٌ ،
وَأَغْلَقَتِ الْبَابُ مِنْ هَذَا » .

الخصومات^(١) ؛ فإن الحق في مواطن الحق يُعْظِمُ الله به الأجر ،
ويُحْسِنُ به الذُّخْرَ ؛ فمن صَحَّت نيته ، وأقبل على نفسه ، كفاه الله
ما بينه وبين الناس ؛ ومن تَخَلَّقَ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه ،
شأنه الله^(٢) ؛ فما ظنك بثواب الله عز وجل في عاجل رزقه ، وخزان
رحمته ؛ والسلام .

ولم يرض الله عنه خطب مشهورة مذكورة في التاريخ ، لم
نقلها اختصاراً .

...

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

خطبة له^(٣) رضى الله عنه

قال : إن لكل شيء آفة ، وإن لكل نعمة عاهة ؛ وإن عاهة^(٤)
هذا الدين عيابون ظناتون ، يُظهرون لكم ما تُحبون ، ويُسرون

(١) ما هنا يوافق ما في الكامل . وفي البيان والتبيين « والتنكر للخصوم في
مواطن الحق ، التي يوجب الله بها الأجر ، فإنه من يتخلص نيته فيما بينه وبين الله
تبارك وتعالى ، ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس » .

(٢) في البيان « ومن ترين للناس بما يعلم الله منه خلاف ذلك هتلك الله
ستره ، وأبدى فعله فما ظنك »

(٣) ك ، ا « خطبة لعثمان »

(٤) ك : « عاهة هذا الدين » س « عاهة ، في هذا الدين » ..

ما تَكْرَهُونَ، يَقُولُونَ لَكُمْ وَتَقُولُونَ؛ طَعَامٌ^(١) مِثْلُ النَّعَامِ، يَتَّبِعُونَ
أَوَّلَ نَاعِقٍ؛ أَحَبُّ مَوَارِدِهِمْ إِلَيْهِمُ النَّارِخُ.

لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما تَقَعُّمُ على؛ ولكنه وَقَعَكُمْ
وَقَعَكُمْ، وَزَجَرَكُمْ زَجَرَ النَّعَامِ الْمُخَزَّمَةِ^(٢). والله إني لأقربُ
ناصرًا، وأَعَزُّ قَرًّا^(٣)، وَأَقْنَمُ - إِنْ قُلْتُ: هَلَمْ - : أَنْ تُجَابَ
دَعْوِي؛ مِنْ مُعْمَرٍ.

هل تفقدون من حقوقكم شيئًا؟ فإلى لا أفضل في الحق ما أشاء؟
إذا فلم كنتُ إمامًا!؟

كتابه إلى عليّ حين حُصِرَ - رضى الله عنهما

أما بعد؛ فقد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبِّيَّ، وَجَاوَزَ الْحِزَامُ الطُّبَيْيْنِ^(٤)،
وَطَمِعَ فِيَّ مَنْ لَا يَنْقَعُ عَنْ نَفْسِهِ. فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا: فَأَقْبِلْ إِلَيَّ،
عَلَى كُنْتُ أَمْ لِي.

(١) في اللسان ٢٦١/١٥ «الطعام أُرْذِلَ النَّاسَ وَأَوْغَادَهُمْ...» قال
الأزهري: وسمعت العرب تقول للرجل الأحمق: طغامة، والجَمِيعُ الطَّغَامُ
(٢) في اللسان ٦٤/١٥ «والْمُخَزَّمُ مَنْ نَعَتَ النَّعَامَ، قِيلَ لَهُ مُخَزَّمٌ لِقَبْ
في مقارنه»

(٣) في البيان والتبيين ٣٧٧/١ بعد ذلك: فَضِلْ فَضِلْ مِنْ مَالِي، فإلى لا
أَفْضَلَ فِي الْفَضْلِ مَا أَشَاءُ ١٩»

(٤) قال المبرد ١٢/١ «الزُّبْيَةُ: مَصِيدَةُ الْأَسَدِ، وَلَا تَتَخَذُ إِلَّا فِي قَلَّةٍ أَوْ
رَابِيَةٍ أَوْ هَضْبَةٍ...» وقوله: وَبَلَغَ الْحِزَامُ الطُّبَيْيْنِ، فَإِنَّ السَّبَاعَ وَالْحَيْلَ يُقَالُ لِمَوْضِعِ
الْأَخْلَافِ مِنْهَا: أَطْبَاءَ، وَاحِدُهَا طَبِيٌّ... فَلِذَا بَلَغَ الْحِزَامُ الطُّبَيْيْنِ فَقَدْ انْتَهَى فِي
الْمَكْرُوهِ»

فَإِنْ كُنْتُ مَا كُؤَلَا : فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ ؛
وَلَا فَأَذْرِكُنِي وَلَكُمَا أَمْرٌ^(١)

...

ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

قال : لما قُبِضَ أبو بكر رضى الله عنه ارتجت المدينة بالكاء ،
كيوم قُبِضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ؛ وجاء عليُّ بأكيا مُسْتَرْجِعًا^(٢) ،
وهو يقول : اليومَ انقطعتُ خلافةُ النبوةِ ، حتى وقف على باب البيتِ
الذى فيه أبو بكر ؛ فقال :

رحمك^(٣) الله أبا بكر ؛ كنتَ إلفَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم
وأُنسَه ، وثقتَه وموضعَ سرِّه ؛ كنتَ أوَّلَ القومِ إسلامًا ، وأخلصَهم
إيمانًا ، وأشدَّهم يقينًا ؛ وأخوفَهم لله ، وأعظمَهم غناءً في دينِ الله ،
وأخوفَهم على رسولِ الله^(٤) ، وأثبتَهم^(٥) على الإسلام ، وأيمنَهم على
أصحابه ، وأحسنَهم حُجَّةً ؛ وأكثرَهم مناقبَ ، وأفضلَهم سوابقَ ؛

(١) البيت للمزق العبدى من قصيدة يعتذر فيها إلى التعمان ابن المنذر ،
كما فى اللسان ٢١/١٣ وطبقات فحول الشعراء ص ٢٣٢ والشعر والشعراء ١/٣٦٠
وبقية القصيدة فى الأصمعيات ص ٤٧

(٢) م : « متوجعا »

(٣) م : « يرحمك »

(٤) م ، ك : « على رسوله »

(٥) ك : « وأيمنهم »

وأقرّبهم درجةً ، وأقربهم وسيلةً ؛ وأشبّهم برسول الله ^(١) صلى الله عليه وسلم سنناً ^(٢) ، وهدياً ، ورحمةً وفضلاً ؛ وأشرّفهم منزلةً ، وأكرمهم عليه ، وأوثقهم عنده .

فجزاك ^(٣) الله عن الإسلام وعن رسوله خيراً . كنتَ عنده بمنزلة السمع والبصر .

صدّقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناسُ ، فسمّاك في تنزيهه صديقاً ؛ فقال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ ^(٤) ﴾ .
واسبّته حين بخلوا ، وقتَ ممّةٍ عندَ المكروه حين قعدوا ؛ وصحبته في الشدائد أكرمَ الصّحبة ، ثاني اثنين وصاحبه ^(٥) في الفار ، والمزل عليه السّكينة والوقار ؛ ورفيقه في الهجرة ، وخليفته في دين الله وفي أمته — أحسنَ الخلافة — حين ارتدّ الناس ، فتهبّضت حين وهنَ أصحابك ، وبرزت حين استكاثوا ، وقويت حين ضفّفوا ، وقتَ بالأمر حين فشوا ، ونطقت حين تتعتمّوا ^(٦) ؛ مضيت بنورٍ ؛ إذ وقّوا ؛ واتبعوك فهدّوا .

(١) م ، ك : « وأقرّبهم برسول الله »

(٢) م : « سنناً »

(٣) م ، ك : « جزاك »

(٤) سورة الزمر ٣٣

(٥) م : « اثنين إذا هما » .

(٦) م : « حين تبعوا » ، وفي اللسان ٩ / ٣٨٤ « والتمعن في الكلام : أن يعيا بكلامه ويتردد من حصر أوصى ، ومنه الحديث : الذي يقرأ القرآن ويتمع فيه ، أي يتردد في قراءته ويتبلد فيها لسانه » .

وَكُنْتَ أَصْوَبُهُمْ مَّتَلِفًا ، وَأَطْوَلَهُمْ ضِمًّا ، وَأَبْلَغَهُمْ قَوْلًا ،
وَأَكْثَرَهُمْ رَأْيًا ، وَأَشْجَمَهُمْ قَسًّا ؛ وَأَعْرَفَهُمْ بِالْأُمُورِ ، وَأَشْرَفَهُمْ صَمَلًا .
كُنْتَ لِلَّذِينَ يُنْسَوِيَانِ^(١) ، أَوْ لَا : حِينَ قَرَّ عَنْهُ النَّاسُ ؛ وَآخِرًا :
حِينَ قَفَلُوا^(٢) ؛ وَكُنْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَبَا رَحِمٍ ؛ إِذْ صَارُوا عَلَيْكَ عِيَالًا ؛
خَفَلْتَ أَتَقَالَ مَا ضَمُّوْا عَنْهُ^(٣) ، وَرَعَيْتَ مَا أَهْمَلُوا ؛ وَحَفِظْتَ
مَا أَضَاعُوا ؛ شَمَرْتَ إِذْ خَنَعُوا ؛ وَعَلَوْتَ إِذْ هَلَعُوا ؛ وَصَبَرْتَ إِذْ جَزَعُوا ؛
وَأَدْرَكْتَ أَوْ تَارَ مَا طَلَبُوا ؛ وَرَاجِعُوا رُشْدَهُمْ بِرَأْيِكَ فَظَفِرُوا ،
وَنَالُوا بِكَ مَا لَمْ يَخْتَسِبُوا .

وَكُنْتَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمِّنَ النَّاسِ عَلَيْهِ
فِي صُحْبِكَ وَذَاتِ يَدِكَ ؛ وَكُنْتَ كَمَا قَالَ : ضَمِيْقًا فِي بَدَنِكَ ، قَوِيًّا
فِي أَمْرِ اللَّهِ ، مُتَوَاضِعًا فِي قَسِيكِ ، عَظِيْمًا عِنْدَ اللَّهِ ، جَلِيْلًا فِي أَعْيُنِ
النَّاسِ^(٤) ، كَبِيْرًا فِي أَقْصِيهِمْ .

لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ^(٥) فِيكَ مَمْعُزٌ ، وَلَا لِأَحَدٍ مَطْمَعٌ ؛ وَلَا لِلْمَخْلُوقِ
عِنْدَكَ هَوَاةٌ ؛ الضَّمِيْفُ الدَّلِيْلُ عِنْدَكَ قَوِيٌّ عَزِيْزٌ ، حَتَّى تَأْخُذَ لَهُ

(١) فِي اللِّسَانِ ٢ / ٨٩ « الْيَسُوْبُ : السَّيْدُ وَالرَّئِيْسُ وَالْمُقَدَّمُ ، وَأَصْلُهُ
أَمِيرُ النَّحْلِ وَذَكَرَهَا »

(٢) مَسَّ « حِينَ أَقْبَلُوا » كَ : « حِينَ قَبَلُوا » وَمَعْنَى قَفَلُوا : رَجَعُوا ،
يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الرَّدَّةِ .

(٣) سَقَطَتْ مِنْ كَ ، مَسَّ

(٤) مَسَّ « فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ »

(٥) « لِأَحَدٍ »

يَحَقُّهُ ؛ والقوى العزيزُ عندك ضعيفٌ ذليلٌ ، حتى تأخذ منه الحقَّ ؛ أقربُ والبعيدُ عندك سواء ؛ أقربُ الناسِ إليك أطوُّهم لله .

شأنك الحقُّ والصدقُ والرفقُ^(١) ؛ وقولك حكمٌ وحَمٌّ^(٢) ، وأمرٌك حِلْمٌ^(٣) وحزمٌ ، ورأيك علمٌ وعزمٌ ؛ فأبْلَغْتَ وقد نَهَجَ السَّيْلُ ، وسَهَّلَ المَسِيرُ ؛ وأطْفَأْتَ النيرانَ ، واعتَدَلَ بك الدينُ ، وقَوِيَ الإيمانُ ، وظَهَرَ أَمْرُ الله ولو كَرِهَ الكافرونَ ؛ وأتَمَبْتَ مَنْ بعدَكَ إتِمَابًا شديدًا ، وفَزْتَ بِالْخَيْرِ فَوْزًا عَظِيمًا^(٤) ؛ فَجَلَّتْ عَنِ الْبُكَاءِ ، وَعَظُمَتْ رَزِيَّتُكَ فِي السَّمَاءِ ؛ وَهَدَّتْ مَصِيبُكَ الْأَيَّامَ ؛ فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ؛ رَضِينَا عَنْ الله قَضَاءَهُ ، وَسَلَّمْنَا لَهُ أَمْرَهُ ؛ فَوَاللهِ لَنُصَافِحَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَثَلِكَ أَبَدًا ؛ فَالْحَقَّقْ اللهُ بَنِيهِ ، وَلَا حَرَمَنَا أَجْرَكَ ، وَلَا أَصْلَنَا بَعْدَكَ .

وسكتَ الناسُ حتى انقضى كلامُهُ ، ثم بَكَوْا حتى عُلَتْ أصْوَاتُهُمْ .

...

(١) سقطت هذه الكلمة من م .

(٢، ٣) مكان هاتين الكلمتين بياض في ك ، من

(٤) من ، لك : « بِالْجِدِّ فَوْزًا مَبِينًا » .

خطبة أخرى لعلّى رضى الله عنه

أما بعد ؛ فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بكدّاج ، وإن الآخرة قد
أقبلت وأشرقت بإطلاع ؛ وإن المصارع اليوم ، وغدا السباق .

ألا وإنكم فى أيام مهل ، ومن ورائه أجل ؛ فمن أخلص فى أيام
مهله^(١) فقد فاز ؛ ومن قصر فى أيام مهله^(٢) ، قبل حضور أجله ،
قد خسر عمله ، وضرّه أمله .

ألا فاعملوا لله فى الرغبة ؛ كما تعملون له فى الرهبة .

ألا وإنى لم أر كالجنة نام طاليها ؛ ولا كالنار نام هاريها .

ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره^(٣) الباطل ؛ ومن لم يستقم^(٤)
به الهدى يحر به الضلال .

ألا وإنكم قد أمرتم بالظمن ، ودلتم على^(٥) الزاد .

ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم أتباع^(٦) الهوى ، وطول
الأمل^(٧) .

(١) (٢، ١) من ، ك : «أمله . . أمله»

(٢) (٣) من ، ك : «يضره»

(٤) (٤) ك : «ومن لا يستقيم»

(٥) (٥) م : «عن»

(٦) (٦) سقطت من من ، ك .

(٧) (٧) الخطبة فى عيون الأخبار ٢/٢٣٥ والبيان والتبيين ٢/٥٢ نوح البلاغة ١/٦٦

وخطب رضى الله عنه ، فقال بمدِّ حمدِ الله :

أيها الناس ؛ أتوا الله ؛ فاخلقْ أَمْرُؤَ عِبَا قَلْبَهُمْ ، وَلَا أَهْمَلِ سُدَى قَلْبِهِمْ ؛ مَا دُنِيَاهُ الَّتِي تَحْسَنَتْ إِلَيْهِ بِخَلْفٍ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَهَا سِوَهُ النَّظَرِ إِلَيْهِ ؛ وَمَا الْخَلْسِيسُ الَّذِي ظَفِرَ بِهِ — مِنَ الدُّنْيَا — بِأَعْلَى حِمَّتِهِ ^(١) ؛ كَالْآخِرِ الَّذِي ذَهَبَ ^(٢) مِنَ الْآخِرَةِ مِنْ سُهْمَتِهِ ^(٣) .

وكتب على رضى الله عنه إلى عبد الله بن عباس

رحمة الله عليهما ، وهو بالبصرة :

أما بمد ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ يُسَرُّ ^(٤) بِدَرْكِ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُجْرِمَهُ ، وَيَسُوِّدُهُ قَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُذْرِكَهُ ؛ فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ : مِنْ أَجْرِ أَوْ مَنْطِقٍ ؛ وَلْيَكُنْ أَسْفَاكَ فِيمَا فَرَّطْتَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ .
وَانْظُرْ مَا قَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا : فَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ جَزَعًا ؛ وَمَا نَلَّكَ : فَلَا تَنْتَمِ بِهِ فَرَحًا ؛ وَلْيَكُنْ هَمُّكَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ^(٥) .

(١) م : « هميه »

(٢) م ، ك : « الذى ظفر به من الآخرة »

(٣) م : « من سهمته » والسهمته : النصيب كما فى اللسان ١٥ / ٢٠٠

(٤) م : « ليسر »

(٥) نهج البلاغة ٣/ ٢٣-٢٤ والأمالى لأبى على القالى ٢/ ٩٤ .

كلام لابن عباس رضي الله عنه

قال عتبة بن أبي سفيان لابن عباس : ما منع أمير المؤمنين أن يبعثك مكان أبي موسى ، يوم الحكمين ؟
قال : منعه — والله — من ذلك حاجز القدر ، وقصر المدّة ، وحنّة الابتلاء .

أما والله ، لو بعثني مكانه لاعتزّضت له في مدارج نفسه ، نافيضاً لما أبرم ، ومُبرماً لما تقصّ ؛ أسفُّ إذا طار ، وأطيرُ إذا أسفّ ؛ ولكنّ مضى قدرٌ ، وبقي أسفٌّ ؛ ومع يومنا غدٌ ؛ والآخرة خيرٌ لأمر المؤمنين ، من الأولى .

...

خطبة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه

أصدق الحديث كتابُ الله ؛ وأوثقُ الرّسَى كلمةُ التّقوى ؛ خيرُ المِللِ مِلَّةُ إبراهيم ؛ وأحسنُ الشّئنِ سُنّةُ النبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم ؛ خيرُ الأمورِ أوساطُها ؛ وشرُّ الأمورِ مُحدثاتها ؛ ما قلّ وكفى ، خيرٌ مما كثر وألّهي ؛ خيرُ النّفي غنيّ النّفس ؛ وخيرُ ما أُلقي في القلبِ اليقين ؛ الحرُّ جَماعُ الإيمان ؛ النساءُ حِبالةُ^(١) الشيطان ؛ الشبابُ شُعبةٌ من الجنون ؛ حُبُّ الكِفايةِ مِفْتَاحُ المعجزة . من

الناسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجَمَاعَةَ إِلَّا دُبْرًا ، وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هُجْرًا ؛
 أَعْظَمُ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذُوبُ ؛ سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فِسْقٌ ، وَقِتَالُهُ
 كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِ مَعْصِيَةٍ ؛ مَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبُهُ ^(١) ؛ مَنْ
 يَفْقَرُ يُفْقَرُ لَهُ ؛ مَكْتُوبٌ فِي دِيْوَانِ الْمُحْسِنِينَ : مَنْ عَفَا عَنْهُ .
 الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بِنِفْرِهِ ؛ الْأُمُورُ
 بِمَوَاقِبِهَا ؛ مِلَّاكُ الْعَمَلِ خَوَاتِيمُهُ ^(٢) ؛ أَشْرَفُ الْمَوْتِ الشَّهَادَةُ ؛ مَنْ
 يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يَصْبِرْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يُنْكِرْهُ .

• • •

خطبة لمعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه

قال الراوى : لما حضرته الوفاة قال لمولى له : مَنْ بِالْبَابِ ؟

فقال : نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَبَاشَرُونَ بِمَوْتِكَ !

فقال : وَيَحْكُ ، وَلَمْ ؟ ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ^(٣) ؛
 فَأَوْجَزَ ؛ ثُمَّ قَالَ :

(١) في اللسان ١٨ / ٤٣ « مَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللَّهِ يَكْذِبُهُ » أى من حكم عليه
 وحلف ، كقولك : والله ليدخلن الله فلاناً النار وينجحن الله سعى فلان ؛

(٢) م « خَوَاتِمُهُ » وفى البيان والتبيين ١ / ٥٧ بعد ذلك : « أَحْسَنُ الْمَدَى
 مَدَى الْأَنْبِيَاءِ . أَقْبَحُ الضَّلَالَةِ بَعْدَ الْمَدَى »

(٣) م ، ك : « فَحَمِدَ اللَّهَ فَأَوْجَزَ »

أيها الناس، إنا قد أصبحنا في دهر عَنُودٍ، وزمن شديد؛ يُمدُّ فيه
الحسن مسيئًا، ويزداد الظالم فيه عُنُوًّا؛ لا نَنفَعُ بِمَا عَلِمْنَا، ولا نَسْأَلُ
عَمَّا جَهِلْنَا، ولا نَخُوفُ^(١) قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا؛ فالتَّاسُ عَلَى أَرْسَةِ
أَصْنَافٍ:

منهم: مَنْ لَا يَجْنَعُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ لَا مَهَانَةً قَسِيهِ، وَكَلَالَ
حَدَّهُ، وَنَضِيضُ^(٢) وَفَرٍ.

ومنهم: الْمُصَلِّتُ^(٣) لِسَيْفِهِ، وَالْمُجَلِّبُ بِرَجَلِهِ^(٤)، وَالْمَلَنُ^(٥) بِشَرِّهِ؛
قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ^(٦)، وَأَوْبَقَ دِينَهُ؛ لِحُطَامٍ^(٧) يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مِقْنَبٍ^(٨)
يَقُودُهُ، أَوْ مِيزَرٍ يَفْرَعُهُ^(٩)؛ وَيَبْسُ الْمُنْتَجِرُ أَنْ تَرَاهَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا،
وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوَاصًا.

(١) م، ك: «من قارعة»

(٢) م: «وقصيص»

(٣) م، ك: «المسلط» وفي اللسان ٣٥٨/٢ «وأصلبت السيف:

جرد من غمده فهو مصلت»

(٤) في اللسان ٢٦٥/١ «وأجلب الرجلُ الرجلَ إذا توعده بشره وجمع
الجمع عليه، وكذلك جلب يجلب جلبًا، وفي التنزيل: (وأجلب عليهم بخيلك
ورجلك) أي اجمع عليهم وتوعدهم بالشر»

(٥) ك: «والمعلن بشره»

(٦) م: «قد أشرك»، ومعنى «أشراط نفسه»: أي هيأها

(٧) م: «بحطام»

(٨) وفي اللسان ١٨٤/٢ «المقنب بالكسر: جماعة التحيل والفرسان»

(٩) م، ك: «يقرعه»، ومعنى «يفرعه»: يطره

ومنهم : مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ؛ وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا ؛ قَدْ طَأَمَنَ مِنْ شَخْصِهِ ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَرَّ مِنْ ثَوْبِهِ ؛ وَزَخَرَفَ نَفْسَهُ لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرًا لِلذَّرِيعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ .
ومنهم : مَنْ أَمْعَدَهُ عَنِ الْمُلْكِ ضُئُولَةٌ فِي نَفْسِهِ ، وَاقْطَاعُ سَبِيلِهِ ؛ فَقَصَّرَ بِهِ الْحَالُ عَنِ حَالِ^(١) ؛ فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ الزَّهَادِ ؛ وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَّاحٍ وَلَا مَتَدَى .

وَبَقِيَ رَجُلًا أَغْضَى أَبْصَارَهُمُ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ، وَأَرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْحَشْرِ ؛ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ^(٢) نَادٍ ، وَخَائِفٍ مُنْقَمِعٍ^(٣) ، وَسَاكِتٍ مَكْنُومٍ^(٤) ، وَدَاعٍ غَلُصَ ، وَمُؤَجَّعٍ تَكَلَّانَ ؛ قَدْ أَهْلَتْهُمْ التَّيَقُّنُ ، وَشَمَلَتْهُمْ الذَّلَّةُ ؛ فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجْحَاجٍ ، أَفْوَاهُهُمْ دَامِيَةٌ^(٥) ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ^(٦) ؛ قَدْ وُعِظُوا حَتَّى مَلُّوا ، وَقَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقَتَلُوا حَتَّى قَلُّوا .

(١) كَذَا فِي م وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٤ / ٨٩ وَ ١ « الْحَالُ عَلَى مَالِهِ » وَعَيُونُ الْأَخْبَارِ ٢ / ٢٣٨ « عَلَى حَالِهِ » وَالْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ٢ / ٦٠ « الْحَالُ عَنْ أَمَلِهِ » وَفِي لُك ، س « قَصَصَتْهُ الْحَالُ فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ »

(٢) س ، لُك : « شَدِيدٌ نَادٍ » وَفِي الْعَقْدِ وَم « شَرِيدٌ بَادٍ » وَالتَّادُ : النَّافِرُ الْغَايِبُ عَلَى وَجْهِهِ

(٣) س : « مُتَقَمِّعٌ » وَفِي اللِّسَانِ ١٠ / ١٦٨ « وَقَمِعَ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ وَاتَّقَمَعَ دَخَلُهُ مُسْتَخْفِيًا »

(٤) فِي اللِّسَانِ ١٥ / ٤٢٦ « مَكْنُومٌ : قَدْ سَدَّ الْخُوفُ فَهُ فَتَمَعَهُ مِنْ الْكَلَامِ »

(٥) فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ٢ / ٦٠ « ضَامِرَةٌ » وَفِي م « أَفْوَاهُهُمْ دَامِيَةٌ »

(٦) س ، لُك : « قَرِيحَةٌ »

فَتَكُن الدُّنْيَا فِي عِيُونِكُمْ أَقْلٌ مِنْ حِثَّاتِهِ لِلْقَرُظِ^(١) ، وَفَرَاغَةٌ
الْجَلَمِ^(٢) ؛ وَاتَمَطُّوا بَيْنَ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَمَطَّ بِكُمْ مِنْ بَعْدَكُمْ ؛
فَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ؛ فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشَقَفَ بِهَا مِنْكُمْ^(٣) .

خطبة لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

أيها الناس ، إِنْكُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنْكُمْ مَبْعُوثُونَ ، ثُمَّ إِنْكُمْ مُحَاسَبُونَ ؛
فَلَمْعِرَى : لَتَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، لَقَدْ قَصَّرْتُمْ ؛ وَلَتَنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ،
لَقَدْ هَلَكْتُمْ .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّهُ مَنْ يُقَدَّرْ لَهُ رِزْقٌ بِرَأْسِ جَبَلٍ ، أَوْ بِحَضِيضٍ

(١) م : « حِثَّاتُهُ » وفي اللسان ٣٢٦/٢ « حِثَّاتُ كُلِّ شَيْءٍ : مَا تَحْتَ
مِنْهُ ، أَيْ تَنَاقُضُهُ » وفي ١٣ / ١٥٠ « وَحِثَّاتُ الْقَرُظِ : نَفَايَتُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ مُعَاوِيَةَ
فِي خُطْبَتِهِ : فَأَنَا فِي مِثْلِ حِثَّاتِ الْقَرُظِ ، يَعْنِي الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ »
(٢) في اللسان ٨٢/٩ « وَالْقَرَاظَةُ : مَا سَقَطَ بِالْقَرَضِ . وَقَرَاظَاتُ الثَّوْبِ :

الْفُضَالَةُ الَّتِي يَقْطَعُهَا الْخِيَاطُ وَيَنْفِيهَا الْجِلْمُ » وَالْجِلْمُ : الْمَقْصُ
(٣) عَقِبَ الْجَاهِظِ عَلَى هَذِهِ الْخُطْبَةِ بِقَوْلِهِ ٦١٪ ٢ . وَفِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ
— أَبَقَاكَ اللَّهُ — ضَرْبٌ مِنَ الْعَجَبِ : مِنْهَا أَنَّ الْكَلَامَ لَا يَشْبَهُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ
دَعَاهُمْ مُعَاوِيَةُ ، وَمِنْهَا أَنَّ هَذَا الْمُنْهَبَ فِي تَصْنِيفِ النَّاسِ ، وَفِي الْإِخْبَارِ عَمَّا
هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَهْرِ وَالْإِذْلَالِ ، وَمِنْ التَّقِيَّةِ وَالْخَوْفِ ، أَشْبَهَ بِكَلَامٍ عَلَى رِضَى اللَّهِ
عَنْهُ وَمُعَانِيَةِ وَحَالِهِ — مِنْهُ بِحَالِ مُعَاوِيَةَ . وَمِنْهَا أَنَا لَمْ نَجِدْ مُعَاوِيَةَ فِي حَالٍ مِنْ
الْحَالَاتِ يَسْلُكُ فِي كَلَامِهِ مَسْلَكَ الزَّهَادِ ، وَلَا يَذْهَبُ مَذَاهِبَ الْعِبَادِ . وَإِنَّمَا نَكْتُبُ
لَكُمْ وَنُخَبِّرُ بِمَا سَمِعْنَاهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَحْصَابِ الْأَخْبَارِ وَبِكَثِيرِ مِنْهُمْ » وَقَدْ قَالَ
الرِّضِيُّ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ٧٦ / ١ إِنَّهَا مِنْ كَلَامٍ عَلَى الَّذِي لَا يَشْكُ فِيهِ ، وَانْظُرْ
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ١٧٢ .

أرضي - يأتِه ؛ فَأَنْجِلُوا فِي الطَّلَبِ^(١) .

خطبة للحجاج بن يوسف

حِداثَه ، وَأَتْنَى عَلَيْهِ^(٢) ؛ ثُمَّ قَالَ :

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَيَا أَهْلَ الشَّعْبِ وَالنَّفَاقِ ، وَمَسَاوِيَ الْأَخْلَاقِ ؛
وَبَنَى اللَّكِيْمَةَ ، وَعَيْدَ الْعَصَا ، وَأَوْلَادَ الْإِمَاءِ ، وَالْفَقْعَ بِالْقَرْقَرِ^(٣) ؛
إِنِّي سَمِعْتُ تُكْبِيرُ لَا يُرَادُ بِهِ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الشَّيْطَانُ ؛ وَإِنَّمَا مِثْلِي
وَمِثْلُكُمْ ، مَا قَالَهُ ابْنُ بَرَّاقَةَ الْهَمْدَانِي^(٤) :

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَا ، يَا لَهْمْدَانَ ، ظَالِمٌ
مَنْي تَجْمَعُ الْقُلُوبَ الذِّكْيَ وَصَارِمًا وَأَقْفًا حَيًّا ، تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ^(٥) .
أَمَّا وَاللَّهِ لَا تَقْرَعُ عَصَا عَصَا ، إِلَّا جَعَلْتُهَا^(٦) كَأَمْسِ الدَّائِرِ .

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٨

(٢) في البيان والتبيين ١٣٧/٢ عن الهيثم بن عدي قال « أنبأني ابن عياش ، عن أبيه قال : خرج الحجاج يوماً من القصر بالكوفة ، فسمع تكبيراً في السوق فراحه ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :

(٣) في اللسان ١٢٦/١٠ « الفقع والفقع بالفتح والكسر : الأبيض الرخوم الكماء وهو أردؤهما . . . ويشبه به الرجل الذليل فيقال : هو ققع قرقر ، ويقال أيضاً : أذل من ققع بقرقر ؛ لأن الدواب تنجله بأرجلها » والقرقر : الأرض المنخفضة

(٤) هو عمرو ابن براق ، وهو ابن منبه بن شهر الهمداني ، شاعر فاتك ، جاهلي إسلامي . نُسب إلى أمه براق ، راجع المؤلف والمختلف للأمدى ص

٦٦ - ٦٧ والأغاني ٢١ / ١٧٥

(٥) ١ : « القلب الكمي »

(٦) ٦ : « إلا جعلتها » وفي ١ ، م « كالأمس »

خطبة لقس بن ساعدة الإيادي^(١)

أخبرني محمد بن علي الأنصاري^(٢) بن محمد بن عامر، قال : حدثنا علي بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن داود بن عبد الرحمن العمري ؛ قال : حدثنا الأنصاري^(٣) علي بن محمد الحنظلي — من ولد حنظلة النسيل — حدثنا جعفر بن محمد، عن محمد بن حسان^(٤)، عن محمد ابن حجاج اللخمي^(٥)، عن مجالد^(٦)، عن الشعبي، عن ابن عباس ؛ قال :

لما وقَدَ وقَدُ عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
أيكم يعرف قس بن ساعدة ؟

(١) م : « رضى الله عنه » !

(٢) هذه الكلمة من ك فقط

(٣) هو محمد بن حسان بن خالد السمقي ، أبو جعفر البغدادي . مات

سنة ثمان وعشرين ومائتين راجع خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٨٣

(٤) هو أبو إبراهيم محمد بن الحجاج ، من أهل واسط ، سكن بغداد ،

وحدث بها عن عبد الملك بن عمير ، ومجالد بن سعيد . وهو كذاب خبيث منكر

الحديث ، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أطمئني جبريل

المريسة لتشد ظهري لقيام الليل » ؛ وقد توفي سنة إحدى وثمانين ومائة . وترجمته

في تاريخ بغداد ٢ / ٢٧٩ — ٢٨٢

(٥) هو مجالد بن سعيد بن عمير الحمداني ، أبو عمرو الكوفي . ضعفه

ابن معين . وقال ابن عدى : إن ما يرويه غير محفوظ . مات سنة أربع وأربعين

ومائة ، كما في خلاصة تذهيب الكمال ص ٣١٥

قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله ^(١) .

قال : لست أنساه بمكاذ ، إذ وقف على بعير له أحر ، فقال :
أيها الناس اجتمعوا ، وإذا اجتمعتم فاسمعوا ، وإذا سمعتم فقموا ؛
وإذا وعيتم فقولوا ، وإذا قلتم فاصدقوا ؛ من عاش مات ، ومن مات
فأت ؛ وكل ما هو آت .

أما بعد ، فإن في السماء ظبراً ، وإن في الأرض لغيراً ؛ مهاد
موضوع ، وسقف مرفوع ؛ ونجوم تمور ، وبحار لا تنور ؛ أقسم بالله
قُسُماً حقاً ، لا كاذباً فيه ولا آثماً ، لئن كان في الأرض رضا
ليكوننَّ سخطاً ^(٢) ؛ إن الله تعالى دينا هو أحبُّ إليه من دينكم الذي
أتم عليه ، وقد أتاكم آوأنه ، ولحقكم مدته .

مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرصُّوا بالمقام فأقاموا ؟
أم تُركوا فناموا ؟

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيكم يروى شعره ؟
فأنشدوه :

(١) حديث قس بن ساعدة طرقه كلها ضعيفة ، كما قال الحافظ
ابن حجر في الإصابة ٥ / ٢٨٥ - ٢٨٦ وانظر ترجمته في البداية والنهاية لابن
كثير ٢ / ٢٣٠ - ٢٣٧ وعيون الأثر لابن سيد الناس ١ / ٦٨ - ٧٢ وتاريخ
بغداد ٢ / ٢٨٣ والأغاني ١٤ / ٤١ - ٤٣ والبيان والتبيين ١ / ٣٠٨ - ٣٠٩
والمعمرين للسجستاني ص ٦٩ - ٧٠ وجمع الأمثال ١ / ١١٧ - ١١٨
وخزانة الأدب ١ / ٢٦٣ - ٢٦٨ .

(٢) ص : سخط ؛

فِي النَّاهِيْنَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوِيَّ نَحْوَهَا يُسَمَّى الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَيْهِ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَائِرُ
أَيَقْنْتُ أَنِّي لَا عَمَّا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

• • •

أخبرني الحسن بن عبد الله بن سعيد ، حدثنا علي بن الحسين^(١)
ابن إسماعيل ، حدثنا محمد بن زكريا ، حدثنا عُيَيْدُ اللَّهِ بن الضَّحَّاك ،
عن هشام ، عن أبيه : أَن وفداً من إِيَاد قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فسألهم عن حال قُس بن سَاعِدَةَ ، فقالوا : قال قُس :

يَا نَاعِي الْمَوْتِ وَالْأَمْوَاتِ فِي جَدَثٍ
عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا بَرْهَمٍ خِرْقُ
دَعْمَةٍ فَإِنَّ لَهُمْ يَوْمًا يُصَاحُّ بِهِمْ
كَمَا يَنْبَغُ مِنْ تَوَمَاتِهِ الصَّعِقُ^(٢)
مِنْهُمْ عُرَاةٌ وَمِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ
مِنْهَا الْجَدِيدُ وَمِنْهَا الْأَوْرَقُ الْخَلَقُ^(٣)

(١) م : « الحسن »

(٢) في المعمرين بعد هذا البيت :

حتى يمحي بهال غير حالهم خلق مضوا ثم ماذا بعد ذاك لقوا
(٣) في المعمرين ص ٧١ « منهم عرأة وموتى في ثيابهم »

مطرونبات^(١) ، وآباء وأمّهات ، وذاهب وآت ، وآيات في إثر آيات ، وأموات بعد أموات . ضوء وظلام ، وليال وأيام ؛ وغنى وقصر ، وشقى وسعيد ، ومحسن ومسيء . أين الأربابُ الفعلة ، ليصلحن كل عامل عمله .

كلا ، بل هو الله واحد ؛ ليس بمولود ولا والد ؛ أعاد وأبدى^(٢) ؛ وإليه المآب غذا .

أما بعد ، يا معشر إباد ؛ أين ثمود عاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ أين الحسن الذي لم يشكر ؟ أين الظلم الذي لم ينقم^(٣) ؟ كلا ورب السكبة ليمودن^(٤) ما بدا ، ولئن ذهب يوم ليمودن^(٥) يوم .

قال : وهو قس بن ساعدة^(٦) بن حذاق بن ذهل بن إباد بن زيار ، أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكأ على عصا^(٧) ، وأول من تكلم بـ « أما بعد »^(٨) .

(١) في المعمرين « قال أبو حاتم : وذكر حزم بن أبي راشد قال : أملى على رجل من أهل خراسان من مواعظ قس : مطر . . . »

(٢) م : « وأبدأ » ك : « وأبداء »

(٣) س : « والظالم » وفي البيان والتبيين ١ / ٣٠٩ « والظلم الذي لم ينكر » .

(٤) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٠٨ « قس بن ساعدة بن عمرو بن شعر بن عدي بن مالك . . . » وفي المعمرين غير ذلك فراجع هناك ص ٦٩ .

(٥) ما بين الرقمين ساقط من أ ، م وثابت في ب و ك ، والمعمرين ص ٦٩

خطبة لأبي طالب

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ؛ وجعل لنا
 بلداً حراماً ، وبيتاً محجوباً ؛ وجعلنا الحكام على الناس .
 وإن محمد بن عبد الله ، ابن أخي ، لا يوازن^(١) به قتي من قرش
 إلا رجع به : بركة وفضلاً عدلاً ، وتجداً ونُبلاً ، وإن كان في المال
 مُقلاً ؛ فإن المال طارية مُسْتَرْجعة ، وظل زائل ؛ وله في خديجة بنت
 خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ؛ وما أردتم من الصّدّاق فلي^(٢) .

(١) م : لا أزن ،

(٢) صحيح الأعشى ٢١٣/١

• • •

قد نسختُ لك مجلّةً من كلام الصّدْر الأوّل ومُحاوراتهم وخطبهم ، وأحيك لك فيما لم أنسخ على التواريخ والكتب المصنّفة في هذا الشأن . فتأمل ذلك ، وسائر ما هو مسطر من الأخبار المأثورة عن السلف ، وأهل البيان واللّسن ، والفصاحة والفطن ؛ والألفاظ المشوّرة ، والمحاطبات الدائرة بينهم ، والأمثال المنقولة عنهم . ثم انظر بسكون طائر ، وخفّض جناح ، وتفرّغ لبّ ، ومُجمّع عقل ، في ذلك ، فسيقع لك الفضل^(١) بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين ، وتعلم أن نظم القرآن يخالف نظم^(٢) كلام الآدميين ، وتعلم الحدّ الذي يتفاوت بين كلام البليغ والبلّغ ، والخطيب والخطيب ، والشاعر والشاعر ، وبين نظم القرآن جملةً .

فإن خيّل إليك ، أو شبّه عليك ، وظننت أنه يحتاج أن يُوازن بين نظم الشعر والقرآن ، لأن الشعر أفصح من الخطب ، وأبرع من الرسائل ، وأدقّ مسلکاً من جميع أصناف المحاورات — ولذلك^(٣) قالوا له صلى الله عليه وسلم : هو شاعر أو ساحر — وسوّل إليك الشيطان أن الشعر أبلغ وأعجب ، وأرقّ^(٤) وأبرع ، وأحسن الكلام وأبدع — فهذا فصل فيه نظر بين المتكلمين ، وكلام بين المحقّقين .

(١) م : « الفصل »

(٢) م : « يخالف لنظم »

(٣) م : « وكذلك »

(٤) م : « وأدق »

باب (١)

سمعتُ (١) أفضلَ من رأيتُ من أهل (٢) العلم بالأدب والحِذْق
بهذه الصناعة ، مع تقدمه في الكلام - : يقول :

إن الكلام المتشور يتأتى فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأتى في
الشعر ؛ لأن الشعر يُضَيَّقُ نطاقَ الكلام ، ويمنع القول من اتِّهائه ،
ويصدّه عن تصرفه على سَنَنِه .

وَحَفَظَهُ من يتقدم في صنعة الكلام ، فَرَاغَهُ في ذلك ، وذكر
أنه لا يمتنع أن يكون الشعر أبلغَ إذا صادف شروط الفصاحة ، وأبدعَ
إذا تَضَمَّنَ أسبابَ البلاغة .

ويشهد عندي للقول الأخير : أنَّ معظمَ براعة كلام العرب في
الشعر ، ولا نجد في مشور قولهم ما نجد في منظومه ، وإن كان قد
أحدثت البراعةُ في الرسائل على حَدِّ لم يُعْهَد في سالف أيام العرب ، ولم
يُنْقَل في دواوينهم (٣) وأخبارهم .

وهو ، وإن ضَيَّقَ نطاقَ القول ، فهو يَجْمَعُ حواشيه ، ويضمُّ

(١) هذا العنوان من م

(٢) م : « أسمع »

(٣) م : « من العلم بالأدب » ١ : « من أهل الأدب »

(٤) م : « من دواوينهم »

أطرافه ونواحيه ، فهو إذا تهذب في بابه ، ووفى ^(١) له جميع أسبابه ، لم يقاربه من كلام الأدمين كلام ، ولم يعارضه من خطابهم خطاب . وقد حكي عن المتنبي أنه كان ينظر في المصحف ، فدخل إليه بعض أصحابه ، فأنكر نظره فيه ، لما كان رآه ^(٢) عليه من سوء اعتقاده ، فقال له : هذا ^(٣) المكي على فصاحته كان مُفحماً .

فإن صحت هذه الحكاية عنه في إلحاده ، عُرف بها ^(٤) أنه كان يعتقد أن الفصاحة في قول الشعر [أمكن و] أبلغ ^(٥) .

وإذا كانت الفصاحة في قول الشعر أو لم تكن ، ويتأ أن نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم ، ويتقدم في بلاغته على كل قول ؛ بما يتضح به الأمر اتّضاح الشمس ، ويتبين به يانّ الصبح — : وَقَفَتْ على جليلة هذا الشأن . فانظر فيما نعرضه عليك ^(٦) . وتصور بفهمك ما نُصوّره ، ليقع لك موقع عظيم شأن القرآن ، وتأمل ما نُرتّبه ، ينكشف لك الحق .

إذا أردنا ^(٧) تحقيق ما ضمنناه لك ، فنسبيلنا أن نعمد إلى قصيدتين

(١) م : « ووفى »

(٢) م : « يراه »

(٣) ك : « هو »

(٤) ك : « عرف لها »

(٥) س ، ك : « الشعر أبلغ »

(٦) ك : « نعرضه ونصور » س : « نعرضه عليك ما نعرضه ونصور »

(٧) م : « إذا أردت »

مُتَّفَقٍ عَلَى كِبَرِ غَلْظِهَا ، وَصِحَّةِ نَظْمِهَا ، وَجُودَةِ بِلَاغَتِهَا ، وَرِشَاقَةِ^(١) مَعَانِيهَا ، وَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى إِبداعِ صَاحِبِهَا فِيهَا ، مَعَ كَوْنِهِ مِنَ الْمُوصُوفِينَ بِالتَّقَدُّمِ فِي الصَّنَاعَةِ ، وَالْمَعْرُوفِينَ بِالْحَذَقِ فِي الْبَرَاةِ ، فَتَفَقَّكَ عَلَى مَوَاضِعٍ^(٢) خِلَافِهَا ، وَعَلَى تَقَاوُتِ نَظْمِهَا ، وَعَلَى اخْتِلَافِ فُصُولِهَا ، وَعَلَى كَثَرَةِ فُضُولِهَا ، وَعَلَى شِدَّةِ تَمَسُّقِهَا ، وَبَعْضِ تَكَلُّفِهَا ، وَمَا تَجَمُّعُ مِنْ كَلَامٍ رَفِيعٍ ، يُقَرَّنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلَامٍ وَضِيعٍ ، وَبَيْنَ لَفْظٍ سَوِيٍّ ، يُقَرَّنُ بِلَفْظٍ مُلَوِّكٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي يُحْيِي تَفْصِيلُهَا ، وَتُبَيِّنُ تَرْتِيبُهَا وَتَنْزِيلُهَا .

• • •

فَأَمَّا كَلَامُ مُسْتَلِمَةِ الْكَذَّابِ ، وَمَا زَعَمَ أَنَّهُ قُرْآنٌ ، فَهُوَ أَخْسُ مِنْ أَنْ نَشْتَلِ بِهِ ، وَأَسْخَفُ مِنْ أَنْ نَتَفَكَّرَ فِيهِ .

وَأَمَّا تَقْلَانَا مِنْهُ طَرَفًا لِيَتَمَجَّبَ الْقَارِئُ ، وَلِيَنْبَصِرَ النَّاضِرُ . فَإِنَّهُ^(٣) عَلَى سَخَافَتِهِ قَدْ أَضَلَّ ، وَعَلَى رِكَائِطِهِ قَدْ أَزَلَّ ، وَمِيدَانِ الْجَهْلِ وَاسِعًا ، وَمِنْ نَظَرٍ فِيمَا تَقْلَنَاهُ عَنْهُ ، وَفِيهِمْ مَوْضِعُ جَهْلِهِ ، كَانَ جَدِيرًا أَنْ يُحَمِّدَ اللَّهُ عَلَى مَا رَزَقَهُ مِنْ فَهْمٍ ، وَأَتَاهُ مِنْ عِلْمٍ .

فَمَا كَانَ يَزْعَمُ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ : « وَاللَّيْلِ الْأَطْنَمُ ، وَالذُّنُوبُ

(١) سقطت هذه الكلمة من س ، ك

(٢) م : « فتفقتك على مواقع »

(٣) م : « لأنه »

الأذلم، والجنيح الأزلم، ما انتهكت أسيد من محرم «! وذلك قد ذكر
في خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه!

وقال أيضاً: «والليل التاميس، والذئب الهاميس، ما قطعت أسيد
من رطب ولا يابس»!

وكان يقول: «والشاء وألوانها، وأعجبها السّود، وألبانها، والشاة
السوداء، واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذق،
فالكم لا تجتمعون^(١)»!

وكان يقول: «صَفَدَع بنت صِفْدَعَيْن، نَقِيٌّ ما تَنَقَّين، أعلاك في
الماء وأسفلك في الطين، لا الشَّارِبَ تَنَمِين^(٢)، ولا الماء تَكْدَرِين،
لنا نصف الأرض ولقرش نصفها، ولكن قريشاً^(٣) قوم يمتدون!»!
وكان يقول: «والمبديات^(٤) زرعاً، والحاصدات حَصْدًا،
والناريات قمحاً، والطّاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثَّارِداتِ
ثَرْدًا، واللاقات لَقَمًا، إِهَالَةٌ وسِمَةٌ، لقد فضلتكم على أهل البر،
وما سبقكم أهل المَدَر، ريشكم فامنموه، والمُتَمَرَّ فأوروه، والباغى
فناكرووه.»!

(١) م : «تمجمون»!

(٢) التمهيد ص ١٢٨

(٣) م : «قريش»

(٤) في التمهيد «والزراعات» م : «والمنفرات» ك : «والمبديات»

وَقَالَتْ سَجَّاحُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَقْبَانَ — وَكَانَتْ تَنْبَأُ ، فَاجْتَمَعَ
مُسَيِّلَةٌ مَعَهَا — قَالَتْ لَهُ : مَا أَوْحَى إِلَيْكَ ؟

قَالَ : « أَمْ تَرَكِيفُ فَمَلِ رَبِّكَ بِالْحَبْلِ ، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسْمَةً تَسْمَى ^(١) ،
مَا بَيْنَ صِفَاقٍ وَحَشَا » !

وَقَالَتْ : فَمَا بَعْدُ ذَلِكَ ؟

قَالَ : أَوْحَى إِلَيَّ : « إِنْ اللَّهُ خَلَقَ النِّسَاءَ أَفْوَاجًا ، وَجَعَلَ الرِّجَالَ
لَهُنَّ أَزْوَاجًا ، فَتَوَلَّجَ فِيهِنَّ قَسَمًا لِإِبْلَاجًا ، ثُمَّ نَخَّرَجَهَا إِذَا شَتْنَا إِخْرَاجًا ،
فَيَنْتَبِجْنَ لَنَا سِخَالًا تَبَاجًا » ! قَالَتْ : أَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ^(٢) ! !

وَلَمْ تَنْقُلْ كُلَّ مَا ذَكَرَ مِنْ سَخْفِهِ ، كَرَاهِيَةِ التَّثْقِيلِ .

وَرَوَى : أَنَّهُ سَأَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقْوَامًا قَدَمُوا
عَلَيْهِ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ ، عَنْ هَذِهِ الْأَلْفَازِ ؟ فَخَكُّوا بِمَضٍ مَا قَتَلَنَاهُ ،
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : سَبَّحَانَ اللَّهِ ! وَتَحَكَّمْ ، إِنْ هَذَا الْكَلَامُ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ
إِلَيَّ ^(٣) ، فَأَيْنَ كَانَ يُذْهَبُ بِهِمْ ؟ !

وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « لَمْ يَخْرُجْ عَنْ إِلَيَّ » : أَيُّ عَنْ رُبُورِيَّةٍ .

(١) ل : « تَسْمَى بَيْنَ »

(٢) انظر قصة اجتماعهما ، وبقية حوارهما ، وما قاله الأغلب العجلى في
قصة زواجهما ، في كتاب الأغاني ١٨ / ١٦٥ - ١١٦ وطبقات فحول الشعراء
ص ٥٧٣ - ٥٧٥

(٣) م : « عَنْ آلِ »

ومن كان له عقل لم يشبهه عليه سنف هذا الكلام^(١) ا

• • •

فترجع الآن إلى ما ضمناه من الكلام على الأسماء المتفق على جودتها
وتقدم أصحابها في صناعتهم ، ليتبين لك تفاوت أنواع الخطاب ،
وتباعد مواقع أنواع^(٢) البلاغة ، وتستدل على مواضع البراعة .

وأنت^(٣) لا تشك في جودة شعر امرئ القيس ، ولا ترتاب في
براعته ، ولا تتوقف في فصاحته ، وتعلم أنه قد^(٤) أبدع في طرق الشعر
أموراً اتبع فيها ، من ذكر الديار والوقوف عليها ، إلى ما يتصل بذلك :
من البديع الذي أبدعه ، والتشبيه الذي أحدثه ، والمليح الذي تجدد في
شعره^(٥) ، والتصرف الكثير الذي تصادفه في قوله ، والوجوه التي

(١) قال المؤلف في كتاب التمهيد ص ١٢٨ « هذا الكلام دال على
جهل مورده ، وضعف عقله ورأيه ، وما يوجب السخرية منه والهزء به ، وليس هو
مع ذلك خارجاً عن وزن ركيك السجع وبخيفه . وعلى أنه لو كان معجزاً
لتعلقت العرب وأهل الردة به ، ولعرف أتباع النبي صلى الله عليه أنه عرض له ،
ولوقع لهم العلم اليقين بأنه قد قبل . وفي عدم ذلك دليل على جهل مدعى ذلك ،
وعلى أن مسيئته لم يدع هذا الكلام معجزاً ، ولا تحدثى العرب بمثله فمعجزوا
عنه ، بل كان في نفسه ونفس كل سامع له أخف وأخف وأذل من أن يتعلق به .
ولذلك لا نجد له نبأ ولا أحداً من العرب تعلق به »

(٢) هذه الكلمة من م

(٣) م : « إنك »

(٤) سقطت من م

(٥) هكنا في الأصول الخطية ، وفي م : « والمليح الذي يوجد في

شعره »

ينقسم إليها كلامه : من صناعة وطبع ، وسلاسة وعضو^(١) ، ومتانة ورقة ، وأسباب تحمد ، وأمور تؤثر وتدح . وقد ترى الأدباء أولاً^(٢) يوازنون بشعره فلاناً وفلاناً ، ويضمون أشعارهم إلى شعره ، حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه وبين شعره في أشياء لطيفة ، وأمور بديمة ، وربما فضلواهم عليه ، أو سَوَّوا بينهم وبينه ، أو قَرَّبوا موضع تقدمه عليهم^(٣) ، وبرَّزوه بين أيديهم .

ولما اختاروا قصيدته في السِّيَّات^(٤) ، أضافوا إليها أمثالها ، وقرنوا بها نظائرها ، ثم تراهم يقولون : فلان لامية مثلاً ، ثم ترى أنفس الشعراء تتشوق إلى معارسته ، وتساويه في طريقته ، وربما غيّرت في وجهه في أشياء كثيرة^(٥) ، وتقدمت عليه في أسباب عجبية .

وإذا جاموا إلى تعداد محاسن شعره ، كان أمراً محصوراً ، وشيئاً معروفاً . أنت تحمد من ذلك البديع أو أحسن منه في شعر غيره ، وتشاهد مثل ذلك البارع في كلام سواه ، وتنظر إلى المُحدِّثين كيف توغَّلوا إلى حيازة المحاسن ، منهم من جمع رصانة الكلام إلى سلاسته ،

(١) كذلك في سائر الأصول ، ولكنها غيرت في س أيضاً إلى « وعلو » !

(٢) سقطت هذه الكلمة من م

(٣) س ، ك : « تقدمهم عليه » وم : « موقع تقدمه »

(٤) يريد « المعلقات السبع » .

(٥) كلها في الأصول ، ولكنها غيرت في س إلى « وربما عثرت في وجهه

على أشياء كثيرة » !!

وَمَتَاتَهُ إِلَى عُفُوْتِهِ ، وَالْإِصَابَةَ فِي مَعْنَاهُ إِلَى تَحْسِينِ بَهْجَتِهِ ؛ حَتَّى إِنْ
 مِنْهُمْ مَنْ إِنْ قَصُرَ عَنْهُ فِي بَعْضٍ ، تَقَدَّمَ عَلَيْهِ فِي بَعْضٍ ، [وَإِنْ
 وَقَبَ دُونَهُ فِي حَالٍ ، سَبَقَهُ فِي أَحْوَالٍ ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي أَمْرٍ ، سَاوَاهُ
 فِي أُمُورٍ ^(١)] ؛ لِأَنَّ الْجِنْسَ الَّذِي يَرْتُمُونَ إِلَيْهِ ، وَالْعَرْضَ الَّذِي
 يَتَوَارَدُونَ عَلَيْهِ ، هُوَ ^(٢) مِمَّا لِلْأَدَى فِيهِ جَمَالٌ ، وَلِلْبَشَرِ فِيهِ مِثَالٌ ؛
 فَكُلٌّ يُضْرَبُ فِيهِ بِسَهْمٍ ، وَيُفُوزُ فِيهِ بِقِدْحٍ ، ثُمَّ قَدْ تَفَاوَتْ السَّهَامُ ^(٣)
 تَفَاوُتًا ، وَتَبَيَّنَ تَبَايُنًا ، وَقَدْ تَقَارَبَ تَقَارُبًا ، عَلَى حَسَبِ مِشَارِكَتِهِمْ
 فِي الْمَنَائِعِ ، وَمَسَاهِمَتِهِمْ فِي الْحِرَفِ .

وَنَظُمُ الْقُرْآنِ جِنْسٌ مُتَمَيِّزٌ ^(٤) ، وَأَسْلُوبُ مُتَخَصِّصٌ ، وَقِيلَ
 عَنِ النَّظِيرِ ^(٥) مُتَخَلِّصٌ ؛ فَإِذَا شَتَّتَ أَنْ تَعْرِفَ عِظَمَ شَأْنِهِ ، فَتَأَمَّلْ
 مَا تَقُولُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ لَامَرِ الْقَيْسِ فِي أَجُودِ أَشْعَارِهِ ، وَمَا نَبِيْنُ
 لَكَ مِنْ عَوَارِدِهِ ، عَلَى التَّفْصِيلِ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ :

قِفَا تَبْكُ مِنْ ذِكْرِي حَيِّبٍ وَمَنْزِلٍ

بِسِقْطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدُّخُولِ فَخَوْمَلٍ

فَتَوْضِيحُ فَالْمِقْرَافِ لَمْ يَنْفُ رَتْمُهَا

لِيَا نَسَجَتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَمِثَالٍ

(١) الزيادة من ا ، م

(٢) هذه الكلمة سقطت من س ، ك

(٣) م : « بالسهام »

(٤) ك ، م : « مميز »

(٥) ك : « عن النظم »

الذين يتعصبون له ويدعون^(١) محاسن الشعر، يقولون : هذا من
البديع ، لأنه وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر التهمة
والمنزلة والحبيب ، وتوجع واسترجع ، كله في بيتٍ ؛ ونحو ذلك .
وإنما يتنا هذا لتلايق لك ذهابنا عن مواضع المحاسن ، إن كانت ،
ولا غفلتنا عن مواضع الصناعة ، إن وُجدت .

تأمل* — أرشدك الله ، وانظر — هداك الله : أنت تعلم أنه ليس
في اليتيم شيء قد سبق في ميدانه شاعراً ، ولا تقدم به صانعاً . وفي
لفظه ومعناه خلل :

فأول ذلك : أنه استوقف من يبكي لذكر الحبيب^(٢) ، وذكره
لا تقتضى بكاء الخليلي ، وإنما يصح طلب الإسماع في مثل هذا ، على أن
يبكي لبكائه ، ويرق لصديقه في^(٣) شدة بُرَحائه ؛ فأما أن يبكي
على حبيب صديقه ، وعشيق رفيقه ، فأمرٌ محال .

فإن كان المطلوب وقوفه وبكائه أيضاً عاشقاً ، صح الكلام [من
وجه^(٤)] ، وفسد المعنى من وجه آخر لأنه من السخف أن لا يغار
على حبيبه ، وأن يدعو غيره إلى التنازل عليه ، والتواجد معه فيه !

(١) م ، ك : « أو »

(٢) ك : « استوقف ثم يبكي »

(٣) م : « من شدة »

(٤) الزيادة من م

ثم في اليتيم ما لا يفيد، من ذكر هذه المواضع، وتسمية هذه
الأماكن: من «التَّخُول» و«حومل» و«تَوْصِيح» و«الْفِرَاءة»
و«سِقْطِ اللَّوَى»، وقد كان يكفيه أن يذكر في التعريف بمض
هذا. وهذا التطويل إذا لم يُفدَّ كان ضرباً من العيِّ !

ثم إن قوله: «لَمْ يَنْفُ رَثْمُهَا»، ذكر الأصمعي من محاسنه:
أنه باقٍ فنحن نحزن على مشاهدته، فَلَوْ تَقَا لاسترحنا.

وهذا بأن يكون من مَسَاوِيهِ أُولَى؛ لأنه إن كان صادق الودِّ،
فلا يزيد عَفَاءُ الرُّسُومِ إِلَّا جِدَّةَ عَهْدٍ، وَشِدَّةَ وَجْدٍ. وإنما قَرَعَ
الأصمعي^(١) إلى إفادته هذه الفائدة، خشية أن يُعَابَ عليه، فيقال:
أيُّ فائدةٍ لِأَن يُرَفِّقَا أَنَّهُ لَمْ يَنْفُ رَثْمُ مَنَازِلِ حَبِيبِهِ؟ وأي معنى لهذا
الحشو؟ فذكر ما يمكن أن يذكر؛ ولكن لم يخلصه — باتصاره له —
من اللخل.

ثم في هذه الكلمة خلل آخر، لأنه عَقِبَ البيت بأن قال^(٢):

• فهل عند رسمِ دارسٍ من مُعَوَّلٍ ! •

فذكر أبو عبيدة: أنه رجع فأكْذَبَ نفسه، كما قال زهير:

(١) من: «وإِنَّمَا قَرَعَ لَهُ الْأَصْمَعِيُّ» !

(٢) ١: «بأن قال بعده»

عَفَّ بِالْبَيَارِ الَّتِي لَمْ يَمُفَّهَا الْقِدَمُ^(١) . نَمَّ ، وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالذِّمَمُ^(٢) .
وَقَالَ غَيْرُهُ : أَرَادَ بِالْبَيْتِ الْأَوَّلِ أَنَّهُ لَمْ يَنْطَمِسْ أَثَرُهُ كُلُّهُ ، وَبِالْثَّانِي
أَنَّهُ ذَهَبَ بِمَعْنَاهُ ، حَتَّى لَا يَتَنَاقَضَ الْكَلَامَانِ .

وَلَيْسَ فِي هَذَا اتِّصَارٌ ، لِأَنَّ مَعْنَى « عَفَا » وَ « دَرَسَ » وَاحِدٌ ،
فَإِذَا قَالَ : « لَمْ يَمُفَّ رَسْمُهَا » ثُمَّ قَالَ : « قَدْ عَفَا » ، فَهُوَ تَنَاقُضٌ
لَا مَحَالَةَ !

وَاعْتَذَرُ أَبِي عُبَيْدَةَ أَقْرَبُ لَوْ صَحَّ ، وَلَكِنْ لَمْ يَرِدْ هَذَا الْقَوْلُ
مَوْزُودَ الْاسْتِدْرَاكِ كَمَا قَالَ^(٣) زهير ، فَهُوَ إِلَى الْخُلَلِ أَقْرَبُ .

وَقَوْلُهُ : « لِمَا نَسَجَتْهَا » ، كَانَ يَبْنِي أَنْ يَقُولَ : « لِمَا نَسَجَهَا »
وَلَكِنَّهُ تَمَسَّفَ لَجَل « مَا » فِي تَأْوِيلِ تَأْنِيثِ^(٤) ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى
الرَّيْحِ ، وَالْأَوَّلَى التَّذْكِيرُ دُونَ التَّأْنِيثِ ، وَضُرُورَةُ الشَّمْرِ قَادَتُهُ
إِلَى^(٥) هَذَا التَّمَسُّفِ .

وَقَوْلُهُ : « لَمْ يَمُفَّ رَسْمُهَا » ، كَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يَقُولَ : « لَمْ يَمُفَّ
رَسْمُهُ » ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمَنْزِلَ ؛ فَإِنْ كَانَ رَدَّ ذَلِكَ إِلَى هَذِهِ الْبِقَاعِ وَالْأَمَا كُنْ

(١) دِيوَانُهُ ص ١٤٥ وَفِيهِ « بَلَى وَغَيْرَهَا » وَالْأَرْوَاحُ : جَمْعُ رِيحٍ . وَالذِّمَمُ
جَمْعُ دِمْعَةٍ ، وَالذِّمْعَةُ مَطَرٌ يُلُومُ فِي سَكُونِ بَلَا رَعْدٍ أَوْ بَرَقٍ ، وَقَالَ ثَعْلَبُ فِي شَرْحِ
هَذَا الْبَيْتِ : « قَالَ أَبُو زِيَادٍ : عَفَا بَعْضُهَا وَلَمْ يَمُفَّ بَعْضُ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ :
أَكْذَبَ نَفْسَهُ . لَمْ يَمُفَّهَا : لَمْ يَدْرُسْهَا ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : بَلَى ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الطَّهَوِيِّ :
فَلَا تَعْلَمُنَّ يَا خَيْرَ عَمْرُو بْنِ جَنْدَبٍ بَلَى إِنْ مِنْ زَارِ الْقُبُورِ لِيُعْلَمَا

(٢) م : « لَوْ صَحَّ . وَلَمْ يَكُنْ يُوْرَدُ هَذَا الْقَوْلُ . . . عَلَى مَا قَالَهُ »

(٣) كُنَّا فِي م ، ا ، ك ، وَفِي س : « التَّأْنِيثُ »

(٤) س ، ك : « قَدْ دَلَّتْهُ عَلَى هَذَا »

التي المنزل واضح بينها ، فذلك خلل ؛ لأنه إما يريد صفة المنزل الذي
نزله حبيبه ، بِقَفَائِهِ ، أو بأنه لم يَقِفْ دون ما جاوره .

وإن أراد بالمنزل الدارَ حتى أنت ، فذلك أيضاً خلل .

ولو سلم من هذا كله ومما نكره ذكره كراهية التطويل :-
لم نَشْكُ في أن شعر أهل زماننا لا يَقْصُرُ عن البيتين ؛ بل يزيد
عليهما ويفضلها .

...

نم قال :

وَمُوقِفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أُمِّي وَتَحْمَلِ (١)
وإن شِغَائِي عَبْرَةُ مَهْرَاقَةٍ ضَلَّ عِنْدَ رَنَمِ دَارِسِينَ مُعَوَّلٍ
وليس في البيتين أيضاً معنى بديع ، ولا لفظ حسن كالأولين .

والبيت الأول منهما متعلق بقوله : « قفا نيك » ، فكأنه قال :
قفا وقوفَ صحبي بها على مطيئهم ، أو : قفا حال وقوف صحبي . وقوله
« بها » : متأخر في المعنى وإن تقدم في اللفظ . ففي ذلك تكلف
وخروج عن (٢) اعتدال الكلام .

والبيت الثاني مُتَحَلٍّ من جهة أنه قد جعل الدمعَ في اعتقاده شافياً

(١) جاء في م بعد هذا البيت قوله :

كأني غداة البين يوم تحملا لى سمرات الحى ناقف حنظل

(٢) هي كذلك في ا ، م ، ك ولكنها غيرت في م إلى « من »

كافياً ، فاحلجته بعد ذلك إلى طلب حيلة^(١) أخرى ، وتحمّل ومُؤكِّل
عند الرُّسوم ؟

ولو أراد أن يحسن الكلام لوجب أن يدُلَّ^(٢) على أن الدع
لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ، ثم^(٣) يسائل : هل عند الربع من
حيلة أخرى ؟

• • •

وقوله :

كَذَّأَبُكَ مِنْ أَمْرِ الْحَوْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أَمْرَ الرَّيَّابِ بِأَسَلِ
إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيًّا الْقَرَنُ قُلِ
أنت لا تشك في أن البيت الأول قليل الفائدة ، ليس له مع ذلك
بهجة ، فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ ، وإن كان متزوع المعنى !
وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله :

• إذا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا •

ولو أراد أن يحوِّد أفاد أن بهما طيباً على كل حال ، فأما في حال

القيام فقط ، فذلك تقصير ! !

ثم فيه خلل آخر : لأنه بعد أن شبه عَرَفَهَا بالمسك ، شبه ذلك
بنسيم القرَنُ قُلِ ، وذكّر ذلك بعد ذكر المسك قصصاً .

(١) م : « طلب حيلة »

(٢) م : « كنك في ا ، م ، ك ولكنها في م » « أن يدخل » !

(٣) م : « ثم أقبل يسائل »

وقوله : « نَسِيمَ الْعَبَّاءِ » ، في تقدير المنقطع عن المصراع الأول ،
لم يصله به وصلٌ مثله .

• • •

وقوله :

فَقَاصَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّخْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي
الْأَرْبُ يَوْمَ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سِيَّامًا يَوْمَ بِدَارَةِ جُلُجُلٍ^(١)
قوله : « فَقَاصَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ » ، ثم استعانه بقوله : « مِنِّي »
استعانة ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة ، وهو حشو غير ملبح
ولا بديع .

وقوله : « عَلَى النَّخْرِ » ، حشو آخر ، لأن قوله : « بَلَ دَمْعِي
مَحْمَلِي »^(٢) يغني عنه ويدلُّ عليه ، وليس بحشو حسن . ثم قوله :
« حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي »^(٣) إعادة ذكره الدمع حشو آخر ، وكان
يكفيه أن يقول : حتى بليت^(٤) محمل ، فاحتاج لإقامة الوزن إلى هذا كله .
ثم تقديره أنه^(٥) قد أفرط في إفاضة الدمع حتى بَلَ مَحْمَلَهُ ، قريبطُ
منه وتقصير ، ولو كان أبدع لكان يقول : حتى بَلَ دَمْعِي مَنَانِيهِمْ
وَعِرَاصِهِمْ . ويشبه أن يكون غرضه إقامة الوزن والقافية : لأن^(٦)

(١) م : « يوم صالح لك منهما »

(٢) ما بين الرقمين ثابت في ا ، م ، ك

(٣) م : « بل »

(٤) سقطت هذه الكلمة من م

(٥) س : « إذا » بدل « لأن » .

الدمعَ يَمُدُّ أَنْ يَيْلَ الْحَمَلِ ، وَإِنَّمَا يَقْطُرُ مِنَ الْوَاقِفِ وَالْقَاعِدِ عَلَى
الْأَرْضِ أَوْ عَلَى الدَّيْلِ ! ! وَإِنْ بَلَّ فَلَقَلَّتْهُ وَأَنَّهُ لَا يَقْطُرُ .

وَأَنْتَ تَجِدُ فِي شِعْرِ الْخُبْرُزِيِّ^(١) مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ
وَأَمْتِ^(٢) وَأَعْجِبْ مِنْهُ .

وَالْبَيْتُ الثَّانِي خَالٍ مِنَ الْمَحَاسَنِ وَالْبَدِيعِ ، خَالٍ^(٣) مِنَ الْمَعْنَى ،
وَلَيْسَ لَهُ لَفْظٌ يَرْوِقُ ، وَلَا مَعْنَى يَرْوِعُ ، مِنْ طِبَاعِ^(٤) السُّوقَةِ !
فَلَا يَرَعُكَ تَهْوِيلُهُ بِاسْمِ مَوْضِعٍ غَرِيبٍ .

• • •

وقال :

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْمَذَارِيِّ مَطِيطِي فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمِّلِ
فَظِلَّ الْمَذَارِيُّ يَزْتَمِنَ بِلِحْمِهَا وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمَقْتَلِ

(١) فِي ضَبْطِهَا سِتْ لُغَاتٍ . فَانْظُرْهَا فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ١٨/٥ وَهُوَ
أَبُو الْقَاسِمِ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ ، أَصْلُهُ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَنَزَلَ بِبَغْدَادٍ وَأَقَامَ بِهَا دَهْرًا
طَوِيلًا . وَتَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ . وَهُوَ شَاعِرٌ أَيْ جَمِيدٌ ، كَانَ لَا
يَنْهَجِي وَلَا يَكْتَسِبُ ، وَكَانَ خَبَازًا يَخْبِزُ خُبْزَ الْأَرْضِ بِدُكَّانٍ لَهُ فِي مَرْبِدِ الْبَصْرَةِ ،
فَكَانَ يَخْبِزُ وَهُوَ يَنْشُدُ مَا يَقُولُهُ مِنَ الشَّعْرِ ، فَيَجْتَمِعُ النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَزْدَحُمُونَ عَلَيْهِ ،
لَا سِتَافَ شِعْرِهِ وَلَمَنْعَهُ ، وَيَتَمَجِّجُونَ مِنْ إِجَادَتِهِ فِي مِثْلِ حَالِهِ وَحِرْفَتِهِ . رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ
فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ ١٣ / ٢٩٦ - ٢٩٩ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ٥ / ١٢ - ١٨ وَمَعْجَمِ
الْأَدْبَاءِ ١٩ / ٢١٨ - ٢٢٢ وَبَيْتِمة الدَّهْرِ ٢ / ٣٣٧ - ٣٤٠

(٢) م : « وَأَمِيز »

(٣) س : « خَلَو » م « خَارِغ »

(٤) س : « طِبَاعِ »

تقديره : « أَذْكَرُ يَوْمَ عَقَرْتُ مَطِيئِي ، أَوْ يَرُّثُهُ »^(١) على قوله :
 « يَوْمَ يَدَارُةَ الْجُبُلِ » ، وليس في المصراع الأول من هذا البيت
 إلا سفاوته^(٢) !!

قال بعض الأدباء : قوله « يَا عَجِبًا » يُعْجِبُهُمْ مِنْ سَفَهِهِ فِي شَبَابِهِ :
 مِنْ نَحْوِهِ نَاقَتُهُ لَهُمْ^(٣) . وإنما أراد أن لا يكون الكلام من هذا المصراع
 منقطعاً عن الأول ، وأراد أن يكون الكلام ملائماً له .

وهذا الذي ذكره بعيد . وهو منقطع عن الأول ، وظاهره أنه
 يتمجب من تحمل المذارى رَحْلَهُ^(٤) وليس في هذا تمجب كبير ، ولا
 في نَحْرِ الناقة لَهُمْ تمجب !

وإن كان يعني به أنهم حملن رَحْلَهُ ، وأن بَعْضَهُنَّ حملته^(٥) ، فغير
 عن نفسه برحله ، فهذا قليلاً يشبه أن يكون عَجِبًا ، لكن الكلام
 لا يدلّ عليه ، ويتجافى عنه .

ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شيء غريب^(٦) ، ولا معنى
 بديع ، أكثر من سفاوته^(٧) ، مع قلة معناه ، وتقارب أمره ،
 ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا !

(١) م : « أَوْ يَحْرِثُهُ »

(٢) أ ، م ، ك : « إلا سلامته »

(٣) م ، ك : « ولم »

(٤) م : « رحله »

(٥) سقطت هذه الكلمة من أ

(٦) أ ، م ، ك : « من سلامته »

وإلى هذا الموضع لم يمرَّ له يَتِّ رائع، وكلام رائق .
 وأما البيت الثاني فيمدونه حسناً، ويمدون التشبيه مليحاً واثقاً .
 وفيه شيء : وذلك أنه عَرَّفَ اللحم ونَكَرَ الشَّحم ، فلا يعلم ^(١) أنه
 وصف شحمها ، وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع [للعامة] ، ويجرى
 على ألسنتهم ^(٢) . وعجز عن تشبيه القسمة الأولى فرَّتْ مُرْسَلَةً !
 وهذا نقصٌ في الصنعة ، وعجزٌ عن إعطاء الكلام حقه .

وفيه شيء آخر من جهة ^(٣) المعنى : وهو : أنه وصف طامامه الذي
 أطعم من أصناف بالجودة ، وهذا قد يعاب . وقد يقال : إن العرب تفتخر
 بذلك ولا يروونه عيباً ، وإنما القرس هم الذين يرون هذا عيباً شنيعاً .
 وأما تشبيه الشحم بالدمِّ مقس ، فشيء يقع للعامة ويحجرى على
 ألسنتهم ، فليس بشيء قد سبق إليه ، وإنما زاد « المُقْتَل » للقافية ،
 وهذا ^(٤) مفيد ، ومع ذلك فليست أعلم العامة تذكر هذه الزيادة ، ولم
 يمدَّ أهل الصنعة ذلك من البديع ، ورأوه قريباً .

وفيه شيء آخر [من جهة المعنى ^(٥)] : وهو : أن تَبَّحَّحَهُ بما أطعمَ
 للأجباب مذموم ، وإن سَوَّغَ التَّبَّحُّحَ بما أطعمَ للأضياف ، إلا أن

(١) م : « فلا يعرف »

(٢) الزيادة من أ

(٣) م : « من طريق »

(٤) م : « وهو »

(٥) الزيادة من أ

يودّ الكلامُ موردَ المُجُون ، وعلى طريق^(١) أبي نُوَاس في
المزاح والمداعبة !

...

وقوله :

ويومَ دخلتُ الحِدرَ خِدرَ عُنَيْزَةٍ فقالت: لك الويلاتُ إنَّكَ مُرْجِلِي
تَقُولُ وقد مَالَ النِّبِيطُ بنا معاً : عَقَرْتُ بِمِيعِي يا مِرَا القَيْسِ فَأَنْزِلِ
قوله : « دخلتُ الحِدرَ خِدرَ عُنَيْزَةٍ » ، ذكره تَكَرُّراً^(٢) لإقْلَمَةِ
الوزن ، لا فائدة فيه غيره ، ولا ملاحاة له ولا روتق !

وقوله في المصراع الأخير من هذا البيت : « فقالت لك الويلاتُ
إنَّكَ مُرْجِلِي » ، كلامٌ مؤنَّثٌ من كلام النساء ، قلّه من جهته إلى
شعره ! وليس فيه غير هذا !!

وتكريره بعد ذلك : « تقول وقد مال النبيط » ، يعني قَبَّ
الهُودَج ، بعد قوله : « فقالت لك الويلاتُ إنَّكَ مُرْجِلِي » : لا فائدة
فيه غير تقدير^(٣) الوزن ! وإلا لحكاية قولها الأوّل كافٍ ، وهو في
النظم قبيح ! لأنّه ذكر مرة : « فقالت » ، ومرة : « تقول » ، في
معنى واحد ، وقَصْلٌ خفيف !

وفي مصراع الثاني أيضاً تأنيثٌ من كلامهن .

(١) : « طرائق »

(٢) : « ذكر تكريره »

(٣) : « غير تقديم »

وذكر أبو عبيدة أنه قال : « عَقَرْتَ بَعِيرِي » ، ولم يقل : ناقى ،
لأنهم يحملون النساء على ذكر الإبل ، لأنها أقوى .
وفي ذلك ^(١) نظر ، لأن الأظهر أن البعير اسم للذكر والأنثى ،
واحتمال إلى ذكر البعير لإقامة الوزن .

• • •

وقوله :

قُلْتُ لَهَا : سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَةً وَلَا تُبْعِدِي مِنِّي جَنَّاكَ الْمَلَّلَ
فِي ثَلَاثَةِ حَبْلِي قَدْ طَرَقْتُ وَرَضِيعَ فَالْتَمِسْهَا عَنِّي تَمَازُجَ مَحْوِلٍ ^(٢)

البيت الأول قريب النسيج ، ليس له معنى بديع ، ولا لفظ
شريف ، كأنه من عبارات المنحطين في الصناعة .

وقوله : « فثلك حبلِي قَدْ طَرَقْتُ » ، طابه عليه أهل العربية .
ومعناه عندهم حتى يستقيم الكلام : قرب مثلك حبلِي قَدْ طَرَقْتُ ،
وتقديره أنه زِيرُ نِسَاءٍ ، وأنه يفسدهن ويلهين عن حَبْلِهِنَّ
ورضاعِهِنَّ ، لأنَّ الحَبْلِيَّ والمرْضِيعَةَ أبعدُ من النزل وطلب الرجال !

والبيت الثاني في الاعتذار والاستهتار ^(٣) والتهنأ ، وغير مستظم
مع المعنى الذي قدمه في البيت الأول ؛ لأنَّ تقديره : لا تبعدين عني
قصك فإنِّي أغلب النساء ، وأخذهن عن رأيهن ، وأفسدن

(١) س ، ك : « وفيه »

(٢) س ، ك : « مغيل » ا « مغول »

(٣) ك : « والاستهتار » ا

بِالتَّأْزِلِ ۚ وَكَوْنُهُ مَفْسَدَةٌ لِّهِنَّ لَا يُوجِبُ لَهُ وَصْلَهُنَّ وَتَرْكُ إِصَادِهِنَّ
إِيَّاهُ ، بَلْ يُوجِبُ هَجْرَهُ وَالِاسْتِخْفَافَ بِهِ ، لِمَخْفِهِ وَدُخُولِهِ كُلَّ
مَدْخَلٍ فَاحِشٍ ، وَرُكُوبِهِ كُلِّ مَرْكَبٍ فَاسِدٍ ۚ
وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف الكرم من ^(١) مثله ،
ويأنف من ذكره ۱۱

...

وقوله :

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ بِشَقٍ وَتَحْتَى شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ ^(٢)
وَيَوْمًا عَلَى ظَهْرِ الْكُتَيْبِ تَعَذَّرَتْ عَلَى وَآلَتْ حِلْفَةً لَمْ تُطَلَّ
فَالْيَتِ الْأَوَّلُ غَايَةً فِي الْفَحْشِ ، وَنِهَايَةً فِي السَّخْفِ ، وَأَيُّ فَائِدَةٍ
لَذِكْرِهِ لِمَشِيقَتِهِ كَيْفَ كَانَ يَرْكَبُ هَذِهِ الْقَبَائِحَ ، وَيَنْهَبُ هَذِهِ
الْمَذَاهِبَ ، وَيَرِدُ هَذِهِ الْمَوَارِدَ ۱؟ إِنَّ هَذَا لِيَبْغِضَهُ [إِلَى] ^(٣) كُلِّ مَنْ
سَمِعَ كَلَامَهُ ، وَتُوجِبُ لَهُ الْمَقْتِ ۚ وَهُوَ - لَوْ صَدَقَ - لَكَانَ قَيْصِحًا ،
فَكَيْفَ : وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ كَاذِبًا ۱؟

ثم ليس في البيت لفظ بديع ، ولا معنى حسن .
وهذا البيت متصل بالبيت الذي قبله ، من ذكر المُرْضِعِ التي لها
ولده مُحَوَّلٌ .

(١) م : عن

(٢) ١ : « بشق وشق عتلتنا لم يحول »

(٣) الزيادة من ١ ، ك ، م

فَأَمَّا الْيَتُّ الْتَّانِي وَهُوَ قَوْلُهُ : « وَيَوْمًا » ، يَتَجَبَّ مِنْهُ بِأَنْهَا^(١)
تَشَدَّدَتْ وَتَصَرَّتْ^(٢) عَلَيْهِ وَحَلَقَتْ عَلَيْهِ ، فَهُوَ كَلَامٌ رَدِيءٌ النَّسْجُ ،
لَا فَائِدَةَ لَدِكْرِهِ لَنَا أَنَّ حَيِّثُ تَمَنَّعَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ يَسْتَبِيهِ وَيَصِفُهُ أ
وَأَنْتَ تَجِدُ فِي شَعْرِ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ هَذَا الْجَنْسِ فِي التَّنْزِلِ مَا يَنْوِبُ
مَعَهُ اللَّبُّ ، وَتَطْرِبُ عَلَيْهِ^(٣) النَّفْسُ . وَهَذَا مِمَّا تَسْتَكْرِهُ النَّفْسُ ،
وَلِشُمُوزِ مِنْهُ الْقَلْبُ ، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْحَسَنِ !!

• • •

وقوله :

أَفَاطَمٌ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدْلِيلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَمْتَ صُرْمِي فَأَجْبِلِي
أَغْرَكِ مِنِّي أَنْ حَبَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ
فَالْيَتُّ الْأَوَّلُ فِيهِ رَكَاكَةٌ جَدًّا ، وَتَأْنِيْتُ وَرَقَةٍ ، وَلَكِنْ
فِيهَا تَحْنِيثٌ !

وَلَمَّا قَاتِلًا [أَنْ]^(٤) يَقُولُ : إِنَّ كَلَامَ النِّسَاءِ بِمَا يَلَاثِمُنَّ مِنَ الطَّبِيعِ
أَوْ قَعُ وَأَغْرَكُ ؟

وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّكَ تَجِدُ الشُّعْرَاءَ فِي الشَّعْرِ الْمُؤَنَّثِ لَمْ يَمْدُلُوا عَنْ
وَصَانَةِ قَوْلِهِمْ .

(١) ١ : « مِنْهُ أَنْهَا » ك ، س « مِنْهُ وَإِنَّمَا »

(٢) م : « وَتَصَرَّتْ »

(٣) م : « لَهُ »

(٤) (٤) الزِّيَادَةُ مِنْ أ ، م ، ك

والمصراع الثاني منقطع عن الأول ، لا يلائمه ولا يوافقه . وهذا
يبين لك إذا عرضت ^(١) معه البيت الذى تقدمه .

وكيف يُسَكِّرُ عليها تدلّهما ، والمتَّزِلُ يطرب على دلال
الحبيب وتدلّله ؟

والبيت الثانى قد عيب عليه ^(٢) ، لأنه قد أخبر أن من سيبلها أن
لا تقتر ^(٣) بما يريها من أن حبّها يقتله ، وأنها تملك قلبه فإمرأته قتلته ،
والحُبُّ إذا أخبر عن مثل هذا صدق .

وإن كان المعنى غير هذا الذى عيب عليه ، وإنما ذهب منهجاً
آخر ، وهو : أنه أراد أن يظهر التجلّد : — فهذا خلاف ما أظهر من
نفسه فيما تقدم من الآيات ، من الحب والبكاء على الأحبة ، فقد
دخل فى وجه آخر من المناقصة والإحالة فى الكلام .

ثم قوله : « تأمرى القلبَ يَقْمَلِ » ، معناه ^(٤) تأمرينى ، والقلب
لا يؤمر ، والاستعارة فى ذلك غير واقعة ولا حسنة ^(٥) .

(١) كذا فى م ، ك . وفى س : « اعترضت »

(٢) راجع الموضح ص ٣٦

(٣) م : « ألا تعيره »

(٤) م : « تقديره »

(٥) قال أبو حيان التوحيدي فى كتاب البصائر والنخائر ٢٦/١
« وقال محمد بن راشد : كنا يوماً مع إسحاق بن إبراهيم الطاهرى نتحدث ونخوض
فى ضروب الآداب ، فأقبل علينا فقال : ما أراد امرؤ القيس بقوله :

أغرك منى أن حلك قاتلى وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل ؟

فكل قال بما حضره ، فقال : لم يرد هذا . قلنا : فما أراد ؟ قال : أراد أنك

• • •

وقوله :

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ سَاءَ نَفْسِي خَلِيقَةً فَسَلِّ يَا بَنِي مِنْ يَابِكَ تَنْسَلِ
وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَنِي بِسَهْمِيكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ

البيت الأول قد قيل في تأويله : إنه ذكر الثوب وأراد البدن ،
مثل قول الله تعالى : ﴿ وَيَابَاكَ فَطَهَّرْ^(١) 》 . وقال أبو عبيدة : هذا مثل
للهمجر ، وتَنَسَّلُ : تَبَيَّنَ .

وهو بيت قليل المعنى ، ركيكه ووضيحه ، وكل ما أضاف إلى نفسه
ووصف به نفسه سقوطٌ وسفه وسخف ، يوجب^(٢) قطعه . فلمْ لَمْ
يَحْكُمْ على نفسه بذلك ، ولكن يورده مورد أن ليست له خليفة
توجب هِجْرَانَهُ والتَفْصِي^(٣) من وصله ، وأنه مهذب الأخلاق ،
شريف الشماثل فذلك يوجب أن لا ينفك من وصاله .

والاستعارة في المصراع الثاني فيها تواضع وتقارب ، وإن
كانت غريبة^(٤) .

تملكين قلبك فإن أردت صرمت قدرت عليه ، وإن أردت صلتني قدرت عليها ،
وأما أنا فلا أملك من قلبي إلا صلتك » ومعنى : أغرك : أى جراك على » وانظر
الشعر والشعراء ١ / ٨٤

(١) سورة المدثر ٤

(٢) كلما فى ك ، م

(٣) م : « والتفصى »

(٤) م : « غريبة »

وأما البيت الثانى فمعدود من محاسن القصيدة^(١) وبدائنها .
ومعناه : ما بكيت إلا لتَجْرَحِي قلباً ممسحاً — أى مكسراً — من
قولهم : « بُرْمَةٌ أعشار » إذا كانت قِطْعاً^(٢) . هذا تأويل ذكره
الأصمعى^(٣) ، وهو أشبه عند أكثرهم .

وقال غيره : وهذا مثل للأعشار التى تقسم الجزور عليها ، ويعنى
بسهميك : المَعْلَى ، وله سبعة أنصباء ، والرقيب ، وله ثلاثة أنصباء .
فأراد أنك ذهبت بقلبي أجمع .
ويعنى بقوله : مَقْتَلٌ : مَذَلٌّ^(٤) .

وأنت تعلم أنه على ما يَفْنَى به فهو غير موافق للآيات المتقدمة ،
لما فيها من التناقض الذى يبيناً .

ويشبه أن يكون مَنْ قال بالتأويل الثانى ، فزع إليه لأنه رأى
اللفظ مستكرهاً على المعنى الأول ، لأن القائل إذا قال : « ضربت

(١) م : « هذه القصيدة »

(٢) أراد أن قلبه كسر ثم شعب كما تشعب القدر

(٣) م ، لك : « رضى الله عنه ! »

(٤) فى اللسان ٦ / ٢٤٩ قال الأزهري : وفيه قول آخر ، وهو أعجب

إلى . قال أبو العباس أحمد بن يحيى : أراد بقوله : « بسهميك » ها هنا سهمي
قداح الميسر ، وهما : المعلى والرقيب ، فالمعلى سبعة أنصباء ، والرقيب ثلاثة ،
فإذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها ، ولم يطمع غيره فى شيء
منها ، وهى تقسم على عشرة أجزاء . فالمعنى : أنها ضربت بسهامها على قلبه
فخرج لها السهمان ، فغلبته على قلبه كله ، وفتنته فلكته . ويقال : أراد بسهميا
عينها . . . قال : وهذا التفسير فى هذا البيت هو الصحيح . ومقتل : مذل

فلان بسببه في الهدف ، بمعنى أصابه ، كان كلاماً ساطعاً مرغوباً .
وهو يرى أن معنى الكلمة أن عينها كالسهمين النافذين في إصابة
قلبه المجروح ، فلما بكتا وذرفتا بالدموع كاتتا صاربتين في قلبه .

ولكن مَنْ حمل على التأويل الثاني سلم من الخلل الواقع في اللفظ ،
ولكنه يفسد المعنى ويختل^(١) ، لأنه إن كان مُحِبًّا^(٢) — على ما وصف
به نفسه من الصباية — قَلْبُهُ كُلُّهُ لها ، فكيف يكون بكاؤها هو
الذي يُخَلِّص قلبه لها ؟ !

واعلم بعد هذا أن البيت غير ملائم للبيت الأول ، ولا متصل به
في المعنى ، وهو منقطع عنه ، لأنه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها ، ولا
سبب يوجب ذلك ، فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال .

ثم لو^(٣) سلم له بيت من عشرين بيتاً ، وكان بديعاً ولا عيب فيه ،
فليس بمجيب ، لأنه لا يُدْعَى على مثله أن كلامه كُلُّهُ متناقض ، ونظمه
كُلُّهُ متباين .

وإنما يكفي أن نبين أن ما سبق من كلامه إلى هذا البيت ، مما
لا يمكن أن يقال إنه يتقدم فيه أحداً من المتأخرين ، فضلاً
عن المتقدمين .

(١) كلما في م ، وفي س ، لك . ولكنه إذا حمل على الثاني فسد المعنى
واختل .

(٢) م : وكان محتاجاً !

(٣) م : ثم إن !

وإنما قُدِّمَ في شعره لآيات قد برع فيها، وبأن حِذْقَهُ بها .
وإنما أنكرنا أن يكون شعره مُتَنَاسِبًا في الجودة ، ومتشابهًا في
صحة المعنى واللفظ ، وقلنا : إنه يتصرفُ بين وحشيٍّ غريب
مُسْتَنَكِر ، وعريّة كالْمُهْلَلِ مُسْتَكْرَهَةٍ^(١) ، وبين كلام سليم
متوسط ، وبين ماعى سُوْقِيٍّ في اللفظ والمعنى ، وبين حكمة حسنة ،
وبين سخف مُسْتَشْنَع . ولهذا قال الله عزَّ اسمه : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ
غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(٢) .

• • •

فأما قوله :

وَبَيْضَةُ خِذْرِ لَا يُرَامُ خَبَاؤُهَا تَمَتَّتْ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرُ مُعْجَلٍ
تَجَاوَزَتْ أَحْرَاسًا وَأَهْوَالَ مَعْشَرٍ عَلَى حِرَاصٍ لَوْ يَسِرُّونَ مَقْتَلِي^(٣)
فقد قالوا : عَنَى بذلك أنها كَيْفِيَّةُ خِذْرِ في صفاتها ورقتها ، وهذه
كَلِمَةٌ حَسَنَةٌ ، ولكن لم يَسْبِقْ إليها ، بل هي دائرةٌ في أفواه العرب ،
وقشيه سائرُ .

ويعنى بقوله : « غَيْرُ مُعْجَلٍ » : أنه ليس ذلك مما يتفق قليلاً
وأحياناً ، بل يتكرر له الاستمتاع بها ، وقد يحمله^(٤) غيره على أنه

(١) كلما في م ، ك ، وفي س : « كالْمُهْلَلِ مُسْتَكْرَهَةٍ » ا

(٢) سورة النساء ٨٢

(٣) كلما في م ، ك ، وفي س والمعلقات :

« أَحْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعْشَرٍ عَلَى حِرَاصٍ »

(٤) م : « حمله »

رابط الجأش ، فلا^(١) يستعجل إذا دخلها خوف حصاتها^(٢) ومنعتها .
وليس في البيت كبير فائدة ؛ لأن^(٣) الذي حكي في سائر آياته
قد تضمن مطالوته في المأزلة واشتتاله بها ، فتكريره في هذا
البيت مثل ذلك قليل المعنى ، إلا الزيادة التي ذكر من منعتها ، وهو
— مع ذلك — بيت سليم اللفظ في الصراع الأول دون الثاني .
والبيت الثاني ضعيف .

وقوله : « لو يُسْرُونَ مَقْتَلِي » ، أراد أن يقول : لو أسروا ، فإذا نقله
إلى هذا ضعف ووقع في مضمار الضرورة ، والاختلال على نظمه يبين ،
حتى إن المتأخر ليعتري^(٤) من مثله .

• • •

وقوله :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل^(٥)
قد أنكر عليه قوم قوله : « إذا ما الثريا في السماء تعرضت » ،
وقالوا : الثريا لا تعرض^(٦) ، حتى قال بعضهم : سمى الثريا وإنما أراد
الجوزاء ، لأنها تعرض ، والعرب تفعل ذلك ، كما قال زهير : « كأنهم

(١) م : « ولا »

(٢) م : « حصاتها وعفتها ومنعتها » (٣) س : « لأنه »

(٤) س ، ك : « المحترز يحترز »

(٥) التشبيهات لابن أبي عون ص ٤

(٦) الموشح ص ٣٦ والوساطة ص ١٢ ، وفي م « لا تعرض »

عَادٌ^(١) ، وإنا هو أحر ثمود^(٢) .

وقال بعضهم في تصحيح قوله [إنا] تعرّض^(٣) : أوّل ما تطلّع [وحين تغرب^(٤)] ، كما أن الوشاح إذا طُرح يَلْقَاكَ بِمُرْضِهِ ، وهو ناحيته^(٥) . وهذا كقول الشاعر^(٦) :

تَعَرَّضْتُ لِي بِمَجَازٍ خَلٍّ تعرّض المهرق في الطول^(٧)
يقول : تُرِيكَ عَرْضَهَا وَهِيَ فِي الرَّسَنِ .

(١) يقصد قوله في معلقته :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحر عاد ثم ترضع فتفطم
قال الأعمى الشنمري : « قوله : كأحر عاد : أى كلهم في الشؤم كأحر عاد ، وأراد أحر ثمود ، فغلط . وقال بعضهم : لم يغلط ولكنه جعل عاداً مكان ثمود اتساعاً ومجازاً ، إذ قد عرف المعنى مع تقارب ما بين عاد وثمود في الزمن والأخلاق » راجع ديوانه ص ٢٠ وشرح المعلقات للزوزنى ص ٨٣

(٢) هو عاقر ناقة صالح .

(٣) الزيادة من م .

(٤) في اللسان ٣١ / ٩ « أى لم تستقم في سيرها ، ومالت كالوشاح الموعج أثناؤه على جارية توشحت به » .

(٥) م : « الشاعر زهير » وهو خطأ . وفي اللسان ١٣ / ٤٣٩ « الطول : الحبل الذي يطول به اللدابة قترعى فيه . . وقد شدد الراجز الطول للضرورة ، فقال منظور بن مرثد الأسدي :

تعرّضت لي بمكان حلٍّ تعرضا لم تأل عن قتلي
تعرض المهرة في الطول

ويروى : عن قتلاً لي ، على الحكاية ، أى عن قولها قتلاً له . وفي ١٣٠ / ٩ « وقال : تعرّضت لم تأل عن قتلي لي »

(٦) كذا في م ، ك ، وفي تاج العروس « حل » وفي م « بمجان حل » وفي الصحاح . . . بمكان حل »

وانظر التشبيهات لابن أبي عون ص ٤ .

وقال أبو عمرو : يعنى إذا أخذت التريا في وسط السماء ، كما يأخذ
الوشاح وسط المرأة .

والأشبه عندنا^(١) : أن البيت غير مَعِيب من حيث عابوه به ، وأنه
من محاسن هذه القصيدة ، ولولا آياتٌ عِدَّةٌ فيه لَقابله ما شئتَ من
شعر غيره ، ولكن لم يأت فيه بما يفوت الشأور ويستولى على الأمد :
أنت تعلم أنه ليس للمتقدمين ولا للتأخرين في وصف شيء من
النجوم مثل ما في وصف الثريا ، وكلُّ قد أبدع فيه وأحسن ، فإما أن
يكون قد عارضه أو زاد^(٢) عليه .

فمن ذلك قول ذى الرُّمَّة :

وَرَدْتُ اعْتِسَافًا وَالثَّرِيَّا كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مَحْلَقٍ^(٣)

ومن ذلك قول ابن المعتز :

وَتَرَى الثَّرِيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا بِيضَاتُ أُذْحَى يَلْحَنُ بِفَدْفِدٍ^(٤)

وكقوله :

كَأَنَّ الثَّرِيَّا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نَوْرٍ أَوْ لُجْلُجٍ مَفْضُضٍ^(٥)

وقوله أيضا :

فَنَاولْنِيهَا وَالثَّرِيَّا كَأَنَّهَا جَنَى زَرْجِسٍ حَيَّيْ التَّدَايِي بِهَ السَّاقِي^(٦)

(١) نقل هذا عبد القادر البغدادى فى خزنة الأدب ٤/١٦٦ .

(٢) م : « وزاد »

(٣) ديوانه ص ٤٠١ وديوان المعاني ١/٣٣٤ ونثار الأزهار ص ١٠٩

والتشبيهات ص ٥

(٤) ديوانه ص ٣٣ « بيض بأدحى »

(٥) ديوان المعاني ١/٣٣٦ وزهر الآداب ١/٣١٠ والتشبيهات ص ٥

(٦) ديوانه ص ٢٣٩ وديوان المعاني ١/٣٣٥

وقول الأشهب بن رُمَيْلة :

ولاحتْ لِسَارِيهَا الثَّرِيًّا كَأَنَّهَا لَدَى الْأُفُقِ الْغَرْبِيِّ قُرْطٌ مُسْلَسٌ^(١)

ولابن المعتز :

وقد هَوَى النَجْمُ وَالْجَوْزَاءُ تَتَبُعُهُ كَذَاتِ قُرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا^(٢)

أَخَذَهُ مِنْ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي قَوْلِهِ :

طَلَبُ رِيْقِهِ إِذَا ذُقْتَ فَأَمْ وَالْثَرِيَّا بِجَانِبِ الْقَرَبِ قُرْطٌ^(٣)

ولابن المعتز :

قَدْ سَقَانِي الْمَدَامَ وَالصُّبْحُ بِاللَّيْلِ مُؤْتَرِزٌ

وَالْثَرِيَّا كَنْزُ غُصْنِي عَلَى الْأَرْضِ قَدْ تَزَرَ^(٤)

وقوله :

وَتَرَوْمُ السُّثْرِيَّا فِي السَّمَاءِ مَرَامَا^(٥)

كَانِكِبَابِ طِمِيرٍ كَادَ يُبْلِقِي لِحَامَا

ولابن الطَّيِّرَةِ :

إِذَا مَا الثَّرِيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا جَمَانٌ وَهِيَ مِنْ سِلْكٍ قَبْدَدَا^(٦)

(١) ديوان المعاني ١ / ٣٣٥ والتشبيهات ص ٥

(٢) التشبيهات ص ٩ وديوان المعاني ١ / ٣٣٧

(٣) التشبيهات ص ٥ وديوان المعاني ١ / ٣٣٥

(٤) ديوانه ص ٢٢٢ « واللَّيْلُ بِالصَّبْحِ » وكذلك التشبيهات ص ١٠ وفي م

« على الغرب »

(٥) ديوانه ص ٢٤٥ وأسرار البلاغة ص ٧٥

(٦) ديوان المعاني ١ / ٣٣٤ وحاسة ابن الشجري ص ٢١٤

ولو^(١) نسختُ لك كلَّ ما قالوا من البديع في وصف الثريا لطال عليك الكتاب ، وخرج^(٢) عن الغرض ، وإنما نريد أن نبين لك أن الإبداع في نحو هذا أمر قريب^(٣) ، وليس فيه شيء غريب .

وفي جملة ما قلناه ما يزيد على تشبيهه^(٤) في الحسن ، أو يساويه ، أو يقاربه^(٥) . فقد علمت أن ما خلق^(٦) فيه ، وقدّر المتعصب له أنه بلغ النهاية فيه ، أمر مشترك ، وشريعة مؤزودة ، وباب واسع ، وطريق مسلوكة . وإذا كان هذا بيت القصيدة ، ودرة القلادة ، وواسطة المقد ، وهذا محله^(٧) ، فكيف بما تعدّاه ؟ !

ثم فيه ضرب من التكلف ، لأنه قال « إذا ما الثريا في السماء تمرّضت تمرض أثناء الوشاح » ، فقوله : « تمرّضت » : من الكلام الذي يستغنى عنه ، لأنه يشبه أثناء الوشاح [بالثريا]^(٨) ، سواء كان في وسط السماء ، أو عند الطلوع والمغيب ، فالتحويل بالتمرض ، والتطويل بهذه الألفاظ ، لا معنى له .

وفيه : أن الثريا كقطعة من الوشاح المفصل ، فلا معنى لقوله « تمرّض أثناء الوشاح » ، وإنما أراد أن يقول : تمرّض قطعة من

(١) م : قال : ولو نسخت

(٢) م : ونخرج

(٣) م : في مثل هذا نحو قريب

(٤) م : يشبهه

(٥) م : يقاربه ويلدانيه

(٦) ك : ما خلق م : ما خلق إليه ، وقدّر المتعصب أنه

(٧) م : وهذا محله

(٨) الزيادة من خزائن الأدب ٤١٧/٤

أثناء الوشاح ، فلم يستقم له اللفظ ، حتى شبه ما هو كالشيء الواحد بالجمع^(١) .

...

وقوله :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السُّتْرِ إِلَّا لِبَسَةَ الْمُتَفَضِّلِ
فَقَالَتْ : يَمِينَ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةً وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغُرَايَةَ تَنْحَلِي^(٢)

انظر إلى البيت الأول والأبيات التي قبله ، كيف خلط في النظم ؛ وفرط في التأليف ! فذكر التمتع بها ، وذكر الوقت والحال والحُرَّاسَ ، ثم ذكر^(٣) كيف كان صفتها لما دخل عليها ووصل إليها ، من نزعها ثيابها إلا ثوباً واحداً . والمتفضل : الذي في ثوب واحد ، وهو الفضل ، فما كان من سبيله أن يقدمه إنما ذكره مؤخراً .

وقوله : « لَدَى السُّتْرِ » : حشو ، وليس بحسن ولا بديع ، وليس في البيت حُسن ، ولا شيء يفضل لأجله .

وأما البيت الثاني ففيه تمليق^(٤) واختلال ، ذكر الأسمى أن معنى قوله « مَا لَكَ حِيلَةً » ، أى ليست لك جهة تجيء فيها والناس أحوال^(٥) .

(١) آخر ما نقله البغدادى في خزانة الأدب ٤/ ٤١٧ .

(٢) س ، لك « العاية »

(٣) ص ، لك « ثم يذكر »

(٤) م : « تمليق » ، « تمليق »

(٥) كذا في ك وى م : « جهة تجيء إليها والناس حول »

والكلام في المصراع الثاني متقطع عن الأول ، ونظمه إليه فيه
ضرب من التفاوت .

• • •

وقوله :

فَقَمْتُ بِهَا أَمْشِي تَجْرُ وَرَاءَنَا عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَجَّلٍ
فَلَمَّا أَجْزَنَّا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَتَتْحَى بِنَابِطٍ خَبَتْ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلٍ^(١)

البيت الأول [يذكر من محاسنه]^(٢) : من مساعدتها إياه ، حتى
قامت معه ليخولا ، وأنها^(٣) كانت تجر على الإثر أذيال مِرْطٍ مُرَجَّلٍ ،
والمرجَّل : ضرب من البرود ، يقال لَوْشِيهِ^(٤) : الترجيل ، وفيه تكلف ،
لأنه قال « وراءنا على إثرنا » ، ولو قال « على إثرنا » كان كافيا ،
والذيلُ إنما يجر^(٥) وراء الماشي ، فلا فائدة لذكره « وراءنا » ، وتقدير
القول : فقامت أمشي بها ، وهذا أيضا ضرب من التكلف .

وقوله « أذيال مِرْط » ، كان من سبيله أن يقول : ذيل مِرْط .
على أنه لو سلم من ذلك كان قريبا ليس مما يَفُوتُ بمثله غيره ، ولا
يتقدم به سواء . وقول ابن المعتز أحسن منه :

(١) ك : « ذى قفاف » م : « ذى ركام »

(٢) س ، ك : « الأول من مساعدتها »

(٣) س ، ك : « وإنما »

(٤) م : « يقال أوشيه »

(٥) م : « إنما ينجر »

قَبْتُ أَفْرَشُ خَدَيَّ فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذُلًّا وَأَسْحَبُ أَكْلِي عَلَى الْأَمْرِ^(١)

وأما البيت الثاني فقوله « أَجَزْنَا » بمعنى « قَطَعْنَا » ، و « النَّبْتُ » :
بطن من الأرض ، و « الْحَقْفُ » : رمل منمرج ، و « الْمُقَنَّلُ » :
المنقذ من الرمل الدّاخل بمضه في بعض .

وهذا بيت متفاوت^(٢) مع الآيات المتقدمة ؛ لأن فيها ما هو
سلس^(٣) قريب ، يُشبه كلام المولدين وكلام البذلة ، وهذا قد أعرب فيه ،
وأنى بهذه اللفظة الوحشية المتقدمة ، وليس في ذكرها والتفصيل
يلحاقها بكلامه^(٤) فائدة .

والكلامُ الغريب واللفظةُ الشديدة المباشرة^(٥) لِنَسِجِ الكلامِ قد
تُحمد إذا وقعت موقع الحاجة في وصف ما يلائمها ، كقوله عز وجل في
وصف يوم القيامة : (يَوْمًا عَيُّوسًا قَمَطِرًا^(٦)) . فأمّا إذا وقعت في غير
هذا الموقع ، فهي مكروهة مذمومة ، بحسب ما تحمد في موضعها .

ورُوي أَنَّ جَرِيرًا أَنشَدَ بَعْضَ خُلفاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ قَصِيدَتَهُ^(٧) :
بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْكُلْمًا جَدُّوا لِبَيْنِ تَجَزَعُ ؟

(١) كذا في م ، ك ، ا ، وفي س : « أذبالى »

(٢) كذا في م ، وفي ك : « متقارب »

(٣) ك : « سلس القياد قريب »

(٤) س ، ك : « كلامها »

(٥) سورة الإنسان : ١٠

(٦) م : « الشريدة المتبانية »

(٧) الخبير في الشعر والشعراء ١٥ / ١

كَيْفَ الْعَزَاءُ وَلَمْ أَجِدْ مُذْ بَنْتُمْ قَلْبًا يَقْرَ وَلَا شَرَابًا يَنْقَعُ^(١)
 قال : وكان يزحف من حسن هذا الشعر ، حتى بلغ قوله :
 وَقَوْلُ بَوَزَعُ قَدْ دَيَّتَ عَلَى الْمَصَا هَلَّا هَزَنْتَ بِبَيْرِنَا يَا بَوَزَعُ
 فقال : أفسدتَ شعرك بهذا الاسم !!

• • •

وأما قوله :

هَصَرْتُ بِفَضْنِي دَوْحَةً قَمَا يَلَتْ عَلَى هَضِيمِ الْكَشْعِ رِيًّا الْمَخْلُخِلِ^(٢)
 مُهْفَهَفَةٌ يِضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْفُوعَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ
 فمضى قوله « هَصَرْتُ » : جَذَبْتُ وَثَّقْتُ .

وقوله « بِفَضْنِي دَوْحَةٍ » ، تمسّف ، ولم يكن من سبيله أن
 يجعلهما اثنين .

والمصراع الثاني أصح ، وليس فيه شيء إلا ما يتكرر على السنة
 الناس من هاتين الصفتين . وأنت تجد ذلك في وصف كل شاعر ،
 ولكنه مع تكرره على الألسن صالح .

وأما معنى قوله « مُهْفَهَفَةٌ » : أنها مخففة ليست مثقلة .

و « المُفَاضَةُ » : التي اضطرب طولها .

والبيت — مع مخالفته في الطبع الأبيات المتقدمة ، ونزوعه فيه^(٣)

(١) : ١ : « ولم أفد » ك : « ولا شراب »

(٢) : كذا في م ، ك ، وفي المعلقات ص ١٨ « هصرت بفودي رأسها »

وفي شرحها « ويرى : بفضى دومة »

(٣) : م : « فيها »

إلى الألفاظ المستكرهة ، وما فيه من الغلل ، من تخصيص الترائب بالضوء ، بعد ذكر جميعها بالياض — فليس بطائل ، ولكنه قريب متوسط .

• • •

وقوله :

أَصْدُ وَتُبْدَى عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّى بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَخْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفَلٍ
وَجِيدٍ كَجِيدِ الرَّيْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَتْهُ وَلَا بِمُطَلٍّ
معنى قوله « عَنْ أَسِيلٍ » : أى بأسيل ، وإنما يريد خذاً ليس
بَكَرْزٍ .

وقوله « تَتَّى » ، يقال : اتقاء بحقه^(١) أى جملة بينه وبينه .

وقوله : « تصد وتبدي عن أسيل » : متفاوت ، لأن الكشف
عن الوجه مع الوصل دون الصد .

وقوله : « تَتَّى بِنَاظِرَةٍ » : لفظة مليحة ، ولكن أضافها إلى
ما نظم به^(٢) كلامه ، وهو مختل ، وهو قوله : « مِنْ وَخْشٍ وَجَرَةٍ » !
وكان يجب أن تكون العبارة بخلاف هذا ، كان من سيئه أن يضيف
إلى عيون الأطباء أو الممّا دون إطلاقِ الوخش ، ففهم ما تسنكر
عيونها .

(١) كذا فى م ، ك ، وفى م « بترسه »

(٢) م : « بها »

وقوله : « مُطْفِلٌ » فَرَّوْهُ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِصَبِيَّةٍ ، وَأَنَّهَا قَدْ اسْتَحْكَمَتْ ، وَهَذَا اعْتِذَارٌ مُتَعَسِّفٌ . وَقَوْلُهُ « مُطْفِلٌ » : زِيَادَةٌ لَا فَائِدَةٌ فِيهَا عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ . وَلَكِنْ قَدْ يَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنْ يُقِيدَ ^(١) غَيْرُ هَذِهِ الْفَائِدَةِ ، فَيَقَالُ : إِنَّهَا إِذَا كَانَتْ مُطْفَلًا لَحِظْتَ أَطْفَالَهَا بِمَعْنَى رَقَّةٍ ، فَنَظَرُ هَذِهِ رَقَّةٌ نَظَرُ الْمَوْدَةِ ، وَيَقَعُ الْكَلَامُ مَمْلُوقًا تَعْلِيْقًا مُتَوَسِّطًا .

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي فَمَعْنَى قَوْلِهِ : « لَيْسَ بِفَاحِشٍ » : أَيْ لَيْسَ بِفَاحِشٍ الطَّلُولِ .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « نَصَّتُهُ » : رَفَعْتُهُ وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « لَيْسَ بِفَاحِشٍ » — فِي مَدْحِ الْأَعْنَاقِ — كَلَامٌ فَاحِشٌ مُوَضَّوعٌ مِنْهُ ! وَإِذَا نَظَرْتَ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ رَأَيْتَ فِي وَصْفِ الْأَعْنَاقِ مَا يُشَبِّهُ السَّخْرَ ، فَكَيْفَ وَقَعَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَدُفِعَ إِلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ ١٢ وَهَلَا قَالَ كَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

مِثْلُ الطَّبَاءِ سَمَتْ إِلَى رَوْضِ صَوَادِرَ عَنْ غَدِيرٍ ^(٢)

• • •

وَلَسْتُ أَطْوِلُ عَلَيْكَ قَتَسْتَقِلَّ ، وَلَا أَكْثَرَ الْقَوْلِ فِي ذِمِّهِ
فَتَسْتَوْحِشُ .

(١) « يَقَادُ »

(٢) دِيوَانُهُ ص ١٩٢

وَأَكَلْتَ الْآنَ إِلَى جَلَّةٍ مِنَ الْقَوْلِ ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصَّنْعَةِ
فَطَلَنْتَ وَاكْتَفَيْتَ ، وَعَرَفْتَ مَا دَمِينَا إِلَيْهِ وَاسْتَنْفَيْتَ .
وإِنْ كُنْتَ مِنَ الطَّبَقَةِ خَارِجًا ، وَعَنْ ^(١) الْإِتِّهَانِ بِهَذَا الشَّأْنِ خَالِيًا ،
فَلَا يَكْفِيكَ الْبَيَانُ وَإِنْ ^(٢) اسْتَقْرَيْنَا جَمِيعَ شَعْرِهِ ، وَتَبِعْنَا عَامَّةَ أَلْفَاظِهِ ،
وَدَلَّلْنَا ^(٣) عَلَى مَا فِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ .

اعلم أن هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مُبْتَذَلَةٍ ،
وأبيات متوسطة ، وأبيات ضئيفة مرذولة ؛ وأبيات وحشية غامضة
مستكرهة ، وأبيات ممدودة بديعة .

وقد دللنا ^(٤) عَلَى الْمُبْتَذَلِ مِنْهَا ، وَلَا يَشْتَبِهْ عَلَيْكَ الْوَحْشِيُّ الْمُسْتَكْرَهُ ،
الَّذِي يَرْوَعُ السَّمْعَ ، وَيَهْوِلُ الْقَلْبَ ، وَيَكْدُّ اللِّسَانَ ، وَيَمْتَسُّ مَعْنَاهُ
فِي وَجْهِ كُلِّ خَاطِرٍ ، وَيَكْفَهُرُ مَطْلَعُهُ عَلَى كُلِّ مُتَأَمِّلٍ أَوْ نَاطِلٍ ،
وَلَا يَقَعُ بِمِثْلِهِ التَّمْدِيحُ ^(٥) وَالتَّنْفِصُحُ . وَهُوَ مَجَانِبٌ لِمَا وُضِعَ لَهُ أَصْلُ
الْإِفْهَامِ ، وَمُخَالَفٌ لِمَا بُنِيَ عَلَيْهِ التَّفَامُّ بِالْكَلَامِ . فَيَجِبُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْ
الْفَرَضِ الْمَقْصُودِ ، وَيَلْحَقَ بِاللَّغْوِ وَالْإِشَارَاتِ الْمُسْتَبْهَةِ .

(١) م : « ومن »

(٢) م : « ولو »

(٣) م : « لفظه ودللتناك »

(٤) م : « دللتناك »

(٥) م : « المدح »

• • •

فأما الذى زعموا أنه من بديع هذا الشعر ، فهو قوله :

وَيُضْحِي قَتِيْتُ الْمَسْكُ فَوْقَ فِرَاشِهَا

تَوْوَمُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَقْضُلٍ

والمصراع الأخير عندهم بديع ، ومعنى ذلك : أنها مُتَرْفَعة متممة ، لها من يكفها .

ومعنى قوله : « لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَقْضُلٍ » ، يقول : لَمْ تَنْتَطِقْ وَهِيَ فَضْلٌ^(١) ، و « عَنْ » هـى بمعنى « بَعْدَ » . قال أبو عُيَيْدَةَ : لَمْ تَنْتَطِقْ فَتَمَلِّ ، وَلَكِنهَا تَتَفَضَّلُ .

• • •

ومما يمدونه من محاسنها :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ

عَلَى بِأَنْوَاعِ الْغُومِ لَيْلَتِي^(٢)

(١) فى اللسان ١٤١/١٤ - ١٤٢ « والفضلة : الثياب التى تبذل للنوم ، لأنها فضلت عن ثياب التصرف . . . وفى حديث امرأة أبي حذيفة : قالت يا رسول الله ، إن سالما مولأبى حذيفة يراى فُضْلاً : أى مبتذلة فى ثياب مهنتى ، يقال : تفضلت المرأة : إذا لبست ثياب مهنتها أو كانت فى ثوب واحد ، فهى فَضْلٌ ، والرجل فَضْلٌ أيضاً » .

(٢) س ، ك « بأنواع الغيوم » وانظر رأى الأستاذ محمود محمد شاكر فى معنى هذا البيت ونقصه لأراء الشراح السابقين فى طبقات فحول الشعراء ص ٧١

قُلْتُ لَهُ لِمَا تُعْطَى بِصُفْهِ
وَأَرْذَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّكَلٍ :
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلُ
بِصَبِيحٍ ، وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَمْتَلٍ ^(١)

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَمَارِضُ هَذَا بِقَوْلِ النَّابِغَةِ :
كَلِّبْنِي لِهَمِّ يَا أُمِيَّةَ نَاصِبٍ
وَلَيْسَ أَقْلَسِيهِ بِطَى الْكَوَاكِبِ ^(٢)
وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ
تَضَاعَفَ فِيهِ الْحَزَنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ : لَيْسَ بِمُنْقَضٍ

وَلَيْسَ الَّذِي يَتْلُو النُّجُومَ بِأَيِّ ^(٣)
وَقَدْ جَرَى ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضُ ^(٤) الْخُلَفَاءِ ، فَقُدِّمَتْ أَيْيَاتُ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَاسْتَحْسَنْتُ اسْتِعَارَتَهَا ^(٥) ، وَقَدْ جَعَلَ لِلَّيْلِ صَدْرًا
يَتَقَلُّ تَنْحِيهِ ، وَيُعْطَى تَقْضِيهِ ، وَجَعَلَ لَهُ أَرْدَافًا كَثِيرَةً ، وَجَعَلَ لَهُ
صَابِغًا يَمْتَدُّ وَيَتَطَاوَلُ ، وَرَأَوْا هَذَا بِخِلَافِ مَا يُسْتَعِيرُهُ أَبُو تَمَّامٍ مِنْ

(١) ك ، م « فَيْكَ » س « مِنْكَ »

(٢) « الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ »

(٣) م : « ذَلِكَ بِمَجْلِسِ بَعْضٍ »

(٤) س ، ك « وَاسْتَحْسَنْتُ » وَانْظُرِ الْمُشَوِّحَ ص ٣١ - ٣٣

الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة^(١)، ورأوا أن الألفاظ جميلة .
واعلم أن هذا صالح جميل ، وليس من الباب الذي يقال إنه متناهم
عجيب ، وفيه إلام بالتكلف ، ودخول في التعمُّل .

• • •

وقد خرجوا له في البديع من القصيدة قوله :

وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا

بِمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

مِكْرٍ مِقْرٍ مُقْبِلٍ مُذْبِرٍ مَمَّا

كَجُلُودِ صَخْرِ حَطَّةِ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ^(٢)

وقوله أيضاً :

لَهُ أَنْطَلَا ظَلِي وَسَاقَا نَمَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقَرُّبُ تَنْفُلٍ^(٣)

فأما قوله « قَيْدُ الْأَوَابِدِ » ، فهو مليح ، ومثله في كلام الشعراء
وأهل الفصاحة كثير ، والتَّعْمَلُ بمثله^(٤) ممكن .

وأهلُ زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفاً ، ويؤلّفون المحاسن

تأليفاً ، ثم يُؤَشِّحُونَ به كلامهم . والذين كانوا من قبلُ — لغزاتهم^(٥)

(١) سقطت من م

(٢) انظر شرحه في طبقات فحول الشعراء ص ٦٩

(٣) انظر شرحه في طبقات فحول الشعراء ص ٧٠

(٤) م : « والتَّعْمَلُ لمثله . . . زماننا اليوم »

(٥) م : « لغزاتهم » ك : « لغزاتهم »

وتمكنهم — لم يكونوا يتصنعون لذلك ، إنما كان يتفق لهم اتفاقاً ،
وَيَطْرِدُ فِي كَلَامِهِمْ اطْرَادًا .

وأما قوله في وصفه : « مَكْرٍ مَقَرٍ » ، فقد جمع فيه طباقاً وتشبيهاً .
وفي سرعة جرى القرس للشعراء ما هو أحسن من هذا وألطف

وكذلك في جمعه بين أريمة وجوهر من التشبيه في بيت واحد : —
صنعة ، ولكن قد غُورِضَ فيه وزُوجِمَ [عليه ^(١)] ، والتوصل إليه
يسير ، وتطلبه ^(٢) سهل قريب .

وقد ينبأ لك أن هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت في ألياتها تفاوتاً ينبأ
في الجودة والزيادة ، والسلاسة والانمقاد ، والسلامة والانحلال ، والتمكن
[والاستصواب ^(٣)] والتسهّل والاسترسال ، والتوخّش والاستكراه ،
وله شركاء في نظائرها ، ومنازعون في محاسنها ، وممارضون في بدائلها .
ولا سواه كلامٌ يُنْحَتُ من الصخر تارةً ، ويدفُوب تارةً ، وتلوّن
تلوّن الجِرْبَاءِ ، ويختلف اختلاف الأهواء ، ويكثر في تصرفه اضطرابه ،
وتتقاذف ^(٤) به أسبابه ، وبين قول يجرى في سبّكه على نظام ، وفي
رصفه على منهاج ، وفي وضعه على حدّ ، وفي صفائه على باب ، وفي

(١) الزيادة من م

(٢) م : « والتطلب له »

(٣) الزيادة من م

(٤) م : « وتتفاوت »

بَهَجَتِهِ وَرَوْقَهُ عَلَى طَرِيقٍ ، مُخْتَلِفُهُ مُؤْتَلَفٍ ، وَمُؤْتَلَفُهُ مُتَّحِدٌ ،
وَمُتَّبَعُهُ مُتْقَارِبٌ ، وَشَارِدُهُ مُطِيعٌ ، وَمُطِيعُهُ شَارِدٌ . وَهُوَ عَلَى
مُتَصَرِّفَاتِهِ وَاحِدٌ ، لَا يُسْتَصَبُّ فِي حَالٍ ، وَلَا يَتَعَقَّدُ فِي شَأْنٍ .

• • •

وَكُنَّا أَرَدْنَا أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي قِصَائِدٍ مَشْهُورَةٍ ، فَتَكَلِّمَ عَلَيْهَا ، وَنَدَلَّ
عَلَى مَعَانِيهَا وَعِجَازِهَا ، وَنَذَكَّرَكَ لَكَ مِنْ فِضَائِلِهَا وَقَائِصِهَا ، وَنَبْطِطَ
لَكَ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْجِنْسِ ، وَنَقْتَحَ عَلَيْكَ فِي هَذَا التَّهْجِ (١) .
ثُمَّ رَأَيْنَا هَذَا خَارِجًا عَنْ غَرَضِ كِتَابِنَا ، وَالْكَلَامُ فِيهِ يَتَّصِلُ بِنَقْدِ
الشَّعْرِ وَعِجَازِهِ ، وَوَزْنِهِ بِعِزَانِهِ (٢) وَمَعْيَارِهِ ، وَلِذَلِكَ كُتِبَ وَإِنْ لَمْ
تَكُنْ مُسْتَوْفَاهُ ، وَتَصَانِيفُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُسْتَقْصَاهُ .
وَهَذَا الْقَدْرُ يَكْفِي فِي كِتَابِنَا ، وَلَمْ نُحِبَّ أَنْ نَنْسَخَ (٣) لَكَ مَا سَطَرَهُ
الْأَدَبَاءُ فِي خَطِّ أَمْرِ الْقَيْسِ فِي الْمُرُوضِ وَالنَّحْوِ وَالْمَعَانِي ، وَمَا عَابَوْهُ
عَلَيْهِ (٤) فِي أَشْعَارِهِ ، وَتَكَلَّمُوا بِهِ عَلَى دِيْوَانِهِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَيْضًا خَارِجٌ
عَنْ غَرَضِ كِتَابِنَا ، وَنُجَانِبُ الْمَقْصُودِ .
وَإِنَّمَا أَرَدْنَا أَنْ نَبَيِّنَ الْجُمْلَةَ (٥) الَّتِي يَتَنَاها ، لِتَعْرِفَ أَنْ طَرِيقَةَ الشَّعْرِ

(١) م : « وَنَفْسَحْ عَلَيْكَ فِي هَذَا التَّهْجِ »

(٢) سَقَطَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ م

(٣) م : « أَحَبُّ أَنْ أَنْسَخَ »

(٤) م : « بِهِ »

(٥) م : « نَبَيِّنُ الْحِكْمَةَ »

شَرِيعَةُ مَوْزُودَةٍ ، وَمَنْزِلَةٌ مَشْهُودَةٌ ، يَأْخُذُ مِنْهَا أَصْحَابُهَا عَلَى مَقَادِيرِ
أَسْبَابِهِمْ ، وَيَتَنَاوَلُ مِنْهَا ذَوُوهَا عَلَى حَسَبِ أَحْوَالِهِمْ .

وَأَنْتَ تَجِدُ لِلْمَتَقَدِّمِ مَعْنَى قَدْ طَمَسَهُ الْمَتَأَخِّرُ بِمَا أَتَى عَلَيْهِ فِيهِ ، وَتَجِدُ
لِلْمَتَأَخِّرِ مَعْنَى قَدْ أَغْفَلَهُ الْمَتَقَدِّمُ ، وَتَجِدُ مَعْنَى قَدْ تَوَافَدَا عَلَيْهِ ، وَتَوَافَيَا
إِلَيْهِ ، فَهَمَا فِيهِ شَرِيكَا عَنَانٍ ، وَكَأَنَّهَا فِيهِ ^(١) رَضِيْعَا لَبَّانٍ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي
فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ .

• • •

فَأَمَّا ^(٢) نَهْجُ الْقِرَآنِ وَنَظْمُهُ ، وَتَأْلِيفُهُ وَرَصْفُهُ ، فَإِنَّ الْعُقُولَ تَتِيهِ
فِي جِهَتِهِ ، وَتَحَارُ فِي بَحْرِهِ ^(٣) ، وَتَضِلُّ دُونَ وَصْفِهِ .

وَنَحْنُ نَذْكُرُكَ فِي تَفْصِيلِ هَذَا مَا تَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى الْغَرَضِ ،
وَتَسْتَوِي بِهِ عَلَى الْأَمَدِ ، وَتَصِلُ بِهِ إِلَى الْمَقْصِدِ ، وَتَتَصَوَّرُ إِعْجَازَهُ
كَمَا تَتَصَوَّرُ الشَّمْسَ ، وَتَتَقَيَّنُ تَنَآهِيَ بَلَاعَتِهِ كَمَا تَتَقَيَّنُ الْفَجَرَ ،
وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ الْغَامِضَ ، وَأَسْهَلَ لَكَ الْعَسِيرَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا عِلْمُ شَرِيفِ الْمَحَلِّ ، عَظِيمِ الْمَكَانِ ؛ قَلِيلِ الطَّلَابِ ،
ضَعِيفِ الْأَصْحَابِ ؛ لَيْسَتْ لَهُ عَشِيرَةٌ تُحِمُّهُ ، وَلَا أَهْلُ عِصْمَةٍ تَقْطُنُ

(١) م : « وَكَلَامُهُمَا فِيهِ »

(٢) م : « وَأَمَّا »

(٣) ك : « وَتَحَارِي فِكْرَهُ »

لما فيه . وهو أدق من السحر ، وأقول من البحر ، وأنجب من الشر .

وكيف لا يكون كذلك : وأنت تحسب أن وضع « الصبح » في موضع « الفجر » يحسن في كل كلام إلا أن يكون شعراً أو سجعاً ؟ وليس كذلك ؛ فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع ، وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى ، بل تتمكن فيه ، وتضرب يحرانها ، وتراها في مظانها ، وتجدها فيه غير مُنازعة إلى أوطانها ، وتجدها الأخرى — لو وضعت موضعها — في محل فإر ، ومرمى شِراد ، ونابية عن استقرار^(١) .

ولا أَكْثُرُ عليك المثال ، ولا أَضربُ لك فيه الأمثال ، وأزجِعُ بك إلى ما وعدتك^(٢) من الدلالة ، وضمنتُ لك من تقرب المقالة .

فإن كنت لا تعرف الفصل الذي يبتأ بين اللفظتين على اختلاف مواقع الكلام ، ومُتَصَرِّفَاتِ تَجَارِي النِّظَام ، لم تستفد مما نُقِرَّ به عليك شيئاً ، وكان التقليدُ أولى بك ، والاتباعُ أَوْجِبَ عليك . ولكل شيء سبب ، ولكل علم طريق ؛ ولا سبيل إلى الوصول إلى الشيء من غير طريقه ، ولا بلوغ غايته من غير سبيله .

• • •

(١) م : « وبانية عن اسقرار »

(٢) ك : « ما وعدتك به »

خذ الآن - هداك الله - في تفرغ^(١) الفكر، وتخليّة البال ؛ وانظر فيما نمرض عليك، ونهديه إليك ؛ متوكلاً على الله ، ومتمصّماً به ، ومستعيذاً به من الشيطان الرجيم ؛ حتى تَقِفَ على إعجاز القرآن العظيم .

سماه الله عزّ ذكره « حكماً » و « عظيماً » و « حميداً » .

وقال : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ^(٢) 》 .

وقال : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ^(٣) 》 .
وقال : ﴿ وَلَوْ أَن قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى ، بَلْ فِيهِ الْآمُرُ جَمِيعًا ^(٤) 》 .

وقال : ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ^(٥) 》 .

وأخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين القزويني ، حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن عثمان ، حدثنا أبو يوسف الصيّد لاني ، حدثنا محمد بن سلمة ،

(١) م : « مع تفرغ »

(٢) سورة فصلت : ٤٢

(٣) سورة الحشر : ٢١

(٤) سورة الرعد : ٣١

(٥) سورة الإسراء : ٨٨

عن أَبِي سِنَانٍ، عن عمرو بن مُرَّةَ، عن أَبِي الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِي، عن الحارث الأعور، عن علي رضي الله عنه؛ قال:

قيل: يا رسول الله، إن أمتك ستفتتن من بعدك؛ فسأل أو سئل: ما المخرج من ذلك؟

فقال: «بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد؛ من ابغى العلم في غيره أضله الله، ومن ولي هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله؛ وهو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم. فيه خبر من قبلكم، وتبين أن من بعدكم؛ وهو فصل، ليس بالهزل. وهو الذي [لما] سمعته الجن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾^(١). لا يخلق على طول الردة، ولا تنقض عبره، ولا تقضى عجائبه»^(٢).

وأخبرني أحمد بن علي بن الحسن، أخبرنا أبي، أخبرنا بشر بن عبد الوهاب، أخبرنا هشام بن عبيد الله، حدثنا المسيب بن شريك، عن عبيدة^(٣)، عن أسامة بن أبي عطاء^(٤)؛ قال: أرسل النبي صلى الله

(١) سورة الجن: ٢

(٢) انظر عيون الأخبار ٢ - ١٣٣

(٣) «عبيدة» بضم العين المهملة، وهو ابن الأسود بن سعيد الهمداني الكوفي، راجع ترجمته في التهذيب ٧ / ٨٦

(٤) أسامة بن أبي عطاء هذا: تابعي، يروي عن علي بن أبي طالب، ترجمه البخاري في التاريخ الكبير ج ١ ق ١ ص ٢٣، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ١ ق ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه في ليلة ، فذكر نحو ذلك في المعنى ، وفي بعض ألفاظه اختلاف .

وأخبرنا أحمد بن علي بن الحسن ، أخبرنا أبي ، أخبرنا بشر بن عبد الوهاب ، أخبرنا هشام بن عبيد الله ، حدثنا المسيب بن شريك ، عن بشر بن نمير ، عن القاسم ، عن أبي أمية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ ثلث القرآن أعطى ثلث النبوة ، ومن قرأ نصف القرآن أعطى نصف النبوة ، ومن قرأ القرآن كله أعطى النبوة كلها ؛ غير أنه لا يوحى إليه » . وذكر الحديث (١) .

ولولم يكن من عظم شأنه إلا أنه طبق الأرض أنوارُهُ ، وجلَّل الآفاق ضياؤه ، ونفذ في العالم حكمه ، وقيل في الدنيا رسمه ؛ وطَمَس ظلام الكفر بعد أن كان مَضْرُوب الرِّواقِ ، ممدود الأطناب ، مبسوط الباع ، مرفوع الماد ؛ ليس على الأرض من يعرف الله حق معرفته ،

(١) سألت الشيخ أحمد محمد شاكر عن هذا الحديث فكتب يقول : « هذا الحديث مكذوب لا أصل له ، وكفى أن يكون في إسناده » بشر بن نمير القشيري البصري « قال يحيى بن سعيد القطان في شأنه : « كان ركنًا من أركان الكذب » . وقال أحمد بن حنبل : « يحيى بن العلاء كذاب يضع الحديث ، وبشر بن نمير أسوأ حالا منه » . وبشر هذا يروي عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمية أحاديث في نسخة له ، قال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال ١٥١/١ - ١٥٢ بعد أن ذكر الحديث الذي هنا : « وبشر عن القاسم نسخة كبيرة ساقطة » . وقال شعبه بن الحجاج : « كان بشر بن نمير لو قيل له : ما شاء الله - لقال : القاسم عن أبي أمية ! ! يعني جرائته على الكذب والاختراع » .

أو يسبده حق عبادته ، أو يدينُ بمظته ، أو يعلم علوَّ جلالة ، أو يتفكر في حكمته . فكان كما وصفه الله تعالى جل ذكره ، من أنه نور ، فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(١) 》 .

فانظر — إن شئت — إلى شرف هذا النظم ، وبديع هذا التأليف ، وعظيم هذا الرِّصْف ؛ كلُّ كلمة من هذه الآية تامة ، وكلُّ لفظ بديعٌ واقعٌ .

قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا 》 : يدل على صدوره من الرُّبُوبِيَّةِ ، وَيُبَيِّنُ عن وُرُودِهِ عن الإلهية . وهذه الكلمة بمنفردِها وأخواتها ^(٢) ، كلُّ واحدةٍ منها لو وقفت بين كلام كثير — تَمَيَّزَ عن جميعه ، وكان واسطة عَقْدِهِ ، وفاتحة عَقْدِهِ ؛ وَغُرَّةُ شَهْرِهِ ، وَعَيْنُ دَهْرِهِ .

وكذلك قوله : ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا 》 ، فجعله رُوحًا ، لأنه يهجي ^(٣) الخلق ، فله فضل الأرواح في الأجساد وجعله نورًا لأنه يضيء ضياء الشمس في الآفاق . ثم أضاف وقوع

(١) سورة الشورى ٥٢ .

(٢) م : « على أن كل » .

(٢) م : « وأخواتها » .

(٣) م : « يهجي به » .

الهداية به إلى مشيئته ، ووقف وقوع^(١) الاسترشاد به على إرادته ؛
ويين أنه لم يكن ليهتدى إليه لولا توقيه ، ولم يكن ليعلم مافي الكتاب
ولا الإيعان لولا تعليمه ؛ وأنه لم يكن ليهتدى - فكيف كان يهتدى -
لولاه ، فقد صار^(٢) يهتدى ، ولم يكن^(٣) من قبل ذلك ليهتدى^(٤) ، فقال :
{ وَإِنَّكَ تَهْتَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ }^(٥) .

فانظر إلى هذه الكلمات الثلاث : فالكلمتان الأوليان مؤتلفتان .
وقوله : { أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ } ، كلمة منفصلة مباينة
للأولى ، قد صيرهما شريف النظم أشد اتِّلافاً من الكلام المؤالف ،
والطف انتظاماً من الحديث الملائم .

وبهذا بين فضل الكلام ، وتظهر فصاحته وبلاغته .

الأمر أظهر ؛ والحمد لله ، والحال آين من أن يحتاج إلى كشف .
تأمل قوله : { فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ، وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }^(٦) .

(١) كنا في م وفي س ، ك : «وقف» .

(٢) ما بين الرقمين مكانه بياض في ك .

(٣) م : «ليهدى» .

(٤) سورة الشورى ٥٣ .

(٥) سورة الأنعام ٩٦ .

انظر إلى هذه الكلمات الأربع التي ألفَ بينها ، واحتج بها على ظهور قدرته ، وقاذ أمره ، أليس كل كلمة منها في نفسها غرّة ؟ وبمفردها ^(١) درّة ؟

وهو — مع ذلك — يبين أنه يصدر عن علو الأمر ، وقاذ القهر ؛ ويتجلى في بهجة القدرة ، ويتجلى بمخالصة العزّة ؛ ويجمع السلاسة إلى الرصانة ، والسلامة إلى المتانة ؛ والرونق الصافي ، والبهاء الضافي .

ولست أقول : إنه شمل الإطباق المليح ، والإيحاز اللطيف ؛ والتعديل والتّمثيل ، والتقريب والتّشكيل — وإن كان قد جمع ذلك وأكثر منه — لأن العجيب ما يبتأ من انفراد كل كلمة بنفسها ، حتى تصلح أن تكون عين رسالة أو خطبة ، أو وجه قصيدة أو فقرة . فإذا ألقت ازدادت [به] حسناً [وإحساناً] ^(٢) ، وزادتك — إذا تأملت — معرفة وإيماناً .

• • •

ثم تأمل قوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ مَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ ^(٣) — : هل تجد

(١) كذا في م ، كوفي س « وبمفردها » .

(٢) الزيادة من م .

(٣) سورة يس ٣٧ — ٣٩ .

كلّ لفظة ، وهل تعلم كل كلمة ، تستقل بالاشتغال على نهاية البديع ،
وتتضمن شرط القول البليغ ؟

فإذا كانت الآية تنظم من البديع ، وتتألف من البلاغات ، فكيف
لا تفوت حدّ المعهود ، ولا تجوّز^(١) شأؤ المألوف ؟ وكيف^(٢) لا تحوز
قَصَبَ السَّبْق ، ولا تعالى عن كلام الخلق ؟

ثم انقصد إلى سورة بآمة ، فتصرّف في معرفة قصصها ، وراجع
ما فيها من براهينها وقصصها .

تأمل السورة التي يُذكر فيها النمل ، وانظر في كلمة كلمة ،
وفصل فصل :

بدأ بذكر السورة ، إلى أن يبيّن أن القرآن من عنده ، فقال :
﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾^(٣) . ثم وصل بذلك
قصة موسى عليه السلام ، وأنه رأى نارًا ، فقال لأهله امكثوا :
﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ، سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ
لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾^(٤) .

وقال في سورة طه في هذه القصة : ﴿ لَعَلَّ آتِيَكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ

(١) كذا في م ، لك وفي س « ولا تحوز » .

(٢) ب س « فكيف » .

(٣) سورة النمل ٦

(٤) سورة النمل ٨

أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى^(١) . وفي موضع : ﴿ لَمَّا آتَاكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ
أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَكُمْ تَسْطُلُونَ^(٢) 〉 .

قد^(٣) تصرف في وجوه ، وآتى بذكر القصة على ضروب ، ليعلمهم
عجزهم عن جميع طرق ذلك . ولهذا قال : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ^(٤) 〉 ،
ليكون أبلغ في تمجيزهم ، وأظهر للحجة عليهم .

وكل كلمة من هذه الكلمات ، وإن أنابت عن قصة ، فهي بليغة
بنفسها ، تامة في معناها .

ثم قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ
حَوْلَهَا ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٥) 〉

فانظر إلى ما أجرى له^(٦) الكلام ، من علو أمر هذا النداء ، وعظم
شأن هذا التناء^(٧) ، وكيف انتظم مع الكلام الأول ، وكيف اتصل
بتلك المقدمة ، وكيف وصل بها ما بعدها من الإخبار عن الرُّبُوبِيَّةِ ،
وما دلَّ به عليها من قلب العصا حية ، وجعلها دليلاً يدلُّه عليه ، ومعجزة
تهديه إليه ؟

(١) سورة طه ١٠

(٢) سورة القصص ٢٩

(٣) م : قد

(٤) سورة الطور ٣٤

(٥) سورة النمل ٨

(٦) م : إليه

(٧) شأن هذه التبا

وإنظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأقسامها في الحسن ، وفيما تضمنته من المعاني الشريفة ، ثم ما شَفَعَ به هذه الآية ، وقرَنَ به هذه الدلالة : من اليَدِ البيضاء — عن نور البرهان — من غير سوء

ثم انظر في آية آية ، وكلمة كلمة : هل تجدهما كما وصفنا : من عجيب النظم ، وبديع الرِّصْف ؟ فكل كلمة لو أُفردت كانت في الجمال ^(١) غاية ، وفي الدلالة آية ، فكيف إذا قارنتها أخواتها ، وضامتها ذواتها : [مما] ^(٢) تجري في الحسن مجراها ، وتأخذ في معناها ؟

ثم من قصة إلى قصة ، ومن باب إلى باب ، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل ، وحتى يُصَوَّر ^(٣) لك الفصل وصلًا ، يديع ^(٤) التأليف ، وبلغ التزليل .

• • •

وإن أردت أن تبين ما قلناه فضل تبين ، وتحقق بما ادعيناه زيادة تحقق — فإن كنت من أهل الصنعة فاعمد إلى قصة من هذه القصص ، وحديث من هذه الأحاديث ، فمبر عنه بمبارة من جهتك ، وأخبر عنه بالفاظ من عندك ، حتى ترى فيما جئت به ^(٥) النقص الظاهر ، وتبين في نظم القرآن الدليل الباهر .

(١) « في الكلام غاية »

(٢) الزيادة من م

(٣) م : « وحتى يتصور »

(٤) م : « لبيع »

(٥) م : « به من »

ولذلك^(١) أَعَد قصة موسى في سُور ، وعلى طرق شتى ، وفواصل مختلفة ، مع اتفاق المعنى . فلعلك ترجع إلى عقلك ، وتستريح^(٢) ما عندك ، إن غلطتَ في أمرك ، أو ذهبتَ في مذاهب وهمك ، أو سَلَطْتَ على نفسك وجهَ ظَنِّكَ .

متى تهباً لبلوغ أن يتصرف في قدر^(٣) آية في أشياء مختلفة ، فيجعلها مؤلفة ، من غير أن يبينَ على كلامه إحياء الخروج والتنقل ، أو يظهر على خطابه آثارُ التكلف^(٤) والتعمل ؟

وأَحْسِبُ أنه لا يسلم من هذا — ومحال أن يسلم منه — متى^(٥) يظفر بمثل تلك الكلمات الأفرادِ ، والألفاظِ الأعلام ، حتى يجمع بينها ، فيجلبو^(٦) فيها قشرة من كلامه ، وقطعة من قوله . ولو اتفق له في أحرف معدودة ، وأسطر قليلة ، فتي يَتَّفَقَ له في قدر ما تقول : إنه^(٧) من القرآن معجز ؟

هيهات هيهات ! إن الصبح يَطْمِسُ النجوم وإن كانت زاهرةً ، والبحر يغمر الأنهار وإن كانت زاهرةً .

(١) م : « وكنلك »

(٢) م : « إلى نفسك وتسير »

(٣) م : « في صلب »

(٤) م : « التكليف »

(٥) م : « حتى »

(٦) م : « فيخلو »

(٧) م : « آية من القرآن معجزة »

مضى^(١) تهيأ للآدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام ،
بعد ذكر العنوان والتسمية ، هذه الكلمة الشريفة العالية : ﴿ أَلَّا تَلَوْا
عَلَىٰ وَاتُّونِي مُسْلِمِينَ ﴾^(٢) . والخلوص من ذلك إلى ما صارت إليه من
التدبير ، واشتغلت به من المشورة ، ومن تعظيمها أمر المستشار ،
ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها^(٣) ، بتلك الألفاظ البديعة ، والكلمات
العجيبة البليغة .

ثم كلامها بعد ذلك ، [أَلَّا] تعلم^(٤) تمكّن قولها : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ
أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ، مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾^(٥) .
وذكر قولهم : ﴿ قَالُوا : نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ ، وَالْأَمْرُ
إِلَيْكَ ، فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾^(٦) ، لا تجد في صفهم أنفسهم
أربع^(٧) مما وصفهم به .

وقوله : ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ ﴾ ، تعلم براعته بنفسه ، وعجيب معناه ،
وموضع اتفاقه في هذا الكلام ، وتمكّن الفاصلة^(٨) ، وملامته لما قبله ،
وذلك قوله : ﴿ فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ .

(١) م : « فتي »

(٢) سورة النمل ٣١

(٣) م : « وطاعتهم لها »

(٤) س : « بعد ذلك لتعلم »

(٥) سورة النمل ٣٢

(٦) سورة النمل ٣٤

(٧) م : « أبداع »

(٨) م : « تمكّن ألفاظه »

ثم إلى هذا الاختصار ، وإلى البيان مع الإيجاز . فإن الكلام قد يفسد الاختصار ، وبعيه التخفيف منه والإيجاز ، وهذا مما يزيد الاختصار بسطاً ، لتمكّنه ووقوعه موقعه ، ويتضمن الإيجاز منه تصرفاً يتجاوز عمله وموقعه .

وكم جئت إلى كلام مبسوط يضيق عن الأفهام ، ووقت على حديث طويل يقصر عما يراد به من^(١) التمام ، ثم لو وقع على الأفهام [والتمام ، أخل بما^(٢)] يجب فيه من شروط الأحكام ، أو بمغاي القصة وما تقتضى من الإغظام .

ثم لو ظفرت بذلك كله ، رأيته ناقصاً في وجه الحكمة ، أو مدخولاً في باب السياسة ، أو مضموفاً^(٣) في طريق السيادة ، أو مشترك المبارات إن كان مستجود المعنى ، [أو مستجود العبارة مشترك المعنى^(٤)] ، أو جيد البلاغة مستجلب^(٥) المعنى ، أو مستجلب البلاغة جيد المعنى ، أو مستنكر اللفظ وحشي العبارة ، أو مستبهم الجانب مستكره الوضع .

وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك إلا ما إذا بسط أفاد ، وإذا اختصر كل في بابه وجداد ؛ وإذا سرح الحكيم في جوانبه طرف

(١) م : « على »

(٢) الزيادة من م وكانها بياض في ك

(٣) س ، ك : « أو مضموفاً » !

(٤) الزيادة من م

(٥) م : « مستحيل المعنى أو مستحيل »

خاطره^(١) ، وبعث الطيم في أطرافه عيون مباحثه ، لم يَقَعْ إلا على
عاسن توالى ، وبدائع تترى^(٢) .

ثم فكَرْ بمد ذلك في آية آية ، أو كلمة كلمة ، في قوله : ﴿ إِنِّ الْمُلُوكَ
إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ، وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ، وَكَذَلِكَ
يَفْعَلُونَ ﴾^(٣) .

هذه الكلمات الثلاث ، كل واحدة منها كالنجم في علوه ونوره ،
وكالياقوت يتلأأ بين شذوره . ثم تأملْ تَمَكَّنْ الفاصلة — وهي
الكلمة الثالثة — وحسنَ موضعها ، وعجيبَ حكمتها^(٤) ، وبارعَ معناها .

وإن شِرحْتُ لك مافى كل آية طال عليك الأمر ، ولكنى قد
يَدِنْتُ بما فُسرْتُ ، وقررت بما فَصَّلْتُ — الوجه الذى سلكتُ ، والنحو
الذى قصدتُ ، والغرض الذى إليه رميتُ ، والسَمَتَ الذى إليه دعوتُ .
ثم فَكَرْ بمد ذلك في شيء أدلك عليه :

وهو تماذُلُ هذا النظم في الإعجاز ، في مواقع الآيات القصيرة ،
والطويلة ، والمتوسطة .

(١) م : «أو»

(٢) هذا الاستعمال من الباقلاني يكاد يهمل القارئ أن كلمة «تترى»
فعل مضارع ، إذ جعلها مزاملة لكلمة «تتوالى» ! و «تترى» اسم ، بمعنى :
متواترين ، ولذلك يجوز تنوينها . فى اللسان ١٣٧/٧ — ١٣٨ «وجاؤا تترى
وتترا» ، أى متواترين . التاء مبدلة من الواو . قال ابن سيدة : وليس هذا البديل
قياساً ، إنما هو فى أشياء معلومة»

(٣) سورة النمل ٣٤

(٤) م : «حكمها»

فأجلِ الرأى فى سورة سورة ، وآية آية ، وفاصلة فاصلة ، وتدبر
الخواتيم ، والفوائج ، والبوايدى ^(١) ، والمقاطع ، ومواضع الفصل
والوصل ، ومواضع التنقل والتحول ، ثم اقص ما أنت قاض .

وإن طال عليك تأمل الجميع ، فاقصر على سورة واحدة ، أو على
بعض سورة ^(٢) .

ما رأيك فى قوله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فى الأَرْضِ ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا
شِيْعًا ، يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ ،
إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ^(٣) ؟

هذه تشتمل على ست كلمات ، سناؤها وضيائها على ما ترى ،
وسلاستها وماؤها على ما تشاهد ، وروثها على ما تعين ، وفصاحتها
على ما تعرف .

وهى تشتمل على جملة وتفصيل ، [وجامعة ^(٤)] وتفسير : ذكر
المُلُو فى الأرض باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسي ^(٥) النساء ، وإذا
تحكم فى هذين الأمرين فما ظنك بما دونهما ؟ ! لأن النفوس لا تطمن
على هذا الظلم ، والقلوب لا تقرر على هذا الجور .

(١) م : « والمبايدى »

(٢) س : « سور » م « أو بعض »

(٣) سورة القصص ٤

(٤) الزيادة من م

(٥) م : « لذبح الولدان ، واستحياء »

ثم ذكر الفاصلة التي أوغلت في التأكيد ، وكفت في التظيم ، وردت آخر الكلام على أوله ، وعطفت عجزه على صدره .

ثم ذكر وعده تخليصهم بقوله : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ^(١) 〉 . وهذا من التأليف بين المؤلف ، والجمع بين المستأنس .

كما أن قوله : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ^(٢) 〉 .

وهي خمس كلمات ، متباعدة في المواقع ، نائية المطارح ، قد جعلها النظم البديع أشد تألفاً ^(٣) من الشيء المؤلف في الأصل ، وأحسن توافقاً من المتطابق في أول الوضع .

ومثل هذه الآية قوله : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ^(٤) 〉 .

ومثلها : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَنْسَكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ^(٥) 〉 .

(١) سورة النمل ٥

(٢) سورة القصص ٧٧

(٣) م : « تأليفا »

(٤) سورة القصص ٦٨

(٥) سورة القصص ٥٨

ومن المؤلف قوله : ﴿ فَخَصَفْنَا بِهِ وَبَدَّلْنَاهُ الْأَرْضَ ، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ قِتَّةٍ يُنْصَرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَشَبِّهِينَ ^(١) 〉 .
وهذه ثلاث كلمات ، كل كلمة منها أعز من الكبريت الأحمر .
ومن الباب الآخر ^(٢) قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، لَهُ الْحُكْمُ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ^(٣) 〉 .

• • •

كل سورة من هذه السور تتضمن من القصص ما لو تكلفت العبارة عنها بأضفاف كلماتها ، لم تستوف ما استوفته . ثم تجد فيما تنظم ثقل النظم ، وفور الطبع ، وشراح ^(٤) الكلام ، وتهافت القول ، وتغش جانبه ، وقصورك في الإيضاح عن واجبه . ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصة إلى قصة ، وفصل إلى فصل ، حتى تتبين ^(٥) عليك مواضع الوصل ، وتستصعب عليك أما كن الفصل . ثم لا يمكنك أن تصل بالقصص مواضع زاجرة ، وأمثالا سائرة ، وحكما جليلة ، وأدلة على التوحيد يينة ، وكلمات في التنزيه والتخيد ^(٦) شريفة .

(١) سورة القصص ٨١

(٢) كذا في ك ، س وفي م : « ومن الباب قوله »

(٣) سورة القصص ٨٨

(٤) م : « وشراح »

(٥) كذا في س ، ك . وفي م : « حتى تتعثر » ، « حتى تتبثر » ،

(٦) م : « والتخيد »

وإن أردت أن تتحقق ما وصفتُ لك ، فتأملْ : شرٌّ مِنْ شئتَ
من الشعراءِ الثُّفَلِيقِينَ ، هل تجد كلامه في المديح والنزل والفخر
والهجو يجرى مجرى كلامه في ذكر القصص ؟

إنك لتراه إذا جاء إلى وصف وقعة^(١) ، أو قلَّ خبرٍ ، عاىَّ
الكلام ، سُوقِيَّ الخطاب ، مسترسلاً في أمره ، متساهلاً في كلامه ،
عادلاً عن المؤلف من طبعه ، وناكياً عن المهود من سَجِيَّتِهِ . فإن
اتفق له في قصة كلامٌ جيد ، كان قدر ثنتين أو ثلاثة ، وكان ما زاد
عليها حشوًا ، وما تجاوزها لغوًا . ولا أقول : إنها تخرج من عادته عفواً ،
لأنه يقصر عن العفو ، ويقف دون ، الشرف ، ويتعرض للركاكة .

فإن لم تنفع بما قلتُ لك من الآيات^(٢) ، فتأملْ غير ذلك من
السور^(٣) ، هل تجد الجميع على ما وصفتُ لك ؟

لو لم تكن إلَّا سورة واحدة لَكَفَّتْ في الإعجاز ؛ فكيف
بالقرآن العظيم ؟

ولولم يكن إلا حديث من سورة لَكُنِّي ، وأقنع وشقَى .

ولو عرفت قدر قصة موسى وحدها من سورة الشعراء^(٤) ، لما طلبتَ
بَيِّنَةً سواها .

بل قصة من قصصه ، وهي قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ
بِمِصْرَإِ ، إِنَّكَ مَرْسُومٌ ﴾^(٥) إلى قوله : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ

(١) س : « واقعة » (٢) كذا في م . وفي س ، ك : « من الآيات »

(٣) ١ : « من الشعر » (٤) سورة الشعراء ٥٢

وَعُيُونٍ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْزَيْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ،
فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ^(١)﴾ حتى قال : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ
بِمِصْرِكَ الْبَحْرَ، فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ^(٢)﴾ .

ثم قصة إبراهيم عليه السلام .

ثم لو لم تكن إلا الآيات التي انتهى إليها القول في ذكر القرآن ،
وهي قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، تَزَلَّ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ،
عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ^(٣)﴾ .

وهذه كلمات مُفْرَدَةٌ بفواصلها ، منها ما يتضمن فائحة وفاصلة ،
ومنها ما هي فائحة وواسطة وفاصلة ، ومنها كلمة فاصلتها تامة .

دل على أنه تَزَلَّ على قلبه ليكون نذيراً ، وَيِّنَ أنه آيةٌ لكونه
نبياً ، ثم وصل بذلك كيفية النِّذَارَةِ فقال : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ ، وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٤)﴾ .

فتأمل آية آيةً ، لتعرف الإعجاز ، وتبين التصرف البديع ،
والتنقل في الفصول إلى آخر السورة .

ثم راع المقطع العجيب ، وهو قوله : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ^(٥)﴾ .

(١) سورة الشعراء ٥٧ - ٦٠

(٢) سورة الشعراء ٦٣

(٣) سورة الشعراء ١٩٢ - ١٩٥

(٤) سورة الشعراء ٢١٤ - ٢١٥

(٥) سورة الشعراء ٢٢٧

هل يُحَسِّن [أحد^(١)] أن يأتي بمثل هذا الوعيد، وأن يَنْظِم^(٢) مثل هذا النظم، وأن يَجِدَ مثل هذه النظائر السابقة، ويُصَادِف^(٣) مثل هذه الكلمات المتقدمة ؟

ولولا كراهة الإملال، لجئت إلى كل فصل، فاستقرت على الترتيب كلماته، وينتُ لك ما في كل واحدة منها من البراعة، وعجيب^(٤) البلاغة.

ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده، وتستضيء بنوره، وتهتدى بهداه.

ونحن نذكر آياتٍ أُخِرَ، لتزداد استبصاراً، وتتيقن^(٥) تيقناً :
تأمل من الكلام المؤلف قوله : ﴿ حَمَّ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ، ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِلِيهِ الْمَصِيرُ^(٦) 》 .

أنت قد تدرّبت الآن بحفظ أسماء الله تعالى وصفاته، فانظر متى وجدت في كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم في هذا القدر، وما يجمع ما تجمع هذه الآية من شريف المعاني وحسن الفاتحة والخاتمة .

(١) الزيادة من م

(٢) م، ك : « وأن تنظم . . . وأن تجد . . . وتصادف »

(٣) م : « السابقة . . . مثل الكلمات »

(٤) م، ك : « ومن عجيب »

(٥) كذا في م . وفي م « ويتقدم » وك : « ويتقدم »

(٦) سورة غافر ١ - ٣

ثم اتل^(١) ما بعدها من الآي، واعرف وجه التلّوص من شيء إلى شيء : من احتجاج إلى وعيد ، ومن إنذار إلى إنذار ، ومن فنون من الأمر شتى ، مختلفة تأتلف بشرف النظم ، ومتباعدة تتقارب^(٢) بعلّ الضم .

ثم جاء إلى قوله : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِدْرِيسَ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ، فَأَخَذْتَهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ، وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ^(٣) 〉 .
الآية الأولى أربعة فصول ، والثانية فصلان .

وجه الوقوف على شرف^(٤) الكلام : أن تتأمل موقع قوله : ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ 〉 ، وهل تقع في الحسن موقع قوله : « لِيَأْخُذُوهُ » كلمة ؟ وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة ؟ وهل يسد مسده في الأصالة نكتة ؟ لو وُضِعَ موضع ذلك « ليقتلوه » ، أو « ليرجموه » ، أو « لينفوه » ، أو « ليطردوه » ، أو « ليهلكوه » ، أو « ليدلوه » ، ونحو هذا ، ما كان ذلك بديعاً^(٥) ولا بارعاً ، ولا عجيماً ولا بالنّا .

(١) م ، ك : « واتل »

(٢) كذا في م ، ك . وفي م : « تتقارب بعالى الكلام »

(٣) سورة غافر ٥ - ٦

(٤) م : « على شريف »

(٥) كذا في م . وفي م ، ك : « بعيداً »

فأقصد موضع هذه الكلمة ، وتعلم بها ما تنهّب إليه من تخير^(١) الكلام ، [وانتقاء^(٢)] الألفاظ ، والاهتداء للمعاني .

فإن كنت تقدّر أن شيئاً من هذه الكلمات التي عدناها^(٣) عليك أو غيرها ، [يقوم مقام هذه اللفظة ، لم تقف^(٤)] على غرضنا من هذا الكتاب ، فلا سبيل لك إلى الوقوف على تصاريف الخطاب ، فافزع إلى التقليد ، وأكفر نفسك مؤونة التفكير .

وإن فطنت فانظر إلى ما قال من ردّ عجز الخطاب إلى صدره ، بقوله : ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ ثم ذكر عقوبتها العذاب في الآخرة ، وأتلاها تلوّ المذاب في الدنيا ، على الأحكام التي رأيت^(٥) .

ثم ذكر المؤمنين بالقرآن ، بعد ذكر المكذّبين بالآيات والرسول ، فقال : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّلَاحَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾^(٦) ، إلى أن ذكر ثلاث آيات .

(١) س ، ك : « من نخب »

(٢) الزيادة من م ، ومكانها بياض في ك

(٣) مكان هذه الكلمة بياض في ك

(٤) الزيادة من م ، وفي س ، ك « عليك أو غيرها لا تقف بك على غرضنا »

(٥) م : « على الأحكام التي رادت »

(٦) سورة غافر ٧

وهذا كلام مفصول ، تعلم ^(١) عجيب اتصاله بما سبق ومضى ،
وانتسابه إلى ما تقدم وانقضى ، وعظم موقعه ^(٢) في معناه ، ورفيع
ما يتضمن من تحميدهم وتسييحهم ، وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله :
﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ^(٣) ﴾ .

هل تعرفُ شرفَ هذه الكلمة لفظاً ومعنى ، ولطيفَ هذه
الحكاية ، وتلاوُمَ هذا الكلام ، وتشاكُلَ هذا النظام ؟ فكيف ^(٤)
يهتدى إلى وضع هذه المعاني بشري ، وإلى تركيب ما يلائمها من
الألفاظ إنسي ؟ .

ثم ذكر ثلاث آيات في أمر الكافرين على ما ترى .

ثم نبّه على أمر القرآن ، وأنه من آياته ، بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي
يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ، وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ، وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا
مَنْ يُنِيبُ ^(٥) ﴾ .

وإنما ذكر هذين الأمرين اللذين يختص بالتقدرة عليهما ، لتناسبهما
في أنهما من تنزيله من السماء ، ولأن الرزاق الذي لو لم ^(٦) يرزق لم
يمكن بقاء النفس ، تجب طاعته والنظر في آياته .

(١) ك : « يعلم »

(٢) م ، ك : « وتفضى وعظم موضعه »

(٣) سورة غافر ٧

(٤) م ، ك : « وكيف »

(٥) سورة غافر ١٣

(٦) م : « الذي لم »

ثم قال : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ،
رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ، يُنْزِلُ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ ، لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ، يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ
مِنْهُمْ شَيْءٌ ، لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ^(١) ۝ ۞ .

قف على هذه الدلالة ^(٢) ، وفكر فيها ، وراجع نفسك في مراعاة
معاني هذه الصفات العالية ، والكلمات السامية ، والحكم البالغة ،
والمعاني الشريفة : — تَعْلَمُ وَرُودَهَا عَنْ الْإِلَهِيَّةِ ، ودلالاتها على الربوبية ،
وتتحققُ أَنَّ الْخُطْبَ الْمَقُولَةَ عَنْهُمْ ، وَالْأَخْبَارَ الْمَأْثُورَةَ فِي كَلِمَاتِهِمُ
الفصيحة ، من الكلام الذي تَعْلَقُ بِهِ الْمَهْمُ الْبَشَرِيَّةُ ، وما تَحُمُّ عَلَيْهِ
الأفكار الآدمية ، وتعرف مَبَآئِئَهَا لهذا الضرب من القول .

أى خاطرٍ يَشَوِّفُ إِلَى أَنْ يَقُولَ : ﴿ يُنْزِلُ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ، يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ۝ ۞ ؟
وأى لفظٍ يدرك هذا المضمار ؟ وأى حكيمٍ يهتدى إلى ما لهذا من
النور ؟ وأى فصيحٍ يهتدى إلى هذا النظم ؟

ثم استقرى الآية إلى آخرها ، واعتبر كلماتها ، وراجع بمداها
قوله : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ^(٣) ۝ ۞ .

(١) سورة غافر ١٤ - ١٦

(٢) م : « الآية »

(٣) سورة غافر ١٧

مَنْ يَقدِرُ عَلَى تَأْلِيفِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ ، عَلَى قُرْبِهَا ، وَعَلَى خِفَتِهَا فِي النِّظْمِ ، وَمَوْقِعِهَا مِنَ الْقَلْبِ ؟

ثم تأمل قوله : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاشِفِينَ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ، يَتْلُمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ^(١) 》 .

كل كلمة من ذلك على ما قد وصفتها ^(٢) : من أنه إذا رآها الإنسان في رسالة كانت عينها ، أو في خطبة كانت وجهها ، أو قصيدة كانت ^(٣) غرّة غرّتها ، ويدت قصيدتها ، كالياقوتة التي تكون فريدة العقد ، وعين القلادة ، ودرة الشذر ، إذا وقع بين كلام وشحه ، وإذا صمّن ^(٤) في نظام زينه ، وإذا اعترض في خطاب تميّز عنه ، وبأن بحسنه منه .

ولست أقول هذا لك في آية دون آية ، وسورة دون سورة ، وفصل دون فصل ، وقصة دون قصة ، ومعنى دون معنى ؛ لأنّي قد شرحت لك أن الكلام في حكاية القصص والأخبار ، وفي الشرائع

(١) سورة غافر ١٨ - ٢٠

(٢) م : « على قدر ما وصفتها »

(٣) م : « كانت غرّتها »

(٤) م : « وإذا نظم »

والأحكام، وفي التباينة والتوحيد، وفي الحُجُبِ والتثيت، هو خلاف الكلام فيما عدا هذه الأمور.

ألا ترى أن الشاعر المُفْلِقَ إذا جاء إلى الزهد قَصَرَ، والأديب إذا تكلم في بيان الأحكام وذكر الحلال والحرام، لم يكن كلامه على حسب كلامه في غيره.

ونظّم القرآن لا يتفاوت في شيء، ولا يتباين في أمر، ولا يختل في حال؛ بل له المثل الأعلى، والفضل الأسنى. وفيما شرحناه لك كفاية، وفيما بيناهُ بلاغٌ

ونذكر في الأحكاميات وغيرها آيات أخر:

منها قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ؟ قُلْ: أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ، تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ، فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ^(١)﴾.

أنت تجد في هذه الآية من الحكمة والتصرف العجيب، والنظم البارِع [الغريب]^(٢)، ما يدلك - إن شئت - على الإعجاز، مع هذا الاختيار والإيجاز، فكيف إذا بلغ ذلك آيات^(٣)، أو كانت سورة؟ ونحو هذه الآية قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي

(١) سورة المائدة ٤

(٢) الزيادة من م

(٣) م، ك: «وكانت»

يَحْدُوثُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْتُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ،
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ
وَعَزَّزُوا وَنَصَرُوا وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ^(١) .

وكالآية التي بعدها في التوحيد وإثبات النبوة ، وكالآيات الثلاث
في المواريث

أى بارع يقدر على جمع أحكام الفرائض في قدرها من الكلام ؟
ثم كيف يقدر على ما فيها من بدیع النظم ^(٢) ؟

وإن جئت إلى آيات الاحتجاج ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا
آِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ،
لَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ^(٣) 》 .

وكالآيات في التوحيد ، كقوله : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(٤) 》 .

وكقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ
نَذِيرًا . الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ

(١) سورة الأعراف ١٥٧

(٢) م : « على مثل ما فيها من بليغ النظام »

(٣) سورة الأنبياء ٢٢ - ٢٣

(٤) سورة غافر ٦٥

لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدْرَهُ تَقْدِيرًا^(١) .
 وكنقوله : (تَبَارَكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٢)) ،
 إلى آخرها .

وكنقوله : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ،
 إِنَّ إِلَهُكُمُ لَوَاحِدٌ ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
 الْمَشَارِقِ ، إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَحِفْظًا مِنْ
 كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ، لَا يَسْمُونُ إِلَى الْإِلَهِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ
 جَانِبٍ دُخُورًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ، إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ
 شِهَابٌ ثَاقِبٌ^(٣)) .

هذه من الآيات التي قال فيها الله تعالى ذكره : (اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ
 الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا ، تَقَشُّمُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
 رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ
 يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ^(٤)) .

[ارفع طرف قلبك]^(٥) ، وانظر بعين عقلك ، وراجع جليّة
 بصيرتك ، إذا تفكرت في كلمة كلمة مما قلناه إليك ، وعرضناه

(١) سورة الفرقان ١ - ٢

(٢) سورة الملك ١

(٣) سورة الصافات ١ - ١٠

(٤) سورة الزمر ٨

(٥) الزيادة من م

عليك ، ثم فيما ينتظم من الكلمات ، ثم إلى أن يتكامل فصلاً وقصةً ،
أو يَمَّ حديثاً وسورة .

لا ، بل فَكَّرْ في جميع القرآن على هذا الترتيب ، وتدبَّرْه على نحو
هذا التنزيل ، فلم نَدَّعِ ما ادعيناه لبعضه ، ولم نَصِفْ ما وصفنا^(١) إلا
في كَلَمَةٍ ، وإن كانت الدلالة في البعض أَبَيَّنَ وأظهرَ ، والآية
أَكْشَفَ وأبهرَ .

وإذا تأملت على ما هديناك إليه ، ووقفناك عليه ، فانظر هل
تجد وقع^(٢) هذا النور في قلبك ، واشتغال^(٣) على بُبْكَ ، وسريانه في
حسِّك ، وقوده في عروقك ، وامتلاك^(٤) به إيماناً وإحاطة ، وامتدادك به
إيماناً وبصيرة ؟ أم هل تجد الرعب يأخذ منك مأخذه من وجه ،
والهزة تعمل في جوانبك^(٥) من لون ، والأزميحة تستولى عليك
من باب ؟ .

وهل تجد الطرب يستفزك^(٦) لللطيف ما فطنت له ، والسرور
يحركك من عجب ما وقت عليه ، وتجدد في نفسك من المعرفة التي
حدثت لك عزة ، وفي أعطافك ارتياحاً وهزة ، وترى لك في الفضل
تقدماً وتبريراً ، وفي اليقين سبقاً وتحقيقاً ، وترى مطارح الجهال تحت

(١) س : « ما وصفناه »

(٢) كذا في ١ ، م ، وفي س ، ك : « هل ترى »

(٣) م : « في جوارحك »

أقدام النَّفْثَةِ ، وَمَهَاوِيهِمْ فِي غُلَالٍ ^(١) الْقِلَّةِ وَالْقِلَّةِ ، وَأَقْدَارُهم بِالْمِيزَانِ الَّتِي
يَجِبُ أَنْ تُلْحَظَ بِهَا ، وَمَرَاتِبُهُمْ بِحَيْثُ يَجِبُ ^(٢) أَنْ تَرْتَبَهَا ؟ .

هَذَا كُلُّهُ فِي تَأْمَلِ الْكَلَامِ وَنَظَامِهِ ، وَعَجِيبَ مَعَانِيهِ وَأَحْكَامِهِ .

فَإِنْ جِئْتَ إِلَى مَا انْبَسَطَ فِي الْعَالَمِ مِنْ بَرَكَتِهِ وَأَنْوَارِهِ ، وَتَمَكَّنَ فِي
الْآفَاقِ مِنْ يُنْمِنُهُ وَأَضْوَانِهِ ، وَثَبَّتَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ إِكْبَارِهِ وَإِعْظَامِهِ ،
وَتَقَرَّرَ فِي النُّفُوسِ مِنْ حَمِّ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَمَضَى فِي الدِّمَاءِ ^(٣) مِنْ مَقْرُوضِ
حُكْمِهِ ، وَإِلَى أَنَّهُ جُعِلَ عِمَادُ ^(٤) الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ تِلْوُ الْإِيمَانِ فِي التَّأَكِيدِ ،
وَتَأْيِيدِ التَّوْحِيدِ فِي الْوُجُوبِ . وَفَرَضَ ^(٥) حِفْظُهُ ، وَوَكَّلَ الصِّغَارُ
وَالْكِبَارُ بِتِلَاوَتِهِ ، وَأَمَرَ عِنْدَ افْتِتَاحِهِ بِمَا أَمَرَ بِهِ لِمُعْظِمِهِ ، مِنْ قَوْلِهِ :
(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ^(٦)) ، لَمْ يُؤْمَرْ
بِالتَّعَوُّذِ لِفَتْحِ أَمْرٍ كَمَا أَمَرَ بِهِ لِفَتْحِهِ ، فَهَلْ يَدُلُّكَ هَذَا عَلَى عَظِيمِ
شَأْنِهِ ، وَرَاجِحِ مِيزَانِهِ ، وَعَالِي مَكَانِهِ .

وَجُلَّةُ الْأَمْرِ أَنَّ قَدْرَ الْكَلَامِ شَدِيدٌ ، وَتَمَيِّزُهُ صَعْبٌ .

وَمَا كَتَبَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَسْكَرِيِّ : [قَالَ] ^(٧) أَخْبِرْنِي

(١) كَذَا فِي م ، ك ، وَفِي م : « فِي أَطْلَالٍ »

(٢) م : « بِحَيْثُ يَحْتَقِرُ »

(٣) م : « فِي النَّبِيَا »

(٤) م : « أَعْمَادُ »

(٥) م : « وَفَرُوضُ »

(٦) سُورَةُ النَّحْلِ ٩٨

(٧) الزِّيَادَةُ مِنْ م

أبو بكر بن دُرَيْدٍ قال : سمعت أبا حاتم يقول : سمعت الأُصمى يقول :
فرسانُ الشعر ^(١) أقلُّ من فرسان الحرب .

وقال : سمعت أبا عمرو بن الملاء يقول : العلماء بالشعر أعزُّ من
الكبريت الأحمر .

وإذا كان الكلام المتعارف المتداول بين الناس ، يشقُّ تمييزُهُ ،
ويصعب قَلَمُهُ ، وينهب عن محاسنه الكثير ^(٢) ، ونظرون إلى كثير
من قبيحه بعين الحسن ، وكثير من حسنه بعين القبح ، ثم يختلفون في
الأحسن منه اختلافًا كثيرًا ، وتباين آراؤهم في تفضيل ما يفضل منه ،
فكيف لا يتحIRONون فيما لا يحيط به علمهم ، ولا يتأتَّى في مقدورهم ، ولا
يَعْمَلُ بخواطرم ؟ وقد حَيَّرَ القومَ الذين لم يكن أحدٌ أفصحَ منهم ، ولا
أتمَّ بلاغةً ، ولا أحسن براعة ، حتى دُهِشوا حين ورد عليهم ،
وَوَلَّهتْ عقولُهم ، ولم يكن عندهم فيه جوابٌ غير ضربِ الأمثال ،
والتَّخَرُّصِ ^(٣) عليه ، والتوم فيه ، وتقسيمه أقسامًا ، وجمله عِصِينَ .

وكيف لا يكون أحسن الكلام ، وقد قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ
أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى ، تَسْمُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ

(١) كذا في م ، وفي س ، ك : « الشعراء »

(٢) ك : « ينهب ... الكبير »

(٣) كذا في ك ، وفي م ، س : « والتخرص »

يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ^(١) .

استفهم فهم هذه الآية ، وكفاك ، استفد علم هذه الكلمات ، وقد أغناك ، فليس يُوقَفُ على حسن الكلام بطوله ، ولا تُعرف براعته بكثرة فصوله ، إن القليل يدل على الكثير ، والقريب قد يهجم بك على البعيد .

ثم إنه سبحانه وتعالى لما علم من عظم شأن هذه المعرفة ، وكبر محلها ^(٢) ، وزهاها على أقوام — ذكر في آخر هذه الآية ما ذكر ، وَبَيَّنَّ مَا بَيَّنَّ ، فقال : ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . فلا تعلم ^(٣) ما وصفنا لك إلا بهداية من العزيز الحميد . وقال : ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ . وقال : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ^(٤) ﴾ .

وقد بسطنا لك القول رجاء إقحامك .

وهذا المنهاج الذي رأيته ، إن سلكته يأخذ بيدك ، ويدلك على رشدك ، ويعينك عن ^(٥) ذكر براعة ^(٦) آية آية لك .

واعلم أننا لم نقصد فيما سطرناه من الآيات ، وسميناه من السور

(١) سورة الزمر ٢٣

(٢) م : « وكبر محلها »

(٣) م ، ل : « فلا يعلم »

(٤) سورة البقرة ٢٦

(٥) م : « ويعينك على »

(٦) م : « براعته »

والدلالات، ذِكْرُ الْأَحْسَنِ^(١) وَالْأَكْشَفِ وَالْأَظْهَرِ؛ لَأَنَّا نَعْتَقِدُ فِي كُلِّ سُورَةٍ ذِكْرَ نَاقِهَا أَوْ^(٢) أَضْرَبْنَا عَنْ ذِكْرِهَا اعْتِقَادًا وَاحِدًا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْإِعْجَازِ، وَالْكَفَايَةِ فِي التَّمَتُّعِ وَالْبِرْهَانِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ ذِكْرِ بَعْضٍ، فَذَكَّرْنَا مَا تيسَّرَ، وَقَلْنَا فِيمَا اتَّجَمَ فِي الْحَالِ وَخَطَرَ، وَإِنْ كُنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِعْجَازَ فِي بَعْضِ الْقُرْآنِ أَظْهَرُ، وَفِي بَعْضِهِ^(٣) أَدْقُ وَأَغْمَضُ، وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْفَصْلِ يَجِيءُ بَعْدَ هَذَا.

فاحفظ عتاً في الجملة ما كررنا، والسَّيْرُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّفْصِيلِ إِلَيْكَ. وَحَصِّلُ مَا أُعْطِينَاكَ مِنَ الْعَلَامَةِ، ثُمَّ النِّظَرُ عَلَيْكَ.

قد اعتمدنا على أن الآيات تنقسم إلى قسمين :

أحدهما : ما يَمُّ بِنَفْسِهِ، أَوْ بِنَفْسِهِ وَفَاصِلَتِهِ، فَيُنْبَرُّ فِي الْكَلَامِ
إِنَارَةُ النَّحْمِ فِي الظَّلَامِ

والثاني : ما يشتمل على كلمتين أو كلمات، إِذَا تَأَمَّلْتَهَا وَجَدْتَ كُلَّ
كَلِمَةٍ مِنْهَا فِي نِهَايَةِ الْبِرَاعَةِ وَغَايَةِ الْبَلَاغَةِ.

وإِنَّمَا يَبِينُ ذَلِكَ أَنَّ تَصَوُّرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مُضْمَنَةٌ بَيْنَ أَضْوَافِ
كَلَامٍ كَثِيرٍ، أَوْ خُطَابٍ طَوِيلٍ، فَتَرَاهَا مَا بَيْنَهُمَا^(٤) تَدُلُّ عَلَى تَقْسِمِهَا،

(١) ا، م : « ذِكْرُ الْأَعْجَزِ »

(٢) س، ك : « وَضَرَبْنَا »

(٣) س : « وَفِي بَعْضٍ »

(٤) م : « مَا بَيْنَهُمَا »

وتقلو على ما قرن بها^(١) لعلو جنسها ، فإذا ضُمت إلى أخواتها ، وجاءت في ذواتها ، أرتك القلائد منظومة ، كما كانت تُريك عند تأمل الأفراد منها اليواقيت منشورة ، والجواهر مبنوثة^(٢) .

ولولا ما أكره من تضمين القرآن في الشعر لأنشدتك ألفاظاً وقعت مُضمَّنة ، لتعلم كيف تلوح^(٣) عليه ، وكيف ترى بهجتها في أثنائه ، وكيف تتناز منه ، حتى إنه لو تأمله من لم يقرأ القرآن لتبين أنه أجنبي من الكلام الذي تضمنه ، والباب الذي توسطه ، وأنكر مكانه ، واستكبر موضعه .

ثم تناسبها في البلاغة والإبداع ، وتماثلها في السلاسة والإغراب ، ثم افترادها بذلك الأسلوب ، وتخصصها بذلك الترتيب ، ثم سائر ما قمنا ذكره ، مما نكره إعادته .

وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب في مجاريه ، ويحتل تصرفه في معانيه ، ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقه ، ويضيق به النطاق في مذاهبه ، ويرتبك^(٤) في أطرافه وجوانبه ، ويُسلمه للتكلف^(٥) الوحش كثرة تصرفه ، ويحيله على التصنع الظاهر موارد تنقله وتخلصه .

(١) كذا في ١ ، م . وفي م ، ك : « على ما قد قرن منها »

(٢) م : « مبنوثة منشورة »

(٣) م : « يلوح »

(٤) م : « ويرتبك »

(٥) م : « ويسلبه التكلف الوحش كثير »

ونظم القرآن في مؤنثله ومختلفه ، وفي فصله ووصله ، وافتاحه واختامه ، وفي كل نهج يسلكه ، وطريق يأخذه فيه ، وباب يتهم عليه ، ووجه يؤمّه ، على ما وصفه الله تعالى به — لا يفاوت ، كما قال : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ^(١) . ولا يخرج عن تشابهه وتماثله ، كما قال : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ ^(٢) . وكما قال : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ ^(٣) . ولا يخرج عن إياته ، كما قال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ^(٤) .

وغيره من الكلام كثير التلون ، دائم التغير ، [والتنكر] ^(٥) ، يقف بك على بديع مستحسن ، ولعقبه بقبیح ^(٦) مستهجن ، ويطلع عليك بوجه الحسناء ، ثم يعرض للهجر بخد القبيحة الشوهاء ، ويأتيك باللفظة المستنكرة بين الكلمات التي هي كاللآلئ الزهر .

وقد يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهيم ، وقد يقع إليك منه الكلام المشبّع ^(٧) ، والنظم المشوّش ، والحديث المشوّه . وقد تجد منه ما لا يتناسب ولا يتشابه ، ولا يتألف ولا يتماثل .

(١) سورة النساء ٨٢

(٢) سورة الزمر ٢٨

(٣) سورة الزمر ٢٣

(٤) سورة الشعراء ١٩٥

(٥) الزيادة من م

(٦) من « قبيح »

(٧) في اللسان ٤٣/٣ « الشبّع : اضطراب الكلام »

وقد قيل في وصف ما جرى هذا المجرى :

وَشِعْرٌ كَبَعْرِ الْكَبْشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ

لِسَانُ دَعَى فِي الْقَرِيضِ دَخِيلٌ^(١)

وقال آخر :

وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ

يَكْدُ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُحَفِّظِ^(٢)

فإن قال قائل : فقد نجد في آيات [من]^(٣) القرآن ما يكون نظمه بخلاف ما وصفت ، ولا تتميز الكلمات بوجه البراعة ، وإنما تكون البراعة عندك منه في مقدار يزيد على الكلمات المفردة ، وحدّ يتجاوز حدّ الألفاظ المستندة ، وإن كان الأكثر على ما وصفته به ؟

(١) في البيان والتبيين ١/٦٦ وقال أبو العاصي : وأنشدني في ذلك أبو البداء الرياحي : وشعر إلخ . . . وأما قوله : "كبعر الكبش" فلما ذهب إلى أن بعر الكبش يقع متفرقاً غير مؤتلف ولا متجاور . وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساء ، ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشق على اللسان وتكده ، والأخرى تراها سهلة لينة ، ورطبة مواتية ، سلسة النظام ، خفيفة على اللسان ، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد .

(٢) البيت نخلف الأحمر . قال الجاحظ في البيان والتبيين ١/٦٦ « أما قول خلف . وبعض قريض القوم أولاد علة . فإنه يقول : إذا كان الشعر مستكرها ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات . وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضياً موافقاً ، كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤفة »

(٣) الزيادة من م

قيل له : نحن نعلم أن قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ﴾ ، إلى آخر الآيات —
ليس من القليل الذى يمكن إظهار البراعة فيه ، وإيالة الفصاحة [عليه]^(١)
وذلك يجرى عندنا نجرى ما يحتاج إلى ذكره من الأسماء والألقاب ،
فلا يمكن إظهار البلاغة^(٢) فيه ، فطلبها في نحو هذا ضرب من الجهالة .
بل الذى يعتبر في نحو ذلك تنزيل الخطاب ، وظهور الحكمة في
الترتيب والمعنى ، وذلك حاصل في هذه الآية — إن تأملت .

ألا ترى أنه بدأ بذكر الأم ، لعظم حرمتها ، وإدلائها بنفسها ،
ومكان بعضيتها ، فهي أصل لكل من يُدلى بنفسه منهن ، ولأنه^(٣) ليس
في ذوات الأنساب أقرب منها .

ولما جاء إلى ذوات الأسباب ، ألحق بها^(٤) حُكْمَ الأم من الرضاع ؛
لأن اللحم ينشره اللبن بما يَغْذُوهُ ، فيتحصّل بذلك أيضاً لها حكم
البمَصِيَّةِ ، فنشر^(٥) الحرمة بهذا المعنى ، وألحقها بالوالدة .

وذكر الأخوات من الرضاغة ، فنبّه بها على كل من يُدلى بغيرها ،
وجعلها تلوا الأم من الرضاع .

(١) الزيادة من م

(٢) م : « البراعة »

(٣) م ، ك : « لأنه »

(٤) م ، ك : « لها »

(٥) م : « فتشتر »

والكلام في إظهار حِكم هذه الآية وفوائدها يطول ، ولم نضع كتاباً لهذا ، وسيل هذا أن نذكره في كتاب "معاني القرآن" إن سهل الله لنا إلامه وجمعه .

فلم تنفك هذه الآية من الحكم التي تخلف حكمة الإعجاز في النظم والتأليف ، والفائدة التي تنوب مناب المدول عن البراعة في وجه الترتيب .

قد علم السائل أنه لم يأت بشيء ، ولم يهتد للأغراض^(١) في دلالات الكلام ، وفوائده ومتصرفاته ، وفنونه ومتوجهاته .

وقد يتفق في الشمر ذكر الأسماء فيحسن موقعه ، كقول أبي ذؤاد الأسدي^(٢) .

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثَ عُرُوشَهُمْ

بِعُتْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ^(٣)

بِأَسَدِمَ كَلْبًا عَلَى أَعْدَائِهِ

وَأَعَزَّمُ فَقْدًا عَلَى الْأَصْحَابِ^(٤)

وقد يتفق ذكر الأسماء فيفسد النظم ، وقبح الوزن .

(١) م : « للاعتراض » ، ك : « للأغراض »

(٢) في العقد الفريد ٢٤٩/٥ الشعر لربيعة الأشتر ، والد ذؤاب بن ربيعة ، قاتل عتبة بن الحارث بن شهاب

(٣) في العقد : « قد هتكت بيوتهم »

(٤) في العقد : « بأحبيهم قدأ إلى أعدائه » وأشدهم قدأ »

والآيات الأحكاميات التي لا بد فيها من أمر^(١) البلاغة، يُعتبر فيها من الألفاظ^(٢) ما يُعتبر في غيرها، وقد يمكن فيها، وكل موضع أمكن ذلك فقد وُجد في القرآن في بابه ما ليس عليه مزيد في البلاغة وعجيب النظم. ثم في جملة الآيات ما إن لم تراع البديع البليغ في الكلمات الأفراد والألفاظ الآحاد، فقد تجد ذلك مع تركيب الكلمتين والثلاث، ويطرد ذلك في الابتداء، والخروج، والقواصل، وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من الوسطة، أو باجتماع ذلك أو في بعض ذلك — ما يخلف الإبداع في أفراد الكلمات، وإن كانت الجملة والمعظم على ما سبق الوصف فيه.

وإذا عرف ما يجري إليه الكلام، وبتى إليه الخطاب، وقف عليه الأسلوب، ومختص به القليل، بأن عند أهل الصنعة تميزُ بابه، وانفرادُ سبيله، ولم يشكَّ البليغُ في اتماهه إلى الجهة التي ينتمى إليها، ولم يرتب الأديبُ البارِع في انتسابه إلى ما عرف من نهجه.

وهذا كما يعرف طريقة مترسل في رسالته، فهو لا يخفى عليه بناء قاعدته وأساسه، فكأنه يرى^(٣) أنه يعد عليه مجارى حركاته وأقسامه.

(١) م : « من ذكر »

(٢) م : « من اللفظ »

(٣) م : « يراه »

وكذلك في الشعر^(١) واختلاف ضروبه ، يعرف التحقق به طبع كل أحد ، وسبيل كل شاعر .

وفي نظم القرآن أبواب كثيرة لم نستوفها ، وتقصيها يطول ، ومجانبها لا تنقضي ، فنها الكلام [المعلق]^(٢) والإشارات .

وإذا بلغ الكلام من هذا القليل مبلغاً ربما زاد الإهمام به على الإيضاح ، أو ساوى مواقع التفسير والشرح ، مع استيفائه شروطه — كان النهاية في مثناه .

وذلك كقوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٣) . فصول هذه الآية وكللتها على ما شرحناه من قبل^(٤) البلاغة واللفظ في التقديم ، وفي تضمن هذا الأمر العظيم ، والمقام الكريم .

ويتلو هذه قوله : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ، وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٥) . هذا خروج لو كان في غير هذا الكلام لتصور في

(١) م : « في الشعر مع اختلاف »

(٢) الزيادة من م ، ومكانها بياض في ك

(٣) سورة الإسراء ١

(٤) م : « من قبيل »

(٥) سورة الإسراء ٢

صورة المتقطع ، وقد تمثل في هذا النظم لبراعته وعجيب أمره وموقع ما لا ينفك منه القول^(١) .

وقد يتبرأ الكلام المتصل بمضه من بعض ، ويظهر عليه التثبيح^(٢) والتبائن ، للخلل الواقع في النظم .

وقد تصور هذا الفصل للطفه وصلاً ، ولم يبين عليه تميز الخروج .
ثم انظر كيف أجرى هذا الخطاب إلى ذكر نوح ، وكيف أنفى عليه ؟

وكيف تليق صفته بالفاصلة ويتم النظم بها ، مع خروجها عن جرج البروز من الكلام الأول ، إلى ذكره ، وإجرائه إلى مدحه بشكره ، وكونهم من ذريته يُوجبُ عليهم أن يسيروا بسيرته ، وأن يستنوا بسنته ، في أن يشكروا كشكره ، ولا يتخذوا من دون الله وكيلًا ، وأن يمتدوا تمظيم تخليصه إياهم من الطوفان ، كما^(٣) حملهم عليه ونجّاهم فيه ، حين أهلك من عداهم به ، وقد عرفهم أنه إنما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم ، فيما سَلَطَ عليهم من قبلهم وعاقبهم ، ثم عاد عليهم بالإفضال والإحسان ، حتى يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذي ولد لهم وهم من ذريته ، فلما عادوا إلى جهالتهم ، وتمردوا في طغيانهم ، عاد عليهم بالتحذيب .

(١) م : « موقع لا ينفك »

(٢) م : « عليه القبح »

(٣) م : « بما » ، ا : « وما »

ثم ذكر الله عز وجل في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة التي كانت لهم ، بكلمات قليلة في العدد ، كثيرة الفوائد ، لا يمكن شرحها إلا بالتفصيل الكثير ، والكلام الطويل .

ثم لم يخل تضاعف الكلام مما ترى من الموعظة ، على أعجب تدريج ، وأبدع تأريخ^(١) ، بقوله : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا^(٢) 〉 .

ولم يقطع بذلك [نظام^(٣)] الكلام ، وأنت ترى الكلام يتبدد مع اتصاله ، وينتشر مع انتظامه ، فكيف بإلقاء ما ليس منه في أثنائه ، وطرح ما بعده^(٤) في أذواجه ؟

إلى أن خرج إلى قوله : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ 〉 . وَإِنْ عُدْتُمْ عِدْنَا^(٥) 〉 . يعني : إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو .

ثم خرج خروجاً آخر إلى ذكر القرآن .

وعلى هذا فقس بحثك عن^(٦) شرف الكلام ، وما له من علو الشأن ، لا يطلب مطلباً إلا افتتح ، ولا يسلك قلباً إلا انشرح ، ولا

(١) كذا في م ، ك ، وفي س : «تاريخ» . والتأريخ : التيسير ، كما في اللسان ٢٩/٣

(٢) سورة الإسراء ٧

(٣) التريادة من م . ومكانها بياض في ك

(٤) سورة الإسراء ٨

(٥) كذا في م . وفي س ، ك : «ما بعده»

(٦) م : «على»

ينهب منعياً إلا استنار وأضاء ، ولا يضرب مضرباً إلا بلغ فيه السماء ، لا تقع منه على فائدة فقد رت أنها أقصى فوائدنا إلا قصرت ، ولا تظفر بحكمة فظننت أنها زُبْدَةٌ حكما إلا وقد أخلت .

• • •

إن الذي عارض القرآن بشعر امرئ القيس لأصل من حمارٍ باهله^(١) ، وأحق من هبنقة^(٢) .

لو كان شعره كله كالآيات المختارة التي قدمناها ، لأوجب البراءة منه^(٣) قوله :

وَسِنَّ كَسْنِيَّ سَنَاءَ وَسُنْمًا ذَعَرْتُ بِمَدْلَاجِ الْمَجِيزِ نُهُوضٍ^(٤)
قال الأصمى : لا أدري ما السنُّ ، ولا السنيقُ ، ولا السَّم ؟ !
وقال بعضهم : السنيق : أكمة .

(١) كذا في م . وفي س ، ك : « من حمار أهله » . وكذلك ورد في الحيوان ٢٥٧/٢ ولست أعرف وجه الصواب فيهما .

(٢) هو ذو الودعات : يزيد بن ثروان ، أحد بني قيس بن ثعلبة .
راجع مجمع الأمثال ٢٢٧/١

(٣) كذا في م ، ك ، ولكنها غيرت في س إلى « من قوله » !

(٤) ديوانه ص ٨٢ وفي اللسان ٣١/١٢ لم يفسر أبو عمرو قول امرئ القيس . . . ويروي : سناما وسنا . وفسره غيره فقال هو : جبل . التهذيب : وسنيق : اسم أكمة معروفة وأورد بيت امرئ القيس . شعر : سنيق : جمع سنيقات وسنايق ، وهي الأكمام . وقال ابن الأعرابي : لا أدري ما سنيق . : وقال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٧٧٣/٢ « لم يعرفه الأصمى » . وقال غيره : سن : ثور ، وسنيق جبل . سناء : ارتفاعاً . وسنم : بقرة ، مدلاج : من دليج ، إذا مشى ، وليس هو من أدليج لا أدليج ، وكيف يدليج في المجير أو يدليج ؟ . وفي م : « بمدلاج المدير » . والمعير : الحمار الوحشي

وقال فيها :

له قُصْرًا عَظِيمٌ وَسَاقًا نَعَامَةً
كَفَخْلِ الْهَجَانِ الْقَيْسَرِيِّ الْمَضُوضِ^(١)

وقوله :

عَصَافِيرُ وَذِبَابٌ وَدُودٌ وَأَجْرٌ مِنْ مُجْلَحَةِ الذَّبَابِ^(٢)
وزاد في تبيح ذلك وقوعه في آيات فيها :

قَدْ طَوَّفْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ
وَكُلُّ مَكَامٍ الْأَخْلَاقِ صَارَتْ إِلَيْهِ هِمَّتِي وَبِهَا اكْتِسَابِي^(٣)

وكقوله في قصيدة قالها في نهاية السقوط :

أُزْمَانٌ فَوْهَا كُلاًمَا نَبَهْتَهَا كَالْمَسْكِ فَاحَ وَظِلٌ فِي الْقَدَامِ^(٤)
أَفْلا تَرَى أَظْلَمَانَهُنَّ بَوَاكِراً كَالنَّخْلِ مِنْ شَوْكَانَ حِينَ صِرَامِ^(٥)

(١) قبل هذا البيت في الديوان :

وقد أَعْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكَاثِنَا بِمَنْجَرٍ عَيْلِ الْيَدَيْنِ قَيْسُضٍ
وَالْقَصْرَى ، وَالْقَصْبِرَى : الضِّلَعُ الَّتِي تَلِي الشَّكْلَةَ بَيْنَ الْجَنْبِ وَالْبَطْنِ .
وَفِي س ، ك : « الْهَجَانِ الْقَيْسَرِيِّ »

(٢) كذا في م والديوان ص ٢٨ ، وفي ك : « مِنْ مَجْلَحَةِ الذَّبَابِ »
ولكن الكلمة الأخيرة غيرت في س إلى « الذَّبَابِ » ! ! وفي اللسان ٢٤٩/٣
« وَذُبَّ مَجْلَحٌ : جَرَى وَالْأُنْثَى بَهَاءً ، قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ . . . »

(٣) س ، ك : « سَارَتْ إِلَيْهِ هِمَّتِي وَبِهَا اكْتِسَابِي » . وفي الديوان « وَبِهِ
اِكْتِسَابِي »

(٤) في الديوان ص ١٣٦ « وَظِلٌ فِيهِ الْقَدَامِ »

(٥) في الديوان « أَوْ مَا تَرَى » ، وفي م ، ا « أَظْلَمَانِهِنَّ بِعَاقِلِ » . وَالصِّرَامُ :
« قَطْعُ الثَّمَرَةِ وَاجْتِنَاؤُهَا مِنَ النَّخْلَةِ » كما في اللسان ٢٢٨/١٥

وَكَاَنَ شَارِبَهَا أَصَابَ لِسَانَهُ مُومٌ يُخَالِطُ جِسْمَهُ بِسَقَامٍ^(١)
وكقوله:

لَمْ يَفْعَلُوا فِصْلَ آلٍ حَنْظَلَةٍ إِيَّاهُمْ جَعَزَ بِشَمَا اثْمَرُوا^(٢)
لَا خَيْرِي وَفِي وَلَا عُدْسٍ وَلَا أَسْتُ عَيْرٍ يَحْكُمُهَا الثَّغَرُ^(٣)
إِنْ بَنَى عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسْبًا ضَيْعَةُ الدُّخْلُونِ^(٤) إِذْ عَدَرُوا

(١) الموم : المرض . وفى م « يخالط خيله » وهى رواية أخرى . وبين
هذا البيت وسابقه هنا ثلاثة أبيات فى الديوان

(٢) بنو حنظلة ، هم الذين غدلوا شرحبيل عم امرئ القيس . وجير
معناها : حقاً كما فى اللسان ٢٢٨ / ٥ وفى م « إِيَّاهُمْ خَيْرٌ »

(٣) حميرى وعدس : رجلان من بنى حنظلة تولوا الغدر بعمه شرحبيل .
والثغر : السير الذى فى مؤخر السرج ويجعل تحت ذنب الدابة ، كما فى
اللسان ١٧٣ / ٥

(٤) هذا البيت الذى أخره المؤلف عن موضعه ، هو أول الأبيات
التي مدح بها الشاعر عوير بن شجنة العوفى ، وبعده فى الديوان ص ٦٤ :

أَدَا إِلَى جَارِهِمْ خَضَارَتَهُ وَلَمْ يَضْعُ بِالْمَغِيبِ إِذْ نَصَرُوا
وبنو عوف : هم قبيلة عوير ، الذى أجار هند بنت حجر ، أخت
امرئ القيس ، ثم ردها سالمة مع ما أودعه من مال . وفى م ، س « ضيعة
الداخلون » والداخلون هنا : الخاصة ، وهذه الكلمة من الأضداد ، قال
أبو عبيدة : يقال للصديق والخليل دخل ، ويقال للحشومين يدخل نفسه
فى قوم ليس منهم : دخل ، قال امرؤ القيس ... ويقال : فلان
دخل فلان : أى من خاصته ، ويقال : بينهم دخل ودخل ، أى إخوان
ومودة ، وهو مأخوذ فى هذا المعنى من الدخيل والمداخل ، راجع الأضداد
لابن الأنبارى ص ٢٠٤

وكقوله :

أبلغ شهاباً [بل] وأبلغ عاصماً [ومالكا] هل أذاك الخبر مألٍ^(١)
أنا تركنا منكم كلى بخونعى وسُيياً كالسعالى^(٢)
يمشين بين رحالنا متفرقاتٍ يجمع وهزال

...

ولم يقع مثل ذلك له وحده ، فقد قال الأعشى :

فأدخلك الله بردَ الجنَا نِ جَدْلَانِ فى مَدخلٍ طيبٍ^(٣)
وقال أيضاً :

فرميتُ غفلةً عنه عن شاتهٍ فأصبتُ حبةً قلبها وطحالمها^(٤)
وقال فى فرسه :

ويأمرُ لليحمومِ كلَّ عشيّةٍ بقتٍ وتعليقٍ فقد كاد يسنقُ^(٥)

(١) الزيادة من ديوانه المخطوط ، رواية الطوسى . والخبر : العلم ،

ومال : مرخم مالک

(٢) خوعى : اسم موضع . وسبى : جمع سبى . والسعالى : الغيلان

ومعنى متفرقات : مصطبرات ، والعارف : الصابر

(٣) ديوانه ص ٢٨

(٤) ديوانه ص ٢٩ والموشع ص ٥٣

(٥) اليحموم : القرس ، وفى اللسان ٣١/١٢ : السنق : البشم ...

سنق الحمار وكل دابة سنقاً : إذا أكل من الرطب حتى أصابه كالبشم ، والقميل

إذا أكثر من اللبن يكاد يمرض ؛ قال الأعشى ...

وقال :

شَاوٍ مِثْلُ شُلُولٍ شَلْشُلٍ شَوْلٍ^(١)

وهذه الألفاظ فى معنى واحد .

وقد وقع لزهير نحوه كقوله :

فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالنَّازِلِ مِنْ مِثْنَى وَمَا سُحِفَتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمَلُ^(٢)

كيف يقول^(٣) هذا فى قصيدة يقول فيها :

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطَى إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُفْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ^(٤)

(١) فى اللسان ٣٨٥/١٣ « ورجل مثل شلول، وشلل ، وشُلُلٌ » :

خفيف سريع قال الأعشى :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى شاوٍ مثل شلولٍ شلشُلٍ شولٍ

وقال أبو بكر فى بيت الأعشى : الشاوى : الذى شوى ، والشلول : الخفيف ، والمثل : المطرد ، والشلل : الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة، أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة « وانظر المعانى الكبير لابن قتيبة ٣٧٩/١

(٢) كذا فى ديوانه ص ٩٩ . وفى م ، لك ، س : « وما سفحت . س ، لك : « المقادىم » . وقال ثعلب فى شرحه : « سفحت : حطقت . والمنازل : حيث يتزل الناس من مثنى . والمقادىم : مقادىم الرعوس ، والقمل : يريد الشعر الذى فيه القمل ، كما قال عز وجل (وأسأل القرية) »

(٣) س ، لك : « يقال »

(٤) ديوانه ص ١١٥ وقال ثعلب فى شرحه : « الخطى : الرماح ، نسبها إلى الخط ، وهى جزيرة ترمى إليها سفن الرماح . يقول : لا تنبت القناة إلا القناة . والشيج : القنا ، واحدها وشيجة ، والشوج : دخول الشيء بعضه فى بعض . يعنى أنهم كرام ولا يولد الكرام إلا فى موضع كريم »

وكقول الطرمّاح :

سَوْفَ تُذْنِكَ مِنْ لَيْسَ سَبْتًا ؕ أَمَارَتِ بِالْبَوْلِ مَاءَ الْكَرَاضِ^(١)
السَّبْتَاءُ : الناقة الصلبة . وَالْكَرَاضُ : ماء الفحل ، أسالت ماء
الفحل مع البول ، فلم تعقد عليه ، ولم تحمل ، فتضعف . والمائر : السائل .

• • •

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : أَجْدُكَ تَحَامَلْتَ عَلَى أَمْرِ الْقَيْسِ ، وَرَأَيْتَ أَنْ
شَرَهُ يَتَفَاوَتَ بَيْنَ اللَّيْنِ وَالشَّرَاسَةِ ، وَبَيْنَ اللَّطْفِ وَالشَّكْسَةِ ، وَبَيْنَ
التَّوَحُّشِ وَالْإِسْتِنَاسِ ، وَالتَّقَارُبِ وَالتَّبَاعَدِ ، وَرَأَيْتَ الْكَلَامَ الْأَعْدَلَ
أَفْضَلَ ، وَالنِّظَامَ الْمُسْتَوْتِقَ^(٢) أَكْمَلَ ، وَأَنْتَ تَجِدُ الْبُحْثَرِيَّ يَسْبِقُ^(٣)
فِي هَذَا الْمِيدَانِ ، وَهَوَتْ النِّغَاةُ فِي هَذَا الشَّانِ ، وَأَنْتَ تَرَى^(٤) الْكِتَابَ
يُفَضِّلُونَ كَلَامَهُ عَلَى كُلِّ كَلَامٍ ، وَيَقْدُمُونَ رَأْيَهُ فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى كُلِّ
رَأْيٍ ، وَكَذَلِكَ تَجِدُ^(٥) لِأَبِي نُوَّاسٍ مِنْ بَهْجَةِ اللَّفْظِ ، وَدَقِيقِ الْمَعْنَى

(١) فِي اللِّسَانِ ٩ / ٩٣ « قَالَ ابْنُ بَرِي : الْكَرَاضُ فِي شَعْرِ الطَّرْمَاحِ :
مَاءُ الْفَحْلِ ، فَيَكُونُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ ...
وَصَفَّ هَذِهِ النَّاَقَةُ بِالْقُوَّةِ ، لِأَنَّهَا إِذَا لَمْ تَحْمَلْ كَانَ أَقْوَى لَهَا ... وَقَالَ ابْنُ
الْأَعْرَابِيِّ : الْكَرَاضُ : مَاءُ الْفَحْلِ فِي رَحِمِ النَّاَقَةِ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : الْكَرَاضُ
مَاءُ الْفَحْلِ تَلْفِظُهُ النَّاَقَةُ مِنْ رَحِمِهَا بَعْدَ مَا قَبِلَتْهُ ، وَقَدْ كَرَضَتْ النَّاَقَةُ إِذَا لَفِظَتْهُ »
وَانْظُرْ هُنَاكَ تَفْصِيلَ اخْتِلَافٍ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ . وَالْكَامِلُ لِلْمَبْرَدِ ٩٧ / ١

(٢) لَكِ : « الْمُسْتَوْتِقُ »

(٣) م : « سَبَقَ فِي هَذَا الْمِيدَانِ يَعْوَبُ »

(٤) م : « سَبَقَ »

(٥) سَقَطَتْ مِنْ م

ما يتحير فيه أهل الفضل^(١) ، وقدمه الشطّار والظرفاء على كل شاعر ، ويرون لنظمه روعة لا يرون لنظم غيره ، وزبرجاً لا يتفق لسواه ؛ فكيف يعرف فضل ما سواه عليه ؟

فالجواب : أن الكلام في أن الشعر لا يجوز أن^(٢) يوازن به القرآن قد تقدم .

وإذ كنا قد بينا أن شعر امرئ القيس — وهو كبيرم الذي يُقروَن بتقدمه ، وشيخهم الذي يعترفون بفضله ، وقائدهم الذي يأتون به^(٣) ، وإمامهم الذي يرجعون إليه — كيف سبيله ، وكيف^(٤) طريق [سقوط]^(٥) منزلته عن منزلة نظم القرآن ، وأنه لا يلحظ بشعره غبار ذلك النظم ، وهو إذا لحظ ذلك كان كما قال^(٦) :

فأصبحتُ من ليلي الغداة كَنَاطِرٍ
مع الصُّبْحِ في أعجازِ نَجْمٍ مُرَبِّ^(٨)

(١) كذا في ١ ، م . وفي س ، ك : « أهل اللفظ »

(٢) م : « الشعر لا يوازن به »

(٣) م : « يعترفون بفضله ، وإمامهم »

(٤) م : « طريقة »

(٥) الزيادة من م

(٦) كذا في ١ ، م . وفي س ، ك : « لا يلحظ بشعره »

(٧) نسبة في اللسان ١٢٩ / ٢ لقيس بن الملوّح ، ثم قال : وقد نسب

المبرد هذا البيت إلى « أبي حية النخري » لكنه في الكامل ١٧٢ / ١ لقيس

(٨) في اللسان « في أعقاب نجم » . والمغرب : الذي يأخذ في ناحية

وكما قال أيضاً :

رَاحَتْ مُشْرِقَةً وَرُخْتُ مُغْرَبًا فَتَى التَّغَاهِ مُشْرِقٍ وَمُغْرَبٍ
وإذا كنا قد أبنّا في القاعدة ما علمت ، وفصلنا لك في شعره
ما عرفت ، لم نحتاج إلى أن نتكلم على شعر [كل] ^(١) شاعر ، وكلام
بليغ ، والقليل يدل على الكثير .

وقد يتنا — في الجلة — مُبَايَنَة أسلوب نظم القرآن جميع
الأساليب ، ومزته عليها في النظم والترتيب ، وتقدمه عليها في ^(٢) كل
حكمة وبراعة ، ثم تكلمنا على التفصيل — على ما شاهدت ^(٣) — فلا
يبقى علينا بعد ذلك سؤال .

ثم نقول : أنت تعلم أن من يقول بتقدم البُخْتَرِيِّ في الصنعة ، به
من الشغل في تفضيله على ابن الرومي أو تسوية ما بينهما ما لا يطمع
معه في تقديمه على امرئ القيس ومن في طبقته .

كذلك أبو نواس ، إنما يُعَدَّلُ شعره بشعر أشكاله ، وقابل كلامه
بكلام أضرابه من أهل عصره ، وإنما يقع بينهم التباين اليسير ،
والتفاوت القليل .

فأما أن يَطْنَ ظانٌّ ، أو يتوم متوم ، أن جنس الشعر مُعَارِضٌ

(١) الزيادة من م

(٢) م : « وزيته عليها في كل حكمة »

(٣) كذا في م ، ك ، وفي س : « التفصيل على ما شهدت ولا »

لنظم^(١) القرآن ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ
الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ^(٢)﴾ .

وإنما هي خواطر يُغِيرُ بعضها على بعض ، وقتدى فيها بعض
يمض . والفرض الذي يرى إليه ، ويصح^(٣) التَّوَاتُي عليه ، في الجملة ،
فهو قَبِيلٌ متداول ، وجنس مُتَنَازِع ، وشريعة مَوْزُودَةٌ ، وطريقة
مسلوكة .

ألا ترى إلى ما روى عن الحسين بن الضحَّاك ؛ قال : أنشدت
لِأَبِي نُؤَاسٍ قصيدتي التي فيها :

وَشَاطِرِي اللِّسَانِ مُتَقَلِّقِ التَّكْرِيهِ شَابَ الْمُجُونَ بِالنَّسْكِ^(٤)
كَأَنَّهُ - نَصَبَ كَأْسِهِ - قَرُّ يَكْرَعُ فِي بَعْضِ أَنْجَمِ الْفَلَكَ^(٥)
قال : فأنشدني أَبُو نُؤَاسٍ بِمَدَائِمِ قَصِيدَتِهِ التي يقول فيها :

(١) م : « يعارض بنظم »

(٢) سورة الحج ٢١

(٣) م : « ترى إليه يصح »

(٤) كذا في ١ ، م والأغاني ٦ / ١٧٥ . وفي م ، ك : « زان المجنون »

(٥) م : « كأنما » وقد ورد هذا البيت في الأغاني بروايتين : الأولى :

وتخالها نصب كأسه قمرًا يكرع في بعض أنجم الفلك
والثانية :

كأنما نصب كأسه قمر حاسده ببعض أنجم الفلك

وفي العمدة بعد ذلك : « ففر فترة منكرة ، قلت : مالك فقد أفرغني ؟

قال : هذا معنى مليح ، وأنا أحق به ، وسترى لمن يروى . . . إلخ

أُطْلِلَ أُعْتَبْتُ الْإِمَامَ وَأُعْتَبَا
 وَأَعْرَبْتُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ وَأَعْرَبَا^(١)
 وَقُلْتُ لِسَاقِيهَا : أَجِزْهَا فَلَمْ أَكُنْ
 لِأَبِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشْرَبَا^(٢)
 فُجُوزَهَا عَنِّي عُقَارًا تَرَى لَهَا
 إِلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى شُعَاعًا مُطْنَبَا
 إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خِلْتَهُ
 يُهْبِلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا

قال : قُتِلَتْ لَهُ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، هَذِهِ مُصَالَتُهُ^(٣) . فقال : أَتُظَنُّ أَنَّهُ
 يُرَوَّى^(٤) لَكَ مَعْنَى وَأَنَا حَيٌّ ؟

فَتَأْمَلُ هَذَا الْأَخْذَ ، وَهَذَا الْوَضْعَ ، وَهَذَا الْإِتِّبَاعَ^(٥) .
 أَمَّا الْخَلِيعُ فَقَدْ رَأَى الْإِبْدَاعَ فِي الْمَعْنَى ، فَأَمَّا الْعِبَارَاتُ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ
 عَلَى مَا ظَنَّهُ ؛ لِأَن قَوْلَهُ : « يَكْرَعُ » لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، وَفِيهِ ثَقُلَ يَتَنَ

(١) دِيوَانُهُ ص ٢٤٤ وَالْإِمَامُ : يَقْصِدُ بِهِ الْأَمِينَ

(٢) ك : « لِسَاقِيْنَا »

(٣) كَلْنَا فِي م ، ك وَفِي الْأَغَاثِيِّ « مُصَالِيهِ »

(٤) س : « يَرَى »

(٥) فِي الْأَغَاثِيِّ عَنْ ابْنِ مَهْرُوبٍ « قَالَ : لَمَّا أَنْشَدْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِ
 قَوْلَ حُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ . . . قَالَ لِي : إِنَّ الْحُسَيْنَ كَانَ يُزْعَمُ أَنَّ أَبَا نَوَاسٍ
 سَرَقَ مِنْهُ هَذَا الْمَعْنَى ، فَإِنَّ كَانَ سَرَقَهُ مِنْهُ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ ، لِأَنَّهُ قَدْ بَرَزَ عَلَيْهِ ،
 وَإِنْ كَانَ حُسَيْنٌ سَرَقَهُ مِنْهُ فَقَدْ قَصَرَ عَنْهُ »

وتفاوت ، وفيه إحالة ، لأن القمر لا يصبح تَصَوُّراً^(١) أن يكرم في نجم .

وأما قول أبي نواس : « إنا عبّ فيها » ، فكلمة قد قصد فيها المتانة ، وكان سبيله أن يختار سواها من ألفاظ الشرب^(٢) ، ولو فعل ذلك كان أملح .

وقوله : « شاربُ القوم » ، فيه ضرب من التكلف الذي لا بد له منه أو من مثله ، لإقامة الوزن .

ثم قوله : « خِلْتَهُ يُقَبَّلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبًا » ، تشبيه بحالة واحدة من أحواله ، وهي أن يشرب حيث لا ضوء هناك ، وإعنا يتناوله ليلاً ، فليس بتشبيه مُستوفٍ ، على ما فيه من الوقوع والملاحاة [والصنعة]^(٣) .

وقد قال ابن الرومي ما هو أوقع منه وأملح وأبدع :
 وَهَفَفَ تَمَّتْ عَاسِنُهُ حَتَّى تَجَاوَزَ مِئَةَ النَّفْسِ^(٤)
 تَصَبُّو الْكُتُوسُ إِلَى مَرَاشِفِهِ وَتَحْنُ فِي يَدِهِ إِلَى الْجَنَسِ
 أَبْصَرْتُهُ وَالكَاسُ بَيْنَ فَمِهِ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْامِلِ خَمْسِ
 وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَرُّ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ^(٥)

(١) م : « يصبح أن يتصور » . س : « لا يصبح تصور »

(٢) م : « الشراب »

(٣) الزيادة من م

(٤) ديوانه ص ٢٤٤ والعمدة ١٧٣/٢

(٥) م : « فكأنها »

ولا شك في أن تشبيه ابن الرومي أحسن وأعجب^(١)، إلا أنه [لم] يتمكن من إirاده [إلا] في^(٢) بيتين، وهما — مع سبقهما إلى المعنى — آتيًا به في بيت واحد.

...

وإنما أردت بهذا أن أعرفك أن هذه أمور متقاربة^(٣)، يقع فيها التنافس والتعارض، والأطماع تتعلق^(٤) بها، والمهم تسمو إليها، وهي ألف طباعنا، وطوع مداركنا، ومجانس^(٥) لكلامنا. وإعجاب قوم بنحو هذا وما يجري مجراه، وإيثار أقوام لشعر البحتري على أبي تمام وعبد الصمد وابن الرومي، وتقديم قوم كل هؤلاء أو بعضهم عليه، وذهاب قوم عن المعرفة — ليس بأمر يضر بنا، ولا سبب^(٦) يعترض على أفهامنا.

...

ونحن نعمد إلى بعض قصائد البحتري فتكلم عليها^(٧)، كما تكلمنا على قصيدة امرئ القيس، ليزداد الناظر في كتابنا بصيرة، ويستخلص

(١) وفي العمد ١٧٣/٢: «وقد أرى ابن الرومي عليهما جميعاً بقوله: أبصرته... وكأنها... ولكن بيت أبي نواس أملأ للفم والسمع، وأعظم هية في النفس والصدر، ولذلك كان أسير»

(٢) م: ك: «إلا أنه يتمكن من إirاده في بيتين»

(٣) م: «هذه الأمور المتقاربة»

(٤) م: «معلقة»

(٥) م: «وهي ألف طباعها، وطوع مداركها، ومجانس لكلامنا»

(٦) م: «يضرنا، ولا بسبب»

(٧) م: «عليه»

من سرِّ المعرفة سرِّيرةً ، ولعلم كيف تكون الموازنة ، وكيف تقع
المشابهة والمقاربة .

ونجمل تلك القصيدة التي نذكرها أجود شعره .

سمعت الصَّاحِبَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ يَقُولُ : سمعت أبا الفضل بن
العميد يقول : سمعت أبا مسلم الرُّسْتُمِيَّ يَقُولُ : سمعت البحترى
يذكر^(١) أن أجود شعره قاله :

• أَهْلًا بِذَلِكَ الْخِيَالِ الْمَقْبِلِ •

قال : وسمعت أبا الفضل بن العميد يقول : أجود شعره هو قوله :

• فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ^(٢) •

قال : وسئلت عن ذلك ؟ فقلت : البحترى أعرف بشعر نفسه

من غيره .

فنحن الآن نقول في هذه القصيدة ما يصلح في مثل هذا :

(١) م : « يقول إن »

(٢) في س وضع قوله : « زجر له لو كان يتزجر » في سطر وحده ،
على أنه شطربيت ! وقد جاء في ديوانه ٦٧٣/٢ وقال يمدح على بن مر
الأرنبى :

في الشيب زجر له لو كان يتزجرُ وبالغ منه لولا أنه حجر

وهي قصيدة جميلة ، عدد أبياتها ٤١ بيتاً . ومنها البتيان المشهوران :

إذا محاسن اللآلئ أدل بها كانت ذنوبي قتل كيف اعتلر

على نحت القوافي من مقاطعها وما على لم أن تفهم البقر

قوله^(١) :

أَهْلًا بِذَلِكَ الْخَيَالِ الْمُقْبِلِ
فَلَّ النَّيْ نَهْوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلِ
بَرَقُ سَرَى فِي بَطْنٍ وَجَرَّةً فَاهْتَدَتْ

بِسَنَاءِ أَغْنَأُ الرِّكَّابِ الضَّلَّ^(٢)

البيت الأول، في قوله: «ذلك الخيال»، قتل روح، وتطويل وحشو، وغيره أصلح له^(٣). وأخف منه قول الصنوبري:

أَهْلًا بِذَلِكَ الزَّوْرِ مِنَ زَوْرِ شَمْسٍ بَدَتْ فِي فَلَكَ التَّوْرِ
وعذوبة الشعر تنهب بزيادة حرف أو قصصان حرف، فيصير إلى
الكَرَازَةِ، وتعود ملاحته بذلك مُلَوَّحَةٌ، وفصاحته عِيًّا، وبراعته
تَكَلْفًا، وسلاسته تَعْسَفًا، وملاسته تَلَوِيًّا وتَعْقِدًا، فهذا فصل.

وفيه شيء آخر، وهو: أن هذا الخطاب إنما يستقيم مهما خوطب
به الخيال حال إقباله، فأما أن يحكى الحال التي كانت وسلفت على هذه
الميادة فقيه عَهْدَةً، وفي تركيب الكلام عن هذا المعنى عَهْدَةٌ^(٤)، وهو

(١) مدح البحرى بهذه القصيدة محمد بن علي بن عيسى القمي،
الكاظم، وهي في ديوانه ٧٣٠/٢ - ٧٣٤ (طبع بيروت سنة ١٩١١ م)

(٢) م: «فاهتدت بسراه»

(٣) م: ١، «أملح له»

(٤) كذا في ك. وفي م: «على هذه العبارة فقيه عهدته، ومن ركب
الكلام غير هذا المعنى عقده»

— لبراعته وحذقه في هذه الصنعة — يَتَلَقَّ^(١) نحوَ هذا الكلام ، ولا ينظر في عواقبه ، لأن ملاحظة قوله تغطي على عيون الناظرين فيه نحوَ هذه الأمور .

ثم قوله : « فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَل » ، ليست بكلمة رشيقة ، ولا لفظة ظرفية ، وإن كانت كسائر الكلام .

فأما بيته الثاني ، فهو عظيم الموقع في البهجة ، وبديع المأخذ^(٢) ، حسن الرؤاء ، أنيقُ المنظر والسمع ، يعلأ القلب والفهم ، وفرح الخاطر ، وتسرى^(٣) بشاشته في العروق .

وكان البُخْرِيُّ يسمي نحو هذه الآيات : « عُرُوقَ التَّهْبِ » ، وفي نحو ما يدل على براعته في الصناعة ، وحذقه^(٤) في البلاغة .

ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل ، مع الديباجة الحسنة والرواق المليح .

وذلك : أنه جعل الخيال كالبرق لإشراقه في مسراه ، كما يقال : إنه يسرى^(٥) كنسيم الصبأ ، فيطيب ما مرَّ به ، كذلك يضيء ما مرَّ حوله ، وينور ما مرَّ به . وهذا غلو في الصنعة ، إلا أن ذكره « بطن

(١) ك : « تعلق » . م : « يعلم بنحو »

(٢) م ، ا : « وبديع الماء »

(٣) كذا في ك ، م ، ا . وفي م : « وترى »

(٤) م : « وفي نحو ما يدل على البراعة في الصناعة ، وحذق » . ك :

« وفي نحو من الخلل مع الديباجة الحسنة »

(٥) م : « يقال سرى كنسيم »

وجرة، حشو، وفي ذكره خلل؛ لأن النور القليل يؤثر في بطلون الأرض وما اطمان منها، بخلاف ما يؤثر في غيرها، فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك بطن وجرة.

وتحديده المكان — على الحشو — أحمد من تحديد امرئ القيس من ذكر سقط اللوى بين الدخول غومل، فتوضح فالمقراة، لم يمنع بذكر حد، حتى حده بأربعة حدود، كأنه يريد بيع المنزل فيخشي — إن أخل بحد — أن يكون يمه فاسداً أو شرطه باطلاً !! فهذا باب. ثم إنما يذكر^(١) الخيال بخفاء الأثر، ودقة المطلب، ولطف المسلك. وهذا الذي ذكر يضاد هذا الوجه، ويخالف ما وضع^(٢) عليه أصل الباب.

ولا يجوز أن يقدّر مقدّر أن البحرى قطع الكلام الأول، وابتدأ بذكر برق لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة؛ لأن هذا القطع إن كان فعلة كان خارجاً به عن النظم المحمود، ولم يكن مبدعاً، ثم كان^(٣) لا تكون فيه فائدة؛ لأن كل برق شمل^(٤) وتكرر^(٥) وقع الاهتداء به في الظلام، وكان^(٦) لا يكون بما نظمه مفيداً ولا متقدماً.

(١) م : « ثم إنما تذكر »

(٢) م ، ك : « ما يوضع »

(٣) ا : « ثم كان لا يكون بما نظمه مفيداً . . . »

(٤) م : « شمل »

(٥) ب : « وتكرر »

(٦) م : « فكان »

وهو على ما كان من مقصده فهو ذو لفظ محمود، ومعنى مُسْتَجَلَبٌ^(١) غير مقصود، ولعلم بثله أنه طلب العبارات، وتعليق القول بالإشارات. وهذا من الشعر الحسن^(٢)، الذي يحلو لفظه، وتقل فوائده، كقول القائل^(٣):

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ
وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارَى رِحَالُنَا
وَلَا يَنْتَظِرُ النَّادِي الَّذِي هُوَ رَاحِمٌ^(٤)

(١) كذا في م، ١، وفي س: «مستحب». ك: «مستلجب»

(٢) كذا في م، أ وفي س، ك: «من الشعر الجنبس الذي»

(٣) هو كثير كما في ديوانه ص ٧٩ وزهر الآداب ٦٦/٢ وقد ورد في أمالي الشريف المرتضى ١١٠/٢ «أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال: أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال: أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب، عن ابن الأعرابي للمضرب، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمة: ... فلما قضينا من منى ...» وانظر معاهد التنصيص ١٣٤/٢ وقد ورد هذا الشعر غير منسوب في نقد الشعر ص ١٠ والخصائص ص ٢٦، ٢٢٥ ونوادر القتالي ص ١٦٦ والصناعتين ص ٤٢ ومصارع العشاق ص ٣٦٩ وأسرار البلاغة ص ١٦-١٨ والشعر والشعراء ١١/١ ومعجم البلدان ١٥٩/٨ ونظام الغريب ص ١٣٦

(٤) في م: «فلا ينظر». وفي نقد الشعر وأسرار البلاغة «على دم المهاري ... ولم ينظر» وفي اللسان ٩٩/٥ «فرس أدهم: أسود، والعرب تقول: ملوك الخليل دهمها»

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَتَنَنَّا

وَسَأَلَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحِ^(١)

هذه ألفاظ بديعة^(٢) المطالع والمقاطع ، حلوة المجاني^(٣) والمواقع ، قليلة المعاني والفوائد^(٤) .

• • •

فأما قول البحترى بعد ذلك :

مِنْ غَادَةٍ مُنِمَّتْ وَتَمَنَعُ نَيْلَهَا فَلَوْ أَنَّهَا مُبَذَلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلْ
كَالْبَذْرِ غَيْرَ مُخْبِلٍ ، وَالْمُضْنِ غَيْرَ مُمِيلٍ ، وَالذَّعْصِ غَيْرَ مُهْمِلٍ^(٥)
فأليت الأول — على ما تكلف فيه من المطابقة ، وَتَجَشَّمِ الصَّنْعَةَ —
ألفاظه أوفر من معانيه ، وكلأته أكثر من فوائده ، وتعلم أن القصد

(١) قال القائل في النوادر ص ١٦٦ : « أطراف الأحاديث : ما يستطرف

منها ويؤثر »

(٢) س ، ك : « بعيدة »

(٣) م : « المجارى »

(٤) قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ١١ « وضرب منه حسن لفظه

وحلا ، فإذا أنت فقتشه لم تجد هناك فائدة في المعنى ، كقول القائل : ولا قضينا
إلخ . . . هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخرج ومطالع ومقاطع ، وإن
نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولا قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان ،
وعالينا إيلنا الأنصاء ؛ ومضى الناس لا ينتظر القادى الرائح ، ابتدأنا في الحديث ،
وسارت المطى في الأبطح »

(٥) غير مخيل : غير محبوب بغير - وفي س ، ك : « غير مخيل » والتصحيح

من الديوان . والدعص : الكتيب من الرمل

وضَعُ العبارات في مثله ! ولو قال : هي ممنوعة مانعة ، كان ينوب عن تطويله ، وتكثيره الكلام وتهويله . ثم هو معنى متداول مكرَّر على كل لسان .

وأما البيت الثاني ، فأنت تعلم أن التشبيه باليد والعص والنعص ، أمرٌ منقول متداول ^(١) ، ولا فضيلة في التشبيه بنحو ^(٢) ذلك . وإنما يبق تشبيهه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في البيت ، وهذا أيضاً قريب ؛ لأن المعنى مكرَّر .

ويبقى له بعد ذلك شيء آخر ، وهو تمثله للترصيع في البيت كله ، إلا أن هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف ؛ لأن التشبيه بالعص كاف ، فإذا زاد فقال : كالعص غير مُعَوِّج ، كان ذلك من باب التكلف خلا ، وكان ذلك زيادةً يُستغنى عنها .

وكذلك قوله : « كالنعص غير مُهَيَّل » ؛ لأنه إذا انهدل خرج عن أن يكون مطلق التشبيه مصروفًا إليه ، فلا يكون لتقييده معنى .

• • •

وأما قوله :

ما الحُسْنُ عندكِ يا سَعَادُ بِحُسْنٍ فيما أَنَاهُ ولا الجَمالُ بِمُحْيِلٍ ^(٣)

(١) في م : « متداول بين ضعفاء الشعراء »

(٢) م : « بمثل »

(٣) في ديوانه « عندك يا إمام بحسن »

عُنْدَ الشُّوقِ وَإِنْ مِنْ سِياهُوَ فِي حَيْثُ يَجْهَلُ لَجَاجِ الثُّدْلِ^(١)
قوله في البيت الأول : « عُنْدَكَ » ، حشو ، وليس بواقع
ولا بديع ، وفيه كُلفة .

والمعنى الذى قصده ، أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء .
وفيه شيء آخر ، لأنه يذكر أن حسنهما لم يُحْسِنِ في تهيج وجهه
وتَهَيُّمِ قلبه ، وضدُّ هذا المعنى هو الذى يميل إليه أهل الهوى والحب .
وَيَتَّ كُشَاجِمِ^(٢) أسلم من هذا ، وأبعد من الخلل ، وهو قوله :
بِحياة حُسْنِكَ أَحْسَنِ ، وبحقٍّ مَنْ

جَعَلَ الْجَمَالَ عَلَيْكَ وَقَفًّا أَجْمَلِ

وأما البيت الثانى فَإِنَّ قوله : « فى حيث » ، حشا بقوله فى كلامه ،
ووقع ذلك مستنكراً وحشياً ، نافرأ عن طبعه ، جافياً فى وضعه ، فهو
كرقة من جلد فى ديباج حسن فهو يحو حسنه ، ويأتى على جماله .
ثم فى المعنى شيء ، لأن لَجَاجِ الثُّدْلِ لا يدل على هوى مجهول ،
ولو كان مجهولاً لم يهتدوا للثدل عليه . فلم أن المقصده استجلابُ المبارات
دون الماعى .

(١) فى ديوانه « وإن من شيم الهوى » ، س ، ك « تجهله »

(٢) لقب الشاعر محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك ، طباح
سيف الدولة . وهو الذى لقب نفسه بهذا اللقب ، فستل عن ذلك فقال :
الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من جواد ،
والميم من منجم

(٣) فى ديوانه ١٤٣ « حسنك أقصرى »

عم لو سلم من هذا الخلل لم يكن في البيت معنى بديع ، ولا شيء
 يثبت قول الشعراء في العذل ، فإن ذلك جملهم الدلول ، وقولهم
 المكرر [المقول^(١)] .

...

وأما قوله :

ماذا عليك من انتظارٍ مُتِمِّمٍ
 بل ما يضرُّكَ وقعةٌ في منزلٍ
 إن سِيلَ عَيَّ عن الجواب فلم يُطَقْ
 رَجْمًا ، فكيف يكون إن لم يُسألِ

لست أنكر حسن البيتين وظرفهما ، ورشاقتهما ولطفهما ، وما هما
 وبهجهما ، إلا أن البيت الأول منقطع عن الكلام المتقدم ضرباً من
 الاقطاع ؛ لأنه لم يجر لمشاهدة العاذل ذكرٌ ، وإنما جرى ذكر العذل
 على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلاعه^(٢) .

ثم الذي ذكره من الانتظار — وإن كان مليحاً في اللفظ — فهو
 في المعنى متكلف ؛ لأن الواقف في الدار لا ينتظر أمراً ، وإنما يقف
 تحسراً وتلذذاً^(٣) وتحيراً .

(١) الزيادة من ا ، ب ، م

(٢) م : « ولا يلام »

(٣) م : « وتلذلا » . وفي اللسان ٣٩٥/٤ « وتلذد : تلفت يمينا وشمالا

وتحير متبلياً »

والشطر الأخير من البيت واقع ، والأول مُسْتَجَلَبٌ ؛ وفيه تعليق على أمر لم يَحْرِهْ ذكر ؛ لأن وضع البيت يقتضى تَقَدُّمَ عَدْلٍ على الوقوف ، ولم يحصل ذلك مذكوراً في شعره من قبل .

وأما البيت الثانى ، فإنه معلق بالأول ، لا يستقل إلا به ؛ وهم يعميرون وقوف البيت على غيره ، ويرون أن البيت التام هو المحمود ، والمصراع التام بنفسه — بحيث لا يقف على المصراع الآخر — أفضل وأتم وأحسن .

وقوله : « فكيف يكون إن لم يسأل » ، مليح جداً ، ولا تستمر^(١) ملاحظة ما قبله عليه ، ولا يطرد فيه الماء اطرأده فيه .

وفيه شيء آخر ، لأنه لا يصح^(٢) أن يكون السؤال سبباً لأن ينعياً عن الجواب ، وظاهر القول يقتضيه .

• • •

فأما قوله :

لَا تَكْلَفَنَّ لِي الْبَمُوعَ فَإِنَّ لِي

دَمْعًا يَتَمُّ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يُفْضَلِ^(٣)

ولقد سكنتُ إلى الصدودِ من التوى

والشرى أَرَى عند أكل الحنظلِ^(٤)

(١) م : « ولا تستمر »

(٢) كذا في ا ، م . وفي ب ، ك ، س : « لا يصلح »

(٣) كذا في س ، ك . وفي الديوان : « يتم عليه » . وفي م : « يتم عليه »

(٤) في اللسان ١٥٩/١٩ « والشرى بالتسكين الحنظل » . وفي ٢٩/١٨

وَكُنَّاكَ طَرْفَةً حِينَ أُوجِسَ ضَرْبَةً

فِي الرَّأْسِ هَانَ عَلَيْهِ فَصَدُّ الْأَكْحَلِ^(١)

فأليت الأول مخالف لما عليه منهم ، في طلب الإسعاد^(٢)
بالدموع ، والإسعاف بالبكاء ، ومُخَالَفَ لِأَوَّلِ كلامه ؛ لأنه يفيد
مخاطبة المُذَلِّ ، وهذا يفيد مخاطبة الرقيق .

وقد ينت لك أن القوم يسلكون حفظ الألفاظ وتصنيها ، دون
ضبط المعاني وترتيبها ، ولذلك^(٣) قال الله عز وجل : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ
الْبَاطِلُ ، أَلُمَّ تَرَأْتَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالًا

= « والأرى : العسل . وفي س ، ك « عند طعم » . وفي ا . « عند أكل » وم « عند
أهل »

(١) يشير إلى قصة مقتل طرفة بن العبد ، وهم يذكرون أن الربيع بن
حوثرة سقاه الخمر حتى أثمله ، ثم فصد أكحله . والأكحل — كما في اللسان
١٠٥/١٤ « عرق في اليد يفصد ، وفصله : شقه وقطعه » . وفي م ، ا « قطع
الأكحل » . وقال أبو العلاء المعري في عبث الوليد ص ١٨٥ « سكن راء طرفة متبعاً
لأبي تمام في قوله : والأعشين وطرفة وليدا . وذلك ليس يحسن . . . وتغيير الاسم
بالتصغير أحسن من هذا التسكين . وبعض الناس ينشد : " وكذا عبيد حين
أوجس ضربة " وبعضهم يقول " وكذا طريفة " ولم يضعه البحرى إلا على أن
طرفة الذي قد خاف القتل فاخترار قطع الأكحل . ومن رواه " وكذا عبيد " حله
على أنه عبيد بن الأبرص ، قتله بعض ملوك الحيرة ، قيل ، عمرو بن هند ، وقيل :
النعمان في يوم بؤساء ، فكانه لما أشرف على القتل هان عليه مالاتي طرفة ، أى
ذلك يسير عند ما فعل به »

(٢) : « الإسعاف »

(٣) : « وكذلك »

يَقُولُونَ^(١) . فَأَخْبِرْ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الْقَوْلَ حَيْثُ تَوَجَّهَ بِهِمْ ،
وَاللَّفْظَ كَيْفَ أَطَاعَهُمْ ، وَالْمَعْنَى كَيْفَ تَتَّبِعُ أَلْفَاظَهُمْ . وَذَلِكَ خِلَافَ
مَا وُضِعَ عَلَيْهِ الْإِبَاتَةُ عَنِ الْمَقَاصِدِ بِالْخَطَابِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ طَلِبُ الْفَصَاحَةِ
فِيهِ أَسْهَلَ وَأَمْكَنَ ، فَصَارَ بِهَذَا أَبْلَغَ خُطَابِهِمْ .

ثم لو أن هذا البيت وما يتلوه من البيتين سلم من نحو هذا ، لم يكن
في ذلك شيء يفوت شمر شاعر ، أو كلام متكلم .

وأما قوله : « وَالشَّرُّىُّ أَرَىُّ » ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ تَصَنَعَ لَهُ مِنْ
جَهَةِ الطَّبَاقِ ، وَمِنْ جَهَةِ التَّجْنِيسِ الْمَقَارِبِ ، فَهِيَ كَلِمَةٌ ثَقِيلَةٌ عَلَى اللِّسَانِ ،
وَمِنْ يَنْقُوعِ نَحْوِ هَذَا ، كَمَا عَابُوا عَلَى أَبِي تَمَامٍ قَوْلَهُ :

كَرِهْتُ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعَى مَتَى مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَخَدَى^(٢)
ذَكَرَ لِي الصَّاحِبُ [إِسْمَاعِيلُ]^(٣) بَنَ عَبَادٍ : أَنَّهُ جَارِى أَبَا الْفَضْلِ بْنِ
الْعَمِيدِ فِي مَحَاسِنِ [هَذِهِ]^(٤) الْقَصِيدَةِ ، حَتَّى اتَّعَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ ،
فَذَكَرَ لَهُ أَنَّ قَوْلَهُ : « أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ » مَجِيبٌ ، لِثِقَلِهِ مِنْ جَهَةِ تَدَارُكِ
حُرُوفِ الْخَلْقِ .

ثم رأيت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا في هذه النكتة ، فملت
أَنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ عِنْدَ أَهْلِ الصَّنْعَةِ مَعْرُوفٌ .

(١) سورة الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٦

(٢) ديوانه ص ١٢٩ من قصيدة يمدح بها موسى بن إبراهيم الرافعي

(٣) الزيادة من ١ ، م

ثم إن قوله : « عند أكل الخنظل » ، ليس بحسن ولا واقع .
وأما البيت الثالث ، فهو أجنبى من كلامه ، غريب فى طباعه ،
نافر من جملة شعره ، وفيه كزازة وفجاجة ، وإن كان المعنى صالحا .

• • •

فأما قوله :

وَأَغَرَّ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُحَجَّلٍ قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغَرِّ مُحَجَّلٍ ^(١)
كَلْفَيْكِلِ الْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْحُسْنِ جَاءَ كَسُورَةٍ فِي هَيْكِلِ
فالبيت الأول لم يتفق له فيه خروج حسن ، بل هو مقطوع عما
سلف من الكلام .

وعامةُ خروجه نحو هذا ، وهو غير بارع فى هذا الباب ، وهذا
منموم معيب منه ، لأن ^(٢) من كان صناعته الشعر ، وهو يأكل به ،
وتنافل عما يدفع ^(٣) إليه فى كل قصيدة ، واستهان بإحكامه وتجويده ،
مع تتبعه لأن ^(٤) يكون عامة ما يُصَدَّرُ به أشعاره من النسيب عشرة
آيات ، وتبعه للصنعة الكثيرة ، وتركيب العبارات ، وتنقيح
الألفاظ وترويرها — كان ذلك أدخل فى عيه ، وأدل على تقصيره
أو قصوره ، وإنما ^(٥) يقع له الخروج [الحسن فى مواضع يسيرة .

(١) ابن أبى الحديد ٢ — ٢٤٤

(٢) م : « لأن كل من »

(٣) كذا فى م ، ا : وفى س ، ك : « يدفع »

(٤) م : « بأن »

(٥) س : « وأنه لا يقع »

وأبو تمام أشدَّ تَبَعًا لتحسين الخروج^(١) [منه .

وأما قوله : « وأغر في الزمن البيم محجل » ، فإن ذكر التَّحْجِيل في الممدوح قريب ، وليس بالجيد ، وقد يمكن أن يقال : إنه إذا قُرِنَ بالأغر حَسَنٌ ، وجَرَى مجراه ، وانخرط في سِلْكِهِ ، وأهْوَى إلى مِضْمَارِهِ ، ولم يُنْكَرْ لمكانه من جِوَارِهِ . فهذا عنده ، والممدوح عنه أحسن .

وإنما أراد أن يَرُدَّ الصَّجَرَ على الصدر ، ويأتى بوجه [في^(٢)] التجنيس .

وفيه شيء ، لأن ظاهر كلامه يوم أنه قد صار ممتطياً^(٣) الأغر الأول ورائحاً عليه .

ولو سلم من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء وأقوال الناس . فأما ذكر الهيكل في البيت الثاني ، وردّه عجز البيت عليه ، وظنّه أنه قد ظفر بهذه اللفظة وعمل شيئاً ، حتى كررها ، فهي كلمة فيها قتل ، ونحن نجدم إذا أرادوا أن يصفوا بنحو^(٤) هذا قالوا : « ما هو إلّا صورة » ، و « ما هو إلّا تمثال » ، و « ما هو إلّا دُمِيّة » ، و « ما هو إلّا ظلية » ، ونحو ذلك من الكلمات الخفيفة على القلب واللسان .

(١) الزيادة من ا ، ب ، م

(٢) الزيادة من م ، ك ، ا

(٣) م ، ك : « ممتطياً »

(٤) كلها في ا ، م ، ك وفي م : « يصنعوا نحو »

وقد استترك^(١) هو أيضاً على نفسه، فذكر أنه كمسورة في هيكل؛
ولواقتصصر على ذكر الصورة وحذف الهيكل، كان أولى وأجل .
ولو أن هذه الكلمة كرّرها أصحابُ الزامٍ على الشياطين، لراعوم
بها، وأفزعوم بذكرها ! وذلك من كلامهم، وشبيهُ بصناعتهم^(٢) .

• • •

وأما قوله :

وَإِنِ الضُّلُوعُ يَشُدُّ عَقْدَ حَزَامِهِ يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَى مُعْتَمٍ مُخَوِّلٍ
أَخْوَالَهُ لِلرُّشْتَمِينَ بِفَارِسٍ وَجُدُوذُهُ لِلتُّبَّعِينَ بِمَوْكَلٍ
نُبُلُ الْمَخَزَمِ مِمَّا يَدْحُ بِهِ الْخَلِيلُ ، فهو لم يأت فيه يديع .

وقوله : « يشد عقد حزامه » ، داخل في التكلف والتعسف ،
لا يقبل من مثله وإن قبلناه من غيره ، لأنه يتبعُ الألفاظ وينقدّها قدّاً
شديداً ، فهلا قال : « يشد^(٣) حزامه » ، أو يأتى بحشو آخر سوى
المقد ؟ فقد عقدَ هذا البيت بذكر المقد .

ثم قوله : « يوم اللقاء » ، حشو آخر لا يحتاج إليه .
وأما البيت الثاني فمناه أصلح من ألفاظه ، لأنها غير مجانسة لطباعه ،
وفيها غلظ وقار .

• • •

(١) م : « استتركه أيضاً »

(٢) م : « بفظاعتهم »

(٣) م : « شد »

وأما قوله :

يَهْوِي كَمَا تَهْوِي الثَّقَابُ وَقَدْ رَأَتْ
صَيْدًا وَيَنْتَصِبُ انْتِصَابَ الْأَجْدَلِ^(١)
مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا
تُرَيَّانِ مِنْ وَدْقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلِ^(٢)
مَا إِنَّ يَبَافُ قَدَى ، وَلَوْ أوردته
يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدُونِهِ الْأَحْوَلِ^(٣)

البيت الأول صالح ، وقد قاله الناس ولم يسبق إليه ، ولم يقل مالم يقولوه ، بل هو منقول . وفي سرعة عدو الفرس تشبيهات ليس هذا بأبدعها ، وقد يقولون : « يفوت الطرف » ، و « يسبق الريح » ، و « يجارى الوهم » و « يكذب^(٤) النظر » . ولولا أن الإتيان على محاسن ما قالوه في ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب ، لنقلت^(٥) لك جملة

(١) كذا في الديوان وم ١ . وفي س ، ك ، ب « وينفض انقباض الأجدل »

(٢) في اللسان ١٤٠/٨ « والتوجس : التسمع إلى الصوت الخفي » برقيقتين : أي بأذنين

(٣) في ابن أبي الحديد ٢ / ٢٤٤ « ألا تراه كيف استطرد بذكر حملويه الأحول الكاتب ، وكأنه لم يقصد ذلك ولا أراداه ، وإنما جرت القافية ، ثم ترك ذكره وعاد إلى وصف الفرس ، ولو أقسم إنسان أنه ما بنى القصيدة منذ افتتحها إلا على ذكره ، ولذلك أتى بها على روى اللام — لكان صادقا »

(٤) س ، ك : « ويكر »

(٥) م : « نقلت »

بما ذهبوا إليه في هذا المعنى . فتنبع تعلم أنه لم يأت فيها بما يحل عن الوصف ، أو يفوت متعنى الحد .

على أن الهوى يذكر عند الانقضاء خاصة ، وليس للفرس هذه الصفة في الحقيقة ، إلا أن يشبه حدة^(١) في العدو بحالة انقضاء البازي والعقاب ، وليست تلك الحالة بأسرع أحوال طيرانها .

وأما البيت الثاني ، فقوله : إن الأذنين كأنهما من ورق موصل ، وإنما أراد بذلك حدتهما ، وسرعة حركتهما ، وإحساسهما بالصوت ، كما يحس الورق بحفيف الريح . وظاهر التشبيه غير واقع ، وإذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسناً ، ولكن لا يدل عليه اللفظ ، وإنما يجري مجرى المضمن .

وليس هذا البيت برائق اللفظ ، ولا مشا كل فيه لطبعه ، غير^(٢) قوله : « متوجس برقيقتين » ، فإن هذا القدر هو حسن^(٣) .

وأما البيت الثالث ، فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب أنه من باب الاستطراد^(٤) ، وقلنا نظائر ذلك من قول أبي تمام وغيره ، وقطعة أبي تمام في نهاية الحسن في هذا المعنى .

(١) م : « حلته »

(٢) م : « ثم قوله »

(٣) م : « الحسن »

(٤) راجع ص ١٢٩

والتي وقع للبحتری في هذا الليت عندی^(١) ليس يجيد في لفظ ولا معنى ، وهو يبت وحشٌ جداً ، قد صار قذی في عين هذه القصيدة ، بل وخزاً فيها ووبالاً عليها ، قد كدر صفاءها ، وأذهب بهاءها وماءها ، ولمس بظلمته سناها .

وما وجه مدح الفرس بأنه لا يناف قذی من المياه إذا وردَها ؟ !
كأنه أراد أن يسلك مسلك بشار في قوله :

ولا يشربُ الماء إلا بدم^(٢) .

وإذا كان لهذا الباب عجاناً ، وعن هذا السمت بعيداً ، فهلاً وصفها بعزة الشرب ؟ كما وصفها المتنبي في قوله :

وَصُولُ إِلَى الْمُسْتَصْبَاتِ بِخَيْلِهِ

فلو كان قرنُ الشمس ماءً لأوردَا^(٣)

وهل^(٤) سلك فيه مسلك القائل :

وإني للماء الذي شابه القذی إذا كثرت ورادُهُ لعيوف^(٥) !

ثم قوله : « ولو أوردته يوماً » ، حشو بارد ! !

ثم قوله : « تحذويه الأخول » ، وحش جداً ، فما أمقت هذا

(١) سقطت هذه الكلمة من م

(٢) صدره : « قى لا بيت على دمنة »

(٣) ديوانه ١٨٧/١ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة

(٤) م : « وهذا »

(٥) غير منسوب في زهر الآداب ١٩٤/٢ وفيه : « للماء المخالط للقذی » .

اليَتَ وَأَبْغَضَهُ ، وَمَا أَتَمَّهُ وَأَسْخَفَهُ ! وَإِنَّمَا غَطَّى عَلَى عَيْنِهِ عِيْبَهُ ، وَزَيَّنَ لَهُ
إِرَادَهُ طَبْعُهُ فِي الْإِسْطِطْرَادِ^(١) ، وَهَلَّا طَمَعَ فِيهِ عَلَى وَجْهِ لَا يَفْضَنُ مِنْ
بَهْجَةِ كَلَامِهِ ، وَلَا مَعْنَى^(٢) أَلْفَاظِهِ ؟ ! فَقَدْ كَانَ يُمْكِنُ ذَلِكَ وَلَا يَتَعَذَّرُ .

• • •

فَأَمَّا قَوْلُهُ :

ذَنْبٌ كَمَا سُحِبَ الرَّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٍ كَالْتِنَاجِ الْمُسْبَلِ
تَوَهَّمُ الْجَوْزَاءُ فِي أَرْسَانِهِ وَالْبَدْرُ فَوْقَ جَيْنِهِ الشَّهْلَلِ
فَالْيَتِ الْأَوَّلُ وَحِشُّ الْإِبْتِدَاءِ ، مُنْقَطِعٌ عَمَّا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ . وَقَدْ
ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَا يَهْتَدِي لَوْصِلِ الْكَلَامِ ، وَنِظَامُ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا
يَتَصَنَعُ لِنِيرِ هَذَا الْوَجْهِ .

وَكَانَ يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ : ذَنْبٌ كَالرَّدَاءِ ، فَقَدْ حُذِفَ^(٣) ، [وَالْوَصْلُ^(٤) .
غَيْرُ مُتَسِقٍ وَلَا مُلِيحٍ ، وَكَانَ مِنْ سَبِيلِهِ أَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ، وَلَا يَنْهَبُ
عَنْ مِثْلِهِ .

ثُمَّ قَوْلُهُ : « كَمَا سُحِبَ الرَّدَاءُ » ، قَبِيحٌ فِي تَحْقِيقِ التَّشْبِيهِ ، وَلَيْسَ
بَوَاقِعٌ وَلَا مُسْتَعِيمٌ فِي الْعِبَارَةِ ، إِلَّا عَلَى إِضْمَارٍ أَنَّهُ ذَنْبٌ يَسْجِبُهُ كَمَا
يُسْجَبُ الرَّدَاءُ !

(١) انظر معجم الأدباء ٢٥٠/١٩

(٢) م : « ولا يعنى »

(٣) م ، ك : « حذف الوصل »

- وقوله : « يَذُبُّ عَنْ عُزْفٍ » ، ليس بحسن ولا صادق . والمحمود ما ذكره امرؤ القيس ، وهو قوله :

فُوقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَّلٍ^(١)

وأما قوله : « تتوهم الجوزاء في أَرْسَاعِهِ » ، فهو تشبيه مليح ، ولكنه لم يَسْبِقْ إليه ، ولا اقترده .

ولو نسختُ لك ما قاله الشعراء في تشبيه الغرة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الأمور ، وتشبيه الحبول — : لتعجبتَ من بدائعٍ قد وقعوا عليها ، وأمور مليحةٍ قد ذهبوا إليها ؛ وليس ذلك موضع كلامنا ، فتتبع ذلك في أشعارهم ، تعلم ما وصفتُ لك .

واعلم أَنَّا تركنا بقية كلامه في وصف الفرس ، لأنّه ذكر عشرين بيتاً في ذلك .

والذي ذكرناه في هذا المعنى يدل على ما بعده ، ولا يملو^(٢) ما تركناه أن يكون [حسناً مقولاً ، وبديعاً متقولاً ؛ أو يكون]^(٣) متوسطاً إلى حدٍّ لا يفوت طريقة الشعراء .

(١) في المعاني الكبير لابن قتيبة ١٤٩/١

ضليح إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض ليس بأعزل ضاف : سابع . سد فرجه : أى فرج ما بين فخذه ، يريد كثرة الذنب . والعزل : أن يعزل ذنبه في أحد الجانبين ، وذلك عادة لا خلقة .

(٢) ك : « ولا بعده ما تركناه »

(٣) الزيادة من م

ولو تبتت أقاويل الشعراء في وصف الخليل ، علمت أنه وإن جمع
 فأوعى ، وحشرفنادى ، فقيم من سبقه في ميدانه ، ومنهم من ساواه
 في شأوه ، ومنهم من دانه . فالقييل واحد ، والنسيج متشا كل . ولولا
 كراهة التطويل لتقلت جملة من أ شمارم في ذلك ، لتقف على ما قلت .
 فتجاوزنا إلى الكلام على ما قاله في المدح في هذه القصيدة .

• • •

قال :

لمحمد بن علي الشرف الذي لا يلحظ الجوزاء إلا من عل
 وسحابة لولا تتابع مزيها فينا لراح الثزن غير مبخل^(١)
 والجود يمدله عليه حاتم سرفاً ولا جود لمن لم يمدل
 البيت الأول منقطع عما قبله ، على ما وصفنا به شعره : من قطعه^(٢)

(١) كنا في الأصول ، وفي ديوانه ، « ومماحة لولا . . . غير منخل »
 وفي عبث الوليد ص ١٨٨ « ومماحة » قال المعري : « الرواية غير ، بالراء ، وهو
 المعنى المتعارف الذي يتردد في الشعر ، أي أنه جاد جوداً غزيراً يخل معه الغمام ،
 إذا كان قد يمسك في بعض الأعوام ، وطالما هلكت السائمة والأنيس لفقد
 المطر . وهذا المملوح ليس كذلك إذ كان يجود في كل الأوقات والسنين .
 وإن رويت « عين مبخل » فله معنى يصبح على بعد ، وذلك أنه يراد أنه عين
 المزن يجوده ، فلا نخفل أصاب فينا المطر أم حقب ، فهذا وجه . ويحتمل أنه لما
 جاد فأحسبنا بالنائل كرهنا أن يبخل الغمام ، إذ كان نسبة جوده في بعض الأحيان
 فكأنه شفع إلينا في ترك تبخيله . ومعنى حقب - بكسر ففتح - : احتبس .
 وأحسبنا : أي أعطانا حتى قلنا له : حسبنا

(٢) م : « في قطعه »

المتأني، وفضله بينها، وقلة تأنيه لتجويد الخروج والوصل، وذلك^(١)
 قصصان في الصناعة، وتختلف في البراعة، وهذا إذا وقع في مواضع قليلة
 عُدِرَ فيها، وأما إذا كان بناءً الغالب من كلامه على هذا، فلا عُدْرَ له.
 وأما المعنى الذي ذكره، فليس بشيء مما سبق إليه، وهو شيء
 مشترك فيه، وقد قالوا في نحوه: إن مجده سماء السماء، وقالوا في نحوه
 الكثير الذي يصعب نقل جميعه، وكما قال المتنبي:

وَعَزَمَةُ بَمَثَلِ هِمَّةٍ زُحَلٌ

مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التُّرْبِ مِنْ زُحَلٍ^(٢)

وحدثني إسماعيل بن عباد: أنه رأى^(٣) أبا الفضل بن العميد قام
 لرجل، ثم قال لمن حضره: أتدري من هذا؟ هذا^(٤) الذي قال في أبيه
 البحرى:

• لمحمد بن علي الشرف الذي •

فذلك يدل على استعظامه للميت^(٥)، بما مدح به من البيت.

(١) س، ك: «ذلك»

(٢) في ديوانه ٣٨/٢ من قصيدة مدح بها سيف النولة. وقبله:
 مثل الأمير بغى أمراً فقربه طولُ الرماح وأيدي الخيل والإبل
 يقول: وقربها عليه عزمة حركتها همة تعلو على زحل - الكوكب المعروف -
 بقدر علو زحل عن التراب.

(٣) م: «أنه روى»

(٤) ك: «قال: هذا» س: «هو الذي»

(٥) س: «لمحمد بن القاسم الشرف» !

(٦) ا، ك، م: «البيت» م: «البيت»

والبيت الثاني في تشبيه جوده بالسحاب قريب ، وهو حديث مكرر ، ليس ينفك مديح شاعر منه ، وكان من سبيله أن يدع فيه زيادة إبداع ، كما قد يقع لهم في نحو هذا ، ولكنه لم يصنع له ، وأرسله لإرسالاً .

وقد وقع في المصراع الثاني ضربٌ من الخلط ، وذلك : أن المزن إنما يُنخلُ إذا منع نيله ، وذلك ^(١) موجود في كل نيل ممنوح ، وكلاهما محمود مع الإسعاف ، فإن أسعف أحدهما ومنع الآخر لم يمكن التشبيه ، وإن كان إنما شبه غالب [حال ^(٢)] أحدهما بالآخر ، وذكر قصور أحدهما عن صاحبه ، حتى إنه قد يخل في وقت والآخر لا يخل بحال — : فهذا جيد ، وليس في حمل الألفاظ على الإشارة إلى هذا شيء .

والبيت الثالث ، وإن كان معناه مكرراً ، فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم ، يشبه ألفاظ المتدئين .

وأما قوله :

فَضْلٌ وَإِفْضَالٌ وَمَا أَخَذَ الْمَدَى بَعْدَ الْمَدَى كَالْفَاصِلِ الْمُتَفَضَّلِ
سَارٍ إِذَا ادَّجَجَ الْعَفَاةَ إِلَى النَّدَى لَا يَصْنَعُ الْمَرْوُوفَ غَيْرَ مُعْجَلٍ

فالبيت الأول منقطع عما قبله ، وليس فيه شيء غير التجنيس الذي ليس يبدع ، لتكرره على كل لسان .

(١) م ، ك : « فملك »

(٢) الزيادة من م

وقوله: « مَا أَخَذَ الْمَدَى [بِـ] الْمَدَى ^(١) »، فإنه لفظ ملبيح، وهو كقول القائل:

« قَدْ أَرْكَبُ الْآلَةَ بَعْدَ الْآلَةِ ^(٢) ».

ورؤى ^(٣): « الْحَالَةُ بَعْدَ الْحَالَةِ ». وكقول امرئ القيس:

« مُمَوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ ^(٤) ».

ولكنها طريقة مذلة، فهو فيها تابع.

وأما البيت الثاني فقريب في اللفظ والمعنى.

وقوله: « لَا يَصْنَعُ الْمَرْوْفُ »، ليس بلفظ محمود.

وأما قوله:

حَالٌ عَلَى نَظَرِ الْحَسُودِ كَأَنَّمَا جَذَبَتْهُ أَفْرَادُ النُّجُومِ بِأَحْبَلٍ ^(٥)
أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْفَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ
فَالَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْكَ جَدًّا فِي جِرِ النَّجُومِ بِالْأُرْسَانِ ^(٦) [مِنْ] ^(٧)

(١) الزيادة من أ، ب، م.

(٢) في اللسان ٤١/١٣ « وَالْآلَةُ : الْحَالَةُ ، وَاجْمَعِ الْآلَ ، يُقَالُ : هُوَ

بِأَلَةٍ سَوْءٍ ، قَالَ الرَّاجِزُ :

قَدْ أَرْكَبُ الْآلَةَ بَعْدَ الْآلَةِ وَاتْرَكَ الْعَاجِزُ بِالْجِدَالَةِ

(٣) م : « وَأَرَى »

(٤) صدره كما في ديوانه ص ١٠٨ . سموت إليها بعد ما نام أهلها .

(٥) في الديوان : « نَظَرَ الْعَيْنِ » .

(٦) م : « بِالْأُرْسَانِ » .

(٧) الزيادة من م ، ك .

موضعه إلى العلو ! والتكلف فيه واقع .
 والبيت الثاني أجنبي عنه ، بعيد منه ، واقتضاه ردى . وما وجه
 الاستفهام والتقرير والاستبانة والتوقيف ؟
 والبيتان أجنيان من كلامه ، غريان في قصيدته .
 ولم يقع له في المدح في هذه القصيدة شيء جيد .
 ألا ترى أنه قال بعد ذلك :

قَسَى فِدَاؤُكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ قَتَى يُرْفَى عَلَى ظَلَمِ الْخُطُوبِ فَتَنَجَلَى^(١)
 إِنِّي أُرِيدُ أَبَا سَمِيدٍ ، وَالْمَدَى يَنِينِي وَيِنَّ سَحَابِهِ الْمُتَهَلِّلِ
 كَانَ هَذَا لَيْسَ^(٢) مِنْ طَبْعِهِ وَلَا مِنْ سَبْكِهِ .

وقوله :

مُضَرَّ الْجَزِيرَةِ كُلُّهَا وَرِيْعَةُ الْخَابُورِ تُوعِدُنِي وَأَزِدُّ الْمَوْصِلِ
 قَدْ جُدْتُ بِالطَّرْفِ الْجَوَادِ فَتَنَّهُ لِأَخِيكَ مِنْ أَدْرِ أَيْكَ بِمَنْصُلِ
 البيت الأول حسن المعنى ، وإن كانت ألفاظه بذكر الأماكن
 لا يتأتى فيه التحسين .

وهذا المعنى قد يمكن إirاده بأحسن من هذا اللفظ وأبدع منه
 وأرق منه ، كقوله :

(١) قبله في الديوان :

ضيف لم يقرى الضيوف ونازل متكفل فيهم ببر النزل

(٢) م : « كَانَ هَذَا شَيْءٌ لَيْسَ » .

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَيْمٍ رَأَيْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا^(١)

والبيت الثاني قد تمذر عليه وصله بما سبق من الكلام على وجه يُلطف^(٢) ، وهو قبيح اللفظ ، حيث يقول فيه : « فَتَنَّهُ لِأَخِيكَ مِنْ أَدْرِ أَيْكَ » ، ومن أخذه بهذا التعرض^(٣) لهذا السجع ، وذكر هذا النسب ، حتى أفسد به شعره !

وأما قوله بعد ذلك في وصف السيف ، يقول :

يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ الْبَعِيدَ مَنَالَهَا عَفْوًا وَيَفْتَحُ فِي الْقَضَاءِ الْمُقْفَلِ
يَأْبَانُهُ فِي كُلِّ حَتْفٍ مُظْلِمٍ وَهِدَايَةٍ فِي كُلِّ قَسٍّ مَجْهَلِ^(٤)
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُضْمِهِ يَدُ فَارِسٍ بَطْلٍ وَمَصْقُولٍ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ^(٥)

ليس لفظ البيت الأول بمضامٍ لذيابة شعره ، ولأله بهجة نظمه ، لظهور أثر التكلف عليه ، وتبين ثقل فيه .

وأما « الْقَضَاءُ الْمُقْفَلِ » وفتحها ، فكلام غير محمود ولا مرضى ! واستعارة لو لم يستعرها كان^(٦) أولى به ! وهَلَا عَيْبَ عَلَيْهِ كَمَا عَيْبَ عَلَى أَبِي تَمَامٍ قَوْلُهُ :

(١) البيت لجرير ، يهجو به العباس بن يزيد الكندي ، كما في معجم الشعراء ص ٢٦٤

(٢) م : « تُلطف » .

(٣) م : « ومن أخذه بالتعرض » .

(٤) في الديوان : « يَا نَارَةً فِي كُلِّ » .

(٥) م : « يَمْضِهِ » .

(٦) م ، لك : « كَانَتْ » .

فَصَرَبْتُ الشَّاءَ فِي أَخْذَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرْتُهُ عَوْدًا. وَكَوَبَا^(١)

وقالوا : يستحق بهذه الاستمارة أن يصفع في أخذه ! وقد أتبعه
البُخْتَرِيُّ في استمارة الأخدع ، ولوعاً باتباعه ، فقال في الفتح بن خاقان :

وَإِنِّي وَإِنْ أَبْلَغْتَنِي شَرَفَ الْعَلَا

وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذَلِكَ الْمَطَامِعِ أَخْذَعِي^(٢)

إن شيطانه حيث زين له هذه الكلمة ، [و] تابعه حين حسن
عنده^(٣) هذه اللفظة ، لحيت ماردٌ ، وزدي مماند ، أراد أن يطلق
أعنة الذم فيه ، ورشح جيوش العتب إليه ! ولم ينع بقفل القضاء ؛
حتى جعل للحنف ظلمة تجلى بالسيف ، وجعل السيف هادياً في النفس
المجهول الذي لا يهتدى إليه ! وليس في هذا مع تحسين^(٤) اللفظ
وتنميقه شيء ، لأن السلاح وإن كان معيياً ، فإنه يهتدى إلى النفس .

وكان يجب أن يمدح في هذا إبداع المتنبي في قوله :

كَأَنَّ الْهَامَّ فِي الْهَيْجَا عِيُونٌ وَقَدْ طُبِعَتْ سِيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ^(٥)

وقد صُنَّتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ مُهُومٍ فَمَا يَحْطَرُنَ إِلَّا فِي فَوَادٍ^(٦)

(١) ديوانه ص ٢٧ وفيه « غادرته قودا » ، والقود والعود : الجمل .
والأخدعان : عرقان في جانبي العتق ، كما في اللسان ٤١٩/٩

(٢) كنا في الديوان ، وفي ك ، س ، م « وإني وقد بلغني الشرف
العلا »

(٣) من قوله : « إن شيطانه » إلى هنا — سقط من م . والزيادة من ا ، ك

(٤) م : « تحيس »

(٥) ديوانه ٢٢٨/١ من قصيدة يمدح بها علي بن إبراهيم التنوخي

(٦) م : « في الفؤاد »

فالإهداء على هذا الوجه في التشبيه بديع حسن .

وفي البيت الأول شيء آخر: وذلك أن قوله: « وفتح في القضاء » ،
في هذا الموضع حشو ردى ، يلحق بصاحبه اللكنة ، ويلزمه
المُجَنَّة .

وأما البيت الثالث ، فإنه أصلح^(١) هذه الآيات ، وإن كان ذكر
الفارس حشواً ، وتكلفاً ولنوعاً ، لأن هذا لا يتغير بالفارس والراجل .
على أنه ليس فيه بديع .

وأما قوله :

يَنْشَى الْوَعَى وَالتَّرْسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ

مِنْ حَدِّهِ وَالْدَّرْعُ لَيْسَ بِمَقِيلٍ^(٢)

مُصْنَعٌ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى ، فإذا مضى

لم يلتفت ، وإذا قضى لم يعدل

مُتَوَقِّدٌ يَسْبِرَى بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ

مَا أَذْرَكَتْ ، وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَدَيْهِ^(٣)

البيتان الأولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه ، وهى طريقته

(١) م: « فإنه أصلح »

(٢) في الديوان: « فالترس »

(٣) في الديوان: « متألق يفرى » . ويذبل: اسم جبل في بلاد نجد .

التي يَجْتَبِيها^(١) ، وذلك من السَّبْكِ الْكِتَابِي وَالْكَلَامِ الْمُعْتَدِلِ ، إلا أنه لم يَدْعُ فِيهَا^(٢) بشيء ، وقد زيد عليه فيها .

ومن قصد إلى أن يكمل عشرة أبيات في وصف السيف ، فليس من حكمه أن يأتي بأشياء منقولة ، وأمور مذكورة ، وسبيله أن يُغَرِّبَ ويُدْعِ ، كما أبدع المتنبي في قوله :

سَلَّهَ الرَّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ فَتَصَدَّى لِلْفَيْتِ أَهْلُ الْحِجَازِ^(٣)
هذا في باب صِقَالِهِ وَأَصْوَانِهِ وكثرة مائه ، وكقوله :
رِيَّانُ لَوْ قَذَفَ الذِّي أَسْقَيْتَهُ

لَجَرَى مِنَ الْمُهْجَاتِ بِمَحَرٍّ مُزِيدٍ^(٤)

وقوله : « مُصْنَعٌ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى » - إن تأملته - مقلوب ،
كان ينبغي أن يقول : يصنع الردي إلى حكمه ، كما قال الآخر :
فَالسَّيْفُ يَأْمُرُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ^(٥) .

(١) كلما في ا ، ب . وفي س ، ك : « طريقه الذي يجتنبها » . وفي م « طريقته التي لم يدع فيها بشيء » .

(٢) س : « فيها . . . فيها » .

(٣) ديوانه ٣٧٤/١ من قصيدة يمدح بها علي بن صالح الروذباري الكاتب .

(٤) ديوانه ٢١٥/١ من قصيدة يمدح بها شجاع بن محمد الطائي المنبجي .

(٥) ذكر الطبري ٨٦/١٠ في مقتل أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة سنة ١٨٧ أن شاعراً قال :

تلمظ السيف من شوق إلى أنس فالموت يلحظ والأقدار تنتظر

وقوله : « وإذا قضى لم يمدل » ، متكرر على ألسنتهم في الشعر خاصة ، في نفس هذا المعنى .

والبيت الثالث سليم ، وهو كالأولين في خلوه عن البديع .
فأما ^(١) قوله :

فَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَأَلَهُ مِنْ مَقْتَلٍ
وَكَأَنَّمَا سُودُ النَّمَالِ وَحُمْرُهَا دَبَّتْ بِأَيْدٍ فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلِ
البيت الأول يقصد بثله صنعة ^(٢) اللفظ ، وهو في المعنى متفاوت ،
لأن المضرب قد لا يكون مقتلاً ، وقد يطلق الشعراء ذلك ، ويرون
أن هذا أبعد من قول المتنبي ، وأنه بضده ^(٣) :

الْقَاتِلِ السِّيفَ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ
وَالسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ أَجَالٌ ^(٤)

وهذه طريقة لهم يتمدحون بها في قصف الرمح طعناً ، وقطيع
السيف ضرباً .

وأشده أبو تمام في الوحشيات لبعض بني ثعل ، وقيل
أظله منك حتف قد تجلله حتى يؤامر فيه رأيك القدر
أمضى من السيف إلا عند قدرته وليس للسيف عفو حين يقتدر
والأبيات في عيون الأخبار ١ / ١٣٠ غير منسوبة ، والعهدة الفريد
٢ / ١٨١ لمسلم بن الوليد في قصة طويلة .

(١) م : « وأما »

(٢) كذا في ا ، ب ، م . وفي س ، ك : « يقصه به صنعة » .

(٣) م : « وإنه لضده »

(٤) كذا في الديوان . وفي م : « ويقتل » . وس ، ك : « يقتل »

وفي قوله : « وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مُقْتَلٍ » ، تصف ، لأنه يريد بذلك أنه لا ينكسر ، فالتصيير بما عبّر به عن المعنى الذى ذكرناه يتضمن التكلف وضرباً من المحال ، وليس بالنادر ، والذى عليه الجملة ما حكيناه عن غيره .

ونحوه قال بعض أهل الزمان :

يُقَصِّفُ فِي الْفَارِسِ السَّمْعَرِيَّ وَصَدَرَ الْحُسَامِ فَرِيقًا فَرِيقًا^(١)
والبيت الثانى أيضاً هو معنى^(٢) مكرر على ألسنة الشعراء .

وأما تصنيعة بسود^(٣) الثَّمَالِ وُحْمَرُهَا ، فليس بشيء ، ولعله أراد بالجر الدر ، والتفصيل بارد ! والإغراب به مُنْكَرٌ ! وهو — كما حكي عن بعضهم أنه قال — : كان كذا حين كانت الثريا بمجذاء رأسى على سواء ، أو منحرفاً قَدَرَ شبر ، أو نصف شبر ، أو إصبعاً ، أو ما يقارب ذلك !
فقل له : هذا من الورع الذى ينفذه الله ، ويمتته الناس ! !
ورُبَّ زائدة كانت تقصاناً .

وصفة النمل بالسواد والحمرة فى هذا من ذلك الجنس ، وعليه خرج بقية البيت فى قوله :

دَبَّتْ بِأَيْدٍ فِي قَرَأَةٍ وَأَرْجُلٍ •

وكان يكفى ذكر الأرجل عن ذكر الأيدي .

(١) م : « ويقصف » .

(٢) م : « هو بيت » .

(٣) م : « وأما تصريفه سود » .

ووصف^(١) القرنند بمذب النمل شيء لا يشذ عن أحد منهم^(٢) .
وأما قوله :

وَكأنَّ شَاهِرَهُ إِذَا اسْتَضَوَى بِهِ الزَّرَّ خَفَانِ يَمْعَى بِالسَّمَاءِ الْأَعَزَّلِ^(٣)
حَلَّتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذْبُلْ

البيت الأول منهما فيه ضرب من التكلف ، وهو منقول من
أشعارهم وألفاظهم ، وإنما يقول :

[وَتَرَاهُ فِي ظُلْمِ الْوَنَى فَتَخَالُهُ قَرَأَ يَشْدُ عَلَى الرِّجَالِ بِكُوكَبِ]^(٤)
فجعل ذلك الكوكب السماء ، واحتاج إلى أن يجعله أعزل ، للقفية !
ولو لم يحتاج إلى ذلك كان خيراً له ؛ لأن هذه الصفة^(٥) في هذا الموضع

(١) م : « ووصف »

(٢) في ديوان المعاني ٥٧/٢ « ويشبه القرنند بمذب النمل ، فمن قديم
ما قيل فيه قول امرئ القيس :

متوسداً عضباً مضاربه في منته كمدبة النمل
(٣) كذا في النسخ ، وفي الديوان :

وَكأنَّ شَاهِرَهُ إِذَا اسْتَعَصَى بِهِ فِي الرُّوعِ يَمْعَى بِالسَّمَاءِ الْأَعَزَّلِ
وفي اللسان ٢٩٤/١٩ « وعصى سيفه وعصابه يعصو عصاً : أخذه أخذ
العصا ، أو ضرب به ضربه بها » .

وفي اللسان ٣٢٨/١٢ « والساكان : نجمان نيران ، أحدهما السماء
الأعزل ، والآخر السماء الرامح . . . سمي أعزل لأنه لا شيء بين يديه من
الكواكب ، كالأعزل الذي لا رمح معه ، ويقال : سمي أعزل لأنه إذا طلع
لا يكون في أيامه ريح ولا برد ، وهو أعزل منها » .

(٤) الزيادة من م . وفي س ، ك : « وإنما يقول : قمر يشد على الرجال
بكوكب » .

(٥) م : « هذه القصة » .

تفرض من الموصوف^(١) ، وموضع^(٢) التكلف الذى ادّعيناه ، الحشو الذى ذكره من قوله : « إذا استنصوى به الزحفان » . وكان يكفى أن يقول : كأن صاحبه يَمصى بالسَّماكِ ، وهذا ، وإن كان قد تعمل فيه للفظ ، فهو لنمو^(٣) ، على ما بينا .

وأما البيت الثانى ففيه لغو من جهة قوله : [« حائله القديعة » ، ولا يوصف السيف بأن]^(٤) حائله قديعة ، ولا فضيلة له فى ذلك .

ثم تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة ، والكلام الرذل التذل ، لأن العامة^(٥) قد يتفق منها تشبيه واقع حسن .

ثم انظر إلى هذا المقطع الذى هو بالعِىُّ أشبهُ منه بالفصاحة ، وإلى الشكنة أقرب منه إلى البراعة .

وقد بينا أن مُراعاة الفوائح والخواتم ، والمطالع والمقاطع ، والفصل والوصل ، بمدح الكلام ، ووجود الفصاحة فيه — مما لا بد منه ، وأن الإخلال بذلك يُخلّ بالنظم ، ويُذهب روقه ، ويحيل بهجته ، ويأخذ ماءه وبهامه^(٦) .

• • •

(١) م : « نقص » س : « نقصه » .

(٢) س ، لك : « من الموضع » .

(٣) م : « فيه بلفظ فهو لغز » .

(٤) الزيادة من م .

(٥) م : « تشبيهاً العامة البذل ، لأن العامة » .

(٦) سقطت هذه الكلمة من م .

وقد أطلت عليك فيما قلت ، وتكلفت ما سطرت ؛ لأن هذا القليل قليلٌ موضوع ، متعلٌ مصنوع .

وأصل الباب في الشعر على أن ينظر إلى جملة القصة ، ثم يتعمل الألفاظ ، ولا ينظر بعد ذلك إلى مواقعها ، ولا يتأمل مطارحها . وقد يقصد تارة إلى تحقيق الأغراض ، وتصوير المعاني التي في النفوس ، ولكنه يلحق بأصل بابه ، ويعيل بك إلى موضوعه^(١) ، وبحسب الاهتمام بالصنعة يقع فيها^(٢) التفاضل .

وإن أردت أن تعرف أوصاف الفرس ، فقد ذكرت لك أن الشعراء قد تصرّفوا في ذلك بما يقع إليك — إن كنت من أهل الصنعة — مما يطولُ عليَّ قلّه ، وكذلك في السيف .

وذكر لي بعضُ أهل الأدب : أن أحسنَ قطعة في السيف قول أبي الهول الحميري^(٣) :

(١) م ، ك : « إلى موضعه » .

(٢) م : « فيه » .

(٣) اسمه عامر بن عبد الرحمن ، مدح المهدي والمهدي والرشيذ والأمين . وكان خبيث اللسان ، هجا خلقاً كثيراً ، منهم : جعفر بن يحيى البرمكي . راجع تاريخ بغداد ٢٣٧/١٢ — ٢٣٨ وفي ديوان المعاني ٥٢/٢ « ومن بليغ ما قيل في وصف السيف قول ابن يامين . قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الإياسى القاضى ، عن الهيثم بن عدى قال : لما صار سيف عمرو بن معدى كرب — الذى يسمى : الصمصامة — إلى الهادى ، وكان عمرو وهبه لسعيد ابن العاص ، فتوارثه ولده إلى أن مات المهدي ، فاشتره موسى الهادى منهم بمال جليل ، وكان موسى من أوسع بنى العباس خلقاً وأكثرهم عطاء للمال . قال : فجرده ووضعه بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودعا بمكمل فيه دنائير فقال :

حَازَ صَمَامَةَ الزُّيْدِيِّ مِنْ يَمِينِ جَمِيعِ الْأَنَامِ مُوسَى الْأَمِينُ^(١)
 سَيْفُ عَمْرٍو كَانَ - فِيمَا سَمِعْنَا - خَيْرَ مَا أُطْبِقَتْ عَلَيْهِ الْجُفُونُ^(٢)
 أَخْضَرَ اللَّوْنِ يَنْبُرُ دَيْنَهُ حَدٌّ مِنْ دَعَافٍ تَمِيسُ فِيهِ الْمُنُونُ^(٣)
 أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ الصَّوَاعِقُ نَارًا ثُمَّ شَابَتْ لَهُ الدَّعَافُ الْقُيُونُ^(٤)
 فَإِذَا مَا شَهَرَتْهُ بِهَرِّ الشَّمْسِ صَيَاءٌ فَلَمْ تَكُذْ تَسْتَنِينَ^(٥)
 يَسْتَطِيرُ الْأَبْصَارَ كَالْقَبَسِ الْمُشْجَلِ لَا تَسْتَقِيمُ فِيهِ الْعِيُونُ^(٦)

قولوا في هذه السيف، قبلهم ابن يامين فقال : حاز، إلخ. وكذلك نسب هذا الشعر لابن يامين البصري في وفيات الأعيان ١٥٩/٥ وروج الذهب ٢٤٥/٣ وهو لأبي الهول الحميري في الحيوان ٨٧/٥ وقد ذكر المعاني بن زكريا في الجليس والأيتس أن موسى الهادي أمر بإحضار الشعراء فكان بالباب منهم : أبو الهول ، وأبو الغول التيمي ، وسلم الخاسر . . . فأما أبو الهول فلم يصف شيئا ، وأما سلم فلم يرض ما قال ، وأما أبو الغول فوصف فأحسن وأخذ الصلة : عشرة آلاف درهم والحملان والخلع وانصرف . وأمر لأبي الهول وسلم الخاسر بخمسة آلاف خمسة آلاف وانصرفا ، فكان الشعر لأبي الغول حيث يقول : حاز ، إلخ . وانظر كتاب التشبيهات لابن أبي عون ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(١) في اللسان ٢٤٠/١٥ « الصمصام والصمصامة : السيف الذي لا يثني ، والصمصامة : سيف عمرو بن معدى كرب » .

(٢) كلنا في الحيوان . وفي الجليس والأيتس ، وديوان المعاني ، وروج الذهب ، ووفيات الأعيان « خير ما أغمدت » .

(٣) في وفيات الأعيان « بين حديه برد من ذباح تميس » .

(٤) في وفيات الأعيان « شابت فيه » . وديوان المعاني « شابت به » . وفي الحيوان « ثم ساطت به الزعاف المنون » . والدعاف : سم ساعة ، كما في اللسان

٨/١١

(٥) في م ، ا ، ب ووفيات الأعيان وديوان المعاني « فإذا ما سلته » .

(٦) في ديوان المعاني ووفيات الأعيان « ما تستقر » .

وَكَاثُ الْفَرِثَةِ وَالرَّوْثَقُ الْجَا رَى فِي صَفْحَتِهِ مَا مَعِينُ^(١)
 نِعْمَ غِرَاقُ ذِي الْخَفِيطَةِ فِي الْهَيَّ جَاءَ يَمِصِي بِهِ ، وَنِعْمَ الْقَرِينُ^(٢)
 مَا يَأْكُلِي إِذَا انْتَحَاهُ بِضَرْبِ أَشْمَالٍ سَطَّتْ بِهِ أُمُّ عَيْنِ^(٣)

• • •

وإنما يُوازَن شعر البُحْثَرِيِّ بشعر شاعر من طبقة ، ومن أهل عصره ، ومن هو في مضماره أوفى منزلته .

ومعرفة أَجْناس الكلام ، والوقوف على أسرارهِ ، والوقوف على مقداره ، شيء - وإن كان عزيزاً ، وأثراً - وإن كان بعيداً - فهو سهل على أهله ، مستجيب لأصحابه ، مطيع لأربابه ، يتقدون الحروف ، ويعرفون الصُرُوف .

وإنما تبقى الشبهة في ترتيب الحال بين البُحْثَرِيِّ ، وأبي تَمَّام ، وابن الرُّومى ، وغيره .

ونحن وإن كنا نُفَضِّل البُحْثَرِيَّ بديباجة شعره ، على ابن الرُّومى

(١) في المرجعين السابقين : « ولجوهر الجارى » . وفي م : « على صفحته » .
 وس : « في صفحته » . وفي اللسان ٣/٣٤٤ « وصَفَحُ السيف وصَفَحَه : عَرَضَه ،
 والجمع : أَصْفَاح . وصَفَحْنَا السيف : وَجَّهَاه » .

(٢) م : « يقضى به » . وفي ديوان المعاني : « في الهيجا بعضاتها » .

(٣) في ديوان المعاني : « إذا انتضاه » . وبعده فيه :

وكان المتنون نيطت إليه فهو من كل جانيه متون
 أخذ عليه من هذه الأبيات تشبيه السيف بالشمس ثم بالقبس ؛ لأنه قد حطه
 درجات » .

وغیره من أهل زمانه — : تقدّمه بحسن عبارته ، وسلسلة كلامه^(١) ،
وعذوبة ألفاظه ، وقلة تمقد قوله .

والشعرُ قَبِيلٌ مُلْتَمَسٌ مستدرِكٌ ، وأمر ممكن مُطِيعٌ^(٢) .

ونظم القرآن حالٍ عن أن يملق به الوهم ، أو يسمو إليه الفكر ، أو
يطمع فيه طامع ، أو يطلبه طالب : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ^(٣) ﴾ .

وكنْتُ قد ذكرتُ لك قبل هذا : أنك إن كنت بصنعة علم
اللسان مُتَدَرِّبًا ، وفيه متوجها متقدما ، أمكنك الوقوفُ على ما ذكرنا ،
والنفوذُ فيما وصفنا ، وإلا فاجلس في مجلس المقلّدين ، وارض بمواقف
التحيرين .

ونصحتُ لك حيثُ قلتُ : انظر ، هل تعرفُ عُروقَ النخب ،
ومحاسن الجواهر ، وبدائع الياقوت ، ودقائق^(٤) السحر ، من غير معرفة
بأسباب هذه الأمور ومقدماتها ؟ وهل يُقطع مَمْتُ البلاد من غير
اهتداء فيها ؟

ولكل شيء طريقٌ يُتَوَصَّلُ إليه به ، وياب يؤخذ نحوه فيه ،
ووجه يؤتى منه .

(١) م : « عبارته ، وعذوبة ألفاظه » .

(٢) س : « منطيع » .

(٣) سورة فصلت ٤٢ .

(٤) س : « ودقائق » .

ومعرفة الكلام أشد من المعرفة بجميع ما وصفت^(١) لك ؛ وأنمض وأدق وألطف .

وتصوير ما في النفس ، وتشكيل ما في القلب ، حتى تعلمه وكأنك مشاهده ، وإن كان قد يقع بالإشارة ، ويحصل بالدلالة والأمانة كما يحصل بالنطق الصريح ، والقول الفصيح . فلإشارات أيضاً مراتب ، ولللسان^(٢) منازل . ورب وصف يُصور لك الموصوف كما هو على جهته لا خلف فيه ، ورب وصف يبر^(٣) عليه^(٤) ويتعداه ، ورب وصف يقصر عنه .

ثم إذا صدق الوصف ، انقسم إلى صحة وإتقان ، وحسن وإحسان ، وإلى إجمال وشرح ، وإلى استيفاء وتقريب ، وإلى غير ذلك من الوجوه .

ولكل مذهب وطريق ، وله^(٥) باب وسبيل :
فوصف الجملة الواقعة ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا^(٦) ﴾ .
والتفسير كقوله : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً

(١) م : « ما ذكرت » .

(٢) ا ، ب : « ومنازل » .

(٣) كذا في ا ، ب ، م ، ك . وفي س : « يربو » .

(٤) م : « علته » .

(٥) س : « وكل مذهب وطريق له باب » .

(٦) سورة الكهف ١٨ .

وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا^(١) ﴿ إلى آخر الآيات في هذا المعنى .
 وكبحر قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ
 شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرْوُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ
 كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ،
 وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ^(٢) 》 .

هذا مما يصور الشيء على جهته ، ويمثل أهوال ذلك اليوم .
 ومما يصور لك الكلام الواقع في الصفة ، كقوله حكاية عن
 السَّحَرَةِ لَمَّا تَوَعَّدَهم فرعون بما توعدهم به حين آمنوا : ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ،
 إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ، إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا
 أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ^(٣) 》 .

وقال في موضع آخر : ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ، وَمَا نَنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا
 أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا
 مُسْلِمِينَ^(٤) 》 .

وهذا يُنبئ عن كلام الحزين لِمَا ناله ، الجازع لما مَسَّهُ .
 ومن باب التسخير والتكوين ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ
 شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(٥) 》 .

(١) سورة الكهف ٤٧

(٢) سورة الحج ١ - ٢

(٣) سورة الشعراء ٥١ - ٥٢

(٤) سورة الأعراف ١٢٥ - ١٢٦

(٥) سورة يس ٨٢

وقوله : ﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ^(١) 〉 .
 وكقوله : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِمِصْرِكَ الْبَحْرَ فَأَفْثَلَقَ
 فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ^(٢) 〉 .
 وتقصى أقسام ذلك مما يطول ، ولم أقصد استيفاء ذلك ، وإنما
 ضربت لك المثل بما ذكرت لتستدل ، وأشرت إليك بما أشرت
 لتأمل .

• • •

وإنما اقتصرنا على ذكر قصيدة البحترى ، لأن الكتاب يفضلونه
 على أهل دهره ، ويقدمونه على من في عصره ؛ ومنهم من يدعى له
 الإعجاز غلوًا ، ويزعم أنه يُنَاقِى النّجَمَ في قوله غلوًا ؛ والمُلْحِدَةُ
 تَسْتَظْهِرُ بشعره ، وتكثر بقوله ، وترى ^(٣) كلامه من شبهاتهم ،
 وعباراته مُضَافَةٌ ^(٤) إلى ما عندهم من ترّاهتهم . قَيْنَا قَدَرَ درجته ،
 وموضع رتبته ، وحدّ كلامه .

وهيات أن يكون المَطْمُوغُ فيه كالمَأْيُوسِ منه ^(٥) ، وأن يكون الليل
 كالتَّهَارِ ، والباطل كالحَقِّ ، وكلام رب المَلِئِينَ ككلام البشر ^(٦) .

(١) سورة البقرة ٦٥

(٢) سورة الشعراء ٦٣

(٣) كذا في م ، ك وفي س «وتدعى» .

(٤) س : «مضافاً» .

(٥) م : «كالمعجوز عنه» .

(٦) م : «ككلام الآدميين» .

• • •

فإن قال قائل : فقد قدحَ الملحد في نظم القرآن ، وأدعى عليه الغلط في البيان ؛ وأضاف إليه الخطأ في المعنى واللفظ ، [وزعم ما زعم ^(١)] ، وقال ما قال ؛ فهل من فصلٍ ؟

قيل : الكلام على مطاعن الملحدة في القرآن مما قد سبقنا إليه ، وصنّف أهلُ الأدب في بَعْضِهِ ، فَكَفَوْا ، وأتى المتكلمون على ما وقع إليهم ، فَشَقَوْا ؛ ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه في كتابنا .

وأما الغرض الذي صَنَعْنَا فيه في التفصيل والكشف عن إعجاز القرآن ^(٢) ، فلم نجد على التريب الذي قصدنا ، وقد رجونا أن يكون ذلك مُعْنِيًا ووَاقِيًا .

وإن سهّل الله لنا ما نؤينه : من إملأ « معاني القرآن » ^(٣) ، ذكرنا في ذلك ما يشبهه من الجنس الذي ذكروه ؛ لأن أكثر ما يقع من الطعن عليه ، فإنما يقع على جهل القوم بالمعاني ، أو بطريقة كلام العرب .

وليس ذلك من مقصود كتابنا هذا ، وقد قال النبي صلى الله عليه

(١) الزيادة من ا ، ب ، م

(٢) ما بين الرقمين ساقط من م

وسلم : « فضلُ كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »^(١) .
وقد قصدنا فيما أملينا الاختصار ، ومهدنا الطريق ، فمن كل طبعه
للوقوع^(٢) على فضل أجناس الكلام استدرك ما يتنا ، ومن تعذر عليه
الحكم بين شعر جرير والفرزدق والأخطل ، والحكم بين فضل زهير
والنابغة ، أو الفضل^(٣) بين البحترى وأصحابه ، ولم يعرف سُخف^(٤)
مُسَيْلَمَةَ في نظمه ، ولم يعلم أنه من الباب الذي يهزأ به ويُسخرُ منه ،
كشعر أبي العنيس^(٥) في جملة الشعر ، وشعر على بن صلاة^(٦) — :
فكيف يمكنه النظر فيما وصفنا ، والحكم على ما يتنا !

(١) يقول الشيخ أحمد محمد شاكر في تخرجه لهذا الحديث : رواه
الترمذى من حديث أبي سعيد الخدرى ، (٤ : ٥٧ من شرح المباركفوري) ،
ضمن حديث ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب » وكذلك رواه
الدارى في سنته (٢ : ٤٤١ طبعة دمشق) . ونقله الحافظ ابن حجر في فتح
البارى (٩ : ٥٨-٥٩) عن الترمذى ، وقال : « رجاله ثقات لإعطية العوفى ،
ففيه ضعف » .

(٢) كذا في م ، ك . وفي س « للوقوف »

(٣) م : « والفصل »

(٤) م : « فضل مسيلمة » !

(٥) كذا في م ، ك . وفي ا : « أبي العميس » . وس : « أبي العيس » . وأبو
العنيس : هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنيس بن المغيرة بن ماهان ،
أحد الأدباء الملحاه ، كان خبيث اللسان ، هاجى أكثر شعراء زمانه ، وفادى
المتوكل ، وله مع البحترى خبر مشهور ، توفي سنة خمس وسبعين ومائتين .
راجع تاريخ بغداد ٢٣٨/١ ومعجم الشعراء ص ٤٤٢ والأغاني ١٨/١٧٣-١٧٥
(٦) كذا في ا . وفي م « على بن صلابه » . وس ، ك « على بن صلاة »

فإن قال^(١) قائل : فاذكر لنا من هؤلاء الشعراء الذين ميمتهم
الأشعر والأبلغ .

قيل له : هذا أيضاً خارج عن غرض هذا الكتاب ، وقد تكلم
فيه الأدباء . ويحتاج أن يجرّد^(٢) لنحو هذا كتاب^(٣) ، وفرد له باب ؛
وليس من قيل ما نحن فيه بسبيل .

وليس لقائل أن يقول : قد يسلّمُ بعضُ الكلام من الموارض
والعيوب ، ويبلغُ أمدّه^(٤) في الفصاحة والنظم المصيب ؛ ولا يبلغ
عندكم حدّ المعجز ؛ فلم قضيتم بما قضيتم به في القرآن دون غيره من
الكلام ؟

وإنما يصح^(٥) هذا السؤال ، وما نذكر فيه من أشعار في نهاية
الحسن ، وخطب ورسائل في غاية الفضل — : لأنّا قد يئنا أن هذه
الأجناس قد وقع التنازع^(٦) فيها ، والمساماة عليها ، والتنافس في طرقها ،
والتنافر في بابها ؛ وكان البون بين البعض والبعض في الطبقة الواحدة
قريباً ، والتفاوت خفيفاً ، وذلك القدر من سبق إن ذهب عنه^(٧)

(١) ا ، ب « قال لنا »

(٢) كلنا في م ، ب . وفي « يجرّد » . و س ، ك « يجرّد »

(٣) ا : « كتابا »

(٤) م : « أمره »

(٥) م : « يصحح »

(٦) س : « النزاع »

(٧) س : « عن »

الوَاحِدُ، لم يَأْس منه الباقون ، ولم يَنْقَطِع الطمع في مثله .

وليس كذلك سَمَتُ القرآن ، لأنه قد عُرِفَ أَنَّ الوَعْمَ يَنْقَطِعُ دون مُجَارَاتِهِ ، والطَّمَعُ يَرْتَفِعُ عن مُبَارَاتِهِ وَمُسَامَاتِهِ ؛ وَأَنَّ الْكُلَّ في المعجز عنه على حَدٍّ واحدٍ .

وكذلك قد يزعم زاعمون^(١) : أَنَّ كَلامَ الْجَاحِظِ مِنَ السَّمَتِ الَّذِي لَا يُؤْخَذُ^(٢) فِيهِ ، وَالْبَابِ الَّذِي لَا يُنْهَبُ^(٣) عَنْهُ ؛ وَأَنْتَ تَجِدُ قَوْمًا يَرْوْنَ كَلَامَهُ قَرِيبًا ، وَمِنْهَاجَهُ مَمِيبًا ، وَنَاطِقَ قَوْلِهِ ضَمِيمًا ، حَتَّى يَسْتَمِينَ بِكَلامِ غَيْرِهِ ، وَيُفْزِعَ إِلَى مَا يُوشَّحُ بِهِ كَلَامَهُ : مِنْ بَيْتٍ سَائِرٍ ، وَمَثَلٍ^(٤) نَادِرٍ ، وَحِكْمَةٍ مُمَهَّدَةٍ مَنْقُولَةٍ ، وَقِصَّةٍ عَجِيبَةٍ مَأْثُورَةٍ . وَأَمَّا كَلَامُهُ فِي أَمْنَاءِ ذَلِكَ فَسُطُورٌ قَلِيلَةٌ ، وَأَلْفَاظٌ يَسِيرَةٌ ، فَإِذَا أُخْرِجَ إِلَى تَطْوِيلِ الْكَلَامِ خَالِيًا عَنْ شَيْءٍ يَسْتَمِينَ بِهِ — فَيَخْطُطُ بِقَوْلِهِ مِنْ قَوْلِ غَيْرِهِ — كَانَ كَلَامًا^(٥) كَكَلَامِ غَيْرِهِ .

فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَحَقِّقَ هَذَا ، فَانْظُرْ فِي كِتَابِهِ فِي « نَظْمِ الْقُرْآنِ » وَفِي « الرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى » وَفِي « خَبَرِ الْوَاحِدِ » وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي

(١) م : « زاعم »

(٢) م : « لا يؤخذ »

(٣) كذا في ب ، ك . وفي م : « الذي ينهب عنه »

(٤) كذا في ا ، ب ، م . وفي س : « متصل » . و ك : « ومثل بيت نادر »

(٥) سقطت هذه الكلمة من م .

هذا المجرى ، هل تجدد في ذلك كله ورقة [واحدة ^(١)] تشتمل على نظم بديع ، أو كلام مليح ؟

على أن متأخرى الكتاب قد نازعوه في طريقتة ، وجاذبوه على منهجه ، ففهم من ساواه حين ساماه ، ومنهم من أبر عليه إذ باراه .

هذا « أبو الفضل بن العميد » قد سلك مسلكه ^(٢) ، وأخذ طريقه ، فلم يقصر عنه ، ولعله قد بان تقدمه عليه ، لأنه يأخذ في الرسالة الطويلة فيستوفى على حدود مذهبه ، ويكملها على شروط صنعتها ، ولا يقتصر على أن يأتي بالأسطر من نحو كلامه ، كما ترى الجاحظ يفعل في كتبه ، متى ذكر من كلامه سطرًا أتبعه من كلام الناس ^(٣) أوراقًا ؛ وإذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتابًا .

وهذا يدل على أن الشيء إذا استحسن أثبت ، وإذا استملح قصده له ونمى ^(٤) . وهذا الشيء يرجع إلى الأخذ بالفضل ، والتنافس في التقدم .

فلو كان في مقدور البشر معارضة القرآن لهذا الغرض وحده ، لكثرت المعارضات ، ودامت المنافسات .

فكيف وهناك دواع لا انتهاء لها ، وجوالب لا حد لكثرتها ،

(١) الزيادة من ا ، م ، ب .

(٢) م ، ا ، ب : « سلك مذهبه » .

(٣) م : « من كلام غيره » .

(٤) م : « ونمى » .

لأنهم لو كانوا عارضوه لتوصلوا إلى تكذيبه ، ثم إلى قطع المحامين دونه عنه ، أو تفجيرهم عليه ، وإدخال الشبهات^(١) على قلوبهم ، وكان القوم يكتفون بذلك عن بذل النفوس ، ونصب الأرواح ، والإختار بالأموال والذرائع ، في وجه عداوته ، ويستفنون بكلام — هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم — عن محاربه ، وطول مناقشته^(٢) ومجازته . وهذا الذي عرضناه على [عقلك ، وجلواناه على^(٣)] قلبك ، يكفي إن هديت لرؤسك ، ويشفي إن دلت على قصدك .
ونسأل الله حسن التوفيق ، والعصمة والتسديد ؛ إنه لا معرفة إلا بهدائه ، ولا عصمة إلا بكفأته ؛ وهو على ما يشاء قدير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) م : « أو قلوبهم عليه بإدخال الشبه »

(٢) م ، ل : « مناقشته »

(٣) الزيادة من ا ، م وفيها « لقلبك »

فصل

فإن^(١) قال قائل : قد يجوز أن يكون أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم قد عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ، وإن كان مَنْ بَدَمَ من أهل الأعصار لم يعجزوا ؟

قيل : هذا سؤال معروف ، وقد أجيب عنه بوجوه ، منها ما هو صواب ، ومنها ما فيه^(٢) خلل :

لأن من كان يجب عنه : بأنهم^(٣) لا يقدرّون على معارضته في الإخبار عن الغيوب إن قدروا على مثل نظمه — فقد سَلَمَ المسألة ؛ لأننا ذكرنا أن نظمه معجز لا يُقدر عليه ، فإذا أجاب بما قدمناه فقد وافق السائل على مراده .

والوجه أن يقال : فيه طرق :

منها : أننا إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله ، فمن بَدَمَ أعجز ؛ لأن فصاحة أولئك في وجوه ما كانوا يتفتنون^(٤) فيه من القول ، مما لا يزيد عليه فصاحة مَنْ بَدَمَ ،

(١) : ١ : وإن ،

(٢) : م : ما هو ،

(٣) : م : لأنهم ،

(٤) : م : يتفتنون ،

وأحسن^(١) أحوالهم أن يُقَارَبُومَ أو يُسَاوُومَ ، فأما أن يُعْدَمُومَ أو يُسَبْقُومَ ، فلا .

ومنها : أنا قد علمنا عجزَ سائرِ أهلِ الأعْصَارِ كعلمنا بمجزِ أهلِ العصرِ الأولِ ، والطريقِ في العلمِ بكلِّ واحدٍ من الأمرين طريقَ واحدٍ ، لأنَّ التحذِيَّ في الكلِّ على جهةٍ واحدةٍ ، والتنافسُ^(٢) في الطباعِ على حدِّ [واحد^(٣)] ، والتكليفُ^(٤) على منهاجٍ لا يختلفُ . ولذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا^(٥) ﴾ .

(١) م : « من بعدهم ، فإذا أحسن »

(٢) م : « والتنافس »

(٣) الزيادة من م

(٤) كذلك في أ ، م ، ب وفي س ، ك « والتكليف »

(٥) سورة الإسراء ٨٨

فصل

{ في التَّحْدِي }

يجب أن تعلم أن من حكم المعجزات إذا ظهرت على الأنبياء أن :
يَدْعُوا فيها أنها من دلائلهم وآياتهم ؛ لأنه لا يصح بعثة النبي من غير
أن يؤتى دلالة ، ويؤيد بآية ، لأن النبي لا يتميز من الكاذب
بصورته ^(١) ، ولا بقول نفسه ، ولا بشيء آخر ، سوى البرهان الذي
يظهر عليه ، فيستدل به على صدقه .

فإذا ذَكَرْ لهم أن هذه آيتي ، وكانوا عاجزين عنها ، صح له
ما ادَّعاه .

ولو كانوا غير عاجزين عنها لم يصح أن يكون برهاناً له .
وليس يكون معجزاً إلا بأن يتحداً إلى أن يأتوا بمثله ، فإذا تحداً
وَبَانَ عَجْزُهُمْ صار ذلك معجزاً .

وإنما احتيج في باب القرآن إلى التَّحْدِي ، لأن من الناس من
لا يعرف كونه معجزاً ، فإِذَا يُعْرَفُ أولاً إعجازه بطريق ^(٢) ، لأنَّ
الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه ^(٣) وصورته ، وإنما يحتاجُ
إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزاً .

(١) م : « في صورته »

(٢) س : « بطريقة »

(٣) م : « من صورته »

فإن كان لا يعرف بمفهم إعجازه ، فيجب أن يعرف هذا ، حتى يمكنه أن يستدل به .

ومتى رأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه بأجمعهم ، مع التحدى إليه ، والتفريع به ، والتمكين^(١) منه — صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء ، واقلاب المعصى ثماناً تَلَقَّفَ مَا يَأْفِكُون .

وأما من كان من أهل صنعة المربية ، والتقدم في البلاغة ، ومعرفة فنون^(٢) القول ، ووجوه المنطق ، فإنه يعرف — حين يسمعه — عجزه عن الإتيان بمثله ، ويعرف أيضاً أهل عصره ، ممن هو في طبقتهم أو يدانيه في صناعته ، عجزهم عنه ، فلا يحتاج إلى التحدى حتى يعلم به كونه مُعْجِزاً .

ولو كان أهل الصنعة الذين صفتهم ما يَدِينُ لا يعرفون كونه معجزاً حتى يعرفوا عجز غيرهم عنه ، لم يجوز أن يعرف النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن معجز حتى يرى عجز قرش عنه بعد التحدى إليه ، وإذا عَرَفَ عجز قرش لم يعرف عجز سائر العرب عنه حتى ينتهى إلى التحدى إلى أقصاهم ، وحتى يعرف عجز مُسْلِمَةَ الكذاب عنه ، ثم يعرف حينئذ كونه مُعْجِزاً .

وهذا القول — إن قيل — أخش ما يكون من الخطأ !!

(١) ا: « والتمكن »

(٢) م: « والمعرفة بفنون »

فيجب أن تكون منزلة أهل الصنعة في معرفة إعجاز القرآن بأنفسهم منزلة من رأى اليد البيضاء وفلق البحر ، بأن ذلك معجز . وأما من لم يكن من أهل الصنعة فلا بد له من مرتبة قبل هذه المرتبة ، يعرف بها كونه معجزاً ، فيساوى حينئذ أهل الصنعة ، فيكون استدلالهما في تلك الحالة به على صدق من ظهر ذلك عليه على سواه^(١) ، إذا ادّعاؤه — دلالة على نبوته ، وبرهانه على صدقه .

فأما من قدر أن القرآن لا يصير معجزاً إلا بالتحدى إليه ، فهو كتقدير من ظن أن جميع آيات موسى وعيسى عليهما السلام ليست بآيات حتى يقع التحدى إليها والحض عليها ، ثم يقع المعجز عنها ، فيعلم حينئذ أنها معجزات^(٢) .

وقد سلف من كلامنا في هذا المعنى ما يغنى عن الإعادة . وبين ما ذكرناه في غير البليغ : أن الأعجمي الآن لا يعرف إعجاز القرآن إلا بأمور زائدة على الأعجمي الذي كان في ذلك الزمان مشاهدًا له ، لأن من هو من أهل العصر يحتاج أن يعرف أولاً أن العرب عجزوا عنه ، وإنا يعلم عجزهم عنه بنقل الناقلة إليه أن^(٣) النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدّى العرب إليه فمعجزوا عنه ، ويحتاج في النقل إلى شروط ، وليس يصير القرآن بهذا النقل معجزاً ، كذلك لا يصير معجزاً بأن

(١) م : «سواه»

(٢) م : «معجزة»

(٣) م : «لأن»

يُعلم العربي الذي ليس يبلغ أنهم قد مجزوا عنه بأجمعهم^(١) ، بل هو
ممجز في نفسه ، وإنما طريق معرفة هذا^(٢) وقوفهم على العلم
بمجزم عنه .

(١) س : « بأجمعهم »

(٢) م : « طريق المعرفة بهذا »

فصل

{ في قدر المعجز من القرآن }

الذى ذهب إليه عامة أصحابنا - وهو قول [الشيخ] ^(١) أبي الحسن الأشعري في كتبه - : أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة ، قصيرة كانت أو طويلة ، أو ما كان بقدرها .

قال : فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة ^(٢) ، وإن كانت سورة الكوثر ، فذلك معجز .

قال : ولم يقدّم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر .

وذهبت ^(٣) المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة .

وقد حكي عنهم نحو قولنا ، إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة ، بل شرط الآيات الكثيرة .

وقد علمنا أنه تحدام تحدياً إلى السور كلها ، ولم يخص . ولم يأتوا لشيء منها بمثل ، فلم أن جميع ذلك معجز .

وأما قوله عز وجل : { فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ } ^(٤) ، فليس بمخالف

(١) الزيادة من م .

(٢) س : « السورة » .

(٣) س : « وذهب » .

(٤) سورة الطور ٥٢ .

لهذا ؛ لأن الحديث التام لا تحصل حكايته في أقل من كلمت
سورة قصيرة .

وهذا يؤكد ما ذهب إليه أصحابنا وبؤيده ، وإن كان قد يتأول
قوله : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ على أن يكون راجعاً إلى القليل
دون التفصيل .

وكذلك يُحتملُ قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ ^(١) ، على القليل ، لأنه
لم يحمل الحجة عليهم عجزاً عن الإتيان بجميعه من أوله إلى آخره .

فإن قيل : هل تعرفون إيجاز السور القصار بما تعرفون به إيجاز
السور الطوال ؟ وهل تعرفون إيجاز كل قدر من القرآن بلغ الحد الذي
قدرتموه بمثل ما تعرفون به إيجاز سورة البقرة ونحوها ؟

فالجواب : أن [شيخنا] ^(٢) أبا الحسن الأشعري ، رحمه الله ^(٣) ،
أجاب عن ذلك : بأن كل سورة قد علم كونها مُعجزةً بمعجز
العرب عنها .

وسمعت بعض الكبراء من أهل هذا الشأن ، يقول : إن ذلك
يصح أن يكون علم ذلك توقيفاً .

والطريقة الأولى أسدٌ . وليس هذا الذي ذكرناه أخيراً بخلاف له ،

(١) سورة الإسراء ٨٨

(٢) الزيادة من م

(٣) م : رحمه الله عليه ،

لأنه لا يمتنع أن يعلم إعجازه بطرق مختلفة تتوافق عليه وتجتمع فيه .
واعلم أن تحت اختلاف هذه الأجوبة ضرباً من الفائدة .
لأن الطريقة الأولى تبين أن ما علم به كون جميع القرآن معجزاً
موجوداً في كل سورة ، صغرت أو كبرت ، فيجب أن يكون الحكم
في الكل واحداً .

والطريقة الأخيرة تتضمن تعذراً لمعرفة إعجاز القرآن بالطريقة التي
سلكناها في كتابنا^(١) من التفصيل الذي يتنا ، فيما تعرف به في الكلام
الفصاحة ، وتبين به^(٢) البلاغة ، حتى يعلم ذلك وجه^(٣) آخر ، فيستوى
في هذا القدر البليغ وغيره ، في أن لا يعلمه معجزاً حتى يستدل به
من وجه آخر سوى ما يعلمه البلاء من التقدم في الصنعة ، وهذا
غير ممتنع .

الآن ترى أن الإعجاز في بعض السور والآيات أظهر ، وفي بعضها
أغمض [وأدق ؟ فلا يفتر البليغ]^(٤) في النظر في حال بعضها إلى تأمل
كثير ، ولا بحث شديد ، حتى يتبين له الإعجاز .

ويشتقر في بعضها إلى نظر دقيق وبحث لطيف ، حتى يقع على
الجليّة ، ويصل إلى المطلب .

(١) م : « في بناء من التفصيل » .

(٢) م ، ك : « فيه » .

(٣) م : « توجه » .

(٤) الزيادة من ا ، ب ، م ، ك وفي م « أغمض وقد لا يحتاج في النظر » .

ولا^(١) يتمتع أن ينهب عليه الوجه في بعض السور، فيحتاج أن يفرغ فيه إلى إجماع أو توقيف، أو ما علمه من عجز العرب فأطبه عنه. فإن ادعى ملحد^(٢)، أو زعم زنديق^(٣)، أنه لا يقع العجز عن الإتيان بمثل السور القصار أو الآيات بهذا المقدار !

قلنا له : إن الإعجاز قد حصل بما بيناه، وعُرف بما وقفنا عليه^(٤) من عجز العرب عنه .

ثم فيه شيء آخر ، وهو : أن هذا سؤال لا يستقيم للملحد^(٥)، لأنه يزعم أنه ليس في القرآن كله إعجاز ، فكيف يجوز أن يناظره على تفصيله^(٦) ؟ !

ولذا ثبت لنا معه إعجازه في السور الطوال ، قامت الحجة عليه ، وثبتت المعجزة ، ولا معنى لطلبه لكثرة الأدلة والمعجزات . ونحن نعلم أن^(٧) إعجاز البعض بما بيناه ، والبعض الآخر بأنه^(٨) إذا ثبت الأصل لم يبق بعد ذلك إلا قولنا ؛ لأننا عرّفنا في البعض^(٩) الإعجاز بما بينا ، ثم عرّفنا في الباقي بالتوقيف ، ونحو ذلك .

(١) م : « فلا »

(٢) م : « بما وصفناه من »

(٣) م : « للملحدة »

(٤) م : « على تفصيله »

(٥) م : « نعلم إعجاز »

(٦) م : « لأنه »

(٧) م : « في بعض »

وليس بمستع اختلاف حال الكلام ، حتى يكون الإعجازُ على بعضه أظهر ، وفي بعضه أغمض ؛ ومن آمن ببعض دون بعض كان مذموماً ، على ما قال الله تعالى : ﴿ أَقْتُولُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ .^(١) وقال : ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) . فظاهره عند بعض أهل التأويل كاللَّذليل على أن الشفاء^(٣) يعضه أوْقع ، وإن كنَّا نقول : إنه يدل على أن الشفاء^(٤) في جميعه .

واعلم أن الكلام يقع فيه الأبلغ والبلغ ، ولذلك كانوا يسمون الكلمة : « نِيْمَةً » ، ويسمون البيت الواحد : « نَيْمًا »^(٥) .

سمعتُ إسماعيل بن عبَّاد^(٦) يقول : سمعت أبا بكر بن مقسم^(٧) يقول : سمعت ثعلباً يقول : [سمعت سلمة^(٨) يقول] : سمعت الفراء

(١) سورة البقرة ٨٥

(٢) سورة الإسراء ٨٢

(٣) ما بين الرقمين ساقط من م

(٤) م : « بيتا »

(٥) م : « عبادة » وقد توفى الصاحب لإسماعيل بن عباد سنة خمس وثمانين

وثلاثمائة ، كما في وفيات الأعيان ٢٠٩/١

(٦) اسمه محمد بن الحسن بن يعقوب ، ولد سنة ٢٦٥ ومات سنة ٣٥٤

راجع ترجمته في معجم الأدباء ١٥٠/١٨ - ١٥٤ وبغية الوعاة ص ٣٦ وتاريخ بغداد ٢٠٦/٢ - ٢٠٨

(٧) هو سلمة بن عاصم النحوي ، وراق الفراء ، راجع ترجمته في بغية

الوعاة ص ٢٦٠ ومعجم الأدباء ٢٤٢/١١ - ٢٤٣ وتاريخ بغداد ١٣٤/٩

(٨) الزيادة من أ ، ب ، م . وفي م ، ك « ثعلباً يقول سمعت الفراء »

وهو خطأ فإن الفراء مات سنة سبع ومائتين ، عن سبع وستين سنة ، وقد ولد

يقول : العرب تسمى البيت الواحد ينياً ، وكذلك يقال ^(١) : « الدرة
الينيمة » ، لافرادها ، فإذا بلغ البيتین والثلاثة فهي « تنفة » ، وإلى
العشرة تسمى « قطعة » ، وإذا بلغ العشرين استحقَّ أن يسمى
« قصيداً » ، وذلك مأخوذ من المخَّ القصيد ، وهو المتراكم بمضنه
على بعض ، وهو ضد الرار ^(٢) ، ومثله الرعيد ^(٣) .
انتهت الحكاية ، ثم استشهد بقول لبيد ^(٤) :

فَتَذَكَّرًا تَقَلًّا رَيْدًا بَعْدَ مَا أَلْقَتْ ذُكَاةً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ ^(٥)

تعلب سنة مائتين ، وتوفى سنة إحدى وتسعين ومائتين . كما في بغية الوعاة ص
١٧٣ ، ٤١١

(١) م : « تقول »

(٢) في اللسان ٣٥٤/٤ « وأصله من القصيد وهو المخ السمين الذي
يتقصد ، أى يتكسر لسمنه ، وضده الرير والرار ، وهو المخ السائل الذائب
الذى يبيع كالماء ولا يتقصد »

(٣) م : « الرئيد »

(٤) في اللسان ١٥٢/٤ « وقال ثعلبة بن صُعير المازني - وذكر الظلم
والنعامة ، وأنها تذكرا ييضها في أدحهما فأسرعا إليه - فتذكرا تقلا إلخ
والرئد بالتحريك : متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض ، والمتاع رئيد ومرتود
ونسبه لثعلبة أيضاً في ٤٦٣/٦ ، كما نسب له أيضاً ابن قتيبة في الشعر والشعراء
٢٤٣/١ وهو لثعلبة من قصيدة في المفضليات ص ١٣٠

(٥) م : « رئيدا » م : « في كفار » وفي اللسان ٤٦٣/٦ « وذكاة : اسم
للشمس . أَلْقَتْ يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ : أى بدأت للمغيب . قال الجوهري : ويحتمل
أن يكون أراد الليل ، وذكر ابن السكيت أن لبيدا سرق هذا المعنى فقال :
حتى إذا أَلْقَتْ يَدَا فِي كَافِرٍ وَأَجْنَعُ عَوْرَاتِ الثَّغُورِ ظِلَامَهَا ،
وانظر الشعر والشعراء ٢٤٣/١

يريد يَضُّ النَّامِ ، لأنه يتضد بمضه على بعض .
وكذلك يقع في الكلام البيتُ الوَحْشِيُّ والنَّادِرُ ، والمثل السائر ؛
والمعنى القريب ، والشئ الذي لو اجتهدَ له لم يقع عليه ، فيَتَفَقَّ له
ويصادفه .

قال لى بعضُ علماء هذه الصَّنعة — وجَارِيَّتُهُ في ذلك — : إنَّ هذا
مما لا سبب له يخصه ، وإنما سببه الفزارة^(١) في أصل الصنعة ، والتقدم
في عيون^(٢) المعرفة ؛ فإذا وجد ذلك وقع له من الباب ما يطرد عن
حساب ، وما يشذَّ عن تفصيل الحساب .
فأما ما قلنا : مِنْ أَنَّ مَا بَلَغَ قَدْرَ السُّورَةِ مُعْجَزٌ ، فَإِنَّ ذَلِكَ صَحِيحٌ .

(١) كذا في ا ، ك ، م ، ب وفي من « القزارة »
(٢) كذا في س ، ك وفي ا ، ب ، م « في عنوان »

فصل

﴿ في أنه هل يُعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟ ﴾

ذهب [الشيخ]^(١) أبو الحسن الأشعرى إلى أن ظهور ذلك عن^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم يُعلم ضرورة ، وكونه معجزاً يعلم باستدلال^(٣). وهذا المذهب محكى عن المخالفين .

والذى نقوله فى هذا : أن الأعجى لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً ، وكذلك من لم يكن بليغاً .

فأما البليغ الذى قد أحاط بمذاهب المرية وغرائب الصنعة ، فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الإتيان بمثله ، ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه ؛ كما أنه إذا علم الواحد متاً أنه لا يقدر على ذلك ، فهو^(٤) يعلم عجز غيره استدلالاً .

(١) الزيادة من م

(٢) س ، ك : « على »

(٣) م : « بالاستدلال »

(٤) م : « فقد » . ك : « وهو » . ا : « وقد »

فصل

﴿ فيما يتعلق به الإعجاز ﴾

إن قال قائل : يئسوا لنا ما الذى وقع التحدى إليه ؟ : أهو الحروف المنظومة ؟ أو الكلام القائم بالذات ؟ أو غير ذلك ؟

قيل : الذى تحدّاهم به : أن يأتوا بمثل الحروف التى هى نظم القرآن ، منظومةً كنظمها ، متتابعةً كتابتها ، مطردةً كملأها ؛ ولم يتحدّم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذى لا مثل له .

وإن كان كذلك فالتحدى واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة ، التى هى عبارة عن كلام الله تعالى فى نظمها وتأليفها ، وهى حكاية لكلامه ، ودلالات عليه ، وأمارات^(١) له ، على أن يكونوا مستأفنين لذلك ، لا حاكين بما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم .

ولا يجب أن يُقدّرَ مقدر أو يظنَّ ظانُّ أننا حين قلنا : إن القرآن معجز ، وإنه^(٢) تحدّاهم إلى أن يأتوا بمثله — أردنا غير ما فسرناه ، من المبارات عن الكلام القديم القائم بالذات .

وقد بينّا قبل هذا أنه لم يكن ذلك معجزاً ، لكونه عبارة عن

(١) م : « ودلالة ... وأمرة »

(٢) م : « فإنه »

الكلام^(١) القديم، لأن التوراة والإنجيل عبارة عن الكلام^(٢) القديم .
وليس ذلك بمعجز في النظم والتأليف ، وكذلك مادون الآية
— كاللغة — عبارة عن كلامه ، وليست بعفدها بمعجزة .

وقد جوّز بعض أصحابنا : أن يتحداهم إلى مثل كلامه القديم القائم
بنفسه !

والنبي عول عليه مشايخنا ما قدّمنا ذكره ، وعلى ذلك أكثر
مذاهب الناس .

ولم نُحِبَّ أن نفسر ونذكر مُوجِبَ هذا المنهج الذي حكيناه وما
يتصل به ، لأنه خارج عن غرض كتابنا ، لأن الإعجاز واقع^(٣) في نظم
الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلامه ، وإلى مثل هذا النظم
وقع التحدى ، فبيننا وجه ذلك ، وكيفية ما يتصور^(٤) القول فيه ، وأزلنا
تَوَهُّمَ مَنْ يَتَوَهُّمُ^(٥) أن الكلام القديم حروف منظومة ، أو حروف
غير منظومة ، أو شيء مؤلف^(٦) أو غير ذلك ، مما يصح أن يتوهم ،
على ما سبق من إطلاق القول فيما مضى .

(١) م ، ك : « كلام »

(٢) ك ، م : « كلام »

(٣) س : « وقع »

(٤) س ، ك : « ما يتصور »

(٥) س ، ك : « من يتوهم »

(٦) ا ، م : « مؤلف أو نحو »

فصل

(في وصف وجوه من البلاغة)

ذكر بعضُ أهل الأدب والكلام^(١) : أن البلاغة على عشرة أقسام^(٢) :

الإيجاز ، والتشبيه ، والاستمارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتضريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان^(٣) .

فأما الإيجاز فإِنما يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى ، فيأتي باللفظ القليل الشامل لأمر كثيرة .

وذلك ينقسم إلى حذف ، وقصر :

(١) هذا البعض الذي لم يشأ المؤلف أن يصرح باسمه هو معاصره أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى ، المعتزلى (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ) صاحب كتاب النكت فى إعجاز القرآن ، الذى نقل عنه المؤلف هذا الفصل الطويل . راجع ترجمة الرمانى فى ابن خلكان ٢/ ٤٦١ ، وبغية الوعاة ٣٤٤ والإمتاع والمؤانسة ١/ ١٣٣ ومعجم الأدباء ١٤/ ٧٣ - ٧٨ وفهرست ابن النديم ص ١٤ ، ٧٣ ، ٧٨ ونزهة الألبا ص ٣٨٩ - ٣٩٢ .

(٢) النكت ص ١

(٣) قال الرمانى بعد ذلك : « ونحن نفسرها باباً باباً : الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة فالألفاظ القليلة إيجاز . والإيجاز على وجهين : حذف وقصر ، فالحذف إسقاط كلمة للإجزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام . والقصر : بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف » .

فالحذف : الإسقاط للتخفيف ، كقوله : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ ^(١) .
وقوله : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ ^(٢) .

وحذف الجواب كقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّمَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ نَفْسٍ لَبِئْسَ الْأَمْرُ لَوْلَا أَلْفَاظٌ مِنْ الْقُرْآنِ ﴾ ^(٣) . كأنه قيل : لكان هذا القرآن .

والحذف أبلغ من الذكر ، لأن النفس تنهب كل منهب في القصد من الجواب ^(٤) .

والإيجاز بالقصر ^(٥) كقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ^(٦) .
وقوله : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ ^(٧) .
وقوله : ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ ^(٨) .
وقوله : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ ^(٩) .

(١) سورة يوسف ٨٢

(٢) سورة محمد ٢١

(٣) سورة الرعد ٣١

(٤) في التكت بعد ذلك : « ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان » .

(٥) قال الرماني ص ٢ : « وأما الإيجاز بالقصر دون الحذف فهو أغمض من الحذف ، وإن كان الحذف غامضاً للحاجة إلى العلم بالمواضع التي تصلح من المواضع التي لا تصلح »

(٦) سورة البقرة ١٧٩

(٧) سورة المنافقون ٤

(٨) سورة يونس ٢٣

(٩) سورة فاطر ٤٣ . وقال الرماني بعد استشاده بالآيات السابقة :

والإطناب^(١) فيه بلاغة ، فأما التطويل ففيه عي^(٢) .

« وهذا الضرب من الإيجاز في القرآن كثير . وقد استحسّن الناس من الإيجاز قولهم : القتل أنفى للقتل . وبينه وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة والإيجاز . وذلك يظهر من أربعة أوجه : أنه أكثر في الفائدة ، وأوجز في العبارة ، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة ، وأحسن تأليفاً بالحروف المتلازمة . أما الكثرة في الفائدة ففيه كل ما في قولهم : القتل أنفى للقتل ، وزيادة معان حسنة : منها إثبات العدل لذكره القصاص ، ومنها إثبات الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة ، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به ، وأما الإيجاز في العبارة ، فإن الذي هو نظير : القتل أنفى للقتل — قوله تعالى « القصاص حياة » والأول أربعة عشر حرفاً ، والثاني عشرة حروف . وأما بعده عن الكلفة بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة ، فإن في قولهم : القتل أنفى للقتل — تكريراً غيره أبلغ منه ، ومضى كان التكرير كذلك فهو مقصر في باب البلاغة عن أعلى طبقة . وأما الحسن بتأليف الحروف المتلازمة فهو مدرك بالحس ، ووجود في اللفظ ، فإن الخروج من القاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهزمة ؛ لبعد الهزمة من اللام ، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام . فاجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وأحسن ، وإن كان الأول بليغاً حسناً » .

(١) س : « وإطناب »

(٢) قال الرومي ص ٣ : « والإيجاز بلاغة والتقصير عي ، كما أن الإطناب بلاغة والتطويل عي . والإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول عليه ، وليس كذلك التقصير ، لأنه لا بد فيه من الإخلال . فأما الأطناب فإنما يكون في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل . . . فأما التطويل فعيب وعي ، لأنه تكلف الكثير فيما يكفي فيه القليل ، فكان كالمسالك طريقاً بعيداً جهلاً منه بالطريق القريب . وأما الإطناب فليس كذلك ؛ لأنه كمن سلك طريقاً بعيداً لما فيه من التزمة الكثيرة والفوائد العظيمة ، فيحصل له في الطريق إلى غرضه من الفائدة نحو ما يحصل له بالغرض المطلوب » .

...

وأما التشبيه، فهو المقد^(١) على أن أحد الشئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل، كقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيمَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾^(٢).

وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَإِذْ تَتَنَادَى الْجِبَالُ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾^(٤).

(١) س، ك: «التشبيه بالعقد». والتصحيح من م والنكت ص ٥
(٢) سورة النور ٣٩. وقال الرماني بعد ذكره لهذه الآية ص ٦: «وهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة، إلى ما تقع عليه الحاسة، وقد اجتمعا في بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة. ولو قيل: يحسبه الرائي ماء، ثم يظهر أنه على خلاف ما قد رأى لكان بليغاً، وأبلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمآن أشد حرصاً عليه، وتعلق قلب به. ثم بعد هذه الخلية حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار، نعوذ بالله من هذه الحال. وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم، وعذوبة اللفظ، وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة».

(٣) سورة إبراهيم ١٨. وقال الرماني ص ٧: «فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة. فقد اجتمع المشبه والمشبّه به في الملاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات؛ وفي ذلك الحسرة العظيمة، والموعظة البليغة».

(٤) سورة الأعراف ١٧١. وقال الرماني ص ٧: «وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به العادة، وقد اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة. وفيه أعظم الآية لمن فكر في مقلوبات الله تعالى عند مشاهدته لذلك أو علمه به، ليطلب الفوز من قبله، ونيل المنافع بطاعته».

وقوله : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ ﴾ ^(١)

وقوله : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ، تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمِيبٌ وَلَهُوَ وَزِينَتُهُ وَقَآخِرُهُ يَبْنِئُكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ

(١) سورة يونس ٢٤ . وقال الرماني ص ٧ : « وهذا بيان قد أخرج مالم تجر به عادة إلى ما قد جرت به العادة . وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الزينة والبهجة ، ثم الملاك بعده . وفي ذلك العبرة لمن اعتبر ، والموعظة لمن تفكر في أن كل فان حقير وإن طال مدتة ، وصغير وإن كبر قدره » .

(٢) سورة القمر ١٩ ، ٢٠ . وقال الرماني ص ٨ : « وهذا بيان قد أخرج مالم تجر به عادة إلى ما قد جرت به العادة . وقد اجتمعا في قلع الريح لهما ، وإهلاكهما إياهما . وفي ذلك الآية الدالة على عظيم القدرة ، والتخويف من تعجيل العقوبة » .

(٣) سورة الرحمن ٣٧ . وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج مالم تجر به عادة إلى ما قد جرت به ، وقد اجتمعا في الحمرة وفي لين الجواهر السائلة ، وفي ذلك الدلالة على عظيم الشأن وتفوق السلطان ، لتصرف المهم إلى ما هنالك بالأمل » .

- نِبَاتُهُ ، ثُمَّ يَبْهِيحُ قَرَارَهُ مُصْفَرًّا ، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ^(١) .
- وقوله : (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَمَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) ^(٢) .
- وقوله : (مِثْلُ الَّذِينَ حَمَلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) ^(٣) .
- وقوله تعالى : (فَمَثَلُهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ ، إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ) ^(٤) .
- وقوله : (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) ^(٥) .
- وقوله : (مِثْلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمِثْلِ الْمُنْكَبُوتِ

- (١) سورة الحديد ٢٠ وقال الرماني ص ٨ : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به . وقد اجتماعا في شدة الإعجاب ، ثم في التغير بالانقلاب . وفي ذلك الاحتقار للدنيا ، والتحذير من الاغترار بها والسكون إليها »
- (٢) سورة الحديد ٢١ وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبدئية إلى ما يعلم بالبدئية . وفي ذلك البيان العجيب بما قد تقرر في النفس من الأمور ، والتشويق إلى الجنة بحسن الصفة مع ما لها من السعة » .
- (٣) سورة الجمعة ٤ وقال الرماني ص ٨ : « وهذا تشبيه قد أخرج فيه ما لا يعلم بالبدئية إلى ما يعلم بالبدئية . وقد اجتماعا في الجهل بما حلا . وفي ذلك العيب لطريقة من ضييع العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية » .
- (٤) سورة الأعراف ١٧٦ وقال الرماني ص ٧ : « فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه . وقد اجتماعا في ترك الطاعة على كل وجه من وجوه التدبير ، وفي التخصيس ، فالكل لا يطيعك في ترك الله تعالى حلت عليه أو تركته . وكذلك الكافر لا يطيعك بالإيمان على رفق ولا عنف . وهذا يدل على حكمة الله سبحانه في أنه لا يمنع اللطف » .
- (٥) سورة الحاقة ٧ وقال الرماني ص ٩ : « وهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبدئية إلى ما يعلم بالبدئية . وقد اجتماعا في خلو الأجساد من الأرواح . وفي ذلك الاحتقار لكل شيء ، يؤول به الأمر إلى ذلك المال » .

اتَّخَذَتْ يَنبُتًا ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْيَبُوتِ لَيَبْتُ الْعَنْكَبُوتِ ^(١) .

وقوله : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ^(٢) ﴾ .

وقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ^(٣) ﴾ . ونحو ذلك .

• • •

ومن ذلك : باب الاستعارة ، وذلك يُبين ^(٤) التشبيه .

كقوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا ^(٥) ﴾ .

(١) سورة العنكبوت ٤١ وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبدئية إلى ما يعلم بالبدئية . وقد اجتمعا في ضعف المعتمد وهى المستند . وفى ذلك التحذير من حمل النفس على الغرور بالعمل على غير يقين ، مع الشعور بما فيه من التوهين » .

(٢) سورة الرحمن ٢٤ وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له القوة فيها . وقد اجتمعا في العظم ، إلا أن الجبال أعظم . وفى ذلك العبرة من جهة القدرة فيما يخر من الفلك الجارية مع عظمها ، وما في ذلك من الانتفاع بها وقطع الأفطار البعيدة فيها » .

(٣) سورة الرحمن ١٤ وقال الرماني : « وهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له القوة . وقد اجتمعا في الرخاوة والخصاف ، وإن كان أحدهما بالنار والآخر بالرياح » .

(٤) كذا في ا ، م . وفى ك ، س : « الاستعارة وهو بيان التشبيه »

(٥) سورة الفرقان ٢٣ وقال الرماني ص ١٠ : « حقيقة " قلدنا " هنا : عمدنا . وقلدنا أبلغ منه ، لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر لأنه من أجل إهماله لم كعاملة الغائب عنهم ثم قدم فرأهم على خلاف ما أمرهم . وفى هذا تحذير من الاغترار بالإهمال . والمعنى الذى يجمعهما العدل ؛ لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل . والقنوم أبلغ لما بينا . وأما هباء مَثُوراً فبيان قد أخرج ما لا تقع عليه حاسة إلى ما تقع عليه حاسة » .

- وكقوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ كَيْنَ ﴾ ^(١) .
- وكقوله : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَا كُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ ^(٢) .
- وقوله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ ^(٣) .
- وكقوله : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ ^(٤) .
- وقوله : ﴿ بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ ^(٥) .
- فالتدغيم والتدغيف مستعاران .

(١) سورة الحجر ٩٤ وقال الرماني ص ١١ : « حقيقة بلغ ما تؤمر به . والاستعارة أبلغ من الحقيقة ، لأن الصدع بالأمر لا بد له من تأثير ككأنه صدع الرجاجة . والتبليغ قد يضعف حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع . والمعنى الذي يجمعهما الإيصال ، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الرجاجة أبلغ » .

(٢) سورة الحاقة ١١ وقال الرماني ص ١١ : « حقيقة علا . والاستعارة أبلغ ، لأن طغى علا قاهراً . وهو مبالغة في عظم الحال » .

(٣) سورة الأعراف ١٥٤ وقال الرماني ص ١٢ : « حقيقة انتفاء الغضب . والاستعارة يسكت أبلغ ؛ لأنه انقضى انتفاء مراصد بالعود ، فهو كالسكوت على مراصدة الكلام بما توجيه الحكمة في الحال ، فانتفاء الغضب بالسكوت عما يكره . والمعنى الجامع بينهما الإمساك عما يكره » .

(٤) سورة الإسراء ١١ وقال الرماني ص ١٢ : « فبصرة ها هنا استعارة . وحقيقتها : مضية . وهي أبلغ من مضية ؛ لأنه أدل على موقع النعمة ، لأنه يكشف عن وجه المنفعة . وقيل هو بمعنى ذات لبصار ، وعلى هذا يكون حقيقة » .

(٥) سورة الأنبياء ١٢ وقال الرماني ص ١٣ : « التدغيم والتدغيف ها هنا مستعار . وهو أبلغ ، لأن في التدغيف دليلاً على القهر ، لأنك إذا قلت : قذف به إليه ، فلنما معناه ألقاه إليه على جهة الإكراه والقهر . فالحق يلقى على الباطل فيزيله على جهة القهر والاضطرار لا على جهة الشك والارتياب . وبمعناه أبلغ من يذبه ، لما في يذبه من التأثير فيه ، فهو أظهر في النكأة وأعلى في تأثير القوة » .

- وقوله : ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ ^(١) .
 وقوله : ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ ^(٢) .
 وقوله : ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ ^(٣) .
 وقوله : ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ ^(٤) .
 وقوله : ﴿وَالصَّبِيحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ ^(٥) .
 وقوله : ﴿مَسْتَهْمُ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزِلُوا﴾ ^(٦) .

(١) سورة يس ٣٧ وقال الرماني : « نسلخ مستعار ، وحقيقته : نخرج . والاستعارة أبلغ ، لأن السلخ لإخراج الشيء مما لا يسه وعسر انتزاعه منه لالتحامه به ، فكذلك قياس الليل » .

(٢) سورة الأنفال ٧ وقال الرماني ص ١٣ : « اللفظ ها هنا بالشوكة مستعار ، وهو أبلغ . وحقيقته : السلاح ، فذكر الحد الذي به تقع المخافة واعتمد على الإيماء إلى النكته ، إذ كان السلاح يشتمل على ما له حد وما ليس له حد ، فشوكة السلاح هي التي تبقى » .

(٣) سورة فصلت ٥١ وقال الرماني : « عريض ها هنا مستعار . وحقيقته : كثير . والاستعارة فيه أبلغ ، لأنه أظهر بوقوع الحاسة عليه ، وليس كذلك كل كثرة . وقيل : عريض لأن العرض أدل على الطول » .

(٤) سورة محمد ٤ وقال الرماني ص ١٤ : « وهذا مستعار . وحقيقته : حتى يضع أهل الحرب أثقالها ، فجعل وضع أهلها الأثقال وضعاً لها على جهة التضخيم لثقلها » .

(٥) سورة التكوين ١٨ وقال الرماني ١١ : « وتنفس ها هنا مستعار . وحقيقته : إذا بدأ انتشاره . وتنفس أبلغ منه . ومعنى الابتداء فيهما ، إلا أنه في التنفس أبلغ ، لما فيه من الترويح عن النفس » .

(٦) سورة البقرة ٢١٤ وقال الرماني ص ١٤ : « هذا مستعار . وزلزلوا أبلغ من كل لفظ كان يعبر به عن غلظ ما نالهم . ومعنى حركة الإزعاج فيهما ، إلا أن الزلزلة أبلغ وأشد » .

وقوله : ﴿ فَبَذَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا تَبِيلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ حَصِيداً خَامِئِينَ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجَا مُنِيرَا ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾ ^(٦) .

(١) سورة آل عمران ١٧٨ وقال الرماني : « حقيقة : تعرضوا للفضلة عنه . والاستعارة أبلغ ، لما فيه من الإحالة على ما يتصور » .

(٢) سورة يونس ٢٤ وقال الرماني ص ١٦ : « أصل الحصيد للنبات . وحقيقته : مهلكة . والاستعارة أبلغ ، لما فيه من الإحالة على إدراك البصر » .

(٣) سورة الأنبياء ١٥ وقال الرماني : « أصل الحمد للنار ، وحقيقته : هادئين . والاستعارة أبلغ ، لأن خود النار أقوى في الدلالة على الهلاك ، على حد قولهم : طفيء فلان كما يطفأ السراج » .

(٤) سورة الشعراء ٢٢٥ وقال الرماني ص ١٦ : « واد ها هنا مستعار . وكذلك الهيمان . وهو من أحسن البيان ، وحقيقته : يخلطون فيما يقولون ، لأنهم ليسوا على قصد الطريق الحق . والاستعارة أبلغ ، لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يقع عليه الإدراك من تخطيط الإنسان بالهيمان في كل واد يعين له فيه الذهاب » .

(٥) سورة الأحزاب ٤٦ وقال الرماني ص ١٦ : « السراج ها هنا مستعار ، وحقيقته : مبيناً ، والاستعارة أبلغ ، للإحالة على ما يظهر بالحاسة » .

(٦) سورة الإسراء ٢٩ وقال الرماني ص ١٧ : « حقيقة : لا تمنع نائلك كل المنع . والاستعارة أبلغ ، لأنه جعل منع النائل بمنزلة غل اليد إلى العنق ، وذلك مما يحس الحال ، والتشبيه فيه بالمنع فيهما ، إلا أن حال المغلول اليد أظهر وأقوى فيما يكره » .

وقوله : ﴿ وَلَنَذِيقَنَّ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ ذُو الْكَفْرِ ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ ﴾^(٢) . يريد : أن لا إحساس بأذانهم من غير صمم .

وقوله : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾^(٣) .

وهذا أوقع من اللفظ الظاهر ، وأبلغ من الكلام الموضوع [له]^(٤) .

• • •

(١) سورة السجدة ٢١ وقال الرماني ص ١٧ : « حقيقة : لنعذبهم . والاستعارة أبلغ ، لأن إحساس الذائق أقوى لأنه طالب لإدراك ما يدوقه ولأنه جعل بدل إحساس الطعام المستلذ إحساس الآلام لأن الأسبق في النوق ذوق الطعام » .

(٢) سورة الكهف ١١ وقال الرماني ص ١٧ : « حقيقة : منعناهم الإحساس بأذانهم من غير صمم . والاستعارة أبلغ لأنه كالضرب على الكتاب فلا يقرأ ، كذلك المنع من الإحساس فلا يحس . وإنما دل على عدم الإحساس بالضرب على الآذان دون الضرب على الأبصار لأنه أدل على المراد من حيث كان قد يضرب على الأبصار من غير عمى فلا يبطل الإدراك رأساً ، وذلك بتغميض الأجفان ، وليس كذلك منع السماع من غير صمم في الآذان ؛ لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم دل على عدم الإحساس من كل جارية يصح بها الإدراك ، ولأن الأذن لما كان طريقاً إلى الانتباه ثم ضرب عليها لم يكن سبيل إليه » .

(٣) سورة الاعراف ١٤٩ وقال الرماني ص ١٧ : « هذا مستعار . وحقيقته : ندعوا لما رأوا من أسباب الندم . إلا أن الاستعارة أبلغ للإحالة فيه على الإحساس لما يوجب الندم بما سقط في اليد ، فكانت حاله أكشف في سوء الاختيار لما يوجب الوبال » .

(٤) الزيادة من ا ، ك ، م

وأما التلاؤم، فهو: تعديل الحروف في التأليف . وهو قبيض
التافر، [الذي هو] ^(١) كقول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفَرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ ^(٢)
قالوا: هو من شعر الجن! وحروفه متنافرة، لا يمكن إنشاده
إِلَّا بِتَتَمُّعٍ فِيهِ ^(٣). والتلاؤم على ضربين:
أحدهما في الطبقة الوسطى، كقوله ^(٤):

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ يَنْبِي وَيَنْهَى عَشِيَّةَ آدَامِ الْكِئَاسِ رَمِيمٌ ^(٥)
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتٍ يَتِيهَا: ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهِيمُ ^(٦)

(١) الزيادة من م .

(٢) البيت مجهول النسبة، بل نسب إلى الجن، وحرب: هو حرب بن
أمية بن عبد شمس، والد أبي سفيان بن حرب. راجع البيان والتبيين ١/ ٦٥
والحيوان ٦/ ٢٠٧ وشرح شواهد الشافية ص ٤٨٧ ونهاية الإيجاز في دراية
الإعجاز للرازي ص ٢٦ والبداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٢٧٧

(٣) نص عبارة الروماني ص ١٨: «وذكروا أن هذا من أشعار الجن،
لأنه لا يتبأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتفع. وإنما السبب في ذلك ما
ذكرناه من تنافر الحروف».

(٤) هو أبو حية الغبيري كما في الكامل للمبرد ص ١٩ وأمالى الشريف
١٠٢/٢ وحامسة ابن السجري ص ١٥٣ وأمالى القالي ٢/ ٢٨٠

(٥) في الكامل ص ١٩: «قيل في ستر الله: الإسلام، وقيل إنه الشيب:
وقيل ما حرم الله». وفي الأمالى: «عشية أحجار الكناس» وكذلك في اللسان
١٥/ ١٤٨ وفيه: «أراد بأحجار الكناس: رمل الكناس» والكناس الموضع الذي
تأوى إليه الظباء ورميم اسم جارية، مأخوذ من العظام الرميم، وهي البالية،
كما قال الأخفش في زياداته على الكامل ص ١٩ وفي اللسان: «ورميم من أسماء
الصبا وبه سميت المرأة، ثم أنشد البيت شاهداً على ذلك».

(٦) سقط هذا البيت من أ، م

الْأَرْبُ يَوْمٍ لَوْ رَمَيْتَنِي رَمَيْتُهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّصَالِ قَدِيمٌ^(١)
 قالوا^(٢) : « والتلاؤم في الطبقة العليا القرآن كله ، وإن كان بعض
 الناس أحسن إحساساً له من بعض ، كما أن بعضهم يظن للموزون
 بخلاف بعض . »

والتلاؤم^(٣) : حسن الكلام في السمع ، وسهولته في اللفظ ،
 ووقع المعنى في القلب . وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي ، والمتنافر

(١) قال أبو العباس المبرد : « يقول رمئني بطرفها وأصابني بمحاسنها ،
 ولو كنت شاباً لرميت كما رميت ، وفئت كما فئت ، ولكن قد تطاول عهدي
 بالشباب »

(٢) نص عبارة الرماني بعد الآيات : « والتلاؤم في الطبقة العليا القرآن
 كله ، وذلك بين لمن تأمله ، والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف ،
 على نحو الفرق بين التلاؤم والمتنافر في الطبقة الوسطى . وبعض الناس أشد
 إحساساً بذلك وفطنة له من بعض ، كما أن بعضهم أشد إحساساً بتميز الموزون
 في الشعر من المكسور ، واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع كاختلافهم
 في الصور والأخلاق . والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف ، فكلمة
 كان أعدل كان أشد تلاؤماً »

(٣) قال الرماني ص ١٨ : « والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع ،
 وسهولته في اللفظ ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من أحسن الصورة
 وطريق الدلالة . ومثل ذلك مثل قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط
 والظرف ، وقراءته في أقيح ما يكون من الظرف والخط ، فذلك متفاوت في
 الصورة وإن كانت المعاني واحدة . . . والتلاؤم في التعديل من غير بعد شديد
 أو قرب شديد ، وذلك يظهر بسهولته على اللسان ، وحسنه في الأسماع ، وتقبله
 في الطباع . فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات
 ظهر الإعجاز للجيد الطباع ، البصير بجواهر الكلام ، كما يظهر له أعلى
 طبقات الشعر من أدناها إذا تفاوت ما بينهما »

كالخط القبيح ، فإذا أنضاف إلى التلازم حسن البيان وصحة البرهان في أعلى الطبقات ، ظهر الإعجاز لمن كان جيّد الطبع ، وبصيراً بجواهر^(١) الكلام ، كما يظهر له أعلى طبقة الشعر .

والمتنافر^(٢) ، ذهب الخليل^(٣) إلى أنه من بُعد شديد ، أو قرب شديد ؛ فإذا بُعد فهو كالطفر^(٤) . وإذا قرب جداً كان بمنزلة مشي المقيد . وبين ذلك بقرب بخارج الحروف وتباعدها .

• • •

وأما القواصل : فهي حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إضمار المعاني ، وفيها بلاغة . والأسجاع عيب^(٥) ، لأن السجع يتبعه^(٦) المعنى ، والقواصل تابعة للمعاني^(٧) . والسجع كقول مُسَيِّلِمَة .

(١) س ، ك : « بجودة الكلام »

(٢) قال الرماني ص ١٨ : « وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد ، أو القرب الشديد ، وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر ، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد ، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه ، وكلاهما معيب على اللسان ، والسهولة من ذلك في الاعتدال ، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال » .

(٣) س ، ك : « كالطفر » .

(٤) س ، ك : « يتبع » .

(٥) قال الرماني ص ١٩ : « والقواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن القواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ، وهو قلب ما توجه الحكمة في الدلالة ، إذا كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة ، فإذا كانت المشاكلة وصلته إليه فهو بلاغة ، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنة ، لأنه تكلف من غير الوجه الذي

ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة ، كما قد تقع على حروف متقاربة ؛ ولا تحتل القوافي ما تحتل الفواصل ، لأنها ليست في الطبقة العليا في البلاغة ، لأن الكلام يحسن فيها بمجانسة القوافي وإقامة الوزن^(١) .

وأما التَّجَانُسُ ، فهو : يسان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد .

وهو على وجهين : مُزَاوَجَة ، ومناسبة .

فالْمُزَاوَجَة كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ عِثْلٍ مَّا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾^(٢) .

توجه الحكمة ، ومثله مثل من رضع تاجاً ثم ألبسه زنجياً ساقطاً ، أو نظم قلادة در ثم ألبسها كلباً ! وقبح ذلك وعيبه بين لمن له أدنى فهم . . . وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ، لأنها طريق إلى أظهار المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها .

(١) قال الرماني ص ٢٠ : « وإتباع حسن في الفواصل الحروف المتقاربة لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع لما فيه من البلاغة وحسن العبارة . وأما القوافي فلا تحتل ذلك ؛ لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة . وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي ، فلو بطل أحد الشيتين خرج عن ذلك المتهاج ، وبطل ذلك الحسن الذي له في الأسماع ، وقصفت رتبته في الأفهام . والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع ، وتحسينها بالتشاكل ، وإبداءها في الآي بالنظائر . »

(٢) سورة البقرة ١٩٤ وقال الرماني ص ٢١ : « فالْمُزَاوَجَة تقع في الجزاء كقوله تعالى : " فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ " أي جازوه بما يستحق على طريق العدل ، إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار ، فجاء على مزاوجة الكلام بحسن البيان . »

وقوله: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ﴾^(١).

وكقول عمرو بن كلثوم^(٢):

أَلَا لَا يَحْتَمَنُ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(٣)

...

وأما النسبة، فهي كقوله نملی: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾^(٤).

وقوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٥).

...

(١) سورة آل عمران ٥٤ وقال الرماني ص ٢١: «أى جازاهم على مكرمهم، فاستعير للجزاء على المكر اسم المكر لتحقيق الدلالة على أن وبال المكر راجع عليهم ويختص بهم».

(٢) من معلقته، وهو في شرح القصائد العشر ص ٢٣٨ وأمالى المرتضى ٨ / ٢ والصاحبي ص ١٩٦ وما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم للمبرد ص ١٤ وأساس البلاغة ١ / ١٤٥ ويجمع البيان ١ / ٥٢

(٣) قال الرماني ص ٢٢: «فهذا حسن في البلاغة ولكنه دون بلاغة القرآن، لأنه لا يؤذن بالعدل كما آذنت بلاغة القرآن، وإنما فيه الإيذان براجع الوبال فقط...».

(٤) سورة التوبة ١٢٧ وقال الرماني ص ٢٢: «الثاني من التجانس وهو المناسبة، وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد، فن ذلك قوله «ثم انصرفوا... فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير. والأصل فيه واحد، وهو الذهاب عن الشيء؛ أما هم فذهبوا عن الذكر، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير».

(٥) سورة النور ٣٧ وقال الرماني: «فجونس بالقلوب التقلب. والأصل واحد فالقلوب تتقلب بالخواطر، والأبصار تتقلب في المناظر. والأصل التصرف».

وأما التَّصْرِيفُ^(١)، فهو : تصريف الكلام في المعاني ، كتصرفه في الدلالات المختلفة^(٢) ؛ كتصرف « الملك » في معاني الصفات ، فَصَّرَفَ في معنى «مالك» و «ملك» و « ذى الملكوت » و «المليك» ، وفي معنى « التملك » و « والتملك » و « الإملاك » ؛ وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة ، كما كرر من قصة موسى في مواضع^(٣).

...

وأما التَّضْمِينُ ، فهو : حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفةٍ هي عبارةٌ عنه^(٤) .

(١) بقية كلام الرماني بعد ذلك : « وهو عقدها به على جهة التعاقب . فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة ، وهو عقدها به على جهة المعاقبة كتصريف الملك » إلخ .

(٢) قال الرماني ص ٢٣ : « . . . وهذا الضرب من التصريف فيه بيان عجيب يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تظهره وتدل عليه »

(٣) قال الرماني ص ٢٣ : « أما تصريف المعنى في الدلالات المختلفة فقد جاء في القرآن في غير قصة ، منها قصة موسى عليه السلام ، ذكرت في سورة الأعراف ، وفي طه ، والشعراء ، وغيرها ، لوجوه من الحكمة : منها التصريف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة . ومنها تمكين العبرة والموعظة . ومنها حل شبهة في المعجزة . . . »

(٤) قال الرماني بعد ذلك ص ٢٤ : « والتضمين على وجهين : أحدهما ما كان يدل عليه الكلام مما كان يدل عليه دلالة الإخبار . والآخر ما يدل عليه دلالة القياس . فالأول كذكرك الشيء بأنه محدث ، فهذا يدل على الحادث دلالة الإخبار ، فأما حادث فيدل على المحدث دلالة القياس دون دلالة الإخبار . والتضمين في الصفتين جميعاً ، إلا أنه على الوجه الذي بينا . . . »

وذلك على وجهين :

تضمن توجُّهُ البنية ، كقولنا : « معلوم » ، يوجب أنه لا بد من عالم .

وتضمن يوجه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به ، كالصفة بضارب ، يدل على مضروب ^(١) .

والتضمن كله إيجاز ، [وذكر : أن] التضمن الذى تدل عليه دلالات القياس أيضاً إيجاز ^(٢) .

وذكر : أن « بسم الله الرحمن الرحيم » من باب التضمن ، لأنه

(١) قال الرماني ص ٢٤ : « والتضمن على وجهين : تضمن توجه البنية وتضمن يوجه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به ، ومن حيث جرت العادة بأن يقصد به . فالذى توجه نفس البنية فالصفة بمعلوم توجب أنه لا بد من عالم وكذلك مكرم . وأما الذى يوجه معنى العبارة من حيث لا تصح إلا به فكالصفة بقاتل ، تدل على مقتول من حيث لا يصح معه معنى قاتل ولا مقتول ، فهو على دلالة التضمن . والتضمن الذى يوجه معنى العبارة من جهة جريان العادة فكقولهم : السكر بستين ، المعنى فيه بستين ديناراً ، فهذا مما حذف وضمن الكلام معناه لجريان العادة به » .

(٢) قال الرماني : « والتضمن كله إيجاز استغنى به عن التفصيل ، إذ كان مما يدل دلالة الأخبار فى كلام الناس ، وأما التضمن الذى يدل عليه دلالة القياس فهو إيجاز فى كلام الله عز وجل خاصة ؛ لأنه تعالى لا يذهب عليه وجه من وجوه الدلالة ، فنصبه لما يوجب أن يكون قد دل عليها من كل وجه يصح أن يدل عليه ، وليس كذلك سبيل غيره من المتكلمين بتلك العبارة ؛ لأنه قد يذهب عنه دلالتها من جهة القياس ، ولا يخرج ذلك عن أن يكون قد قصد بها الإبانة عما وضعت له فى اللغة من غير أن يلحقه فساد فى العبارة »

تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى ، أو التبرك باسمه^(١) .

...

وأما المبالغة ، فهي : الدلالة على كثرة المعنى ، وذلك على وجوه :
 منها مبالغة في الصفة المينة لذلك ، كقولك : « رَحْمَنٌ » عدل عن
 « راحم^(٢) » للمبالغة ، وكقوله : « غَفَّارٌ » وكذلك قُتَالٌ^(٣) وقُفُولٌ ،
 كقوله : « شَكُورٌ » و« غَفُورٌ » ، وقِيلٌ ، كقوله : « رَحِيمٌ » و« قَدِيرٌ » .
 ومن ذلك أن يبالغ باللفظة التي هي صفة عامة^(٤) ، كقوله : « خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ »^(٥) . وكقوله : « فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ^(٦) » .

(١) قال الرماني : « وكل آية فلا تخلو من تضمين لم يذكر باسم أو صفة ، فن ذلك : ” بسم الله الرحمن الرحيم ” قد ضمن التعليم لاستفتاح الأمور على جهة التبرك به والتعظيم لله بذكره ، وأنه أدب من آداب الدين وشعار المسلمين ، وأنه إقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التي هي من أجل نعمه ، وأنه ملجأ الخائف ، ومعتمد للمستعجج » .

(٢) س ، ك : « عدل عن ذلك للمبالغة » وقال الرماني بعد ذلك : « ولا يجوز أن يوصف به إلا الله عز وجل ؛ لأنه يدل على معنى لا يكون إلا له ، وهو معنى وسعت رحمته كل شيء » .

(٣) غفار مثال لفعال . وقد ترك المؤلف من الأوزان التي ذكرها الرماني : مفعّل كمدعس ومطعن ، ومفعّل كمنحار ومطعام .

(٤) قال الرماني ص ٢٥ : « الضرب الثاني المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة » كقوله ، إلخ .

(٥) سورة الزمر ٦٢

(٦) سورة النحل ٢٦ وهذه الآية قد مثل بها الرماني للضرب الثالث من ضرب المبالغة ، وهو إخراج الكلام مخرج الإنخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة ثم قال : « أي أتاهم بعظيم بأسه فجعل ذلك إتياناً له على المبالغة » .

وكقوله : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَبَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ^(١) 〉 .

وكقوله : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ^(٢) 〉 .
وقد يدخل فيه الحذف الذي تقدم ذكره للمبالغة ^(٣) .

وأما حُسْنُ البيان ، فالبيان على أربعة أقسام ^(٤) : كلامٌ ، وحال ، وإشارة ، وعلامة .

(١) سورة الأعراف ٤٠ وقد مثل بها الرمائي للضرب الرابع ، وهو إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة .

(٢) سورة سبأ ٢٤ وقد مثل بها الرمائي للضرب الخامس ، وهو إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل ، والمظاهرة في الحجاج

(٣) قال الرمائي ص ٢٦ : « الضرب السادس حذف الأجوبة للمبالغة كقوله تعالى : (ولو ترى إذ وقفوا على النار) و (لو يرى الذين كفروا إذ يرون العذاب) ومنه (ص والقرآن ذى الذكر) كأنه قيل : بلقاء الحق ، أو لعظم الأمر ، أو بلقاء بالصدق . كل ذلك يذهب إليه الوهم لما فيه من التضخيم . والحذف أبلغ من الذكر لأن الذكر يقصر على وجه ، والحذف يذهب بالوهم إلى كل وجه من وجوه التعظيم ، لما قد تضمنه من التضخيم »

(٤) قال الرمائي ص ٢٦ « البيان هو الإحضار لما يظهر به تمييز الشيء من غيره في الإدراك والبيان على أربعة أقسام . . . والكلام على وجهين : كلام يظهر به تمييز الشيء من غيره فهو بيان ، وكلام لا يظهر به تمييز الشيء فليس ببيان ، كالكلام المخلط والمحال الذي لا يفهم به معنى . وليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن ، من قيل أنه قد يكون على عي وفساده ثم حكى ما حكى عن عي باقل وإفلات الظبي من يده ، ثم قال : « فهذا وإن كان قد أكد للفهم فهو أبعد الناس عن حسن البيان »

ويقع التفاصل في البيان، ولذلك قال عز من قائل : ﴿ الرَّحْمَنُ ،
 عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ^(١) 》 .

[وقيضه إليّ، ومنه] ^(٢) قيل : أَعْيَا من بَاقِلٍ ، سئل عن ظلية في
 يده : بكم اشتراها ؟ فأراد أن يقول : بأحد عشر ، فأشار بيده مادًّا
 أصابعه المشرة ، ثم أدلّع لسانه ، وأفلتت الظلية من يده !!

...

ثم البيان على مراتب ^(٣) .

قلنا ^(٤) : قد كنا حكينا أن من الناس من يريد أن يأخذ إعجاز
 القرآن من وجوه البلاغة التي ذكرنا أنها تسمى « البديع » في أول
 الكتاب ، مما مضت أمثلته في الشعر .

ومن الناس من زعم : أنه يأخذ ذلك من هذه الوجوه التي عددناها
 في هذا الفصل .

(١) سورة الرحمن ١ - ٤ وسبب استشهاد الرماني بهذه الآية أنه قال :
 ص ٢٧ « وليس يحسن أن يطلق اسم بيان على قبيح من الكلام ؛ لأن الله قد
 مدح البيان واعتد به في آياديه الجسام فقال (الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان
 علمه البيان) ولكن إذا قيد بما يدل على أنه يعنى به إلهام المراد جاز »
 (٢) الزيادة من م .

(٣) قال الرماني ص ٢٧ : « وحسن البيان في الكلام على مراتب : فأعلاها
 مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ،
 ويسهل على اللسان ، وتتقبله النفس تقبل البرهان ، وحتى يأتي على مقدار الحاجة
 فيما هو حقه من المرتبة . . . والقرآن كله في نهاية حسن البيان . . . »

(٤) م : « فلنا قد » .

واعلم أن الذي يتناه قبل هذا وذهبنا إليه هو شديد^(١) ، وهو أن هذه الأمور تنقسم :

فنها ما يمكن الوقوع عليه ، والتحمل له ، ويُدرَك بالتعلم ؛ فإِذا كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن به .

وأما ما لا سبيل إليه بالتعلم والتحمل من البلاغات ، فذلك هو الذي يدل على إعجازه ؛ ونحن نضرب لذلك أمثلةً ، لتقف على ما ذهبنا إليه .

وذكرنا في هذا الفصل عن هذا القائل : أن التشبيه تعرف به البلاغة ، وذلك مسلمٌ ، ولكن^(٢) إن قلنا : ما وقع من التشبيه في القرآن معجز ، عرض^(٣) علينا من التشبيهات الجارية في الأشعار ما لا يخفى عليك ، وأنت تجد في شعر ابن المعتز من التشبيه البديع الذي يشبه السحر ، وقد تتبع في هذا ما لم يتبع غيره ، وأتق له ما لم يتفق لغيره من الشعراء .

وكذلك كثير من وجوه البلاغة ، قد يئنا أن تعلمها يمكن ، وليس تقع البلاغة بوجه واحد منها دون غيره .

فإن كان إنما يعنى هذا القائل أنه إذا أتى في كل معنى يتفق في كلامه بالطبقة المالية ، ثم كان ما يصل به كلامه بمضه يمض ، وينتهى

(١) ك : « شديد » .

(٢) م : « وذلك إن » .

(٣) م : « اعترض » .

منه إلى متصرفاته - : على آتم البلاغة وأبداع البراعة ، فهذا عمالا نأباه ،
بل قول به .

وإنما تنكر أن يقول قائل : إن بمض هذه الوجوه بانفرادها قد
حصل فيه الإعجاز من غير أن يقارنه ما يتصل به [من] ^(١) الكلام
وَيُفَضَّى إِلَيْهِ ، مثل ما يقول ^(٢) : إن ما أقسم به وحده بنفسه معجز ،
وإن التشبيه معجز ، وإن التجنيس معجز ، والمطابقة بنفسها معجزة .
فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه ، فإن ادعى إعجازها لألفاظها
ونظمها وتأليفها ، فإنني لا أدفع ذلك وأصححه ، ولكن لا أدعى
إعجازها لموضع التشبيه .

وصاحب المقالة التي حكيناها ، أضاف ذلك إلى موضع التشبيه
وما قرن به من الوجوه ، ومن تلك الوجوه ما قد بينا أن الإعجاز
يتعلق به كاليان ، وذلك لا يختص بجنس من المَبِينِ ^(٣) دون جنس ،
ولذلك قال : ﴿ هَذَا يَبَيِّنُ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٤) . وقال : ﴿ تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٥)
وقال : ﴿ بَلِّسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ^(٦) . فكرر في مواضع [جل] ^(٧)
ذكره : أنه مبين .

(١) الزيادة من م .

(٢) م « ما نقول » .

(٣) م « بجنس دون جنس » .

(٤) سورة آل عمران ١٣٨

(٥) سورة النحل ٨٩

(٦) سورة الشعراء ١٩٥

(٧) الزيادة من م .

فالقرآن أعلى منازل البيان ، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن
 وأسبابه ، وطرقه وأبوابه : من تعديل النظم وسلامته ^(١) ، وحسنه
 وبهجته ، وحسن موقعه في السمع ، وسهولته على اللسان ، ووقوعه في
 النفس موقع القبول ، وتصوره تصور المشاهد ، وتشكله على جهته ،
 حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف ، مما لا ينحصر حسناً وبهجةً
 وسناءً ورفعةً .

وإذا علا الكلام في نفسه ، كان له من الوقع في القلوب والتمكن
 في النفوس ، ما يُذهل ويُبهج ، ويُقلق ويُونس ، ويُطعم ويُؤنس ،
 ويُضحك ويبكي ، ويُحزن ويُفرح ، ويُسكن ويُزعج ، ويُشجي
 ويُطرب ^(٢) . ويهزُّ الأعطاف ، ويستميل نحوه الأسماع ^(٣) . ويورث
 الأريحية والعزة ، وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعةً
 وجوداً ، ويرى السامع من وراء رأيه مرى ^(٤) بعيداً .

وله مسالك في النفوس لطيفة ، ومداخل إلى القلوب دقيقة .

وبحسب ما يترتب في نظمه ، وتنزل في موقعه ، ويجرى على
 سمتٍ مطلقه ومقطعه — يكون عجيبٌ تأثيراته ، وبديعٌ مقتضياته .
 وكذلك على حسب مصادره ، يتصورُ وجوه موارده .

(١) م « وسلامته » .

(٢) ما بين الرقمين ساقط من م .

(٣) م « وترى السامع من ورائه مرى » .

وقد^(١) ينبئ الكلام عن عمل صاحبه ، ويدل على مكان متكلمه ،
وَيُنَبِّئُهُ عَلَى عَظِيمِ شَأْنِ أَهْلِهِ ، وَعَلَى عُلُوِّ عَمَلِهِ .

أَلَا تَرَى أَنَّ الشَّعْرَ فِي الْغَزْلِ إِذَا صَدَرَ عَنْ حُبِّ ، كَانَ أَرْقًى
وَأَحْسَنَ ؛ وَإِذَا صَدَرَ عَنْ مُتَعَمِّلٍ^(٢) ، وَحَصَلَ مِنْ مُتَصَنِّعٍ ، نَادَى عَلَى
قَسَمِهِ بِالْمُدَاجَاةِ ، وَأَخْبَرَ عَنْ خَبِيثَةٍ فِي الْمَرَايَا^(٣) . ١٢ .

وكذلك قد يصدر الشعر في وصف الحرب عن الشجاع ، فيعلم
وجه صدوره ، ويدل على كنهه وحقيقته .

وقد يصدر عن التشبيه ، ويخرج عن التصنع ، فيعرف من حاله
ما ظن أنه يحقيه ، ويظهر من أمره خلاف ما يديه .
وَأَنْتَ تَعْرِفُ^(٤) لِقَوْلِ الْمُتَنَبِّئِ :

فَالْغِلُّ وَاللَّيْلُ وَالْيَدَاةُ تَعْرِفُنِي

وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ^(٥)

من الوقع^(٦) في القلب — لما^(٧) تعلم أنه من أهل الشجاعة —
مَا لَا تَجِدُهُ لِلْبُحْتَرِيِّ فِي قَوْلِهِ :

(١) م : « قد » .

(٢) س ، ك : « متغزل » .

(٣) أ : « خبيثه » م « جنسه في المرامات » .

(٤) كذا في أ ، م ، ك : « وفي س » تجده » .

(٥) ديوانه ٢٦٢/٢ وهي رواية الواحدي ، وفي ك : « والحرب والظعن »

« والظعن والضرب » .

(٦) م : « الموقع » . ك : « الواقع » .

(٧) م : « ما تعلم » .

وَأَنَا السَّجَّاجُ وَقَدْ بَدَأَ لَكَ مَوْفَى بِمَقَرِّقِ وَالْمَشْرِقَةِ تُهْدَى^(١)

وتجد لابن المعتز في موقع شعره من القلب ، في الفخر وغيره ،
ملا تجمعه لغيره ؛ لأنه إذا قال :

إِذَا شِئْتُ أَوْ قَرْتُ الْبِلَادَ حَوَافِرًا وَسَارَتْ وَرَأَى هَاشِمٌ وَزَارًا
وَعَمَّ السَّمَاءُ التَّقَعُّ حَتَّى كَأَنَّهُ دَخَانَ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ شَرَارًا^(٢)
وقال :

قَدْ تَرَدَّدْتُ بِالْمَكَارِمِ دَهْرًا وَكَفَّنِي نَفْسِي مِنَ الْإِقْطَارِ^(٣)
أَنَا جَيْشٌ إِذَا غَزَوْتُ وَحِيدًا وَوَحِيدٌ فِي الْجَفَلِ الْجَرَارِ
وقال :

أَيُّهَا السَّائِلِي عَنِ الْحَسْبِ الْأَطَا يَبِ مَا فَوْقَهُ لِيَخْلُقَ مَزِيدًا^(٤)
نَحْنُ آلُ الرَّسُولِ وَالْمِعْرَةَ الْحَقُّ وَأَهْلُ الْقُرْبَى ، فَاذَا تَرِيدُ؟^(٥)
وَلَنَا مَا أَضَاءَ صُبْحُ عَلَيْهِ وَأَتَتْهُ رَايَاتُ لَيْلٍ سُودًا^(٦)
وكما أنشدنا الحسن بن عبد الله ، قال : أنشدنا محمد بن يحيى
لابن المعتز قصيدته التي يقول فيها :

أَنَا ابْنُ النَّبِيِّ سَادَهُمْ فِي الْحَيَا وَوَسَادَهُمْ بِي تَحْتَ اللَّتْرِ^(٧)

(١) ديوانه ٤٦١

(٢) ديوانه ص ٣٧ وفي م ، ك : « وعم السماء التقع »

(٣) ديوانه ص ٣٩ وفي ا ، ك ، م : « بالمكارم حولى »

(٤) ديوانه ص ٣٠

(٥) ا ، م ، ك : « والقربى » م : « القربى »

(٦) م : « وأنا ما أضاء » وفي الديوان : « أتته آيات »

(٧) ديوانه ص ٦

ومالٍ في أحدٍ مَرْتَبُ كَلَى فِي يَرْتَبُ كُلُّ الْوَرَى
 وَأَسْهَرُ لِلْمَجْدِ وَالْمَكْرُمَاتِ إِذَا كَتَحَتْ أَعْيُنُ الْكَرَى^(١)
 فانظر في^(٢) القصيدة كلها ، ثم في جميع شعره ، تعلم أنه ملكُ
 الشعر ، وأنه يليق به من الفخر خاصة ، ثم مما يتبعه مما يعطاه ،
 مالا يليق بغيره ، بل ينفر عن سواه .

ولم أحب أن أكثر عليك ، فأطول الكتاب بما يخرج
 عن غرضه .

وكما ترى من^(٣) قول أبي فراس الحمداني في نفسه إذا قال :
 وَلَا أَصْبِحُ الْحَيَّ الْخُلُوفَ بِنَارَةٍ
 وَلَا الْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتَهُ قَبْلِي النُّذُرُ^(٤)
 وَيَا رَبَّ دَارٍ لَمْ تَخَفْنِي مَنِيعةً
 طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ
 وَسَاحِبَةُ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيَتْهَا
 فَلَمْ يَلْقَاهَا جَانِي اللِّقَاءِ وَلَا وَغْرُ^(٥)

(١) ا ، م ، ك « اکتحت » س « کحت »

(٢) م « فانظر هذه »

(٣) م : « دى »

(٤) ديوانه ٢١٢/٢

(٥) في الديوان رواية أخرى هي : « جهنم اللقاء »

وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلَّهُ
وَأَبْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لَأَيَاتِهَا سِتْرٌ^(١)
وَمَا رَاحَ يُطْفِئُنِي بِأَثْوَابِهِ النَّفْيُ
وَلَا بَاتَ يَنْتِنِي عَنِ الْكَرَمِ الْفَقْرُ
وَمَا حَاجَتِي فِي الْمَالِ أَبْنَى وَفُورُهُ
إِذَا لَمْ أَفِرْ وَفِرَى فَلَا وَفَرَ الْوَفْرُ^(٢)

والشيء إذا صدر من أهله ، وبداء من أصله ، وانتسب إلى ذويه ،
سلم في نفسه ، وبانت خفامته ، وشوهد^(٣) أثر الاستحقاق فيه .
وإذا صدر من متكلف ، وبداء من متصنع ، بَانَ أَثَرُ الْغُرْبَةِ^(٤)
عليه ، وظهرت مخايل الاستيحاء فيه ، وعُرف شمائل التَّخِيرِ^(٥) منه .
إِنَّا نَعْرِفُ فِي شِعْرِ أَبِي نَوَاسٍ أَثَرَ الشَّطَارَةِ ، وَتَمَكَّنَ الْبَطَالَةُ ،
وَمَوْقِعُ كَلَامِهِ فِي وَصْفِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنْ أَمْرِ الْعِيَارَةِ^(٦) ، وَوَصْفِ الْحُرِّ

(١) هذه رواية في النيبان ، وهناك رواية أخرى وهي : « ورحت ولم
يكشف لأنوثها ستر » . وفي م : « وهبت له »

(٢) هذه رواية م والديوان . وفي س ، ك : « إذا لم أفر وفري »

(٣) م : « وشواهد »

(٤) ١ ، ك « الغربة » م « العرمة » س « الغربة »

(٥) م « شمائل التخير » ك « بشمائل التخير »

(٦) كذا في ١ ، ك . وفي م « من أمر العناية في وصف الخمر » م « من

أمر المغازلة ووصف » . وفي اللسان ٣٠٢/٦ يقال غلام عيار : نشيط في
المعاصي »

والخمار؛ كما نعرف موقع كلام ذي الرُّمَّة في وصف التهاميه والبولادي
والجمال والأنساع والأزمنة .

وعَيْبُ أَبِي نُؤَاسٍ التصرُّفُ في وصف الطلول والزَّيَّاع والوحش ،
فكثَرَ في قوله :

دع الأطلالَ تَسْفِيها الجُنُوبُ	وَتُبْلِي عَهْدَ جَدَّتْهَا الحُطُوبُ ^(١)
وَحُلَّ لِرَاكِبِ الوَجْناهُ أَرْضاً	تَحْبُ بِه النَّجِيهَةُ والنَّجِيبُ ^(٢)
بِلَادُ بَنَتِهَا عَشْرُ وَطْلَحُ	وَأَكْثَرُ صَيْدِهَا صَبْعٌ وَذِيبُ ^(٣)
وَلَا تَأْخُذُ عَنِ الأَعْرَابِ لَهْوَ	وَلَا عِشَا ، فَمِيشَهُمْ جَدِيبُ
دع الألبانَ يَشْرَبُهَا رِجَالُ	رَقِيقُ المِيشِ عِنْدَهُمْ غَرِيبُ ^(٤)
إِذَا رَابَ الحَلِيبُ قَبْلَ عَلَيْهِ	وَلَا تَخْرُجْ ، فَا فِي ذَاكَ حُوبُ ^(٥)
فَأَطِيبُ مِنْهُ صَافِيَةٌ شَمُولُ	يَطُوفُ بِكَاسِهَا سَاقِ أَدِيبُ ^(٦)
كَأَنَّ هَدِيرَهَا فِي الدَّنِّ يَحْكِي	قِرَاءَةَ الْقَسِّ قَابِلُهُ الصَّلِيبُ
أَعَاذَلْ أَقْصَرِي عَنْ طُولِ لَوِي	فَرَا جِي تَوَبَّتِي عِنْدِي يَحْيِي
تَمِيمِينَ الذُّنُوبَ ، وَأَيَّ حُرِّ	مِنِ الْفَتَيَانِ لَيْسَ لَهُ ذُنُوبُ ؟ !

(١) ديوانه ص ١٠٤ وفي ١ «تسقيها»

(٢) م: «تخب بها»

(٣) راجع وصف أبي حنيفة للعشر في اللسان ٢٥٠/٦ والطلع في اللسان

٣٦٥/٣

(٤) سقط هذا البيت من م .

(٥) م: «ولا تتخرجن في ذلك»

(٦) م: «ساق أريب»

وقوله :

صِفَةُ الطُّولِ بِلَاغَةُ الْقَدَمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَابِنَةِ الْكَرَمِ^(١)
وسمعتُ الصَّاحِبَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ بَرَّاكُوهَ^(٢)
الزَّنْجَانِيَّ يَقُولُ :

أَنْشَدَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ هَلَالَ بْنَ يَزِيدَ قَصِيدَةً عَلَى وَزْنِ قَصِيدَةِ
الْأَعَشَى :

وَدَّعَ هَرِيرَةَ إِنْ الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟
وكان وصف فيها الطلل ، قال براكويه^(٣) : فقال لي هلال :
قللت بديها :

إِذَا سَمِعْتَ فَتَى يَنْكِحُ عَلَى طَلَلٍ مِنْ أَهْلِ زَنْجَانَ ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ طَلَلٌ

...

وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ لَكَ هَذِهِ الْأُمُورَ ، لِتَعْلَمَ أَنَّ الشَّيْءَ فِي مَعْدِنِهِ أَعَزُّ ،
وإِلَى مِظَانِهِ أَحْسَنُ^(٤) ، وَإِلَى أَصْلِهِ أَنْزَعُ ، وَبِأَسْبَابِهِ أَلْيَقُ ؛ وَهُوَ^(٥)
يَدُلُّ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ ، وَيُنْبِئُ مَا أُتِجَ عَنْهُ ، وَيَكُونُ قَرَارُهُ عَلَى مُوجِبِ

(١) ديوانه ٣٢٣ .

(٢) في ل ، س : « براكويه » . وفي م : « ابن راكويه » . وانظر ترجمة
« براكويه » في بَيْتَةِ الدَّهْرِ لِلثَّعَالِبِيِّ ٤٠٤/٣ - ٤٠٥ .

(٣) راجع التعليق السابق . وفي م : « فقال ابن زاكويه قال : » ما تقول ؟
قللت بديها »

(٤) كذا في ل ، م . وفي س : « وفي مِظَانِهِ أَحْسَنُ »

(٥) م : « وهذا »

صورته ، وأنواره على حسب علمه ؛ ولكل شيء حدّ ومنهج ،
ولكلّ كلام سبيل ومنهج .

وقد ذكر أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلام مُسَيَّلَمَة
ما أخبرتك به ، قال : إن هذا كلام لم يخرج من إلّ^(١) . فدل على
أن الكلام الصادر عن عزّة الربوبية ورفعة الإلهية ، يتميز عما لم يكن
كذلك .

ثم رجع الكلام بنا إلى ما ابتدأنا به من عظيم شأن البيان^(٢) ، ولو
لم يكن فيه إلا ما منّ به الله على خلقه بقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ ﴾^(٣) .

فأما بيان القرآن فهو أشرف بيان وأهداه ، وأكمله وأعلاه ،
وأبلغه وأسناه .

(١) في اللسان ٢٦/١٣ عن ابن سيدة « والإلّ : الله عز وجل ،
بالكسر ، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه لما تلى عليه صبح مسيلة : إن هذا
لشيء ما جاء من إل ولا بر ، فأين ذهب بكم ؟ أي من ربوبية . وقيل : الإلّ :
الأصل الجيد ، أي لم يحمى من الأصل الذي جاء منه القرآن . وقيل : الإلّ :
النسب والقربا . فيكون المعنى : إن هذا كلام غير صادر من مناسبة الحق ،
ولا إدلاء بسبب بينه وبين الصديق . والنص في اللسان مجرف ، صحناه
بما يستقيم به .

(٢) بل الحق إنه رجع إلى تقل كلام الرماني في البيان الذي سبق نقله
لبعضه .

تأمل قوله تعالى : ﴿ أَفَتَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾^(١) . في شدة التنبيه على تركهم الحق والإعراض عنه . وموضع امتنانه بالذكر والتحذير^(٢) .

وقوله : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْمَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾^(٣) . وهذا بليغ في التحسير .

وقوله : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَمَادُوا لِبَاءَهُمَا عَنْهُ ﴾^(٤) . وهذا يدل على كونهم مجبولين على الشر ، مُعَوِّدِينَ لمخالفة النهي والأمر^(٥) .

وقوله : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾^(٦) . هو في نهاية المنع^(٧) من الخلطة إلا على التقوى .

وقوله : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾^(٨) . وهذا نهاية في التحذير من التفريط .

وقوله : ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

(١) سورة الزخرف ٥

(٢) نص عبارة الرماني ص ٢٨ : « فهذا أشد ما يكون من التقرير »

(٣) سورة الزخرف ٣٩ وقال الرماني : « فهذا أعظم ما يكون من التحسير »

(٤) سورة الأنعام ٢٨

(٥) قال الرماني : « وهذا أدل دليل على العدل ، من حيث لم يقتطعوا عما

يتخلصون به من ضرر الحرم ، ولا كانت قبائحهم على طريق الخير »

(٦) سورة الزخرف ٦٧ وقال الرماني : « وهذا أشد ما يكون له من التنفير

عن الخلطة إلا على التقوى »

(٧) س ، ك « الوضع »

(٨) سورة الزمر ٥٦ وقال الرماني : « فهذا أشد ما يكون من التحذير

من التفريط »

اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ^(١) . هو النهاية في الوعيد
والتهديد ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ : هَلْ إِلَى
مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ . وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ .
يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ^(٣) 〉 ؛ نهاية في الوعيد .
وقوله : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ^(٤) 〉 ؛ نهاية في الترغيب .

وقوله : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ، وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، إِذَا لَنَحَبَ
كُلِّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ، وَلَمَّا لَبَقْنَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ^(٥) 〉 ؛ وكذلك قوله :
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ^(٦) 〉 ؛ نهاية في الحجاج ^(٧) .
وقوله : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ، أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ^(٨) 〉 ؛ نهاية في
الدلالة على علمه بالخفيات .

(١) سورة فصلت ٤٠

(٢) الروماني ص ٢٨

(٣) سورة الشورى ٤٤-٤٥

(٤) الزخرف ٧١

(٥) سورة المؤمنون ٩١

(٦) سورة الأنبياء ٢١

(٧) قال الروماني ص ٢٩ : « وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج ، وهو الأصل
الذي عليه الاعتقاد في صحة التوحيد ، لأنه لو كان إله آخر لبطل الخلق بالمتانع
بيوجودهما دون أفعالهما »

(٨) سورة الملك ١٣ - ١٤

ولا وجه للتطويل ، فإن يان الجميع في الرضة وكبر المنزلة على^(١) سواء .

وقد ذكرنا من قبل : أن البيان يصح أن يتعلق به الإعجاز ، وهو معجز من القرآن .

...

وما حكينا عن صاحب الكلام : من المبالغة في اللفظ ، فليس ذلك بطريق الإعجاز ، لأن الوجوه التي ذكرها قد تنفق في كلام غيره ، وليس ذلك بمعجز ، بل قد يصح أن يقع في المبالغة في المعنى والصفة ، وجوه من اللفظ تشر^(٢) الإعجاز .

...

وتَضَمُّنُ المعاني أيضاً^(٣) قد يتعلق به الإعجاز إذا حصلت للعبارة طريق البلاغة في أعلى^(٤) درجاتها .

...

وأما القَوَاصِلُ فقد يتنا أنه يصح أن يتعلق بها الإعجاز ، وكذلك قد يتنا في المقاطع والمطالع نحو هذا ، ويتنا في تلاؤم الكلام ما سبق : من صحة تعلق الإعجاز به .

(١) سقطت من م

(٢) س : « يشر »

(٣) م : « وأيضاً »

(٤) م : « بالبلاغة ... من أعلى »

• • •

والتصرف في الاستمارة البديمة يصح أن يتعلق به الإعجاز ، كما يصح مثل ذلك في حقائق الكلام ؛ لأنَّ البلاغة في كل واحد من البَيِّنِ تجري مجرى واحداً ، وتأخذ مأخذاً مفرداً .

• • •

وأما الإيجاز والبَسْطُ فيصح أن يتعلق بهما الإعجاز^(١) ، كما يتعلق بالحقائق .

• • •

والاستمارة والبيان في كل واحد منهما مالا^(٢) يضبط حدّه ، ولا يقدّر قدره ، ولا يمكنُ التوصلُ إلى ساحل بحره بالتعلم ، ولا يُتطَرَّقُ إلى غوره بالتَّسَبُّبِ . وكلُّ ما يمكنُ تعلمه ، وينتهي تلقّنه ، ويمكنُ تحصيله^(٣) ، ويستدركُ أخذه — فلا يجب أن يطلب وقوع الإعجاز به . ولذلك قلنا : إن السجع مما ليس يلتمس فيه الإعجاز ، لأن ذلك أمر محدود ، وسبيل مَوْزُودٌ ؛ ومتى تدرب الإنسانُ به واعتاده : لم يستصعب عليه أن يحمل جميع كلامه منه .

وكذلك التَّجَنُّيسُ والتَّطْيِيقُ متى أخذ أخذهما^(٤) وطلب وجههما ،

(١) س : « إعجاز »

(٢) م « منهما لا يضبط »

(٣) كذا في ا ، م . وفي ك ، س « تخليصه »

(٤) كذا في ا ، م . وفي س ، ك « أخذ أحدهما »

استوفى ما شاء ، ولم يتعذّر عليه أن يملأ خطابه منه ، كما أولع بذلك أبو تَحْلَم والبُحْثَرِيّ ، وإن كان البحترى أشنف بالمطابق ، وأقل طلباً للمجانس .

فإن قال قائل : هلا قلت : إن هذين البابين يقع فيهما مرتبة عالية ، لا يوصل إليها بالتعلّم ، ولا تملك بالتعلّم ؛ كما ذكرتُم في البيان وغير ذلك ؟

قلنا : لو عمد إلى كتاب « الأجناس » ، ونظر في كتاب « العين » ؛ لم يتعذّر عليه التجنيس الكثير .

فأما الإطباق فهو أقرب منه . وليس كذلك البيان والوجوه التي رأينا الإعجاز فيها ؛ لأنها لا تستوفى بالتعلّم .

فإن قيل : فالبيان قد يتعلّم ؟

قيل : إن الذي يمكن أن يتوصل إليه بالتعلّم يتقارب^(١) فيه الناس ، وتتناهى فيه العادات ، وهو كما يعلم من مقادير القوى في حمل الثقل ، وأن الناس يتقاربون^(٢) في ذلك ، فيترئون^(٣) فيه إلى حد ، فإذا تجاوزوه وقفوا بعده ولم يمكنهم التخطي ، ولم يقدرُوا على التمدّي ؛ إلا أن يحصل ما يخرق المادة ، وينقض العرف ؛ ولن يكون ذلك إلا للدلالة على النبوات ، على شروط في ذلك .

(١) كذا في م ، ك . وفي س « يتفاوت »

(٢) كذا في ك . وفي م « يتفاوتون »

(٣) ك ، م « ويربون »

والقدر الذي يغوت الحد في البيان، وتجاوز الوهم^(١)، وشذ عن الصنعة، وقذفه الطبع — في النادر القليل، كاليث البديع، والقطعة الشريفة التي تتفق في ديوان شاعر^(٢)، والفقرة تتفق في رسالة^(٣) كاتب، حتى يكون الشاعر ابن بيت أو بيتين، أو قطعة أو قطعتين؛ والأديب شهيد^(٤) كلمة أو كلمتين. وذلك أمر قليل^(٥).

ولو كان كلامه كله يطرد على ذلك المسلك، ويستمر على ذلك المنهج؛ أمكن أن يدعى فيه الإعجاز.

ولكنك إن كنت من أهل الصنعة: تعلم قلة الأبيات الشوارد، والكلمات الفرائد^(٦)، وأتات القلائد.

فإن أردت أن تجد قصيدة كلها وحشية، وأردت أن تراها مثل بيت من أبياتها مرضية؛ لم تجد ذلك في المواوين، ولم تظفر بذلك إلى يوم الدين.

ونحن لم نكرر أن يستدرك البشر كلمة شريفة، ولفظة بديعة؛ وإنما أنكرنا أن يقدروا على مثل نظم سورة أو^(٧) نحوها، وأحلنا أن

(١) م: «وتجاوز الفهم... على»

(٢) م: «الشاعر»

(٣) م، ك: «في رسالة»

(٤) م، ك: «شهيد»

(٥) م: «قريب»

(٦) م، أ: «الشوارد»

(٧) م: «ونحوها»

يتمكنوا من حقِّ في البلاغة، ومقدار في الخطابة .
وهذا كما قلناه : من ^(١) أن صورة الشعر قد تتفق في القرآن ، وإن
لم يكن له حكم الشعر .

• • •

فأما قَدَّرُ المعجز فقد بينّا أنها السّورة ، طالت أو قصرت ، وبمد
ذلك خلاف :

من ^(٢) الناس من قال : مقدار كل سورة أو أطول آية فهو معجز .
وعندنا كل واحد من الأمرين معجز ، والدلالة عليه ما تقدم ^(٣) ،
والبلاغة لا تتبين بأقل من ذلك ، فلذلك لم نحكم بإعجازه ، وما صح أن
تتبين فيه ^(٤) البلاغة ؛ وعصومها الإبانة في الإبلاغ عن ذات النفس على
أحسن معنى وأجزل لفظ ، وبلوغ الناية في المقصود بالكلام .
فإذا بلغ الكلام غايته في هذا المعنى ، كان بالغاً ولبيناً . فإذا ^(٥) تجاوز
حد البلاغة إلى حيث لا يقدر عليه أهل الصناعة ، وامتدّ إلى أمدٍ ^(٦)
يعجز عنه الكامل في البراعة — صح أن يكون له حكم المعجزات ، وجاز
أن يقع موقع الدلالات .

(١) سقطت من م

(٢) م : « بين »

(٣) م : « ما قد »

(٤) م : « فيه من »

(٥) م : « وإذا »

(٦) كذا في ا ، م . وفي ك ، س : « أمر » .

وقد ذكرنا أنه يحسنه^(١) وأسلوبه مبينٌ لسائر كلامهم ، ثم بما يتضمن من تجاوزه في البلاغة الحد الذي يقدر عليه البشر .

...

فإن قيل : فإذا^(٢) كان يحوز عندكم أن يتفق في شعر الشاعر قطعةٌ عجيبة شاردة ، تبين جميع ديوانه في البلاغة ، ويقع في ديوانه بيتٌ واحد يخالف^(٣) مألوف طبعه ، ولا يُعرف سبب ذلك البيت ، ولا تلك القطعة في التفصيل ، ولو أراد أن يأتي بمثل ذلك أو يجعل^(٤) جميع كلامه من ذلك النمط ، لم يجد إلى ذلك سبيلاً ، وله سبب في الجلة وهو التقدم في الصنعة ؛ لأنه^(٥) يتفق من المتأخر فيها —: فهلاً قلم : إنه إذا بلغ في العلم بالصناعة مبالغة القصوى^(٦) ، كان جميع كلامه من نط ذلك البيت وسمت تلك القطعة ؟ وهلاً قلم : إن القرآن من هذا الباب ؟

فالجواب : أنا لم نجد أحداً بلغ الحد الذي وصفتم في العادة ، وهذا الناس وأهل البلاغة أشعارهم عندنا محفوظة ، وخطبهم منقولة ، ورسائلهم مأثورة ، وبلاغاتهم مروية ، وحكمهم مشهورة ؛ وكذلك أهل

(١) م « يحسنه »

(٢) م ، ك : « إذا »

(٣) ا « يخالف »

(٤) م ، ك « ويجعل »

(٥) م « لأنه لا يتفق »

(٦) م « مبالغة قصوى » . م ، ا « الغاية القصوى »

الكهانة والبلاغة ، مثل قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ ، وَسَحْبَانَ وَائِلَ ، ومثل ^(١) شَيْقٍ ، وَسَطِيحٍ ، وغيرهم — كَلَامُهُمْ مَعْرُوفٌ عِنْدَنَا ، وَمَوْضُوعُهُنَّ بَيْنَ أَيْدِينَا ، لَا يَخْفَى عَلَيْنَا فِي الْجُمْلَةِ بِلَاغَةٌ بَلِيغٌ ، وَلَا خُطَابَةٌ خُطِيبٌ ، وَلَا بَرَاةٌ شَاعِرٌ مُفْلِقٌ ، وَلَا كِتَابَةٌ كَاتِبٌ مُدَقِّقٌ .

فلما لم نجد في شيء من ذلك ما يداني القرآن في البلاغة ، أو يشاكلة في الإعجاز ، مع ما وقع من التحدى إليه المدة الطويلة ، وتقدم من التقرير في المجازاة ^(٢) الأمد المديد ، وثبت له وحده خاصة قَصَبُ السَّبْقِ ، والاستيلاء على الأمد ^(٣) ، وعَجَزَ الكل عنه ، ووقفوا دونه حيارى ، يعرفون عجزهم ، وإن جهل قوم سببه ، ولملمون تقصمهم ، وإن أغفل قوم وجهه — رأينا أنه ناقض للعادة ، ورأينا ^(٤) أنه خارق للمعروف في الحيلة ^(٥) . وَخَرَّقُ الْمَادَّةِ إِنَّمَا يَقَعُ بِالْمُعْجَزَاتِ عَلَى وَجْهِ إِقَامَةِ الْبَرْهَانِ عَلَى النُّبُوءَاتِ ، وَعَلَى أَنْ مِنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ ، وَوَقَعَتْ مَوْقِعَ الْمُهْدَايَةِ إِلَيْهِ ، صَادِقٌ فِيمَا يَدْعِيهِ مِنْ نُبُوَّتِهِ ، وَمَحَقٌّ فِي قَوْلِهِ ، وَمَصِيبٌ فِي هَذِيهِ ، قَدْ شَهِدَتْ ^(٦) لَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ، وَالْكَلِمَةُ التَّامَّةُ ، وَالْبَرْهَانُ النَّيِّرُ ، وَالِدَلِيلُ الْبَيِّنُ .

(١) سقطت من أ

(٢) كَذَا فِي ك ، م . وَفِي م « وَالْمُجَازَاةُ »

(٣) كَذَا فِي م ، أ . وَفِي س ، ك « الْأَمْرُ »

(٤) هَذَا خَرَمٌ فِي أ

(٥) كَذَا فِي م ، ب . وَفِي س ، ك « فِي الْحِيلَةِ »

(٦) كَذَا فِي ك ، م ، ب . وَفِي م « قَدْ سَادَتْ »

فصل

(في حقيقة المعجز ^(١))

معنى قولنا : « إن القرآن معجز » على أصولنا : أنه لا يقدر العبادُ عليه ، وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح دخوله تحت قدرة ^(٢) العباد ، وإنما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ، ولا يجوز أن يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم عليه ، كما يستحيل عجزهم عن فعل الأجسام ، فنحن لا نقدر على ^(٣) ذلك وإن لم يصح وصفنا بأننا عاجزون عن ذلك حقيقةً ، وكذلك معجزات سائر الأنبياء على هذا .

فلما لم يقدر عليه أحدٌ شُبّه بما يعجز عنه العاجز ، وإنما لا يقدر العباد على ^(٤) الإتيان بمثله ، لأنه لو صح أن يقدرُوا عليه بطلت ^(٥) دلالة المعجز ، وقد أجرى [الله] ^(٦) المادة بأن يتعذر فعل ذلك منهم ^(٧) ، وأن لا يقدرُوا عليه .

(١) م ، ب : والمعجزة

(٢) ك ، م : وقد

(٣) م : والأجسام ثم لا يقدرُوا على

(٤) ك ، ب : وإنما تعذر على العباد الإتيان

(٥) م ، ك : وبطل

(٦) الزيادة من ب

(٧) س : وأن . . . منه

ولو كان غير خارج عن المادة لأتوا بمثله، أو عرضوا^(١) عليه من كلام فصحاءهم وبلغائهم، ما يُمارِضه.

فلما لم يشتغلوا بذلك، عُلِمَ أنهم فطنوا لخروج^(٢) ذلك عن أوزان كلامهم، وأساليب نظامهم؛ وزالت أطلأعهم عنه.

وقد كنا يئناً أن التواضع ليس يجب أن يقع على قول الشعر^(٣) ووجوه النظم المستحسنة في الأوزان المطربة للسمع، ولا يُحتاج في مثله إلى توقيف، وأنه يتبين أن مثل ذلك يجري في الخطاب، فلما جرى فيه فطنوا له واختاروه [وطلبوه^(٤)]؛ وطلبوا أنواع الأوزان والقوافي، ثم وقفوا^(٥) على حسن ذلك وقدروا عليه، بتوفيق الله عز وجل^(٦)، وهو الذي جمع خواطرهم عليه، وهداهم له^(٧)، وهياً دواعيم إليه، ولكنه أقدّرم على حدّ محدود، وغاية في الثرفِ مَضْرُوبَةٍ، لعلّه بأنّه^(٨) سيجعل القرآن ممجّزاً، ودلّ على عظم^(٩) شأنه بأنهم قدروا على ما يئناً من التأليف، وعلى ما وصفنا من النظم،

(١) س: «وعرضوا»

(٢) ك: «فطنوا لخروج»

(٣) م: «الشعراء»

(٤) الزيادة من ب، م

(٥) ك: «وقفوا». م: «ولا وقفوا»

(٦) ب: «وهذا»

(٧) ك: «ويدأ». م: «وبدأ»

(٨) س: «بأن»

(٩) كذا في ك. روى م: «عظيم»

من غير تَوْقِيفٍ ولا اِقْتِضَاءٍ^(١) أثرٍ ، ولا تَحْدِثٍ إليه ولا تَقْرِيعٍ .

فلو كان هذا من ذلك القليل ، أو من الجنس الذي عرفوه وألقوه ، لم تَزُلْ أَظْهَارُهُمْ عنه ، ولم يُدْهَشُوا عند وروده عليهم ، فكيف^(٢) وقد أمهلهم وفسَحَ لهم في الوقت ، وكان يدعو إليه سنين كثيرة ، وقال عز من قائل : ﴿ أَوَلَمْ نُمَيِّزْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ^(٣) ﴾ .

ويظهر العجز عنه بعد طول التقريع والتحديث ، بأنَّ أنه خارجٌ عن عاداتهم ، وأنهم لا يقدرون عليه .

وقد ذكرنا أن العرب كانت تعرف ما يبين عاداتها^(٤) من الكلام البليغ ، لأنَّ ذلك طبعهم ولقنهم ، فلم يحتاجوا إلى تجربة عند سماع القرآن ، وهذا في البلاء منهم ، دون المتأخرين في الصنعة .

والذي ذكرناه يدلُّ على أنه لا كلامَ أزيدُ في قدر البلاغة من القرآن .

وكل من جَوَّزَ أن يكون للبشر قدرة على أن يأتوا بمثله في البلاغة ، لم يُمْكِنْه أن يعرف أن القرآن معجز بحال .

(١) كذا في م ، ا ، ك . وفي س « ولا اقتضاء » !

(٢) ا ، م « كيف »

(٣) سورة فاطر ٤٥

(٤) س ، ك « عاداتها »

ولولم يكن جرى في المعلوم^(١) أنه سيجعل القرآن معجزاً، لكان^(٢) يجوز أن تجري عادات^(٣) البشر بقدر زائد على ما ألفوه من البلاغة، وأمر يفوق ما عرفوه من الفصاحة.

وأما نظم القرآن، فقد قال أصحابنا [فيه]^(٤): إن الله تعالى يَقْدِرُ على نظم [هيئة أخرى تزيد في الفصاحة عليه، كما يقدر على مثله].
وأما بلوغ بعض^(٥) نظم [القرآن^(٦) الرتبة^(٧) التي لا يزيد عليها، فقد^(٨) قال مخالفونا: إن هذا غير ممتنع، لأن فيه من الكلمات الشرفة، الجامعة للمعاني البديعة، وانصاف^(٩) إلى ذلك حسن الموقع، فيجب أن يكون قد بلغ النهاية، لأنه عندم — وإن زاد على ما في العادة —

(١) س «العلوم»

(٢) م «كان»

(٣) م «عادة». وبلى هذه الكلمة في سائر النسخ المطبوعة قبل طبعنا هذه ما يلي «الأولين وأخبار المرسلين»، وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه من الإخبار عن النبي — إلى قول المؤلف: «وكذلك من يسمع القرآن يعلم أنه كلام الله وإن اختلف الحال في ذلك»

وهذا الكلام الطويل الذي تبلغ سطوره: ٤١ سطرًا مقحم هنا في غير موضعه، وقد سبق بنصه وفصحه في ص ١٧ م ٩ إلى ص ١٩ م ١ من طبعة السلفية، وهو في طبعنا هذه من ص ١٧ سطر ١ إلى ص ٢٠ م ٧ ! وهذا من أعجب العجيب.

(٤) الزيادة من أ، ك

(٥) ب «بعضهم نظم»

(٦) الزيادة من أ، ب، م

(٧) م «في الرتبة»

(٨) م: «وقال»

(٩) م «فانصاف»

فإن الزائد عليها وإن تفاوت ، فلا بد^(١) من أن ينتهي إلى حدٍّ لا مزيد عليه .

والذي قوله^(٢) : أنه لا يمتنع أن يقال : إنه يقدر الله تعالى على أن يأتي بنظم^(٣) أبلغ وأبدع^(٤) من القرآن كله .

وأما قدر^(٥) العباد في متاهية في كل ما يقدرون عليه ، مما تصح قدرتهم عليه .

(١) سقطت من م

(٢) م : « تقول »

(٣) م : « بنظم القرآن »

(٤) م ، ا : « وأبرع »

(٥) كذا في ا ، م . وفي م : « قدرة »

فصل

﴿ في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأمر متصل بالإعجاز ﴾

إن قال قائل : إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب — وقد قال هذا في حديث مشهور ، وهو صادق في قوله — : فهلاً قلم : إن القرآن من نظمه ، لقدرته في الفصاحة على مقدار لا يبلغه غيره ؟

قيل : قد علمنا أنه لم يتحدَّم إلى مثل قوله وفصاحته . والقدر الذي بينه وبين كلام غيره من الفصحاء ^(١) ، كقدر ما بين شعر الشعراء ، وكلام الخطيبين في الفصاحة ، وذلك مما ^(٢) لا يقع به الإعجاز .

وقد يتناقل هذا : أنا إذا وازنا بين خطبه ورسائله وكلامه المنشور ، وبين نظم القرآن — تبين من البون بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل و [بين] ^(٣) كلام الناس ، فلا ^(٤) معنى لقول من ادعى أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم معجز ، وإن كان دون القرآن في الإعجاز .

فإن ^(٥) قيل : لولا أن كلامه معجز لم يشبَّه على ابن مسعود بالفصل

(١) كلما في س ، ك . وفي م : « والقدر الذي بين كلامه وكلامهم من

الفصاحة كقدر »

(٢) م : « وذلك ما لا يقع الإعجاز به »

(٣) الزيادة من م

(٤) س : « ولا »

(٥) م : « فلو »

بين الْمُؤَدَّتَيْنِ وبين غيرها من القرآن^(١) ؟

وكذلك لم يشبهه دعاء القنوت في أنه هل هو^(٢) من القرآن أم لا ؟
[قيل : هذا من تخليط الملحدين ؛ لأن عندنا أن الصحابة لم يَخْفَ عليهم ما هو من القرآن^(٣)] .

ولا يجوز أن يخفى عليهم القرآن من غيره : وعدد السورِ عندهم محفوظ مضبوط .

وقد يجوز أن يكون شذ عن مصحفه ، لا لأنه قفاه من القرآن ، بل عوّل على حفظ الكلّ إياه .

(١) يزعم بعض الرواة عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي أنه قال : « كان عبد الله بن مسعود يحك المؤذنين من مصاحفه ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله » !!! وقال السيوطي في الإتقان ١٣٧/١ : « وقال النووي في شرح المذهب : أجمع المسلمون على أن المؤذنين والقاتحة من القرآن ، وأن من جحد منها شيئاً كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح . وقال ابن حزم في كتاب القدر المعلي ، تتميم المحلى : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع . » وقد أبى ابن حجر إلا تصحيح تلك الرواية ، فقال في شرح البخاري : « فقول من قال إنه كذب عليه مردود ، والظن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل ، بل الرواية صحيحة ، والتأويل محتمل . » ثم لم يستطع تأويلها مقبولا ، والله يغفر لنا وله . وانظر تأويل مشكل القرآن ص ٢٠ ، ٢١ ، ٣٣ - ٣٥

(٢) م « هل بين من القرآن هذا من تخليط الملحدين »

(٣) اشبه ذلك على أبيّ فزاده في مصحفه على أنه قرآن ؛ لأنه - كما قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٣٣ - « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به في الصلاة دعاء دائماً ، فظن أنه من القرآن ، وأقام على ظنه ، ومخالفة الصحابة جميعاً ، كما أقام على التطبيق . »

(٤) الزيادة من ا ، ب

على أن النى يروونه خَبْرٌ وَاحِدٌ ، لَا يُسْكَنُ إِلَيْهِ فِي مِثْلِ هَذَا ، وَلَا يَعْمَلُ عَلَيْهِ .

وَيُحْجُوزُ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى ظَهْرِ مَصْحَفِهِ دُعَاءُ الْقُنُوتِ لثَلَاثِينَ سَاعَةً ، كَمَا يَكْتُبُ الْوَاحِدُ مِنْ بَعْضِ الْأَدْعِيَةِ عَلَى ظَهْرِ مَصْحَفِهِ .

وهذا نحو ما يذكره الجهمال : من اختلاف كثير بين مصحف ابن مسعود ، وبين مصحف عثمان رحمة الله عليهما .

ونحن لا ننكر أن يَنْلَطَ فِي حُرُوفٍ مَعْدُودَةٍ ، كَمَا يَنْلَطُ الْحَافِظُ فِي حُرُوفٍ وَيَنْسَى ، وَمَا لَا يَجِيزُهُ ^(١) عَلَى الْحِفَاطِ مِمَّا لَمْ يَجْزِهِ عَلَيْهِ .

ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادَّعَوْا ، لكانت الصحابة تناظره على ذلك ، وكان يظهر وينتشر ؛ فقد تناظروا في أقل من هذا ، وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل ، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه ؟ ! وقد ^(٢) علمنا إجماعهم على ما جمعه في المصحف ، فكيف يُقَدِّحُ بِمِثْلِ ^(٣) هَذِهِ الْحِكَايَاتِ الشَّاذَّةِ الْمُؤَلَّفَةِ ^(٤) فِي الْإِجْمَاعِ الْمُتَقَرَّرِ ، وَالِاتِّفَاقِ الْمَعْرُوفِ ؟ !

وَيُحْجُوزُ ^(٥) أَنْ يَكُونَ النَّاقلُ اشْتَبَهَ ^(٦) عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ خَالَفَ فِي النِّظْمِ

(١) ك : « وما لا يجيزه » م « وما لا يجيزه الحفاظ مما لم نجزه عليه »

(٢) م « لقد »

(٣) م « تقدح مثل »

(٤) م « الشاذة المؤلفة » . س « بالإجماع »

(٥) م « فيجوز »

(٦) ك « في أ ، م ، ك . وفي س « أشبه »

والترتيب ، فلم يثبتهما في آخر القرآن ، والاختلاف بينهم في موضع الإثبات غير الكلام في الأصل ، ألا ترى أنهم قد اختلفوا في أول ما نزل من القرآن :

فمنهم من قال : قوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ^(١) .

ومنهم من قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ^(٢) .

ومنهم من قال : فاتحة الكتاب ^(٣) .

واختلفوا أيضاً في آخر ما أنزل ^(٤) :

فقال ابن عباس : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ^(٥) .

وقالت عائشة : سورة المائدة .

وقال البراء بن عازب ^(٦) : آخر ما أنزل سورة براءة .

(١) سورة العلق وهذا القول هو الصحيح ، وهو أول قول أورده السيوطي

في الإتيان ٣٩/١

(٢) سورة المدثر ١ وهذا القول في الإتيان ٤٠/١

(٣) انظره في الإتيان ٤٠/١

(٤) راجع أقوال العلماء في ذلك في الإتيان ٤٤/١ — ٤٨

(٥) سورة النصر ١

(٦) هو أبو عمارة البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن

مجدعة الأوصى الأنصاري ، استصغره الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر فرده ،

ثم غزا معه خمس عشرة غزوة . وتوفي سنة اثنتين وسبعين ، وقيل : سنة إحدى

وسبعين . راجع تاريخ الإسلام ١٣٩/٣ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٣٩

والمعارف ص ١٤٢

وقال سعيد بن جبير^(١) : آخر ما أنزل قوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا يَوْمَ
تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٢) .

وقال السدي^(٣) : آخر ما أنزل : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾^(٤) .

ويحوز أن يكون في مثل هذا خلاف^(٥) ، وأن يكون كل واحد
ذكر آخر ما سمع .

...

ولو كان القرآن من كلامه ، لكان البون بين كلامه وبينه مثل
ما بين خطبة وخطبة ينشئهما^(٦) رجل واحد ، وكانوا يمارضونه ؛
لأننا قد علمنا أن القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي صلى الله عليه
وسلم لا يخرج إلى حد الإعجاز ، ولا يتفاوت التفاوت الكثير ، ولا

(١) كتب سعيد بن جبير لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم كتب لأبي
بردة وهو على القضاء ويبت المال . وخرج مع ابن الأشعث ، فلما انهزم أصحاب
ابن الأشعث من دير الحجاج ، هرب سعيد إلى مكة ، فأخذه خالد بن عبد الله
القسري ، وكان والي الوليد بن عبد الملك على مكة ، فبعث به إلى الحجاج ،
فأمر الحجاج فضربت عنقه سنة أربع وتسعين ، راجع المعارف ص ١٩٧

(٢) سورة البقرة ٢٨١

(٣) هو إسماعيل بن عبد الرحمن ، مولى قريش حجازي الأصل ، رأى
ابن عمر وابن عباس . وروى عن أنس بن مالك . توفي سنة سبع وعشرين ومائة ،
في إمارة ابن هبيرة على العراق . انظر الباب ١/٣٧ وخلاصة تذهيب الكمال
ص ٣٠

(٤) سورة التوبة ١٢٩

(٥) م : اختلاف ،

(٦) س : ينشئها ،

يخفى كلامه^(١) من جنس أوزان كلامهم ؛ وليس كذلك نظم القرآن ، لأنه خارج من جميع ذلك .

فإن قيل : لو كان على ما ادّعيتم ، لعرفنا بالضرورة أنه معجز^(٢) دون غيره ؟

قيل : بمعرفة الفصل بين وزن الشعر [أو غيره من أوزان الكلام لا يقع ضرورة ، ويحتاج في معرفة ذوق الشعر]^(٣) ووزنه ، والفرق بينه وبين غيره من الأوزان يحتاج^(٤) إلى نظر وتأمل ، وفكر وروية واكتساب ، وإن كان النظم المختلف الشديد التباين إذا وجد أدرك اختلافه بالخاصة ، إلا أن كل وزن وقيل إذا أردنا تمييزه من غيره احتجنا فيه^(٥) إلى الفكرة والتأمل^(٦) .

فإن قيل : لو كان معجزاً لم يختلف أهل الملة^(٧) في وجه إعجازه ؟
قيل : قد يثبت الشيء دليلاً وإن اختلفوا في وجه دلالة البرهان ، كما قد يختلفون في الاستدلال على حدوث^(٨) العالم من الحركة والسكون ، والاجتماع والافتراق .

(١) م « كلام »

(٢) م « لعرفنا أنه معجز ضرورة »

(٣) الزيادة من أ ، م

(٤) م « يحتاج إلى »

(٥) سقطت من م

(٦) أ « الفكر »

(٧) م « الملل »

(٨) م « حدث »

فأما المخالفون ، فإنه يتعذر عليهم أن يعرفوا أن القرآن كلام الله ، لأنّ منهم من لا فرق بين أن يكون القرآن من قبل الرسول أو من قبل الله عز وجل في كونه معجزاً ، لأنه إن خصّه بقدر من العلم لم تجزِ المادة بمثله ، أمكنه أن يأتي بما له هذه الرتبة ، وكان متمذراً على غيره ، لفقد علمه بكيفية النظم .

وليس القوم بماجزين عن الكلام ، ولا عن النظم والتأليف . والمعنى المؤثر عندهم في تعذر مثل نظم القرآن علينا : فقد العلم بكيفية النظم ، وقد يتنا قبل هذا أن المانع هو أنهم لا يقدرون عليه . والمفحّم قد يعلم كيفية الأوزان واختلافها ، وكيفية التركيب ، وهو لا يقدر على نظم الشعر .

وقد يعلم الشاعران^(١) وجوه الفصاحة ، وإذا قالوا الشعر جاء شعراً أحدهما في الطبقة العالية ، وشعر الآخر في الطبقة الوضيعة .

وقد يطرد^(٢) في شعر المبتدى والمتأخر في الحذف القطعة الشريفة والبيت النادر : مما لا^(٣) يتفق للشاعر المتقدم .

والعلم بهذا الشأن في التفصيل لا يفي ، ويحتاج معه إلى مادة من الطبع ، وتوفيق من الأصل .

(١) م «الشاعرين» س «الشاعر»

(٢) كذا في ا ، م ، ك . وفي س «ترد»

(٣) م ، ا ، ك : «وما لا يتفق»

وقد يتساوى المالكان بكيفية الصناعة والنساجة، ثم يتفق لأحدهما من اللطف في الصنعة، ما لا يتفق للآخر^(١).

وكذلك أهل نظم الكلام — يتفاضلون، مع العلم بكيفية النظم؛ وكذلك أهل الرّئي يتفاضلون في الإصابة، مع العلم بكيفية الإصابة.

وإذا وجدت للشاعر بيتاً أو قطعةً أحسن من شعر امرئ القيس، لم يدل^(٢) ذلك على أنه أعلم بالنظم منه، لأنه لو كان كذلك كان يجب أن يكون جميع شعره على ذلك الحدّ، وبحسب ذلك البيت في الشرف والحسن والبراعة، ولا يجوز أن يعلم نظم قطعةٍ ويجهل نظم مثلها، وإن^(٣) كان كذلك، علم أن هذا لا يرجع إلى قدره^(٤) من العلم، ولسنا نقول: إنه يستغنى عن العلم في النظم، بل يكفي علم به في الجملة، ثم يقف الأمر على القدرة.

وهذا يبين لك بأنه قد يعلم الخط فيكتب سطرًا، فلو أراد أن يأتي بمثله بحيث لا يفادر منه شيئاً لتعذر، والعلم حاصل.

وكذلك قد يحسن^(٥) كيفية الخط، ويميز^(٦) الجيدة منه من الرديّة، ولا يمكنه أن يأتي بأرفع درجات الجيد.

(١) م: «في الآخر»

(٢) كذا في ك، م. وفي م «لا يدل»

(٣) م: «فإذا». م «وإن»

(٤) كذا في ك، ب. وفي أ، م «ما قدره». م «إلى قدرة»

(٥) سقطت هذه الكلمة من م

(٦) سقطت هذه الكلمة من ك

وقد يعلم قوم كيفية إدارة^(١) الأقلام ، وكيفية تصوير الخط ، ثم يتفاوتون في التفصيل^(٢) ، ويختلفون في التصوير .

وألزهم أصحابنا أن يقولوا بقدرتنا على إحداث الأجسام ، وإنما يتعذر وقوع ذلك مِنَّا بآنا^(٣) لا نعلم الأسباب التي إذا عرفنا إيقاعها على وجوه اتفق لنا فعلُ الأجسام .

وقد ذهب بعض المخالفين إلى أن العادة انتقضت بأن أنزله جبريلُ ، فصار القرآن معجزاً أنزوله على هذا الوجه ، ومن قبله لم يكن معجزاً !! وهذا قول أبي هاشم^(٤) ، وهو ظاهر الخطأ ، لأنه يوجب^(٥) أن يكونوا قادرين على مثل القرآن ، وأنه لم [يكن]^(٦) يتعذر عليهم فعل مثله . وإنما تعذر بإنزاله ، ولو كانوا قادرين على مثل ذلك كان قد اتفق من بعضهم مثله .

وإن كانوا في الحقيقة غير قادرين قبل نزوله ولا بعده على مثله ، فهو قولنا .

(١) سقطت هذه الكلمة من م .

(٢) كذا في ك ، س . وفي م ، ا « يتقاربون في التشكيل » . وب « في التشكل »

(٣) س « لآنا »

(٤) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي (٢٤٧ - ٣٢١) ، وكان يعتبر أن الواجب على المكلف هو الشك ؛ لأن النظر العقلي من غير سابقة شك تحصيل حاصل .

(٥) كذا في ا ، ب ، ك ، م . وفي س « يلزم »

(٦) س : « وإن لم يتعذر »

وأما قول كثير من المخالفين ، فهو على ما يتنا ، لأن معنى المسجّر
عندهم تمذّرٌ فصل مثله ، وكان ذلك متعذراً قبل نزوله وبعبارة .

فأما الكلام في أن التأليف هل له نهاية ؟

فقد اختلف المخالفون من المتكلمين فيه :

فمنهم من قال : ليس لذلك نهاية ، كالمدد ، فلا^(١) يمكن أن يقال :
إنه لا يتأتى قول قصيدة إلا وقد قيلت من قبل .

ومنهم من قال : إن ما جرت به العادة فله نهاية ، وما لم تجز به
العادة فلا يمكن أن تُعلم^(٢) نهاية الرتبة فيه .

وقد يتنا : أن على أصولنا قد تقرر لكلامنا [ونظمتنا]^(٣) حدّ في
العادة ، ولا سبيل إلى تجاوزه ، ولا يقدر [عليه]^(٤) ، فإن القرآن خرق
العادة فزاد عليها .

(١) م : « ولا »

(٢) م : « نعلم » . م : « يعلم »

(٣) م : « يقرر » . م : « قد تقرر لكلامنا حد »

(٤) م : « ولا يقدر فإن »

فصل

إن قيل : هل من شرط المعجز أن^(١) يعلم أنه آتى به من ظهر عليه ؟
 قيل : لا بد من ذلك ، لأننا إن^(٢) لم نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم
 هو الذي آتى بالقرآن ، وظهر ذلك من جهته — : لم يمكن أن نستدل
 به على نبوته .

وعلى هذا لو تَلَقَّى رجلٌ منه سورةً ، فأتى بها بلدًا ، وادَّعى
 ظُهورَها عليه ، وأنها معجزةٌ له — : لم تقم الحجة عليهم حتى يبحثوا
 وَيَبَيِّنُوا أنها ظهرت عليه .

وقد تحققنا^(٣) أن القرآن آتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، وظهرَ
 من جهته ، وجعله علماء على نبوته ، وعلمنا ذلك ضرورةً ، فصار
 حجةً علينا .

(١) م « وأنه »

(٢) سقطت من ك

(٣) كذا في م ، ا ، ب ، ك . وفي م « حققنا »

فصل

قد ذكرنا في الإبانة عن معجز القرآن وَجِيزاً من القول، رَجَوْنَا
أن يكنى، وَأَمَلْنَا أن يُقْنِعَ. والكلام في أوصافه — إن اسْتَقْصَى —
بميدُ الأطراف، واسع الأَكْنَاف؛ لملو شأنه، وشرف مكانه.
والذي سطرناه في الكتاب، وإن كان موجزاً، وما أَمَلَيْنَاهُ فيه،
وإن كان خَفِيفاً — : فَإِنَّهُ يُنَبِّئُهُ عَلَى الطَّرِيقَةِ، ويدلُّ عَلَى الوجه،
ويهدى^(١) إِلَى الْحِجَةِ.

ومنى عَظَمَ عَمَلُ الشَّيْءِ قد يكون الإِسْهَابُ فِيهِ عِيّاً، والإِكْثَارُ
في وصفه تَقْصِيراً.

وقد قال الحكيم، [وقد^(٢)] سئل عن البليغ : متى يكون عِيّاً؟
فقال : متى وصف هَوًى أَوْ حِيْباً.

وصلُّ أعرابي في سفر له ليلاً، وطلع القمر فاهتدى به، فقال :
ما أقول لك؟ أقول^(٣) : رفعتك الله؟ وقد رفعتك، أم أقول : نَوَزَكَ اللهُ؟
وقد نَوَزَكَ، أم أقول : جَمَلَكَ اللهُ؟ وقد جَمَلَكَ !

ولولا أن المقول يختلف، والأفهام تتباين، والمعارف تتفاضل — لم
نَحْتَجْ إِلَى مَا تَكَلَّفْنَا، ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة، ولو اتفقوا

(١) م : « ويهديك »

(٢) الزيادة من م ، ك

(٣) سقطت من م

فيها لم يَحْزَ أن يتفوقوا في معرفة هذا الفن ، أو يجتمعوا في الهداية إلى هذا العلم ؛ لاتصاله بأسباب [خفية]^(١) ، وتعلقه بعلوم غامضة النور ، عميقة القمر ، كثيرة المذاهب ، قليلة الطلاب ، ضعيفة الأصحاب . وبحسب تأتي^(٢) مواضع تَقَعُ الألفهامُ دونَه ، وعلى قدر لطف مسالكه يكون القصورُ عنه .

أنشدني أبو القاسم الرُّعْفَانِي ، قال : أنشدني المُتَنَبِّي ، لنفسه ، القطعة التي يقول فيها :

وكم مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَاحِبًا وَافَتْهُ مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ^(٣)
ولكنْ تَأْخُذُ الْآذَانُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَأْنِ وَالْعُلُومِ

وأنشدني الحسن بن عبدالله ، قال : أنشدنا بعضُ مشايخنا ، للْبُخْتَرِيِّ :

أَهْزُ بِالشَّعْرِ أَقْوَامًا ذَوِي سِنَّةٍ لَوْ أَنَّهُمْ ضَرَبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا^(٤)
عَلَى نَحْتِ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَى لَهْمٍ أَنَّ تَقَهَّمُ الْبَقَرُ^(٥)

فإذا كان قدُ الكلام كله صعباً ، وتميزه شديداً ، والوقوع على

(١) الزيادة من م

(٢) م : « تنامي »

(٣) في ديوانه ٣٧٩/٢

(٤) ديوانه ٦٧٣ « ذوى سن في الجهل لو ضربوا »

(٥) م : « من معادنها »

اختلاف فتونه^(١) متفرداً ؛ وهذا في كلام الآدميين^(٢) — : فما ظنك
بكلام رب العالمين ؟ !

• • •

قد أبتأ لك أن من قَدَّر أن البلاغة في عشرة أوجه من الكلام ،
لا يعرف من البلاغة إلا القليل^(٣) ، ولا يظن منها إلا اليسير .
ومن زعم أن البديع يقتصر على ما ذكرناه من قبل عنهم^(٤) في
الشعر ، فهو متطرق .

لنلّ ، إن كانوا يقولون : إن هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع
وأصول اللطيف ، وإن ما يجري مجرى ذلك ويشاكله ملحق بالأصل ،
ومردودٌ على القاعدة — : فهذا قريب .

وقد يتنا في نظم القرآن : أن الجملة تشتمل على بلاغة منفردة ،
والأسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف .

ثم الفواتح والخواتم ، والمبادئ والمثاني^(٥) ، والطوائع والمقاطع ،
والوسائط والفواصل .

ثم الكلام في نظم السور والآيات ، ثم في تفاصيل التفاصيل ،

(١) م : « نعوته »

(٢) م ، ك : « الآدى »

(٣) م : « إلا قليلا »

(٤) م : « ما قلناه من قبل عنهم »

(٥) م : « والمثاني والمبادئ »

ثم في الكثير والقليل ^(١) .

ثم الكلام الموشع والمُرصع ، والمفصل والمُصرَّع ، والمُجنَّس والموشع ^(٢) ؛ والمُحَلَّى والمُكَلَّل ، والمُطَوَّق والمُتَوَّج ؛ والموزون والخارج عن الوزن ، والممتدل في النظم والمتشابه فيه .

ثم الخروج من فصل إلى فصل ، ووصل ^(٣) إلى وصل ، ومعنى إلى معنى ، ومعنى في معنى ؛ والجمع بين المؤتلف والمُختَلَف ، والمتَّفِق والمتَّسِق .

وكثرة التصرف ، وسلامة ^(٤) القول في ذلك كله ^(٥) من التعسف ، وخروجه عن العمق ^(٦) والتشدُّق ، وبعده عن التَّعَمُّل والتَّكَلُّف ، والألفاظ المفردة ، والإبداع في الحروف والأدوات ، كالإبداع في المعاني والكلمات ، والبسط ^(٧) والقبض ، والبناء والنقض ، والاختصار ^(٨) والشرح ، والتشبيه ^(٩) والوصف .

(١) م : « والقريب »

(٢) م : « كذا في ا ، ب ، م ، ك . وفي م « والموشى »

(٣) م : « ومن وصل »

(٤) م : « وسلامة »

(٥) م : « كله وسلامته من » . وا « عن »

(٦) م : « العمق »

(٧) م : « والكلمات والاختصار والبسط »

(٨) م : « والاختصار »

(٩) م : « والتشبيه والأمثال والرصف »

وتمييز الابتداع^(١) من الاتباع ، كتمييز المطبوع عن المصنوع^(٢) ،
والقول الواقع عن غير تكلف ولا تعمل .

• • •

وأنت تبين^(٣) في كل ما نصَّرفَ فيه من الأنواع أنه على سَمتِ
شريف ، ومَرَقَبٍ مُنِيفٍ ، يَهر إذا أخذ في النوع الرَّبِّي^(٤) ، والأمر
الشرعي ، والكلام الإلهي ، الدَّال على أنه يَصْدُرُ عن عِزِّ المَلَكُوتِ ،
وَشَرَفِ الجَبَرُوتِ ، وما لا يبلغ الوَهْمُ مَوَاقِعَهُ : من حِكْمَةٍ^(٥) وأحكام ،
واحتجاج وتقرير ، واستشهاد وتقرير ، وإعذار وإنذار ، وتبشير
وتحذير ، وتنبيه وتلويح ، وإشباع^(٦) وتصريح ، وإشارة ودلالة ،
وتعليم أخلاق زَكِيَّةٍ ، وأسباب رِضْيَةٍ ، وسياسات جامعة ، ومواعظ
نافعة ، وأوامر صَادِعة ، وقصص مفيدة ، وثناء على^(٧) الله عز وجل بما
هو أَهْلُهُ ، وأوصاف كما يستحقه ، وتحميد كما يستوجبه ، وأخبار عن
كائنات في التَّائِي صَدَقَتْ ، وأحاديث عن المُوْتَنَفِ تَحَقَّقَتْ ، ونَوَاهٍ

(١) م : « ومييز الإبداع . . . كتمييز »

(٢) م : « عن المصنوع »

(٣) م : « ترى » . ك : « تبينه »

(٤) م ، ا : « الدينى » . وفى اللسان ٣٨٨/١ « والرَّبِّي : منسوب إلى الرب »

(٥) م : « من حكم »

(٦) م : « واتساع »

(٧) م : « عن »

زاجرة عن القبايح والفواحش ، وإباحة الطيبات ، وتحريم المضارة
والجبايات ، وحث على الجليل والإحسان .

تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب ، مجلوة عليك في منظر بهيج ،
ونظم أنيق ، ومعرض رشيق ، غير متعاص^(١) على الأسماع ، ولا متلوي^(٢)
على الأفهام ، ولا مستكره في اللفظ ، ولا مستوحش^(٣) في المنظر .
غرب في الجنس غير غريب في القليل ، مُمتليء ماء ونضارة ، ولطفاً
وغضارة ، يسرى في القلب كما يسرى السرور ؛ ويعرّ إلى مواقفه كما
يعر السهم ، ويضئ كما يضئ الفجر ، ويزخر كما يزخر البحر . طموح
العباب ، تجوح على المتناول المتناكب ، كالروح في البدن ؛ والنور
المستطير في الأفق ، والغيث الشامل ، والضياء الباهر ﴿ لَا يَأْتِيهِ
الْبَاطِلُ مِنْ يَمِينٍ يَدِينَهُ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(٤) .

من توهّم أنّ الشعر يلحظ^(٥) شأنه بأنّ ضلاله ، ووضع^(٦) جهله .
إذ الشعر سمّت قد تناولته الألسن ، وتداولته القلوب ، وانثالت عليه
الهواجيس ، وضرب الشيطان فيه بسهمه ، وأخذ منه بحظّه ، وما دونه
من كلامهم فهو أدنى محلاً ، وأقرب مأخذاً ، وأسهل مطلباً ، ولذلك

(١) من : « متعاص »

(٢) كذا في ل ، م . وفي س « ولا مفلق »

(٣) من : « ولا متوحش »

(٤) سورة فصلت ٤٢

(٥) كذا في ل ، م . وفي س « يلحق »

(٦) من ، ك « وصح »

قالوا : فلان مُفَحِّمٌ ، فَأُخْرِجُوهُ مَخْرَجَ الْمَيْبِ ، كما قالوا : فلان عَيٌّ ^(١) ،
فَأُورِدُوهُ مَوْرِدَ النِّقْصِ .

• • •

والقرآن كتابٌ دل على صدق مُتَحَمِّلِهِ ، ورسالةٌ دلت على صحة
قول المرسل بها ، وبرهانٌ شهد له برهان الأنبياء ^(٢) المتقدمين ، وبينت
على طريقة مَنْ سلف من الأولين ^(٣) . حَيْرَمٌ ^(٤) فيه ، إذ كان من جنس
القول الذي زعموا أنهم أدركوا فيه التهاية ، وبلغوا فيه الغاية ؛ فمرفوا
عجزهم ، كما عرف قومُ عيسى قصائهم فيما قدرُوا من بلوغ أقصى
الممكن في العلاج ، والوصول إلى أعلى مراتب الطب ، فجاءهم بما بهَرَمَ :
من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ؛ وكما أتى موسى بالمصا
التي تلقفت ما دَقَّقُوا ^(٥) فيه من سحرهم ، وأتت على ما أجمعوا عليه
من أمرهم ، وكما سخر لسليمان الريح ^(٦) والطير والجن ، حين كانوا
يولعون به من فائق الصنعة ، وبدائع اللطف ^(٧) . ثم كانت هذه المعجزة

(١) س : « عي »

(٢) كذا في ا ، ب ، م . وفي ك ، س « براهين الأولياء »

(٣) كذا في م ، ب . وفي ك : « ما سلف إلى الأولين »

(٤) كذا في ك ، م ، ا . وفي س « تحداهم »

(٥) م : « التي تلقفت » . س « تلقفت ما برعوا »

(٦) س ، ل « لسليمان من الرياح »

(٧) ل ، س « يولعون بدقائق الحكمة وبدائع من اللطف »

مما يقف عليها^(١) الأول والآخر ووقوفاً واحداً ، وبقى حكمها إلى يوم القيامة .

...

انظر وفقك الله لما هديناك إليه ، وفكر في النى دلتك عليه ؛
فالحق منهج واضح ، والدين ميزان راجح ؛ والجهل لا يزيد إلا عى^(٢) ،
ولا يورث إلا تنماً .

قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ^(٣) ۝ ﴾ .

وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ
تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ
نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا^(٤) ۝ ﴾ .

وقال : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا^(٥) ۝ ﴾ .

وعلى حسب ما آتى من الفضل ، وأعطى من الكمال والعقل — تقع
الهداية والتبيين ، فإن الأمور تتم^(٦) بأسبابها ، وتحصل بآلتها ، ومن سلبه

(١) س ، ك « عليه »

(٢) س : « الإغما »

(٣) سورة الزمر ٩

(٤) سورة الشورى ٥٢

(٥) سورة البقرة ٢٦

(٦) م : « تستمر »

التوفيق ، وحرمة الإرشاد^(١) والتسديد — ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ، لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا .

فَاتَّخَذَ اللَّهُ عَلَى مَا رَزَقَكَ مِنْ الْفَهْمِ إِنْ فَهَمْتَ^(٢) ، ﴿وَقُلْ : رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ، [إِنْ أَنْتَ عَلِمْتَ^(٣)] ؛ ﴿وَقُلْ : رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ .

وإن ارتبت فيما يتناه فازدد في تعلم الصنعة ، وتقدم في المعرفة ؛ فسيقع بك على الطريق^(٤) الأرشد ، وسيقف^(٥) بك على الوجه الأحمد ؛ فإنك إذا فعلت ذلك أحطت علماً ، وتيقنت فهماً .

ولا^(٦) يوسوس إليك الشيطان بأنه قد كان ممن^(٧) هو أعلم منك بالعربية ، وأدرب^(٨) منك في الفصاحة ؛ أقوام^(٩) [وأى] أقوام ، ورجال^(١٠) [وأى] رجال ، فكذبوا وارتابوا ؛ لأن القوم لم ينهبوا عن الإعجاز . ولكن اختلفت أحوالهم : فكانوا بين جاهل وجاهد ، وبين

(١) م : « وحرمة الرشاد »

(٢) سقطت إن فهمت من م

(٣) الزيادة من ب

(٤) م : « السبيل »

(٥) م : « ويقف » . م « وسقف على الوجه الأحمد »

(٦) م : « فلا »

(٧) م : « ممن »

(٨) كذا في م . وقى س ، ك « وأرجح » . وقى ا ، ب « وأدهى »

(٩) الزيادة من م

كافر نعمة وحاسد^(١) ؛ وبين ذاهبٍ عن طريق الاستدلال بالمعجزات ،
وحائد^(٢) عن النظر في الدلالات ؛ وناقص في باب البحث ، ومُختَلِّ^(٣)
الآلة^(٤) في وجه الفحص ، ومستهين بأمر الأديان ، وغاوي^(٥) تحت
جُبَالَةِ الشَّيْطَانِ ، ومقنوف بخِذْلَانِ الرَّحْمَنِ . وأسبابُ الخِذْلَانِ
والجهالة كثيرة ، ودرجات الحرمان مختلفة .

وهلّا جعلت يَأْزَاءَ الكُفْرَةِ ، مِثْلَ لَيْدِ بْنِ رَيْبَةَ العَامِرِيِّ في حسن
إسلامه ، وكُتَيْبِ بْنِ زُهَيْرٍ في صدق إيمانه ، وحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ^(٦) ،
وغيرهم : من الشعراء والخطباء الذين أسلموا ؟

على أَنَّ الصَّدْرَ الْأَوَّلَ مَا فِیهِمُ إِلَّا نَجْمٌ زَاهِرٌ ، أَوْ بَحْرٌ^(٧) زَاخِرٌ .
وقد يتنا : أَنْ لَا اعْتَصَامَ إِلَّا بِهِدَايَةِ اللَّهِ^(٨) ، وَلَا تَوْفِيقَ إِلَّا بِنِعْمَةِ اللَّهِ .
﴿ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

فتأمل ما عرَفْنَاكَ في كتابنا ، وفرَّغَ له قلبك ، واجمع عليه^(٩) بُكَاءُ

(١) ك : « وحامد »

(٢) س : « وحائر »

(٣) م : « ومخيل الآلة »

(٤) م : « وعار »

(٥) م : « في سلامة أنباهه »

(٦) م : « وبحر »

(٧) م : « الله تعالى »

(٨) كذا في ا ، م . وفي ك ، ب ، س « له »

ثم اعتصم بالله يَهْدِكَ ، وتوكل عليه يُعِيْزَكَ ^(١) ويُجَرِّدَكَ ، واسترشد به يُرْشِدَكَ ؛ وهو حَسْبِي وحَسْبُكَ ، ونِعْمَ الوكيل ^(٢) .

(١) كلما في م ، ب . وفي س ، ك « يفتك »

(٢) جاء في آخر م ، ا ، ك بعد ذلك ما يلي :

(١) في م : « تم كتاب الإعجاز ، والحمد لله على نعمه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، وسلم تسليما كثيرا » . وبعد ذلك بخط مغاير : « هذا ما كتبه المؤلف لخزانة كتب عضد الدولة ، وطالع فيه الحسن ابن المؤلف ، سنة تسع وتسعين بعد الثلاثمائة . . . »

(ب) في ا : « والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين . وكان القراغ منه في غرة ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة . نسخته من أصل الفقيه الإمام أبي الحجاج يوسف بن عبد العزيز اللخمي ، الذي عليه خط شيخه عمدة أهل الحق ، أبي عبد الله التميمي ، وأخبرني أنه نسخها من نسخة صحيحة ، عليها مكتوب : فرغ من نسخها في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربع مائة . وقال لي : توفي القاضي المؤلف ، رحمه الله ، سنة أربع وأربع مائة . وعارضت نسختي هذه بالأصل ، وقرأتها عليه وهو يسلك أصله ، والحمد لله رب العالمين »

(ج) وجاء في ك : « تم كتاب الإعجاز في القرآن العظيم . وكان القراغ من نسخته سلخ الشهر المعظم ، رجب سنة ثمانية عشر وستائة . علقه الشريف حسن ، ابن الشريف محمد ، ابن الشريف علي ، ابن الشريف حسين الحسيني ، السمرقندي ، الناسخ . وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما » .

مفاتيح الكتاب

- ١ - فهرس الآيات
- ٢ - الأحاديث »
- ٣ - الشعر »
- ٤ - الأعلام »
- ٥ - الكتب الواردة في كتاب الإعجاز »
- ٦ - المراجع »
- ٧ - الموضوعات »

١ - فهرس الآيات

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
٤٠٥	١٧٨	٣٢	٢ - سورة البقرة
		٢	
	٤ - سورة النساء	١١٧	١٦
٣١٤، ٢٦١، ٥٣	٨٢	٢٢	٢٤ - ٢٣
٤٦٠	٩٨ (اقتباس)	٤٥٩، ٣١١	٢٦
		٣٧٣	٦٥
	٥ - سورة المائدة	٣٩٠	٨٥
٣٠٥	II	٧٣	٩٥ - ٩٤
١٥٢	٣٨	١١٧	١٣٨
١٥٢، ١٤٠	٣٩	٤١٥	١٦٥ وصوابها : (ولو يرى الذين ظلموا)
	٦ - سورة الأنعام	١٢١	١٧٥
٤-٣	٧	٣٩٧، ١٢٢، ١٠٢	١٧٩
١٢٧	٢٦	٣٩٨	
٨ ٤١٥	٢٧	٤١٠	١٩٤
٤٢٧	٢٨	٤٠٤	٢١٤
١٢٧	٨٢	١٤٣ - ١٤٢	٢٥٧
٢٨٥	٩٦	١٩٩	٢٧٩ (اقتباس)
٥١	١٠٥	٤٤٥	٢٨١
	٧ - سورة الأعراف		
٤١٥	٤٠		٣ - سورة آل عمران
٣٧٢	١٢٦ - ١٢٥	٤٩	١٢
٤٠٦	١٤٩	٩٢	٤٩ - ٤٨
٤٠٣	١٥٤	٤١١	٥٤
٣٠٦	١٥٧	٧٣	٦٠
٣٩٩	١٧١	٤١٨	١٣٨

اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة
١٧٥	١٥٢	١٢ — سورة يوسف	
١٧٦	٤٠١، ١٥٢	٨٠	١٠٢
٢٠٢ — ٢٠١	١٤٥	٨٢	٣٩٧
		٨٤	١٢٧
٨ — سورة الأنفال		١٣ — سورة الرعد	
٧	٤٠٤، ٧٢، ٥٠	٣١	٣٩٧، ٢٨١، ١٣٧
٢١	٥٥	١٤ — سورة إبراهيم	
٣١	٦٥، ٢٩، ٢٦	١ — ٢	١١
٩ — سورة التوبة		١٨	٣٩٩
٦	٣٩، ١٢	٢٠ — ١٩	١٥٢
١٤	٧٨	١٥ — سورة الحجر	
٢٣	٧٣	٦	٢٩
٢٤	٩٢ — ٩١	٩	٣٢
٣٣	٤٨	١٥	٤
٣٦ (اقتباس)	١٩٩	٨٨	٣١
٨٣	٧٣	٩١	٣٠
١٢٧	٤١١	٩٤	٤٠٣
١٢٩	٤٤٥	١٦ — سورة النحل	
١٠ — سورة يونس		٢	٣١
٢٢	١٥٢	٤	٤
٢٣	٣٩٧	٢٦	٤١٤
٢٤	٤٠٥، ٤٠٠	٢٧	٩١
		٤٩ — ٤٨	١٥٩
١١ — سورة هود		٥٣	١٣٣، ١٠٢
١٤ — ١٣	٢٣	٥٤	١٣٣
٤٩.	٧٥	٨٩	٤١٨

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
٤٠٣	١٢	٣٠٩	٩٨
٤٠٥	١٥		
٤٢٨	٢١		١٧ - سورة الإسراء
٣٠٦	٢٢ - ٢٣	٣٢١	٨ - ٧
١٣٢	٣٧	٤٠٣	١١
		٩١	١٦
	٢٢ - سورة الحج	١٤٠	٢١
٣٧٢	١ - ٢	١٠١	٢٤
٣٣٠	٣١	٤٠٥	٢٩
٤٦٠	٣١ (اقتباس)		
١٠١	٥٥	٣٩٠	٨٢
١٤٩٠١٢٢	٦١	٢٨١٠٥٧٠٣١٠٢٣	٨٨
		٣٨٧٠٣٨١	
	٢٣ - سورة المؤمنون		
٧٧	٣٦		١٨ - سورة الكهف
٤٢٨	٩١	٤٠٦	١١
٤٦٠	٩٧ - ٩٨ (اقتباس)	٣٧١	١٨
		٣٧٢	٤٧
	٢٤ - سورة النور		
١٠١	٣٥		١٩ - سورة مريم
٤١١	٣٧	١٠١٠٩٢	٤
٣٩٩	٣٩	٢٩	٩٧
٧٣	٥٥		
	٢٥ - سورة الفرقان		٢٠ - سورة طه
٣٠٧٠١٩	١ - ٢	٢٨٨ - ٢٨٧	١٠
٢٩	٤	٤٦٠	١١٤
٣٠ - ٢٩٠٨٥	٥		٢١ - سورة الأنبياء
٣٠	٨	٢٩	٣
١١٩	١٢	٨٥	٥

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
٢٩	٣٦	٤٠٢	٢٣
٧٤	٤٦، ٤٤		
٢٩٥	٧٧، ٦٨، ٥٨		٢٦ - سورة الشعراء
٢٩٦	٨٨، ٨١	٣٧٢	٥١
		٣٧٢ ، ٢٩٧	٥٢
	٢٩ - سورة العنكبوت	٢٩٨ - ٢٩٧	٥٧ - ٦٠
١٥٢	٢٤، ١٧، ١٦	٣٧٣ ، ٢٩٨	٦٣
٤٠٢ - ٤٠١	٤١	٢٩٨ ، ١٢	١٩٤ - ١٩٢
٧٤، ٥١	٤٨	٠٢٢٧، ٤٥٠، ١٢	١٩٥
١٨	٥١ - ٥٠	٤١٨، ٣١٤	
		٢٩٨	٢١٥ - ٢١٤
	٣٠ - سورة الروم	٣٤٥، ٧٦	٢٢٤
٧٢	٤ - ١	٤٠٥، ٣٤٥، ٧٦	٢٢٥
١٢٢	١٩	٣٤٥	٢٢٦
١٢٧	٤٢	٢٩٨	٢٢٧
	٣١ - سورة لقمان		٢٧ - سورة النمل
١٤٤	٣٤	٢٩٥	٥
		٢٨٧	٦
	٣٢ - سورة السجدة	٢٨٨، ٢٨٧	٨
٤٠٦	٢١	٢٩١	٣٢ - ٣١
		٢٩٣، ٢٩١	٣٤
	٣٣ - سورة الأحزاب	١٢٧	٤٤
٤٠٥	٤٦	١٠٢	٩١
	٣٤ - سورة سبأ		٢٨ - سورة القصص
٧٧	١٣	٢٩٤، ١٥٦	
٤١٥	٢٤	١٥٦	٨ - ٥
٨٥	٤٣	٢٨٨	٢٩

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
	٤٠ - سورة غافر		٣٥ - سورة فاطر
٢٩٩، ١٢	٣ - ١	٧٨	١٨
١٢	٤	٣٩٧	٤٣
٣٠٠، ١٣	٦ - ٥	٤٣٨	٤٥
٣٠٢، ٣٠١، ١٣	٧		
٣٠٢، ١٣	١٣		٣٦ - سورة يس
٣٠٣	١٤	٤٠٤، ٢٨٦، ١٠١	٣٧
٣٠٣، ١٣	١٥	٢٨٦	٣٩ - ٣٨
٣٠٣، ١٠٢	١٦	٧٦	٦٩
٣٠٣	١٧	٣٧٢	٨٢
٣٠٤	٢٠ - ١٨		
١٤	٣٥، ٢١		٣٧ - سورة الصافات
٣٠٦	٦٥	٣٠٧	١٠ - ١
١٥	٨٥، ٧٨، ٧٠، ٦٩	٢٩، ٥٥	٣٦
		١١٢	٤٩
	٤١ - سورة فصلت		
٣٩، ١٥	٢ - ١		٣٨ - سورة ص
٣٩، ١٥، ٩	٣	٥٤١٥	١
٣٩، ١٦، ١٥	٤	٢٦	٧
١٦	١٣، ٨، ٦		
١٧	٤١، ٣٦، ٣٠، ٢٦، ١٩		٣٩ - سورة الزمر
٤٢٨، ١٧	٤٠	٣٠٧	٨
٤٥٧، ٣٧٠، ٢٨١	٤٢	٤٥٩	٩
٢٨٢	٤٢ (اقتباس)	١٣٢	١٥ - ١٤
١٨	٥٢، ٤٤	٣١٤، ٣١١، ٥٣، ٣٢	٢٣
٤٠٤	٥١	٣١٤	٢٨
		٢١٩	٣٣
	٤٢ - سورة الشورى	٤٢٧	٥٦
١٩	٢٤	٤١٤	٦٢
٤٢٨	٤٤ - ٤٥		

اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة
٥١ - سورة الفاريات	٧٩	٥٢	٤٥٩، ٢٨٤
٣ - ١		٥٣	٢٨٥
٥٢ - سورة الطور		٤٣ - سورة الزخرف	
٢ - ١	١٤٥	٣	٩
٣٣	٢٤	٤	١٠١
٣٤	٢٨٨، ٩٤، ٢٤	٥	٤٢٧
٥٢	٣٨٦	١٣	٨٧٩
٥٤ - سورة القمر		٣٩	٤٢٧
٢٠ - ١٩	٤٠٠	٤٤	١١٧، ٣٢
٤٥	٧٢	٥٨	٢٩
٥٥ - سورة الرحمن		٦٧	٤٢٧
٤ - ١	٤١٦	٧١	٤٢٨
١٤	٤٠٢	٤٦ - سورة الأحقاف	
٢٤	٤٠٢، ١١٢	٢٩	٦١
٣٧	٤٠٠	٤٧ - سورة محمد	
٥٧ - سورة الحديد		٤	٤٠٤
٢١ - ٢٠	٤٠١	٢١	٣٩٧
٥٩ - سورة الحشر		٤٨ - سورة الفتح	
٢١	٢٨١	٤٥، ١٦	٧٢
٦٢ - سورة الجمعة		٤٩ - سورة الحجرات	
٤ (اقتباس)	٤٦١	١٣	٢٠١
٥	٤٠١	٥٠ - سورة ق	
		٣٠	١١٨

رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة، ورقم الآية
١٤٥	٧٩ - سورة النازعات ٤ - ٣	٣٩٧	٦٣ - سورة المنافقون ٤
٤٠٤	٨١ - سورة التکویر ١٨	٧٨	٦٥ - سورة الطلاق ٣ - ٢
١٣٤	٨٥ - سورة البروج ٣ - ١	٣٠٧	٦٧ - سورة الملك ١
١٦٠	٩٤ - سورة الشرح ٦ - ٥	١١٩	٨
٤٤٤	٩٦ - سورة العلق ١	٤٢٨	١٣ - ١٤
٧٩	١٠٠ - سورة العاديات ٢ - ١	٤٠١	٦٨ - سورة القلم ٣ - ٢
١٤٥	١٠٧ - سورة الماعون ١٤	٤٠٣	٦٩ - سورة الحاقة ٧
٧٩	١٠٩ - سورة الكافرون ١	٧٦	١١
١٦٠	١١٠ - سورة النصر ١	٢٨٢	٤١
٤٤٤	١١١ - سورة المسد ١	٢٨٢	٧٢ - سورة الجن ٢ (اقتباس)
٥٨١		٤٤٤	٧٤ - سورة المدثر ١
		٢٥٨٠، ١٢١	٤
		٤٣	١٨ - ٢٥
		٧٨	٧٦ - سورة الإنسان ١٤

٢ - فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	الحديث
٨٨، ٨٧	«أبجاعة كسجاعة الكهان»
١٢٧	«أسلم سلمها الله ، وغفار غفر الله لها ، وعصية عصت الله ورسوله ، وتجب أجابت الله ورسوله»
٤٤١	«أنا أفصح العرب» (إشارة)
١٢٣	«إنكم تكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع»
١٠٣	«إن مما بُنيت الربيع ، ما يقتل حبطاً أو يلم»
	• • •
	قوله صلى الله عليه وسلم - حين سُئل عن المخرج من
	افتتان أمته من بعد وفاته :
٢٨٢	«بكتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ؛ تنزيل من حكيم حميد»
	• • •
١٠٢	«خير الناس رجلٌ : ممسكٌ بفرسه فى سبيل الله ، كلما سمع هيعاً طار إليها . .»
	• • •
١٠٢	«ربنا : تقبل توبتى ، واغسل حوبتى .»
	• • •
١٢٧	«الظلم ظلمات يوم القيامة»
	• • •
١٠٣	«غلب عليكم داءُ الأمم قبلكم : الحسدُ والبغضاء ؛ وهى
١٠٤	حائلة الدين ، لا حائلةُ الشعر»
	«غيروا الشيب ، ولا تشبهوا باليهود»
	• • •
٣٧٥	«فضلُ كلام الله على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه»

١٢٧

* * *

« لا يكون ذو الوجهين حياً عند الله »

١٠٣

* * *

« الناس كلُّهم مائة : لا تجدُ فيها واحدةً . »

١١٥

* * *

« نصرتُ بالرب ، وجعل رزقي تحت ظل رعي ؛ وليدخلنَّ
هذا الدين على ما دخل عليه الليلُ »

١٠٣

* * *

« وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم ، إلا حصادُ
السنهم »

٣ - فهرس الشعر

١ - الأبيات

(ب)

٣٣١	أعاذل أعتبتُ الإمام ... في الضمير وأعرباً أبو نواس
١٥٤	صرمتُ ولم أصرمكمُ ... وأبّ ليذنباً الأعشى
١٥٥	قومٌ إذا عقلوا ... فوّه الكُربّنا الخطيئة
* * *	
٣٥٩	إذا غضبتُ عليك ... كلهمُ غضاباً جرير
٣٦٠، ١٦٦	فصربتُ الشتاء ... عوداً ركوبياً أبو تمام
* * *	
٨١٥٤	إن النّومَ أغطى ... في مفترى الكلبِ المبرد
١٦٥	تسعون ألفاً ... تُضجّ التين والنعب أبو تمام
٣٢٩	واحتُ مشرقه ... مشرق ومغرب أمرؤ القيس
٣٢٥	فأدخلك الله ... في ملخّل طيب الأعشى
٣٢٨	فأصبحتُ من ليل الغداة ... أعجاز نجم مغرب أمرؤ القيس أو النخري أو ابن الملوّح
١٣٦	فظل لنا يومٌ ... نحسه متغيّب طرفة أو أمرؤ القيس

...	لم يُقَصَّب	...	كَأَنَّ عَيْنَ الْوَحْشِ
١٣٩ ١٠٩	امرؤ القيس أو علقمة الفحل	...	وَتَرَاهُ فِي ظُلْمِ الْوُغَى
...	الرجال بكوكب	...	وَسَامِعَتَانِ يُعْرِفُ
٣٦٥	غير منسوب	...	وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ
...	وسط ربرب	...	
١١١	امرؤ القيس أو علقمة	...	
...	الصفيح المنصب	...	
١١١، ١١٠	امرؤ القيس	...	
* * *			
...	بطيء الكواكب	...	كَلِمَتِي لَمْ يَأْمِمْ
٢٧٥	الناطقة الذبياني	...	وَصَدْرُ أَرَاخَ اللَّيْلِ
...	من كل جانب	...	وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ
١١٣	الناطقة الذبياني	...	وَلَا يَحْسِبُونَ الْخَيْرَ
...	من قواع الكنائس	...	يَقْدُ السَّلَوقِ
١٦١	الناطقة الذبياني	...	يَعْلَمُونَ مِنْ أَيْدٍ
...	ضربة لازب	...	
١٢٥	الناطقة الذبياني	...	
...	نار الحُبَّاح	...	
١٧٣، ١١٨	الناطقة الذبياني	...	
...	قواضٍ قواضب	...	
١٣١	أبو تمام	...	
* * *			
...	الغنيمة كالركاب	...	أَجْعَلُ دَارِمًا
٨١٣٧	الفرزدق	...	إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ كَلَّتْ
...	الحارث بن شهاب	...	عَصَافِيرُ وَذَبَانُ
٣١٧	أبو دؤاد الأسدي أو ربيعة الأشتر	...	فَخَيْبَةٌ مِنْ يَخِيبُ
...	مَجْلَمَةُ الذَّنَابِ	...	
٣٢٣	امرؤ القيس	...	
...	أعصر والرياب	...	
١٣٦	زيد الخيل	...	

- ... من الغنمة بالإياب
 ٣٢٣ امرؤ القيس
 قد طوفت في
- ... أسرى كلاب
 ٨١٣٦ زيد الخيل
 وأدى الغنم
- ... من يرى به
 ١٥٩ السرى الرفاء
 نزع الوشاة لنا
- ... ولا هرب
 ١١٦ سلم الخاسر
 فانت كالدهر
- ... خفارتة الحب
 ١٠٧ أبو تمام
 لها منظر قيد
- ... بأسك مهرب
 ١١٦ البختري
 ولو أنهم ركبوا
- ... عليك الحقائق
 ١١٧ نصيب
 فعاجوا فائنوا
- ... في عين العدو مهيب
 ١٦١ عريقة بن مسافع العيمي
 حليم إذا ما الحلم
- ... جندنا الخطوب
 ٤٢٤ أبو نواس
 دع الأطلال تشفيا
- ... كتاب وحساب
 ١٩١ غير منسوب
 للحرب والضرب أقوام
- ... تنهى كواكب
 ١١٠ بشار بن برد
 كأن منار النعم

- إذا ما عقدنا له ... وعقدَ الكرْبَ
١١٥ أبو ذؤاد
* * *
- (ت)
- فلو أن قوي ... الرياحَ أجرتِ
١٢٠ عمرو بن معد يكرب
* * *
- رُب أخ ... يحرأُ محبته
٨٤ غير منسوب
* * *
- (ج)
- ولي فرسٌ للحلم ... بالجهل مُسرجُ
١٤٣ محمد بن وهيب الحميري
* * *
- (ح)
- مرفوعها زولٌ ... وسطَ ربحِ
١٣٦ طرفة بن العبد
* * *
- وقالوا : حمامات ... والمطى طلوحُ
١٢٩ أبو حية النخعي
* * *
- ولما قضينا من مئى ... من هو ماسحُ
٣٣٨ كثير عزة أو المضرب
* * *
- فلراهبٍ أن لا ... يريثُ نجاحه
١٤٦ ابن الرومي

(د)

٢٦٥	ابن الطرية	... سلكه فتبددأ	إذا ما الثريا
٣٥١	المتنبى	... ماء لأوردا	وصول إلى المستصعبات
١٤٢	المتنوع الكندي	... بنيت لهم مجدأ	وإن يأكلوا لحمي
١٨٦	عدي بن الرقاع	... ميلها وسنادها	وقصيدة قد بت أجمع
١٦١	أبو تمام	... فقتل من الزند	ألا لا يمد الدهر
١٥٣	ابن اللمينة	... خير من البعد	بكل تداوننا
١٦٤	أبو تمام	... عندها كل مرقد	سرت تسجير اللمع
٣٤٥	أبو تمام	... لته وحدي	كريم متى أمدحه
١٦٤	أبو تمام	... وحده لم يرد	لعمري لقد حررت
٤٢١	المتنبى	... والمشرقة شهدي	وأنا الشجاع وقد بدا
١٥١	أبو تمام	... ساكني نجد	وأجدتم من بعد
٢٦٤	ابن المعتز	... يلحن بفد قد	وترى الثريا
١١١، ٨١١٠	طرفة	... بحومل مفرد	وصامعتان يعرف
١١١	طرفة	... فكتب موزد	وعينان كالماويتين

٨٢	طرفة	... أسمى وتجلد	ووفقاً بها صبي
١٧٤	البحري	... نظامٌ فريدٌ	في نظام من البلاغة
١١٨	الفرُّ بن تولب	... أثره بادي	أبقى الحوادثُ
١٠٧	الأسود بن يعفر	... والرهان جواد	بِمُقْلَص عتدٍ
١٦١	أبو تمام	... النصيحة والوداد	تنصل ربهَا
٣٦٠	المتنبى	... من رقاد	كانَ الهامَ في الهيجا
١٤١	غير منسوب	... بالمودة قاصدٌ	أصدُّ بأبندى العيس
٣٦٢	المتنبى	... بحرٌ مزبدٌ	ريانُ لو قذفَ الذى
١٣٨	زهير أو أبو الجوىرة	... أو عجلهم قعدوا	لو كان يقعدُ
٤٢١	ابن المعتز	... لخلق مزيدٌ	أيها السائل عن
		

(د)

٤٢١	ابن المعتز	... تحت الثرى	أنا ابنُ الذى سادهمْ
١٣٨	النايفة الجعدى	... ذلك مظهرًا	بلعنا السباءَ

...	وكانت قزارةُ تصلى	أولى قزاراً	...
١٦٠		عوف بن عطية الرباعي	
...	أخشى القواحشَ	ناشئاً للمكبر	...
٥١٣٣		عبد الله بن سليم الأزدي	
...	طرب الحمامُ	وأينك ناصر	...
١٥١		جرير	
...	فتذكرا قتلاً	يمينا في كافر	...
٣٩١		ليسد	
...	فله در الغول	خائف متقفر	...
٦٠		عبيد بن أيوب	
...	وكم عرست	أصوات سامر	...
٦٠		ذو الرمة	
...	وإذا حديث ساعى	سرفى لم أبشر (أو أشرد)	...
١٣٣		عبد الله بن سليم الأزدي	
...	فبت أفرش خدى	على الأثر	...
٢٦٩		ابن المعتز	
...	وقوادى كمهده	ولم يتغير	...
٧٩		غير منسوب	
...	أهلاً بذاك الزور	في فلك الدور	...
٣٣٥		الصنوبرى	
...	سأنتى على عهد	بالساكنين وبالقطر	...
١٣١		ابن المعتز	
...	فقال فريق القوم	ويحك ما ندرى	...
١٤٢		نصيب	
...	له هم لا منتهى	أجل من الدهر	...
١٣٩		حسان بن ثابت أو بكر بن النطاح	

* * *		
٢٧٢	أبو نواس	مثلُ الظباءِ سمعتُ ... صَوَادِرَ عَنْ غَلِيظِ
* * *		
١٢٢	أبو المنهال	ألا أبلغُ أبا حفص ... ثقةً لغازي
١٧٣	بصيم	إنَّ الشقَى الذي ... من النار
١٤٥ ، ١٣١	أبو نواس	ديارُ نَوَارٍ ... هن منه عَوَارٍ
٤٢١	ابن المعتز	قد ترديتُ بالمكارم ... منَ الافتخارِ
٨١٧٣	بصيم	ما شقوةُ المرء ... يوماً يكثُر
* * *		
١٤١	أبو حنبل	عجبتُ لسعى الدهر ... سكنَ الدهرُ
١٣٢	ابن المعتز	هي الدارُ إلّا ... وأنهم سفرُ
١١٥	الأخطل	وإن أميرَ المؤمنينَ ... بما فعل الدهرُ
٤٠٧	أحمد الجني	وقبرُ حربٍ ... حرب قبرُ
٤٢٢	أبو فراس	ولا أصبحُ الحيّ ... قبليَ التنر
١٥٤	أبو البيداء الرياحي	وما بي انتصارُ ... من عندك النصرُ
١٤٤	أبو نواس	يا منّةً امتنّها ... لها الشكرُ

- إذا عماشى اللامي ... قتل لي : كيف أعتذر ؟
٨٣٣٤ البحرى
- أظله منك حنفٌ ... وأيَّكَ القدرُ
٨٣٦٣ بعض بنى ثعل
- أهزُّ بالشعر أقواماً ... بالسيف ما شعروا
٤٣٥ البحرى
- تلمظ السيفُ ... والأقدارُ تنتظرُ
٨٣٦٢ بعض بنى ثعل أو مسلم بن الوليد
- فى الشيب زجر له ... لولا أنه حجر
٨٣٣٤ البحرى
- للأمانى حديثٌ ... من قد يسرُ
٨١٣٢ ابن المعتز
- لم يفعلوا فعلَ ... بشما ائتمروا
٣٢٤ امرؤ القيس
- فخالط سهل الأرض ... خزيانُ ينظرُ
١١٧ تأبط شراً
- فلا الجودُ يفنى ... والجدُّ مدبرُ
١٢٦ تمثل به الحسن بن على
- ولو أن مشاقاً ... إليك المنبرُ
١١٨ البحرى
- أبدانُهُنَّ وما ... معاً حريرو
١٤٦ ابن الرومى
- إذا شئت أوقرتُ ... هاشم وزكَّارُ
٤٢١ ابن المعتز
- حامى الحقيقة ... قفَّاعٌ وصَرَّارُ
١٤٦ الخنساء

- سَمالُ أُلوية ... للجيش جَرَّارُ
 ٨١٤٦ الخنساء
- لولا الحياءُ ... والحبيبُ يزارُ
 ١٧٧ جرير
- والشيبُ يَنْهَضُ ... بجانيه نهارُ
 ١٢٥ الفرزدق
- • •
- فأيقنتُ أني ... شيءٌ أحاذرُهُ
 ٨١١٥ الفرزدق
- ولو حملتني الريحُ ... أدركني مَقادِرُهُ
 ١١٥ الفرزدق
- • •
- فلا تمجزعن من سنة ... من يسيرها
 ١٣٥ خالد بن محبث أو ابن زهير الهذلي
- • •
- في الذاهبين ... لنا بصائرُ
 ٢٣٢ قس بن ساعدة
- قد سقاني المدامَ ... بالليل مؤتزرُ
 ٢٦٥ ابن المعتز
- • •
- (ز)
- سلهُ الرُكضُ ... أهل الحجازِ
 ٣٦٢ المتنبي
- • •
- (س)
- وسُفهف تمتُ ... مُنية النفس
 ٣٣٢ ابن الرومي

وَأَقْطَعُ الْمَوْجِلَ ... مُسْتَأْنَسٌ عَن تَرِيسِ
١٢٣ الْأَفْوَهُ الْأَوْدَى

... مِثْلُ أَمْسِهِ
٧٨ غَيْرُ مَنْسُوبٍ

(ض)

لَهُ قُصْرٌ بِنَا عَيْرٍ ... الْقَيْسَرِيُّ الْعَضُوضُ
٣٢٣ أَمْرٌ الْقَيْسِ

وَقَدْ أَغْتَدَى وَالْعَلِيرُ ... عَيْلُ الْيَدِينِ قَيْضُ
٨٣٢٣ أَمْرٌ الْقَيْسِ

وَسِنَّةٌ كَسَنِيْقٍ ... بِمَدْلَاجِ الْمَجِيزِ نَهْوضُ
٣٢٢ أَمْرٌ الْقَيْسِ

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَيْسٍ ... مَاءَ الْكَرَاضِ
٣٢٧ الطَّرْمَاحِ

كَأَنَّ الثَّرِيَا ... أَوْ بِلْجَامٍ مُفْقَضُ
٢٦٤ ابْنُ الْمُعْتَرِ

(ط)

وَقَدْ هَوَى النِّجْمُ ... أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا
٢٦٥ ابْنُ الْمُعْتَرِ

طَيْبٌ رَيْقُهُ ... بِجَانِبِ الْغَرَبِ قُرْطُ
٢٦٥ ابْنُ الرَّوْهِ

(ظ)

ويعرضُ قريضُ القوم ... الناطق المتحفظ
٣١٥ خلف الأحر

. . .

(ع)

أبيتُ بأبواب القوافي ... من الوحش نزعاً
١٨٦ سويد بن كراع

إذا أنت لم تنفع ... يضر وينفع
١٢٦ قيس بن الخطيم أو عبد الأعلى بن عبد الله

. . .

ولما ردتها في الشول ... لها لفاعاً
١٣٠ القطامي

. . .

رجال إذا لم يقبلوا ... بالسيوف القواطع
١٤٤ نافع بن خليفة

. . .

وإني وإن أبلغتني ... المطامع أخذ عي
٣٦٠ البحري

. . .

بان الحليطُ برامتين ... لين تجزعُ
٢٦٩ جرير

وتقولُ بوزعُ ... بغيرنا يا بوزعُ
٢٧٠ جرير

. . .

أقصى نهاري ... بالليل جامعُ
١١٣ ابن النميّة

فلنك كالليل الذي ... عنك واسعُ
١١٤ ، ١١٥ النابغة الذبياني

- طربت فأبكتك ... غصونٌ نواثعٌ
٨٧ غير منسوب
- وما لامرئٍ حاولته ... السماء المطالعُ
١١٦ على بن جبلة
- إذا لم تستطع شيئاً ... ما تستطيعُ
١٤١ عمرو بن معدى كرب
- تشكى الوجي ... مرّت بقمعها
٩١ البحري

. . .

(ف)

- وذاكم أن ذلّ ... لا تعرفُ الأنثى
١٢٩ التوزي أو عيسى
- هل لما فات من ... الصباية شاف
١٣٠ البحري
- وإني للماء الذي ... ورّادهُ لعبوف
٣٥١ غير منسوب

. . .

(ق)

- يقصّفُ في الفارس ... فريقاً فريقاً
٣٦٤ بعض معاصري الباقلائي
- فإن كنت مأكولاً ... ولما أمزق (مضمّن)
٢١٨ الممزق العبدى

- وردتُ اعتسافاً ... ابنُ ماءٍ مُخلقٍ ٢٦٤ ذو الرمة
- فناولَنيها والثريا ... حَيًّا التلوى به الساقى ٢٦٥ ابن المعتز
- حتى يَجِيءَ بحال ... بعدَ ذاكَ لَقُوا ٨٢٣٢ قس بن ساعدة
- وإنَّ عتاقَ العيس ... أعجازهنَّ مُعلقُ ١١٦ الأعشى
- ويأمرُ لليحموم ... فقد كادَ يَسْتَقُ ٣٢٥ الأعشى
- يا ناعى الموت ... بَزَّهمُ خرقُ ٢٣٢ قس بن ساعدة

* * *

(ك)

- أهز به فى ندوة ... بالهجان الأوارك ١٣٣ تأبط شرا

- وشاطرى اللسان ... شابَّ المحوّن بالنسك ٣٣٠ الحسين بن الضحاك

- فلنْ هم طاوَعوكِ ... مَنى عصاك ١٣٥ خليلد مولى العباس بن محمد

* * *

(ل)

- تمسكاً منى ... العهد ولا ٨٤ غير منسوب

وَأَدَمَمَ قَدْ جُبْتُ	... الكاعبُ الخيلا	٥٨
وَنَحْنُ حَفَرْنَا	... الجوف أشكلا	١٢٨
	قيس بن عاصم المقرئ	١٢٨
	...	
عَهَلْتُ لَهَا مَرَلًا	... يَحْمِلُنَ آلا	١٢٤
لَوْ أَنَّ الْبَاذِلِينَ	... مِنْكَ الْمَطَالَا	١٥٠
وَنُكْرَمُ جَارَنَا	... حَيْثُ مَالَا	١٣٧
	نحير بن الأيهم أو غيره	١٣٧
	...	
لَوْ كَانَ كَلْفَهَا عَيْدٌ	... شَدُّ قَمًا وَجَدِيلَا	١٦٦
وَفَتِيَّةٌ فِي مَجْلَسٍ	... عَلِمُوا التَّقْيِيلَا	٧٨
	أبو نواس	٧٨
	...	
فَرَمِيتُ غَفْلَةً عَيْنَهُ	... قَلْبَهَا وَطَحَالَهَا	٣٢٥
	الأعشى	٣٢٥
	...	
لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ	... الْكَذَابُ حِيلُهُ	١٥٤
	بشار أو غيره	١٥٤
قَدْ أُرْكَبُ الْآلَةَ	... الْعَاجِزَ بِالْجِدَالَةِ	٨٣٥٧
	راجز	٨٣٥٧
	...	
سَقَى الرَّمْلَ	... حَلَّ بِالرَّمْلِ	١٤١
	جرير	١٤١
فَلَوْ شَاءَ قَوِي	... أَعْدَاتُهُمْ جَهْلِي	١٣٥
	جرير	١٣٥
مُتَوَسِّدًا عَضْبًا	... كَلْبَةً الْفُلْ	٣٦٥
	امرؤ القيس	٣٦٥

ورسل حريفُ الجن	... المختين بالطبل	٦١
تعرضتُ لى	... فى الطلوك	٢٦٣
تعرضتُ لى	... عن قتلى	٢٦٣
تمسكاً منى	... ذى أملٍ	٨٤
مثلُ الأميرِ بنى	... وأبدى الخيل والإبل	٣٥٥
وعزماً بعثها همة	... الرب من زحل	٣٥٥
وقد أراى الشبابُ	... الروح فى بدلى	١٣٢
يحولُ عنه	... فيه أملى	٨٤
أخواله للرستمين	... للتبعين بموكل	٣٤٨
إذا قامتَا قفصوخ	... برياً القرنفل	٢٤٨
إذا ما بكى من خلفها	... شقها لم يحول	٢٥٥
إذا ما الثريا	... الوشاح المفصل	٢٦٢
أغرك منى	... القلب يفعل	٢٥٧، ٢٥٦
أفاطم مهلاً	... صرى فأجلى	٢٥٦

- ألا أيها الليل الطويلُ ... فيكَ بأمثل
٢٧٥ امرؤ القيس
- ألا رُب يوم ... بلادةٌ جُلجل
٢٤٩ امرؤ القيس
- إن سبلَ عَمَى عن الجواب ... إن لم يُسألِ
٢٤٢ البحري
- إن ألقى ناولتي ... لم تُقتل
١٥١ حسان بن ثابت
- إني أريدُ أبا سعيد ... صحابه المتهلل
٣٥٨ البحري
- أهلاً بذلكمُ الخيال ... أو لم يفعلِ
٣٣٥ البحري
- أو ما رأيتَ المجدَ ... ثم لم يتحول
٣٥٧ البحري
- بإبانة في كل ... نفسى مجهل
٣٥٩ البحري
- بحياة حُسنك أحسنى ... وفقاً أجلى
٣٤١ كشاجم
- برقٌ سرى ... الركاب الضلّل
٣٣٥ البحري
- تنهمُ الجوزاءَ ... فوقَ جبينه المتهلل
٣٥٢ البحري
- تجاوزتُ أحرأساً ... لو يُسرونَ مقتلى
٢٦١ امرؤ القيس
- تصد وتبدى ... وحشٍ وجرةٌ مُطفل
٢٧١ امرؤ القيس
- تقولُ وقد مالَ الغيظُ ... يا امرأ القيس فانزل
٢٥٣ امرؤ القيس
- حَمَلتُ حَمائله ... غَضبةٌ لم تَذبل
٣٦٥ البحري

ذنبٌ كما يُصعبُ الرداءُ ...	كالقناع المسبل	٣٥٢	البحرئ
سار إذا أُدليجَ الغداةُ ...	غير مُعجل	٣٥٦	البحرئ
ضليحٌ إذا استدبرتهُ ...	ليس بأعزل	٣٥٣	امرؤ القيس
عال على نظر الحسود ...	النجوم بأحبل	٣٥٧	البحرئ
عُدلَ المشوقُ ...	بالحاج العذل	٣٤١	البحرئ
فإذا أصابَ فكل ...	من مَقتل	٣٦٣	البحرئ
فإن كنت قد ساءتكَ ...	من ثيابك تنسل	٢٥٨	امرؤ القيس
فروضحَ فالمقراة ...	جنوب وشمأل	٢٤٣	امرؤ القيس
فجئتُ وقد نفضتُ ...	لبسةَ المفضل	٢٦٧	امرؤ القيس
فدعوا نزال ...	إذا لم أنزل	١٥٦	ربيعة بن مقروم الضبي
فضلٌ وإفضالٌ ...	كالفاضل المفضل	٣٥٦	البحرئ
فظل العذارى ...	القمس المقتل	٢٥٠	امرؤ القيس
ففاضتْ دموعُ العين ...	بكل دمعى محمل	٢٤٩	امرؤ القيس
فقالَتْ : يمين الله ...	عنك الغواية تنجلي	٢٦٧	امرؤ القيس
فقلتُ لها : سيري ...	مين جَنَّاك المظل	٢٥٤	امرؤ القيس

...	وفاءً بِكُلِّكُلٍ	٢٧٥
فقلتُ له لما تعطى	امروء القيس	
...	مروطٌ مُرجَلٌ	٢٦٨
فقلتُ بها أمشي	امروء القيس	
...	ذى حفافٍ عَقَنْقَلٍ	٢٦٨
فلما آجِزْنَا	امروء القيس	
...	ذى تمامٍ مَحُولٍ	٢٥٤
فثلكِ حبلِ	امروء القيس	
...	أبيكَ بِمَنْصَلٍ	٣٥٨
قد جُدتِ بالطرفِ	البحترى	
...	الدخولِ فَحَوَّسَلٍ	٢٤٣
فقا نيك من ذكري	امروء القيس	
...	غيرَ مُهَيَّلٍ	٣٣٩
كالبلر غيرَ مُخِيلٍ	البحترى	
...	أم الربابِ بِمَاسِلٍ	٢٤٨
كئأبك من أم الحويث	امروء القيس	
...	كصورةٍ فى هَيْكَلٍ	٣٤٦
كالهيكَلِ المبنى	البحترى	
...	إن لم يَفْضَلُ	٣٤٣
لا تكلفن لى اللموعَ	البحترى	
...	إلا من علٍ	٣٥٤
لمحمد بن على الشرفُ	البحترى	
...	وتقريبُ تَتَفُكِّلُ	١١٢ ، ٢٧٦
له أَيْطَلَا طَبِي	امروء القيس	
...	أحدويه الأحول	١٥٩ ، ٣٤٩
ما إن يَعاَفُ قَدَّيْ	البحترى	
...	ولا الجمالِ بِمَجْمَلٍ	٣٤٠
ما الحسنُ عندك يا سعاد ...	البحترى	
...	وقفةً فى منزلٍ	٣٤٢
ماذا عليكَ	البحترى	

ماضٍ وإن لم تَمْضِهِ	... وإن لم يُصْقَلْ	٣٥٩
مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ	... عَلَيْهِ مُوَصَّلٌ	٣٤٩
مُتَوَقِّدٌ يَبْرِي	... فِي يَدِ بُلْ	٣٦١
مُصْنَعٌ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى	... لَمْ يَعْدِلْ	٣٦١
مُضَرُّ الْجَزِيرَةِ كُلِّهَا	... وَأَزْدُ الْمُوَصَّلِ	٣٥٨
مَكْرٌ مَفْرُ	... حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ أَعْلَ	٢٧٦
مِنْ غَادَةِ مُنْعَتٍ	... لَمْ تَبْذُلْ	٣٣٩
مُهْنَهفَةٌ بِيضَاءُ	... مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ	٢٧٠
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا مُحَمَّدُ	... الْخَطُوبُ فَتَنْجِلِي	٣٥٨
نَهَضْتُ بِفَعْنِي دَوْحَةً	... رَبِّيًا لِمُخْلَخِلِ	٢٧٠
وَأَغْرَقِي الزَّمْنَ الْبَهِيمَ	... عَلَى أَغْرُ مُعْجَلِ	٣٤٦
وَأَنْ شَفَائِي عِبْرَةٌ	... مِنْ مُعْوَلِ	٢٤٧
وَأَنِ الضَّلُوعَ	... عَلَى مُعَمِّ مُنْوَلِ	٣٤٨
وَبَيْضَةُ خَلَرٍ	... غَيْرَ مُعْجَلِ	٢٦١
وَالْجُودُ يَعْذِلُهُ عَلَيْهِ	... لَنْ لَمْ يُعْذَلْ	٣٥٤

٢٧١	ولا يُعطل امرؤ القيس	... جيد كجيد الريم
٣٥٤	غير مُبخل البحري	... ومحابه لولا تتابع
٢٧٦ ، ١٠٦	الأوابد هيكل امرؤ القيس	... وقد أغتدى والطير
٢٤٧ ، ٨٢	أسى وتحمل امرؤ القيس	... وقوفاً بها ضبي
٣٦٥	بالسك الأعزل البحري	... وكان شاهره إذا
٣٦٣	فله وأرجل البحري	... وكأنما سود النمل
٣٤٤	فصد الأكل البحري	... وكذاك طرفه
٣٤٣	عند أكل الحنظل البحري	... ولقد سكت إلى الصلود
٢٧٤ ، ١١٢	الموم ليتلى امرؤ القيس	... وليل كوج البحر
٢٥٨ ، ١٢٠	أعشار قلب مقتل امرؤ القيس	... وما ذرفت عينك
٢٧٤	عن تفضل امرؤ القيس	... ويضحي فتي المسك
٢٥٥	حلفة لم تحلل امرؤ القيس	... ويوماً على ظهر الكتيب
٢٥٣	إنك مرجلي امرؤ القيس	... ويوم دخلت الحدو
٢٥٠	من رحلها المتحمل امرؤ القيس	... ويوم عقرت العذاري
٣٥٩	في القضاء المقفل البحري	... يتناول الروح البعيد

٣٦١	اليحترى	... ليس بمعقل	بغشى الوفى والفرسُ
٣٤٩	البحترى	... انتصاب الأجدل	يهوى كما تهوى العقابُ
١٤٥	ابن المعتز	... وآثارُ محول	ألم تجزعْ على
٣١٥	أنشده أبو البيداء الرياحى	... فى القريض دخیل	وشعر كبر الكبش
٣٢٥	امرؤ القيس	... أذاك الخیر مال	أبلغ شهايا بل
٧٧	غير منسوب	... منحل العزالي	ساكنُ الريح
١٣٤	امرؤ القيس	... على الغال	سلمُ الشظا
١١٣	امرؤ القيس	... على حال	سموتُ إليها
٩١	البحترى	... حتى تكونَ معالي	قريبُ المدى
١١٠	امرؤ القيس	... والحشفُ البالى	كانَ قلوبَ الطير
١٥١	عبد الله بن معاوية	... وهو مجملُ	وأجلُ إذا ما كنتَ
٢٦٥	الأشهب بن ربيعة	... قرطُ مُسلسلُ	ولا حت يساريا الثريا
١٣٨	الخنساء	... حيثما نلتَ أطولُ	وما بلغتُ كف امرئُ
١٤١	الفر بن توكب	... طولَ السلامة يفعلُ	يود الفتى

- إذا سمعتَ فَيَّيْكِي ... فاعلمْ أَنَّهُ ظَلَلُ
٤٢٥ هلال بن يزيد
- ودعْ هريرةَ إن ... أيها الرجلُ
٤٢٥ الأعشى
- بعزّة مأمورٍ ... لحزمهمْ مثلُ
١٣٥ زهير
- تَوَهَّمتُ في كأسها ... يُدركه العُقلُ
١٣٨ أبو نواس
- فأقسمتُ جَهْدًا بالمنازل ... المقاديرُ والقَمَلُ
٣٢٦ زهير
- وقد غلوتُ إلى الحانوتِ ، ... شلشلْ شَنُولُ
٨٣٢٦ الأعشى
- وهل يُنبِتُ الخَطَى ... في منابتها النخلُ
٣٢٦ زهير
- إذا أنتَ لمْ تُقصرْ ... أو أصابك جاهلُ
١٣٥ زهير
- مَنى أنتَ عنْ ذُهلِيه ... مدةَ الدهرِ آهلُ
١٦٢ أبو تمام
- أليس قليلاً نظرةً ... ليس منك قليلُ
١٥٣ يزيد بن الطثيرة
- وأحرَّ كالديباج ... أرضه فحولُ
١٤٨ طُفيل الغنوي
- وإنا لقومٌ لا نرى ... عامرٌ وسلولُ
١٥٧ السموأل
- وما ضَرَّنا أنا قليلٌ ... الأكثرين ذليلُ
١٢٦ السموأل

- وَتُنْكِرُ إِن شَتَا ... حِينَ نَقُولُ
 ١٤٨ غير منسوب
- القاتل السيف في ... لِلنَّاسِ آجَالُ
 ٣٣٣ المتنبي
- صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى ... الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ
 ١١٣ زهير
- وَأِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَعْلَلُ ... نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا
 ١٤٠ ذو الرمة
- • •

(٢)

- صَبَّ الْقِرَاقُ عَلَيْنَا ... يَوْمَ الرُّوحِ مُنْتَقِمًا
 ١٥٩ أبو تمام
- وَقَرَأُ مُعْلَنًا ... الْقَوَادِ السَّقِيَا
 ٧٩ أبو نواس
- عَشَوْنَا نَارِي قُتِلْتُ ... عَمَّا ظَلَامًا
 ٥٩ شُمَيْرُ بْنُ الْحَارِثِ الضَّبِّي
- وَتَرَوْمُ ... السَّمَاءَ مَرَامًا
 ٢٦٥ ابن المعتز
- فَلَا صِرْمُهُ يَبْلُو ... لَنَا فَنَكَارُمُهُ
 ١٥١ ابن ميادة
- فَازَوْرٌ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا ... بِعَبْرَةٍ وَتَحَمَّحُمُ
 ١١٨ عَتْرَةُ بْنُ شَدَاد

- فتتج لكم غلمان أشام ... ثم ترضع فتقطينم
 ٥٢٦٣ زهير
- فلما وردن الماء ... الحاضر المتخيم
 ١١٦ زهير
- لقد كنت فيها يا فرزدق ... تابع للقوادم
 ١٥٦ جرير
- ومن يعص أطراف الرجاج ... كل لهنم
 ١٢٠ زهير
- ومهما تكن عند امرئ ... على الناس تعلم
 ١٣٥ زهير
- يا أخت ناجية بن سامة ... إن طلبوا دى
 ١٧٧ الفرزدق
- صفة الطلول بلاغة ... لابنة الكرم
 ٤٢٥ أبو نواس
- لويلعلم الركن من قد جاء ... موطئ القدم
 ١١٨ أبو تمام
- أزمان فوها كلما ... فى القدّام
 ٣٢٣ امرؤ القيس
- إن كنت كاذبة الذى ... الحارث بن هشام
 ١٥٧ حسان بن ثابت
- فليس الذى حلته ... حرمة بحرام
 ١٤٠ البحتري
- فما ذر قرن الشمس ... أحمد بن هشام
 ١٥٧ إسحق الموصلي
- وهم تركوك أسلح ... من نعام
 ١٣٧ أوس بن غلفاء

- وكم من عائب قولاً ... الفهم السقيم
٤٥٣ المتنبي
- يَيْضَاءُ تُسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ ... وَصَفُ أَتَمِّمْ
١٤٢ بكر بن النطاح
- فَكَأَنَّمَا فِيهِ نَهَارٌ ... عَلَيْهَا مُظْلَمٌ
١٤٢ بكر بن النطاح
- إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ ... عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ
١٥٨ زهير
- فَالْخَلِيلُ وَاللَّيْلُ ... وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
٤٢٠ المتنبي
- قَفَّ بِالْدِيَارِ الَّتِي ... الْأَرْوَاحُ وَالِدَيْمُ
١٥٣ ، ٢٤٦ زهير
- هُمْ يَضْرِبُونَ حَبْلَكَ الْبَيْضَ ... إِذَا مَا اسْتَلْحَمُوا وَحِمُوا
١٣١ زهير
- بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ ... عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ
١٠٩ عمر بن أبي ربيعة
- وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي ... يَا تَهْمَدَانَ ظَالِمُ
٢٢٩ عمرو بن بَرَاةَ الهمداني
- مَنْ كَانَ الْخِيَامُ ... أَيُّهَا الْخِيَامُ
١٥٠ جرير
- وَنِيَّتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ ... كَاهِلُ وَسَّامُ
١٢٣ زياد الأعجم
- رَمَنِي وَسَرُّ اللَّهِ ... الْكَتَامُ رَمِيمُ
٤٠٧ أبو حية النميري

- قد أصف النازح المجهول ... يدعو هامه اليوم
٦٠ فوالمة
- حتى إذا ألفت يدأ ... الثنور ظلامها
٨٣٩١ ليد
- إذا أيقظتك حروب ... عمراً ثم ثم
١٤٧ بشار
- ...
- (ن)
- ليت حظى كلحظة العين ... القليل المهنأ
١٥٣ ابن هرمة
- هلا سألت بجمع ... أين أيننا ؟
١٦٠ عبيد بن الأبرص
- وإذا اللرزان حسن ... وجهك زينا
١٤٩ مالك بن أسماء
- ييزون من ظلم ... السوء إحسانأ
١٢٥ قريط بن أنيف
- يمشين هيل النقا ... الثرى حينأ
١٣١ ابن مقبل
- ألا دارها بالماء ... حتى تهينها
١٣١ أبو نواس
- ...
- لولم يمت بين أطراف الرماح ... من شدة الحزن
١٦٥ أبو تمام
- ألا زعمت بنو سعد ... كبير السن فاني
١٥٠ التابعة الجعدى

- بمن لو أراه عانياً ... عانياً لفلاني
 ١٤٢ مَخْشَسٌ مَجْشَسٌ ... الحَلَبُ العَدَوَانُ عُرُقُ بنِ حِزَامٍ
 ١٤٤ وَتَرْدِي عَلَى صُمِّ صِلَابٍ ... لَيْثَاتُ مَتَانٍ امْرُؤُ القَيْسِ
 ١٢٤ وَسَابِحٌ هَظَلُ التَّعْدَاءِ ... غَيْرَ خَوَّانٍ امْرُؤُ القَيْسِ
 ١٥٨ أَبُو تَمَامٍ

• • •

- حَازَ صَمَصَامَةَ الزَّيْلَدِي ... مُوسَى الْأَمِينُ
 ٣٦٨ أَبُو المَوَلِ الحَمِيرِي ، أَوْ ابْنُ يَامِينَ البَصْرِي أَوْ أَبُو الفَوَلِ
 ١٥٧ خَطِيلٌ مِنْ كَعْبِ أَعِينَا ... إِنَّ الْكَرِيمَ مُعِينٌ بَشَارُ
 ٨٣٦٩ وَكَانَ المُنُونُ نَيْطٌ ... كُلُّ جَانِبِيهِ مَنُونٌ ابْنُ يَامِينَ أَوْ غَيْرُهُ

• • •

- أَمِينٌ لَمْ نَفْسِي ... الَّتِي لَا تَهِينُهَا
 ١٢٤ أَعْرَابِي

• • •

- سُبْحَانَ مَنْ تَصَرَّ هَذَا ... لَهُ مُقَرَّنِينَ أَبُو نَوَاسٍ
 ٧٩ قَدْ قَلْتُ لِمَا حَاوَلُوا ... لِمَا تُوعَدُونَ غَيْرُ مَنْسُوبٍ
 ٧٧

• • •

(٨)

- أَلْخَاظُهُ قِيدٌ عُيُونٍ ... طَرَفٌ يَتَعَدَّاهُ غَيْرُ مَنْسُوبٍ
 ١٠٨

• • •

(ى)

- أقولُ وقدْ شلوا لسانى ... أطلقوا عن لسانيا
 ١٢١ عبد يفتوح الحارثى
 بنى عننا لا تذكروا الشعرَ ... الغمير القوافيا
 ١٢١ الشمينر الحارثى أو سويد المرتضى
 فنى تَم فيه ما يسر ... ما يسوء الإعاديا
 ١٦١ ، ١٣٢ النابغة الجعلى أو جندل القزاري
 فنى كملت أخلاقه ... من المال باقيا
 ١٦١ النابغة الجعلى
 فسر كإعلافى ... مثل ضوه نهاريا
 ١٢٦ غير منسوب
 وباسط خير فيكم ... عنكم بشاليا
 ١٢٥ جرير

• • •

- لنا غمٌ نسوقها ... جليتها عصى
 ٧٨ امرؤ القيس

• • •

٢ أنصاف الأبيات

(ب)

- سمو عباب الماء جاشت غواريه • أبو تمام ١١٤

• • •

(ث)

- ولا مثل يوم فى قناران ظلتُهُ • امرؤ القيس ١١٤

• • •

(د)

٣٥٥ • لمحمد بن علي الشرف الذي • البحرى

• • •

(ر)

٥١٣٠ • أفيان من مصر يبارين البرى • جليح بن شميز
٥١١٤ • كافي وأصحابي على قرن أعفرا • امرؤ القيس

• • •

٣٦٢ • فالسيف يأمر والأقدار تستظر •
٣٣٤ • في الشيب زجر له لو كان يترجر • البحرى

• • •

(ش)

١٠٨ • ويضحى فتيت المسك فوق فراشها • امرؤ القيس

• • •

١٠٨ • كعبد الحسن عليه الحدقا • غير منسوب
١٤٧ • عود على عود على عود خلق • امرؤ القيس

• • •

(ل)

٥١١٣ • أظلم نهاري فيكم متعللا • ابن اللمينة
٥١٣٠ • يشكون قرحاً بالدخوف والكلى • جليح بن شميز

• • •

١٠٩ • وليل كوج البحر أرخى سُلوله • امرؤ القيس
٣٥٧ • قد أركب الآلة بعد الآلة • راجز

• • •

- ٣٣٤ البحتري • أهلاً بذككم الخيال المقبل •
 ٣٦٤ البحتري • دبت بأيدي قراءه وأرجل •
 ١٠٩ امرؤ القيس • على بأنواع المموم ليتلى •
 ٢٤٥ امرؤ القيس • فهل عند رسم دارس من معول •
 ٢٥٣ امرؤ القيس • فوق الأرض ليس بأعزك •
 ٩٦ ، ٧٠ امرؤ القيس • قفا تبك من ذكرى حبيب ومترل •
 ١٠٨ امرؤ القيس • تؤوم الفصحى لم تستطع عن تفضل •

• • •

- ٣٥٧ امرؤ القيس • ثم حجاب الماء حالاً على حال •

• • •

- ٣٢٦ الأعشى • شاورٍ مثل شلولٍ مثل شلٍ شول •

• • •

- ٣٥٧ امرؤ القيس • سموت إليها بعد ما نام أهلها •

• • •

(م)

- ٢٤٨ امرؤ القيس • إذا قامتنا تصوع المسك منها •
 ١١٤ أبو تمام • سمّا للعلا من جانبها كليهما •

• • •

- ٣٥١ بشار • ولا يشرب الماء إلا بدم •

• • •

(ن)

- ١٦٥ أبو تمام • خشت عليه أخت بني حشين •
 ٨١٦٥ أبو تمام • وأنجح فيك قول العاذلين •

• • •

- ٨١٢٨ • ألا يا ديار الحى بالسبعان •
 ١٢٨ • أمل عليها بالبلل للولان •

• • •

(و)

• لَهُ عِلَامَاتٌ عَلَى حَدِّ الصَّوَى • جُلَيْحُ بْنُ شُمَيْلٍ ٨١٣٠

• • •

(ى)

• عُمَيْرَةٌ وَدَخَّ إِنَّ تَجْهَزْتَ غَادِيَا • سُحَيْمٌ ٨١٧٣
• كَفَى الشَّيْبَ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا • حَمِيمٌ ١٧٣

٤ - فهرس الأعلام

- آدم عليه السلام : ٥٠ ، ٢٠١
 إبراهيم عليه السلام : ٥٠ ، ١٥١ ، ٢٣٤ ، ٢٩٨
 إبراهيم بن المديبر : ٣٣١ هـ
 أبوه = عروة بن الزبير
 ابن الأثير : ٢٠٢ هـ
 أحمد بن حنبل : ٢٨٣ هـ
 أحمد بن أبي دؤاد : ١٦١ هـ
 أحمد بن عبيد الله بن عمار : ١٦٤
 أحمد بن عثمان أبو عبد الرحمن : ٢٨١
 أحمد بن علي بن الحسن : ٢٨٢ - ٢٨٣
 أحمد بن محمد بن الحسين القزويني : ٢٨١
 أحمد محمد شاكر : ٢٨٣ هـ ، ٣٧٥ هـ
 أحمد بن هشام : ١٥٧
 أحمد بن يحيى أبو العباس = ثعلب
 الأخطل : ١١٥ ، ١٨٤ ، ٣٧٥
 الأخفش : ١٢٩ ، ٤٠٧ هـ
 أذريجان : ٢١١ هـ
 أردشير : ١٠٤
 الأرذن : ٤٩
 لارمينية : ٤٩
 الأزارقة : ١١٩ هـ
 الأزرد : ٣٥٨
 الأزهرى : ١٠٣ هـ ، ٢٥٩ هـ
 أسامة بن أبي عطاء : ٢٨٢
 إسحق بن إبراهيم الطاهري : ٢٥٧ هـ

- إسحق بن إبراهيم المصنعى : ١٥٩
 إسحق بن إبراهيم الموصلى : ١٤٩ ، ١٥٧ هـ
 أسلم (قبيلة) : ١٢٧
 إسماعيل عليه السلام : ٢٣٤
 الأسود بن يعفر الإيادى : ١٠٧
 الأشاعرة : ٤٤ ، ٤٨ ، ٧٠ ، ٨٦ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤٣٩
 أشجع السلى : ١٧٥
 ابن الأشعث : ٤٤٥ هـ
 الأشعث بن قيس الكندى : ١٣٧ هـ
 الأشهب بن رُميلة : ٢٦٥
 أصحاب رسول الله : ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٤٤٢ هـ
 إصطخر : ٤٩
 أصمّ باهلة : ١٣٧ هـ
 الأصمعى : ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٩ ، ١٧٥ ، ٢٤٥ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٣٢٢
 ابن الأعرابى : ١٣٦ هـ ، ١٧٣ هـ ، ٢٠٥ هـ ، ٣٢٧ هـ ، ٣٣٨ هـ
 الأعشى : ١١٦ ، ١٥٣ ، ١٥٤ هـ ، ١٨٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ هـ ، ٤٢٥
 أعشى تغلب : ١٣٧ هـ
 الأفوه الأودى : ١٢٣
 أبو أمامة : ٢٨٣
 امرؤ القيس : ٢٥ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ١٠٦ ، ١٠٨ هـ ،
 ١٠٩ - ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٣٦ هـ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ،
 ١٤٧ ، ١٦٧ ، ١٨٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ هـ ، ٢٧٥ ،
 ٢٧٨ ، ٣٢٢ - ٣٢٤ ، ٣٢٧ - ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٥٣ ،
 ٣٥٧ ، ٤٤٨
 الأمين : ٣٦٧
 أنس بن أبى شيخ كاتبُ البرامكة : ٣٦٢ هـ
 أنس بن مالك الأنصارى : ٤٤٥ هـ
 أنوشروان : ١٠٤
 الأنصار : ١٢٣
 أوس بن خلفاء : ١٣٧ هـ

أباد (قبيلة) : ٢٣٣

الإباضي القاضي : ٣٦٧ هـ

• • •

باب الأبواب : ٤٩

باقل : ٤١٦

البلاقلاني : ٣٧٤ هـ ، ٣٧٩ هـ ، ٣٨٧ هـ ، ١٠٥ هـ ، ١٣٠ هـ ، ٢٤٠ هـ ، ٢٩٣ هـ

٣٢٤ هـ ، ٣٦٩ ، ٤٦٢

باهلة بن أعصر : ١٣٦ ، ١٣٧ هـ

البحري : ٥٦ ، ٩١ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٥٨ — ١٥٩ ،

١٦٦ ، ١٧٤ — ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٨ — ١٩٠ ، ٣٢٧ ،

٣٢٩ ، ٣٣٣ — ٣٣٤ ، ٣٣٥ هـ ، ٣٣٦ — ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٤ هـ ،

٣٥١ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٤٢٠ ، ٤٣١ ، ٤٥٣

البحرين : ٤٩

البخاري : ٢٨٢ هـ

أبو البخري الطائي : ٢٨٢

يدُر : ٤٤٤ هـ

البراء بن عازب : ٤٤٤

براقة : ٢٢٩ هـ

براكويه الزنجاني : ٤٢٥

البرامكة : ٣٦٢ هـ

البراهمة : ٦

أبو بُردة : ٤٤٥ هـ

ابن بَرِي : ٢٥٨ ، ١٠٩ هـ ، ٣٢٧ هـ

بَزْر جهمر : ٤٧

بشار بن بُرد : ١١٠ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٧ هـ ، ١٧٦

بشر بن عبد الوهاب : ٢٨٢ — ٢٨٣

بشر بن عمير القشيري : ٢٨٣

البصرة : ١٠٤ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠ هـ

البيحيث : ١٨٤

بغداد : ١٥٩ هـ ، ١٧٦ هـ

- أبو بكر (ابن الأنباري) : ٣٢٦
 أبو بكر الصديق : ٤٨ ، ٧٢ ، ١٠٣ ، ٢٠٩ — ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢٤٠ ،
 ٤٢٦
 أبو بكر بن مقسم : ٣٩٠
 بكر بن النطاح : ١٣٩ ، ١٤٢ هـ
 البكري : ١١٢ هـ ، ١٢٩ هـ
 بلغ : ٤٩
 بلعنبر : ١٢٥
 بوزع (بشعر جرير) : ٢٧٠
 البيت الحرام : ٢٣٤
 أبو البيداء الرياحي : ١٥٤ ، ٣١٥ هـ

(ت)

- تأبط شراً : ٥٨ ، ١١٧ ، ١٣٣
 تُجيب (قبيلة) : ١٢٧
 تدمر (بشعر أبي تمام) : ١٥٨
 الترك : ١٧١
 الترمذي (صاحب السنن) : ٣٧٥ هـ
 تُسْتَرُّ : ١٨٧ — ١٨٨
 أبو تمام : ١٠٧ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ١٣٨ هـ ، ١٥٠ ، ١٥٨ — ١٥٩
 ١٦١ — ١٦٢ ، ١٦٤ هـ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٧٥ ،
 ٣٣٣ ، ٣٤٤ هـ ، ٣٤٥ ، ٣٥٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٤٣١
 بنو تميم (بشعر جرير) : ٣٥٩
 تميم بن أبي مُقبل : ١٢٨ هـ
 توضّح (بشعر امرئ القيس) : ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٣٣٧
 التوزي : ١٢٩
 تيم (قبيلة : في شعر) : ١٢١

(ث)

- ثعلب : ٩٦ ، ١٧٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩ ، ٣٢٦ هـ ، ٣٣٨ هـ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ هـ

ثعلبة بن صُغير المازني : ٣٩١ هـ
ثمود : ٢٣٣ .

(ج)

الجاحظ : ٧ ، ٨١ ، ١٤٧ هـ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ١٩٤ هـ ، ٢٢٨ ، ٣١٥ هـ ،

٣٧٧ - ٣٧٨

جعير بن مُطعم : ٣٨

جلود (موضع) : ١٢٨ هـ

جرير : ١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٩ - ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ، ١٧٦ -

١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ٢٦٩ ، ٣٥٩ هـ ، ٣٧٥

جعفر بن محمد : ٢٣٠

جعفر بن يحيى البرمكي : ٣٦٧

جليح بن شميذ : ١٣٠ هـ

الجن : ٢٣ ، ٣١ ، ٥٧ - ٦٢ ، ٢٨١ - ٢٨٢ ، ٣٨١ ، ٤٠٧ ، ٤٥٨

جندل بن جابر القزاري : ١٣٢

أبو جهل بن هشام : ٣٩ ، ١٥٧ هـ

الجوهري : ٢٠٥ هـ ، ٣٢٧ هـ ، ٣٩١ هـ

أبو الجويرة عيسى بن أوس : ١٣٨ هـ

جيحون : ٤٩

(ح)

ابن أبي حاتم الرازي : ٢٨٢ هـ

أبو حاتم السجستاني : ١٥٦ ، ٢٣٣ هـ

حاتم الطائي : ٣٥٤

حاجر السري : ٥٨ هـ

الحارث الأعور : ٢٨٢

الحارث بن شريك الشيباني : ١٢٨ هـ

الحارث بن هشام : ١٥٧

الحجاج بن يوسف : ١٠٥ ، ١٠٩ ، ٢٢٩ ، ٤٤٥ هـ

ابن حجر الحافظ : ٢٣١ هـ ، ٣٧٥ هـ ، ٤٤٢ هـ

الحلبيّة : ٢٠٤

حرب بن أمية (في شعر) : ٤٠٧

حزم بن أبي راشد : ٢٣٣ هـ

ابن حزم الظاهري : ٤٤٢ هـ

حسان بن ثابت : ١٣٩ هـ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ٤٦١

أبو الحسين الأشعري : ٨٦ ، ٩٩ هـ ، ٣٨٦ - ٣٨٧ ، ٣٩٣

الحسن (البصري) : ١٤٨

الحسن بن أبي بكر الباقلافي : ٤٦٢ هـ

أبو الحسين التميمي : ١٥٤ هـ

الحسن بن عبد الله (بن سهل) بن سعيد العسكري : ١١٤ ، ١٣٢ هـ ،

١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٧٥ - ١٧٦ ، ٢٣٠ ، ٤٢١ ، ٤٥٣

الحسن بن علي بن أبي طالب : ١٢٦

أبو الحسن علي بن محمد الأنباري : ١٥٨ هـ

حسن بن محمد بن علي الشريف : ٤٦٢ هـ

الحسين بن الضحاك : ٢٣٠ - ٢٣١

الحطيئة : ١٥٥ ، ١٦٣ هـ

حماد (الراوية) : ١٠٨

حمادُ باهلة : ٣٢٢

حمدويه الأحوك (بشعر البحري) : ١٥٩ ، ٣٤٩ ، ٣٥١

هميري الحنظلي (بشعر امرئ القيس) : ٣٢٤

أل حنظلة (بشعر امرئ القيس) : ٣٢٤

حنظلة الفسيل : ٢٣٠

بنو حنيفة : ٢٤٠

أبو حنيفة (الدينوري) : ١٢٤ هـ ، ٤٢٤ هـ

حومل (بشعر امرئ القيس) : ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٣٣٧

أمّ الخويرث (بشعر امرئ القيس) : ٢٤٨

أبو حيان التوحيدى : ٢٠٤ هـ ، ٢٥٧ هـ

أبو حية النخيري : ١٢٩ هـ ، ٣٢٨ هـ ، ٤٠٧ هـ

(خ)

- خالد بن عبد الله القسري : ٤٤٥ هـ
 خالد بن عرث : ١٣٥ هـ
 خالد بن الوليد : ١٠٤ هـ
 الخيزرزي (أبو القاسم نصر بن أحمد البصري) : ٢٥٠ هـ
 خليجة بنت خويلد : ٢٣٤ هـ
 الخطّ (جزيرة) : ٣٢٦ هـ
 خلف الأحمر : ١٧٥ ، ١٨٢ ، ٣١٥ هـ
 خليل : ١٣٥ هـ
 الخليلج - الحسين بن الفصحاك
 الخليل بن أحمد : ١٢٢ ، ١٢٦ ، ٤٠٩ هـ
 الخنساء : ١٣٨ ، ١٤٦ هـ
 الخوارج : ١٠٥ هـ
 الخفيف : ٢٠١ - ٢٠٢ هـ

(د)

- دارم (في شعر) : ١٣٧ هـ
 الدارمي (صاحب السنن) : ٣٧٥ هـ
 ابننا دُخان = غني وباهلة
 الدخول (بشعر امرئ القيس) : ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٣٣٧ هـ
 ابن دريد : ٨٧ ، ١٥٦ هـ
 دعبل بن علي الخزاعي : ١٧٦ هـ
 أبو دلف المجلي : ١١٤ هـ ، ١٣٩ هـ
 ابن النعينة : ١١٣ ، ١٥٣ هـ
 أبو دؤاد الأسدي : ١٢٤ ، ١٥٥ ، ٣١٧ هـ
 دير الحمام : ٤٤٥ هـ

(ذ)

- ذؤاب بن ربيعة الأشتر : ٣١٧ هـ
 أبو ذؤيب الهللي : ١٣٥ هـ

الذَّهَبِيُّ الحَافِظُ : ٢٨٣ هـ

ذَهْلُ (قَبِيلَةٍ) : ١٦٢ هـ

ذُو الرِّمَّةِ : ٦٠ ، ١٤٠ هـ ، ٢٦٤

ذُو طُلُوحٍ (بَشَرٌ جَرِيرٌ) : ١٥٠

(ج)

رُؤْبَةُ بْنُ الْعِجَاجِ : ١٠٦

الرَّاحِي النَّمِيرِيُّ : ١٢٩ هـ ، ١٦٦

أُمُّ الرِّبَابِ (بَشَرٌ أَمْرِي الْقَيْسِ) : ٢٤٨

الرِّبَابُ (قَبِيلَةٌ : فِي شَعْرِ زَيْدِ الْحَيْلِ) : ١٣٦

الرَّبِيعُ بْنُ حَوْثَرَةَ : ٣٤٤ هـ

رَبِيعَةُ الْأَشْتَرِ : ٣١٧ هـ

رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : ١٩٩

رَبِيعَةُ الْخَابُورِ (قَبِيلَةٌ : فِي شَعْرِ الْبَحْرِيِّ) : ٣٥٨

رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومِ الْقَبِيِّ : ١٥٦ هـ

الرَّسَّيَانُ (بَشَرٌ الْبَحْرِيِّ) : ٣٤٨

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ٣ - ٤ ، ١٠ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ - ٢٢ ،

٢٤ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ - ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ٧٤ هـ ، ٧٦ هـ ،

٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ - ١٠٤ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٧ - ١٣٨ هـ ،

١٩٥ - ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ - ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٥ هـ ،

٢١٨ - ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ هـ ، ٢٣٠ - ٢٣١ ، ٢٣٤ - ٢٣٥ ،

٣٤١ هـ ، ٢٧٤ هـ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٣٠٥ ، ٣١٩ ، ٣٧٤ ،

٣٨٠ ، ٣٨٣ - ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ هـ ، ٤٤٤ هـ ، ٤٥١

أَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ٤ ، ٤٢١

الرُّشَيْدُ : ٣٦٧ هـ

الرَّمَانِيُّ (أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى) : ٣٩٦ - ٤١٦ هـ ، ٤٢٦ - ٤٢٨ هـ

رَمِيمٌ (بَشَرٌ أَبِي حَبِيبَةَ) : ٤٠٧

الرُّوحُ الْأَمِينُ (جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ١٢ ، ٢٣٠ هـ ، ٢٩٨ ، ٤٤٩

الرُّومُ : ٦٠ هـ ، ٧٢

ابْنُ الرُّومِيِّ : ١٤٦ ، ١٨٤ ، ٢٦٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ - ٣٣٣ ، ٣٦٩

(ج)

زَرَادُشت : ٤٦

زُهَيْرُ بن أبي مُسلمٍ : ٥٤ ، ١١٣ ، ١١٥ - ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ،
 ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ،
 ١٨٦ - ١٨٧ ، ٢٤٥ - ٢٤٦ ، ٣٢٦ ، ٣٧٥

زيادُ الأعجمُ : ١٢٣

أبو زياد اللقوي : ٢٤٦ هـ

زيد بن ثابت الأنصاري : ٢٠١ ، ٢٠٢ هـ

زيد الخليل : ١٣٦

(س)

سالمُ مولى أبي حذيفة : ٢٧٤ هـ

سَجَّاحُ بنت الحارث بن عقبان : ٢٤٠

سجستان : ٤٩

سحبان وائل : ٤٣٥

سَحْمُ عَبدُ بنى الحساس : ١٧٢ ، ١٧٣ هـ

السدي (إسماعيل بن عبد الرحمن) : ٤٤٤

السري الرفاء : ١٥٩

سطيحُ الكاهن : ٤٣٥

سعاد (بشر البحري) : ٣٤٠

بنو سعد (بشر النابغة الجعدي) : ١٥٠

سعد بن أبي وقاص : ٤٨

أبو سعيد (بشر البحري) : ٣٥٨

سعيد بن جبير : ٤٤٥

أبو سعيد الخدري : ٢٠٣ ، ٣٧٥ هـ

سعيد بن العاص : ٣٦٧ هـ

أبو سفيان بن حرب : ٣٩ - ٤٠ ، ٤٠٧ هـ

سقطُ اللوي (بشر امرئ القيس) : ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٣٣٧

السقيفة : ٢١١

ابن السكيت : ٣٩١ هـ

- سلم الخاسر : ١١٦ ، ٣٦٨ هـ
 سلمة بن عاصم النحوي : ٣٩٠
 سلول (قبيلة : في شعر السموأل) : ١٥٧
 صليحي (بشعر جرير) : ١٤٩
 سليمان عليه السلام : ١٢٧ ، ٢٩١ ، ٤٥٨
 السموأل بن علي : ١٢٦ ، ١٥٧
 أبو ستان : ٢٨٢
 سهيل بن عمرو : ٢٠٤
 سوار بن حسان المقرئ : ١٢٨ هـ
 سويد بن صميع المرثدي : ١٢١ هـ
 أخو سويد بن صميع : ١٢١ هـ
 سويد بن أبي كاهل اليشكري : ١٢٣
 سويد بن كراع : ١٨٦
 ابن السيد البطليوسي : ١٢٨ هـ ، ١٤٨ هـ ، ١٥٥ هـ
 ابن سيده اللغوي : ٢٠٠ هـ ، ٢٩٣ هـ
 سيف الدولة الحمداني : ٣٤١ هـ ، ٣٥١ هـ ، ٣٥٥ هـ
 سيف بن ذي يزن الحميري : ٩٢
 السيوطي : ٤٤٢ هـ

(ش)

- الشام : ٤٨
 شجاع بن محمد الطائي : ٣٦٢ هـ
 شرحبيل عم امرئ القيس : ٣٢٤ هـ
 الشريف الرضي : ١٠٢ هـ ، ٢٢٨ هـ
 شعبة بن الحجاج : ٢٨٣ هـ
 الشعبي : ٢٩٠ ، ٢٣٠
 شق الكاهن : ٤٣٥
 الشماخ : ١٣٠ هـ
 الشميل الحارثي : ١٢١ هـ
 شمير بن الحارث الضبي : ٥٩ هـ

شهاب (بشعر امرئ القيس) : ٣٢٥
شيبة بن ربيعة : ٣٩

(ص)

الصاحب (إسماعيل بن عباد) : ٣٣٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ ، ٣٩٠ ، ٤٢٥
صالح بن جناح اللخمي : ١٤٣ هـ
صحراء الغمير (في شعر) : ١٢١
صخر بن الشريد (أخو الخنساء) : ١٣٨ هـ
أبو صخر الهنلي : ١٤١ هـ
الصنوبري : ٣٣٥
الصولي = محمد بن يحيى

(ط)

أبو طالب : ٩٢ ، ٢٣٤
الطبري : ٣٦٢ هـ
طرفة بن العبد : ٨٢ ، ١١٠ هـ ، ١١١ ، ١٣٦ ، ٣٤٤
الطرماح : ٣٢٧
طفيل الغنوي : ١٤٨ هـ
آل طلحة (بشعر البحري) : ٢٥٧
طلحة بن عبيد الله التيمي : ١٩٦
الطهوي : ٢٤٦ هـ
الطور : ٧٤ ، ١٤٥

(ع)

عائشة : ٤٤٤
عاد : ٢٣٣
أبو العاص : ٣١٥ هـ
عاصم (بشعر امرئ القيس) : ٣٢٥
عامر (قبيلة : شعر السماأل) : ١٥٧
عباد بن سليمان : ٩٩ ، ١٠٠ هـ

- العباس بن عبد المطلب : ١٩٩
العباس بن محمد بن علي العباسي : ١٣٥ هـ
العباس بن يزيد الكنتلي : ٣٥٩ هـ
عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر : ١٢٦ هـ
عبد الحميد الكاتب : ١٨٤
عبد الرحمن بن عوف : ٢١٠
عبد الرحمن بن يزيد النخعي : ٤٤٢ هـ
عبد الصمد [بن المفضل] : ٣٣٣
عبد القادر البغدادي : ٢٦٤ هـ ، ٢٦٧ ،
ابن عبد الله (بشعر السرى الرفاء) : ١٥٩
أبو عبيد الله التميمي : ٤٦٢ هـ
عبد الله بن الحسين : ١٧٥
عبد الله بن داود بن عبد الرحمن العمري : ٢٣٠
عبد الله بن سعيد : ١١٤
عبد الله بن سليم الأزدي : ١٣٣ هـ
عبد الله بن عباس : ١٠٤ ، ١٢٨ ، ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٤٤٤ - ٤٤٥
عبد الله بن عتبة بن مسعود : ٤٤٥ هـ
عبد الله بن عمر : ٤٤٥
عبد الله بن عياش المتوفى : ١٤٧ هـ ، ٢٢٩ هـ
عبد الله بن قيس = أبو موسى الأشعري
عبد الله بن مسعود : ٢٢٤ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ هـ ، ٤٤٣
عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر : ١٥١
عبد الله بن المعتز : ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٤٥ ، ١٥٠ هـ ، ٢٦٤ - ٢٦٥ ،
٢٦٨ ، ٤١٧ ، ٤٢١
عبد الله بن وهب الراسبي : ١٠٥
عبد المطلب : ٩٢ هـ
عبد الملك بن حمير : ٢٣٠ هـ
عبد يقوث بن وقاص الحارثي : ١٢١ هـ
عبيد بن الأبرص : ١٦٠ هـ ، ٣٤٤ هـ
عبيد بن أيوب : ٥٩

- أبو عبيد : ١٠٣ هـ ، ٢٠٥ هـ
 عبيد الله بن الضحاك : ٢٣٢
 عبيد الله بن طاهر : ١٧٦
 عبيد الله بن قرعة : ١٥٧
 عبيدة بن الأسود بن سعيد الهذلي : ٢٨٢
 أبو عبيدة بن الجراح : ٢١٢
 أبو عبيدة : ١٠٨ ، ١٢٠ هـ ، ١٣٧ هـ ، ١٥٦ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٦ —
 ١٨٧ ، ٢٤٥ — ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤ ، ٣٢٤ هـ
 عتبة بن ربيعة : ٣٩
 عتبة بن أبي سفيان : ٢٢٤
 عتبة بن هارون : ١٠٦
 عتبة بن الحارث بن شهاب : ٣١٧
 عثمان بن إدريس السامي : ١٥٨
 عثمان بن عفان : ٢٤ ، ٢١٦ ، ٤٤٣
 أبو عثمان المازني : ١١٤
 عثمان بن مظعون : ٣٩
 العجم : ١٧١ ، ٢٦٠ هـ
 عدس الحنظلي (بشعر امرئ القيس) : ٣٢٤
 ابن علي : ٢٣٠ هـ
 عدس بن الرقاع العاملي : ١٨٦
 العراق : ٤٤٥ هـ
 عروة بن حزام : ١٤٢
 عروة بن الزبير : ٢٣٢
 عريقة بن مسافع العيسى : ١٦١ هـ
 عسل بن ذكوان : ١١٤
 عصبية (قبيلة) : ١٢٧
 عطية العوق : ٣٧٥ هـ
 عضد الدولة : ٤٦٢ هـ
 عقبة بن كعب بن زهير : ٣٣٨ هـ
 عكاظ : ٢٣٠
 أبو العلاء المعري : ٣٤٤ هـ ، ٣٥٤ هـ

- حلقة (الفحل) : ١١١ ، ١٣٩ هـ
 علي بن إبراهيم : ٢٣٠
 علي بن إبراهيم التنوخي : ٣٦٠ هـ
 علي بن جبلة : ١١٦
 علي بن الجهم : ١٧٥
 علي بن الحسين بن إسماعيل : ٢٣٢
 علي بن صالح الروذباري : ٣٦٢ هـ
 علي بن سلامة : ٣٧٥
 علي بن أبي طالب : ١٠٤ ، ١٠٥ هـ ، ١١٦ هـ ، ٢١٧ - ٢١٨ ، ٢٢٢ -
 ٢٢٤ ، ٢٢٨ هـ ، ٢٨٢ - ٢٨٣
 علي بن العباس : ١٧٦
 علي بن محمد الأنصاري الحنظلي : ٢٣٠
 علي بن مرّ الأرمني : ٣٣٤ هـ
 علي المنجم : ١٤٩
 عمر بن الأيهم التغلبي : ١٣٧ هـ
 عمر بن الخطاب : ٢٤ ، ٣٨ ، ٤٨ - ٤٩ ، ٧٢ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٤٧ ،
 ١٧٢ ، ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ - ٢١٧
 عمر بن ذر : ١٤٧
 عمر بن أبي ربيعة : ١٠٩ هـ
 عمر (صاحب امرئ القيس) : ٥٩
 عمر بن عبد العزيز : ٢٢٨
 عمر بن العلاء : ١٤٧ هـ
 أبو عمر (غلام ثعلب) : ٩٦
 عمرو بن بركة الحمداني : ٢٢٩
 عمرو بن جندب (بشر الطهوي) : ٢٤٦ هـ
 أبو عمرو (ابن العلاء) : ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ هـ ، ٢٦٤ ،
 ٣٢٢ ، ٣١٠
 عمرو بن كلثوم : ٤١١
 عمرو بن مرة : ٢٨٢
 عمرو بن معدى كرب : ١٢٠ ، ١٤١ ، ٣٦٧ هـ ، ٣٦٨
 عمرو بن هند : ٣٤٤ هـ

عمورية : ٤٩

أبو العميثل : ١٣٥ هـ

ابنُ العميد (أبو الفضل) : ١٨٤ ، ٣٣٤ ، ٣٥٥ ، ٣٧٨

عُجير بن الأيهم : ١٣٧ هـ

عُجيرة (بشعر سحيم) : ١٧٣ هـ

عُجيرة بن الأهم التغلبي : ١٣٧ هـ

أبو العنيس = محمد بن إسحق بن إبراهيم

عنترة بن شدّاد العبسي : ١١٨

عنيزة (بشعر امرئ القيس) : ٢٥٣

بنو عوف (بشعر امرئ القيس) : ٣٢٤

عوف بن عطية بن الخرع الرباعي : ١٦٠ هـ

عون بن محمد الكندي : ١١٤

عوير بن شجنة العوفي : ٣٢٤

عيسى ابن مريم عليهما السلام : ٢٠٤ ، ٣٨٤ ، ٤٥٨

(غ) .

الغار : ٢١٩

غفار (قبيلة) : ١٢٧

غني (قبيلة : في شعر زيد الخليل والقرزوقي) : ١٣٦ ، ١٣٧ هـ

أبو الغول الحميمي : ٣٦٨ هـ

الغيلان : ٥٨

(ف)

فارس : ٤٩ ، ٣٤٨

الفراء : ٣٩٠

الفرات : ٤٩

أبو فراس الحمداني : ٤٢٢

الفراعة : ٥٠

أبو الفرج الأصفهاني : ١١٣ هـ

القرزوقي : ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٣٧ هـ ، ١٧٦ - ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ،

الْقُرْمُسُ : ٤٧ ، ٧٢

فِرْعَوْنُ مُوسَى : ١٥٦ ، ٢٩٤ ، ٣٧٢

قَزَازَةُ (قَبِيلَةٌ : فِي شَعْرِ عَوْفِ الرَّبَابِيِّ) : ١٦٠

قُسْطَاطُ مِصْرَ : ٤٩

فَلَسْطِينُ : ٤٩

(ق)

أَبُو الْقَاسِمِ الزَّعْفَرَانِيُّ : ٤٥٣

الْقَاسِمُ (بَنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) : ٢٨٣

الْقَاسِمُ بْنُ مَهْرَوَيْهَ : ١٦٤ هـ

أَبُو الْقَاسِمِ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَصْرِيُّ : ٢٥٠ هـ

ابْنُ مُقْتَنِيَةَ الدِّينَوْرِيُّ : ١٣٦ هـ ، ١٥٥ هـ ، ٣٢٢ هـ ، ٣٣٩ هـ ، ٣٩١ هـ ،

٤٤٢ هـ

قُدَّامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ : ١٠٧ - ١٠٩ هـ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ هـ

قُدَّارَانُ (مَوْضِعٌ : فِي شَعْرِ أَمْرِ الْقَيْسِ) : ١١٤ هـ

قُرَيْشٌ : ٢٠١ ، ٢٠٤ - ٢٠٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٨٣

قُرَيْطُ بْنُ أُنَيْفٍ : ١٢٥ هـ

ابْنُ قُرَيْعَةَ الْقَاضِي : ١٥٤ هـ

قُسَّ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ : ٢٣٠ ، ٢٣١ هـ ، ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٤٣٥

قُشَيْرُ (قَبِيلَةٌ : بِشَعْرِ زَيْدِ الْخَيْلِ) : ١٣٦ هـ

الْقَصْرُ (بِشَعْرِ ابْنِ الْمُعْتَرِ) : ١٣١

الْقَطَائِي : ١٣٠

قَعْنَبُ بْنُ مُحَرَّرٍ : ١١٥

قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ : ١٢٦

قَيْسُ بْنُ ذُرَيْحٍ : ١١٣ هـ

قَيْسُ بْنُ عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ : ١٢٨

قَيْسُ بْنُ الْمَلُوحِ : ٣٢٨ هـ

قَيْصَرُ : ٤٩

(ك)

- كُثَيْبَرُ عَزَّةَ : ١٥٠ ، ٣٣٨ هـ
 كَرْمَانُ : ٤٩
 كَسْرَى : ٤٩ ، ٢٠٣
 كَشَاجِمُ (محمودُ بن الحسين بن السنتي) : ٣٤١
 كَعْبُ (قبيلة : في شعر بشار) : ١٥٧
 كَعْبُ بن زُهَيْر : ٤٦١
 كَلَابُ (قبيلة : في شعر زيد الخليل) : ١٣٦ هـ
 كَنْدَةُ (قبيلة : في شعر عبيد بن الأبرص) : ١٦٠
 كَهَانُ العرب : ٨٧ - ٨٨
 كَوْرُ الْأَهْوَازِ : ١٨٧ هـ

(ل)

- لَيْدُ بن رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ : ٣٤٤ هـ ، ٣٩١ ، ٤٦١
 أَبُو لَهَبٍ : ٨٨١
 بَنُو لَيْثٍ : ١٩٩
 لَيْلَى (شعر امرئ القيس) : ٣٢٨

(م)

- مَأْمَلُ (موضع : شعر امرئ القيس) : ٣٢٥
 الْمَأْمُونُ : ١٥٩ هـ
 مَالِكُ (شعر امرئ القيس) : ٣٢٥
 مَالِكُ بن أَمِيَّةَ بن خَارِجَةَ : ١٤٩ هـ
 مَانِي : ٤٦
 الْمَبْرَدُ : ١٢٩ ، ١٥٤ هـ ، ٢١٠ - ٢١١ هـ ، ٢١٤ - ٢١٥ هـ ، ٢١٧ هـ ، ٤٠٨ هـ
 الْمُتَكَلِّمُونَ : ٩ ، ٢٣٥ ، ٣٧٤
 الْمُتَنَبِّي : ١٣٢ ، ١٨٨ ، ٢٣٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ - ٣٦٣ هـ
 ٤٢٠ ، ٤٥٣
 مُجَالِدُ بن سَعِيدِ الْهَمْدَانِيِّ الْكُوفِيِّ : ٢٣٠ ، ٢٢٠ هـ

مجنون ليلي : ١١٣ هـ

المحبوس : ٤٦

محمد بن أحمد الكاتب : ٣٣٨ هـ

محمد بن إسحق بن إبراهيم بن أبي العنيس : ٣٧٥ هـ

محمد بن حجاج اللخمي : ٢٣٠

محمد بن حزم الباهلي : ١٤٣ هـ

محمد بن حسان السقي البغدادي : ٢٣٠

محمد بن داود بن الجراح أبو عبد الله : ١٦٤ هـ ، ٣٦٧

محمد بن راشد : ٢٥٧ هـ

محمد بن زكريا : ٢٣٢

محمد بن سلمة : ٢٨١

محمد بن عبد الله الصولي : ١٤٩ هـ

محمد بن عبد الملك الزيات : ١٧٤ هـ

محمد بن علي الأنباري : ١٥٨

محمد بن علي الأنصاري : ٢٣٠

محمد بن علي بن موسى القسي : ٣٣٥ هـ

محمد بن عمر (مملوح البحري) : ٩١ هـ

محمد بن عمر أبو عبيد الله المرزباني : ٣٣٨ هـ

محمد بن القاسم بن مهرويه : ١٦٤ هـ

محمد بن وهيب الحميري : ١٤٣ هـ

محمد بن يحيى الصولي : ١١٣ هـ ، ١١٤ ، ١٢٦ هـ ، ١٤٩ ، ١٥٤ هـ ،

١٥٨ ، ١٧٥ ، ٤٢١

عمود محمد شاكر : ٢٧٤ هـ

عمود بن مروان بن أبي حفصة : ١٥٤ هـ

المدينة : ٢١٨

مرآة القوس : ١٠٤

مريد البصرة : ٥٢٠ هـ

المرزباني : ١٥٤ هـ

المرزوقي : ١١٧ هـ ، ١٢٠ - ١٢١ هـ

مروان بن محمد الأموي : ١١٩

أبو مروان يحيى بن مروان : ١٥٤ هـ

- مَرُوءُ الرِّوْذِ : ٤٩
 مَرُوءُ الشَّاهِجَانِ : ٤٩
 مَرْمُومُ ابْنَةِ عِمْرَانَ عَلِيَا السَّلَامِ : ٢٠٤
 الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى : ٣١٩
 الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ : ٧٢ ، ٣١٩
 أَبُو مُسْلِمِ الرَّسْتَمِيِّ : ٢٣٤
 مُسْلِمُ بْنُ الْوَكِيدِ : ١٦٤ هـ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٣٦٣ هـ
 الْمُسَيْبُ بْنُ شَرِيكَ : ٢٨٢ — ٢٨٣
 مُسْلِمَةُ الْكَذَّابُ : ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ هـ ، ٣٧٥ ، ٣٨٣ ، ٤٢٦
 مِصْرُ : ١٣٠ هـ
 مُضَرُّ الْجَزِيرَةِ (بِشْعَرِ الْبَحْرِيِّ) : ٣٥٨
 الْمُطَيَّرَةُ (بِشْعَرِ ابْنِ الْمُعْتَرِ) : ١٣١
 مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : ٢١٢
 الْمُعَاذِيُّ بْنُ زَكْرِيَا : ٣٦٨ هـ
 مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ : ١٢٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ هـ
 الْمُعْتَرَةُ : ٩٩ هـ ، ٣٨٦
 الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : ١٣٣
 الْمُفَضَّلُ الْقُتَيْبِيُّ : ١٧٦
 ابْنُ مُقْبَلٍ : ١٣١
 الْمُقَرَّرَةُ (مَوْضِعٌ : فِي شَعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ) : ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٣٣٧
 ابْنُ الْمُقَفِّعِ : ٤٦
 الْمُقَنِّعُ الْكَنْدِيُّ : ١٤٢
 مَكَّةُ : ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٤ ، ٤٤٥ هـ
 مَكْرَانُ : ٤٩
 الْمَلَاتِكَةُ : ١٣ ، ٣٠ ، ٦٢ ، ١٥٩ ، ٣٠١ — ٣٠٢
 الْمَرْزُوقُ الْعَبْدِيُّ : ٢١٨ هـ
 مَنَى : ٢٠٢ ، ٣٢٦ ، ٣٣٨
 الْمَنْصُورُ : ١٤٧ ، ١٧٦
 مَنَظُورُ بْنُ مَرْثَدِ الْأَسَدِيِّ : ٢٦٣ هـ
 أَبُو الْمَهَالِ (بَقِيْلَةُ الْأَكْبَرِ الْأَشْجَعِيِّ) : ١٢٢ هـ
 الْمَهْدِيُّ : ٣٦٧

ابن مَهْرَوَيْه : ٣٣١ هـ
 المهلبُ بنُ أبي صُقرة : ١١٩
 الموصلُ : ٣٥٨
 مَوَكِل : (في شعر البحري) : ٣٤٨
 موسى بن إبراهيم الرافقي : ٣٤٥ هـ
 أبو موسى الأشعري : ٢١٤ ، ٢٢٤
 موسى عليه السلام : ١٤ ، ٢٠ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ،
 ٢٩٧ - ٢٩٨ ، ٣١٩ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤ ، ٤٠٣ ، ٤١٢ ، ٤٥٨
 ابن مَيادة : ١٥١

(ن)

النابعة الجعدي : ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٦١
 النابعة الذبياني : ٥٤ ، ١١٣ - ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ،
 ١٧٣ ، ١٨٤ ، ٢٧٥ ، ٣٧٥
 نافع بن خَلِيفة : ١٤٤
 النجاشي : ٢٠٤
 نَزَارُ (قبيلة : في شعر ابن المعتز) : ٤٢١
 نصر بن منصور بن يسام أبو العباس : ١٦٥ هـ
 نَصِيب : ١١٧ ، ١٤١
 النظام : ٩٩ ، ١٠٠ هـ
 النعمان بن المنذر : ١٦٦ هـ ، ٢١٨ هـ ، ٣٤٤ هـ
 النضر بن كَوْلَب : ١١٧ ، ١٤١ هـ
 النوار : ١٧٧
 أبو نُوَاس : ٧٨ - ٧٩ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ،
 ١٩٠ ، ٢٥٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ - ٣٣٢ ، ٣٣٣ هـ ، ٤٢٣ - ٤٢٤
 نوح عليه السلام : ٥٠
 النووي : ٤٤٢ هـ

(هـ)

الحادي : ٣٦٧ هـ ، ٣٦٨
 هارون عليه السلام : ٨٦ ، ٩٣

هاشم (قبيلة : شعر ابن المعتز) : ٤٢١

بنو هاشم : ١٢٨

أبو هاشم بن أبي علي الجبائي : ٤٤٩

هَبْتَقَة : ٣٢٢

ابن هُمَيْرَة : ٤٤٥ هـ

هَرَم بن سنان (شعر زهير) : ١٥٨

ابن هَرَمَة : ١٥٣ ، ١٦٧

هُرَيْرَة (شعر الأعشى) : ٤٢٥

هُذَيْل (قبيلة) : ١٩٩

هشام بن عبيد الله : ٢٨٢ - ٢٨٣

هشام (بن عروة) : ٢٣٢

هشام القوطي : ٩٩ ، ١٠٠ هـ

أبو هفان : ٣٦٧ هـ

أبو هلال المسكري = الحسن بن عبد الله

هلال بن يزيد : ٤٢٥

همدان (قبيلة : في شعر ابن بَرّاقَة) : ٢٢٩

الهند : ١٩٤ هـ

هند بنت النعمان : ١٣٣

هند بنت حجر : ٣٢٤ هـ

أبو الهول الحميري (عامر بن عبد الرحمن) : ٣٦٧ ، ٣٦٨ هـ

الهميم بن عيسى : ٢٠٩ هـ ، ٢٢٩ هـ ، ٣٦٧ هـ

(و)

الواحدى : ٤٢٠ هـ

الوكيد بن عبد الملك : ٤٤٥ هـ

(ى)

ابن يامين البصري : ٣٦٧ - ٣٦٨ هـ

يحيى بن سعيد القسطن : ٢٨٣ هـ

يحيى بن العلاء : ٢٨٣ هـ

- يحيى بن عليّ المنجم : ١٤٩
 يزيد بن الطخثري : ١٥٣ هـ
 يزيد بن عمرو بن الصّحّ : ١٣٧ هـ
 يزيد بن الوليد الأمويّ : ١١٩
 بنو يشكر : ١٢٣ هـ
 أبو يوسف الصّيدلانيّ : ١٤ ، ١٢٧
 يوسف بن عبد العزيز اللخميّ : ٤٦٢ هـ
 يوسف عليه السلام : ١٤ ، ١٢٧
 يونس (بن حبيب) : ١٧٧

٥ - فهرس الكتب الواردة بكتاب الإعجاز

(أ)

الإنجيل : ٤٤ ، ٤٦ ، ٧١ ، ٩٢ ، ٣٠٦ ، ٣٩٥

(ب)

البيان والتبيين للجاحظ : ١٩٣

(ت)

التوراة : ٤٤ ، ٤٦ ، ٧١ ، ٩٢ ، ٣٠٦ ، ٣١٩ ، ٣٩٥ ، ٤٠١

(ح)

الحماسة لأبي تمام الطائي : ١٧٧

(د)

الدرة لأبن المقفع : ٤٦ - ٤٧

(ص)

الصحف : ٤٤

(ك)

كتاب الأجناس : ٤٣١

كتاب الأصول للباقلاني : ٧٠

كتاب بزرجمهر في الحكمة : ٤٧

كتاب خير الواحد للجاحظ : ٣٧٧

كتاب الرد على التنصاري للجاحظ : ٣٧٧

كتابُ زَرَادُشت : ٤٦
 كتابُ العين (للخليل بن أحمد) : ٤٣١
 كتابُ ماني : ٤٦

(م)

معاني القرآن للباقلاني : ٣١٧ ، ٣٧٤

(ن)

نظم القرآن للجاحظ : ٧ ، ٣٧٧

(و)

الوحشيات لأبي تمام الطائي : ١٧٧

اليثيمة لابن المقفع : ٤٦ - ٤٧

٦ - فهرس المراجع

- الإحقان في علوم القرآن للسيوطي (حجازي ١٣٦٠ هـ)
أخبار أبي تمام للصولي (لجنة التأليف ١٣٥٦ هـ)
أخبار أبي نواس لابن منظور (الجزء الثاني . بغداد)
أدب الكاتب لابن قتيبة (الرحمانية ١٣٥٥ هـ)
أساس البلاغة للزمخشري (دار الكتب المصرية ١٣٤١ هـ)
أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (المنار)
الإصابة في أسماء الصحابة لابن حجر (السعادة ١٣٢٣ هـ)
الأصمعيات (ليسك ١٩٠٢ م)
الأضداد لابن الأثير (الحسنية ١٣٢٥ هـ)
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (بولاق ١٢٨٥ هـ)
الاقتضاب لابن السيد البطليوسي (الآداب ببيروت ١٩٠١ م)
أمالى القائل (دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ)
أمالى المرتضى (السعادة ١٣٢٥ هـ)
إمتاع الأسماع للمقرئ (لجنة التأليف ١٩٤١ م)
الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي (لجنة التأليف ١٩٤٢ م)

(ب)

- البداية والنهاية لابن كثير (السعادة ١٣٥١ هـ)
البدیع لابن المعتز (مصطفى الحلبي ١٣٦٤ هـ)
البصائر والذخائر للتوحيدي (لجنة التأليف ١٣٧٣ هـ)
بغية الوعاة للسيوطي (السعادة ١٣٤٩ هـ)
البيان والتبيين للجاحظ (لجنة التأليف ١٣٦٩ هـ)

ت

- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (عيسى الحلبي ١٣٧٣ هـ)
تاريخ الإسلام للذهبي (القلمى ١٣٦٧ هـ)

- تاريخ الأمم والملوك للطبري (الحسينية ١٣٢٣ هـ)
 تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (السعادة ١٣٤٩ هـ)
 التاريخ الكبير للبخاري (حيدر آباد)
 التشييات لابن أبي عون (لندن ١٩٥٢ م)
 تفسير ابن جرير الطبري (بولاق ١٣٢٩ هـ)
 التمهيد للباقلاني (دار الفكر العربي ١٣٦٦ هـ)
 تهذيب التهذيب لابن حجر (حيدر آباد ١٣٢٥ هـ)

(ج)

- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (حيدر آباد)
 جهرة أشعار العرب لأبي زيد (بولاق ١٣٠٨ هـ)
 جهرة أنساب العرب لابن حزم (المعارف ١٩٤٨ م)
 جهرة اللغة لابن دريد (حيدر آباد ١٣٥١ هـ)

(ح)

- حماسة البحتري (الكاثوليكية بيروت ١٩١٠ م)
 حماسة ابن الشجري (حيدر آباد ١٣٤٥ هـ)
 الحيوان للجاحظ (مصطفى الحلبي ١٣٦٤ هـ)

(خ)

- خواص الخااص للثعالبي (الخانجي ١٩٠٨ م)
 خزائن الأدب لابن حجة الحموي (الخيرية)
 خزائن الأدب لعبد القادر البغدادي (بولاق ١٢٩٩ هـ)
 الخصائص لابن جني (دار الكتب المصرية)
 خلاصة تذهيب الكمال للخزرجي (الخيرية ١٣٢٢ هـ)

(د)

- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (المنار ١٣٦٧ هـ)
 دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (حيدر آباد . أولى)

- ديوان الأخطل (بيروت ١٨٩١ م)
ديوان الأعشى (فينا ١٩٢٧ م)
ديوان الأفره الأودي (ضمن الطرائف الأدبية . لجنة التأليف ١٩٣٧ م)
ديوان امرئ القيس (الرحمانية ١٩٣٠ م)
ديوان البحري (بيروت ١٩١١ م)
ديوان أبي تمام (بيروت)
ديوان جرير (الصاوي ١٣٥٣ هـ)
ديوان حسان بن ثابت (الرحمانية ١٣٤٧ هـ)
ديوان الحطيئة (التقدم ١٣٢٥ هـ)
ديوان الحنساء (الكاثوليكية بيروت ١٨٩٦ م)
ديوان ابن اللمينة (القاهرة ١٣٣٧ هـ)
ديوان أبي ذؤيب الهللي (ضمن شعر الهذليين . دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ)
ديوان ذي الرمة (كبرج ١٩١٩ م)
ديوان ابن الرومي (القاهرة ١٩١٧ م)
ديوان زهير بشرح الأعلام الشنتمري
ديوان زهير بشرح ثعلب (دار الكتب المصرية ١٣٦٣ هـ)
ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس (دار الكتب المصرية ١٩٤٩ م)
ديوان السري الرفاء (القلسي)
ديوان الشماخ (السعادة ١٣٢٧ هـ)
ديوان طرفة بن العبد (قازان ١٩٠٩ م)
ديوان عبيد بن الأبرص (ليدن ١٩١٣ م)
ديوان علقمة الفحل (المحمودية ١٣٥٣ هـ)
ديوان عمر بن أبي ربيعة (التجارية)
ديوان القرزوقي (الصاوي ١٣٥٤ هـ)
ديوان كثير عزة (الجزائر ١٩٢٨ م)
ديوان كشاجم (بيروت)
ديوان المتنبي بشرح البرقوق (الرحمانية ١٣٤٨ هـ)
ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (القلسي ١٣٥٢ هـ)
ديوان ابن المعتز (بيروت ١٣٣٢ هـ)
ديوان النابغة الذبياني (بيروت ١٣٤٧ هـ)
ديوان أبي نواس (واصل ١٢٩٣ هـ)

(ذ)

الذخائر والأعلاق (القاهرة)
ذيل أمالي القائل (دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ)

(ر)

الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري (الخانجي ١٣٥٧ هـ)

(ز)

زهر الآداب للحصري (الرحمانية ١٩٢٥ م)
الزهرة لابن أبي داود

(س)

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (الرحمانية ١٣٥٠ هـ)
سنن الدارمي (دمشق)
سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي (المصرية)
سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (المؤيد ١٣٣١ هـ)

(ش)

شرح أدب الكاتب للجوالقي (القلمي ١٣٥٠ هـ)
شرح الحماسة للتبريزي (التجارية ١٣٥٧ هـ)
شرح الحماسة للمرزوقي (لجنة التأليف ١٣٧١ هـ)
شرح سنن الترمذي للمبار كفوري (الهند)
شرح شواهد الشافية للبغدادي (حجازي ١٣٥٩ هـ)
شرح شواهد المغني للسيوطي (البية ١٣٢٢ هـ)
شرح القصائد العشر للتبريزي (السلفية ١٣٤٣ هـ)
شرح المعلقات للزوزني (الرافعي)
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (الحلبي ١٣٢٩ هـ)
الشعر والشعراء لابن قتيبة (عيسى الحلبي ١٣٧٠ هـ)

(ص)

الصاحبي لابن فارس (السلفية ١٣٢٨ هـ)
الصناعتين لأبي هلال العسكري (الآستانة ١٣٢٠ هـ)

(ط)

طبقات الشافعية للسيكي (الحسنية)
طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (المعارف ١٩٤٢ م)
الطبقات الكبرى لابن سعد (لندن ١٣٢٢ هـ)

(ع)

عبث الوليد للمعري (الترقي بدمشق ١٣٥٥ هـ)
العقد الفريد لابن عبد ربه (لجنة التأليف ١٣٥٩ هـ)
العمدة لابن رشيقي (التجارية ١٣٥٣ هـ)
عيون الأثر لابن سيد الناس (القلمى ١٣٥٦ هـ)
عيون الأخبار لابن قتيبة (دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ)

(غ)

غرر الخصائص الواضحة للوطواط (الأدبية ١٣١٨ هـ)

(ف)

الفاائق للزحشرى (عيسى الحلبي ١٣٦٦ هـ)
فتح الباري لابن حجر (بولاق)
فهرست ابن النديم (التجارية ١٣٤٨ هـ)

(ك)

الكامل للمبرد (مصطفى الحلبي ١٣٥٦ هـ)
الكتاب لسيويه (بولاق ١٣١٧ هـ)

(ل)

اللاكي شرح الأمالي للبكري (لجنة التأليف ١٣٥٤ هـ)
لسان العرب لابن منظور (بولاقي ١٣٠٨ هـ)

المؤتلف والمختلف للآمللي (القدسلي ١٣٥٤ هـ)
ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم للمبرد (السلفية ١٣٥٠ هـ)
مبادئ اللغة للخطيب الإسكاني (الخانجي ١٣٢٥ هـ)
المجازات النبوية للشريف الرضي (مصطفى الحلبي ١٣٥٦ هـ)
مجمع الأمثال للميداني (القاهرة ١٣٥٢ هـ)
مجمع البيان للطبرسي (صيدا ١٣٥٤ هـ)
مختارات ابن الشجري (الاعتماد ١٩٢٥ م)
مروج الذهب للمسعودي (السعادة ١٣٦٧ هـ)
مصارع العشاق للسراج (الجوائب ١٣٠١ هـ)
مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني (المينية ١٣٢٤ هـ)
المفضليات (المعارف ١٩٥٢ م)
المعارف لابن قتيبة (القاهرة ١٣٥٣ هـ)
المعاني الكبير لابن قتيبة (حيدر آباد ١٣٦٨ هـ)
معاهد التنصيص للعباسي (السعادة ١٣٦٧ هـ)
معجم الأدباء لياقوت (رفاعي ١٣٥٧ هـ)
معجم البلدان لياقوت (الخانجي ١٣٢٣ هـ)
معجم الشعراء للمرزباني (القدسلي ١٣٥٤ هـ)
المعمرين لأبي حاتم السجستاني (السعادة ١٣٢٣ هـ)
مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (الأول . السعادة ١٣٢٣ هـ)
المنتظم لابن الجوزي (حيدر آباد ١٣٥٨ هـ)
الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمللي (حجازي ١٣٦٣ هـ)
الموشح للمرزباني (السلفية ١٣٤٣ هـ)
ميزان الاعتدال للذهبي (السعادة ١٣٢٥ هـ)
الميسر والقنداح لابن قتيبة (السلفية ١٣٤٣ هـ)

نثار الأزهار لابن منظور (الجوائب)
نزهة الألبا في طبقات الأدبا لابن الأنباري (حجر ١٢٩٤ هـ)

- نظام الغريب للربيعي (أمين هندية)
 التقائض بين جرير والقرزوق (لندن ١٩٠٥ م)
 نقد الشعر لقدامة بين جعفر (الجوائب ١٣٠٢ هـ)
 النكت في إعجاز القرآن للروماني (دهل ١٩٣٤ م)
 نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي (الآداب والمؤيد)
 نهج البلاغة جمع الشريف الرضي (الاستقامة)
 نواذر أبي زيد (بيروت ١٨٩٤ م)
 نواذر القالي (دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ)

(٥)

يتيمة الدهر للثعالبي (حجازي)

٧ - فهرس الموضوعات

مقدمة المؤلف :	٣ - ٩
بيان شرف القرآن الكريم ، وأن البحث فيه والكشف عن معانيه من أهم ما يجب على المسلمين . السبب في خوض الملمحين في أصول الدين وتشكيكهم أهل الضعف ، في كل يقين - أقوال الملاحدة في القرآن - موازنة بعض الجهال القرآن بالشعر وتفضيله الشعر على القرآن .	٣ - ٦
تقصير المؤلفين في معاني القرآن في بيان وجه إعجاز القرآن ، وما نجم عنه . تقصير الجاحظ في كتاب « نظم القرآن » . سبب تأليف الكتاب ، وبيان منهج المؤلف فيه .	٦ - ٩
فصل : في أن القرآن معجزة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . بيان أن القرآن معجزة عامة للإنس والجن ، في سائر العصور .	١٠ - ٢٠
تخطئة زعم : أن عجز أهل العصر الأول عن معارضة القرآن كاف في الدلالة على النبوة ، وغير مستلزم عجز أهل الأعصر التالية .	١١ - ١١
بيان أن كثيراً من الآيات والصور - : كسورة المؤمن ، وصورة فصلت : يدل على أن الله لما ابتعث النبي جعل القرآن معجزته ، وبني أمر نبوته عليه ، كما جعله حجة لازمة عامة ، وبين وجه إعجازه .	١١ - ١٩
بيان مفارقة حكم القرآن حكم غيره من الكتب المتزلة السابقة . فصل : في تبين كيفية الدلالة على كون القرآن معجزاً .	١٩ - ٢٠
نقل الباقلاني عن العلماء : أن الأصل في ذلك هو علم كون القرآن المرسوم في المصاحف ، هو الذي جاء النبي به ، والذي تلاه من في عصره . وبيان الطريق إلى معرفة ذلك ، والدليل على علم حطوت تحريف فيه ، أو كتمان شيء منه .	٢١ - ٤٧
	٢١ - ٢٦

إبطال زعم أنه لا يمكن علم وحدانية الله بالقرآن .	٢٣
اختلاف الدواعي إلى ضبط البشر القرآن ، وحفظهم إياه .	٢٥ - ٢٦
إثبات أن النبي قد تحدى العرب بالقرآن ، وأنهم لم يأتوا بمثله ، وعجزوا عنه .	٢٦ - ٣٣
ذكر بعض الاعتراضات التي ترد على ذلك ؛ ودفعها .	٣٣ - ٤١
سبب إسلام جبير بن مطعم ، وعمر بن الخطاب .	٣٨
بعث وجه قريش بعتبة بن ربيعة ، إلى النبي ، ليجادله ؛ وما حدث منه .	٣٩
بيان أن الله جعل سماع القرآن حجة على بعض المشركين ؛ وأن ذلك لا يستلزم أن يسلم الجميع عند سماعه .	٣٩ - ٤٠
مجيء أبي سفيان بن حرب إلى النبي - عام الفتح - ليسلم ؛ وما كان منه .	٤٠
القول بالصرقة ، والرد عليه .	٤١ - ٤٤
الاعتراض بالإنزام كون الكتب السماوية الأخرى معجزة ؛ ودفعه .	٤٤ - ٤٦
الرد على زعم المهجوس أن بعض كتبهم معجزة ؛ وعلى زعم : أن ابن المقفع قد عارض القرآن .	٤٦ - ٤٧
<hr/>	
فصل : في جملة وجوه إعجاز القرآن .	٤٨ - ٧١
نقل الباقلاني عن الأشاعرة ، ثلاثة أوجه :	٤٨ - ٥١
الوجه الأول : تضمن القرآن الإخبار عن الغيب . الاستدلال له	٤٨ - ٥٠
الوجه الثاني : إتيان القرآن بمجمل ما حدث - : من عظائم الأمور ، وهجمات السير - من بدء الخليقة إلى حين بعثة النبي ؛ مع كونه صلى الله عليه وسلم أمياً ، لا يعرف شيئاً من كتب السابقين وأنبيائهم . والاستدلال له .	٥٠ - ٥١
الوجه الثالث : يديع نظم القرآن ، وعجيب تأليفه ، وتناهيه في البلاغة .	٥١
بيان الباقلاني الوجوه والمعاني التي يشتمل عليها نظم القرآن ، وتأليفه ، وبلاغته .	٥١ - ٧٢
المعنى الأول : ما يرجع إلى جملة .	٥١ - ٥٢

- المعنى الثانى : كون كلام العرب غير مشتمل على فصاحة القرآن وغرابته ، ولطيف معانيه ، وغزير فوائده ؛ وما إلى ذلك . ٥٣
- المعنى الثالث : عدم التفاوت والتباين فى عجيب نظم القرآن ، وبديع تأليفه . ٥٤ - ٥٦
- المعنى الرابع : كون كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً ظاهراً فى الفصل والوصل ، والعلو والتزول ؛ وغير ذلك . ٥٦ - ٥٧
- المعنى الخامس : كون نظم القرآن - من حيث البلاغة - : خارجاً عن عادة كلام الثقيلين . ودفع ما قد يرد على ذلك . ٥٧ - ٦٢
- لامية تأبط شراً فى مقابلة الغيلان ؛ وأبيات لامرئ القيس وغيره فى مخاطبة الجحان . ٥٨ - ٦١
- المعنى السادس : اشتمال القرآن على جميع أنواع الخطاب عند العرب ؛ مع تجاوزه حدود المعتاد بينهم . ٦٢ - ٦٣
- المعنى السابع : تضمن القرآن ما يمتنع على البشر من المعاني فى أصل وضع الأحكام والقواعد ، والاحتجاج فى العقائد ، والرد على المعاند . ٦٣
- المعنى الثامن : كون الكلمة من القرآن يتمثل بها خاصة فى تضاعيف كلام كثير . ٦٣ - ٦٦
- المعنى التاسع : كون الحروف التى بنى عليها كلام العرب : تسعة وعشرين حرفاً ؛ مع أن عدد سور القرآن - المفتحة بذكر الحروف - : ثمان وعشرون سورة ؛ وجملة الحروف المذكورة فى أوائل السور أربعة عشر حرفاً . وشرح ذلك . ٦٦ - ٦٩
- المعنى العاشر : سهولة سبيل القرآن ، وخروجه عن الوحشى المستكره ، والغريب المستنكر ؛ وبعده عن التصنع والتكلف ؛ وقربه إلى الفهم . ٦٩ - ٧٠
- عدم موافقة الباقلانى ، بعض الأشاعرة فى جعله كون الأحكام الشرعية معطلة بطل موافقة لمقتضى العقل - : وجهاً من وجوه الإعجاز . ٧٠ - ٧١

٧١ بيان الباقلافي كون إعجاز القرآن ليس من جهة كونه حكاية
لكلام الله النفس القديم ، أو كونه عبارة عنه ، أو قديماً
في نفسه .

٧٢-٧٥	فصل : في شرح وجوه إعجاز القرآن المتقدمة :
٧٢-٧٣	شرح الوجه الأول .
٧٤-٧٥	شرح الوجه الثاني .
٧٥	شرح الوجه الثالث .
٧٦-٨٥	فصل : في نفي الشعر من القرآن .
٧٧-٧٩	بيان ادعاء أن في القرآن شعراً كثيراً .
٧٩-٨٤	الجواب عن هذا الادعاء .
٨٤-٨٥	بيان أن ليس في القرآن كلام موزون كوزن الشعر ، وإن كان غير مقفى .
٨٦-١٠٠	فصل : في نفي السجع من القرآن :
٨٦-١٠٠	بيان أقوى أدلة مثنى السجع ، ونقصها .
٩٥-٩٧	اختلاف العلماء في الشعر كيف اتفق للعرب ؟ .
٩٩-١٠٠	إلزام الباقلافي مجوزي السجع في القرآن بالقول بالصرفة ، وبوقوع الخط في طريقة نظمه ، وبالاستهانة بعجيب تأليفه .
١٠١-١٧٠	فصل : في ذكر البديع من الكلام .
١٠١-١٠٦	تصدير الباقلافي ، الجواب عن كون إعجاز القرآن : هل يمكن معرفة من جهة أنواع البديع التي تضمنها - : بذكر ألفاظ من الكتاب والسنة وكلام البلغاء ، تضمنت بعض أنواع البديع .
١٠٦-١٦١	نقل الباقلافي جملة من طريق البديع الكثيرة ، التي اشتمل عليها الشعر ، مع بيان معانيها ، وذكر شواهد لها أيضاً من القرآن وكلام البلغاء .
١٠٦-١٠٩	الاستعارة البليغة أو الإرداف .
١٠٩-١١٧	التشبيه الحسن ، وبعض أنواع الاستعارة .
١١٧-١١٩	الغلو والإفراط في الصنعة .
١١٩-١٢٢	التمثيل أو المماثلة .
١٢٢-١٢٦	التضاد أو المطابقة .
١٢٦-١٣٢	التجنيس أو المحجاسة .

المقابلة .	١٣٣-١٣٢
الموازنة .	١٣٤
المساواة .	١٣٦-١٣٤
الإشارة .	١٣٧-١٣٦
الفلو والمبالغة .	١٣٩-١٣٧
الإيقال .	١٣٩
التوشيح .	١٤٠-١٣٩
رد عجز الكلام على صدره .	١٤١-١٤٠
صحة التقسيم .	١٤٣-١٤١
صحة التفسير .	١٤٣
التكميل والتتيم .	١٤٤-١٤٣
الترصيع وأنواعه .	١٤٦-١٤٤
المضارعة .	١٤٦
التكافؤ .	١٤٧-١٤٦
التعطف .	١٤٨-١٤٧
السلب والإيجاب ، والكتابة والتعريض .	١٤٨
العكس والتبديل .	١٤٩-١٤٨
الالفاظات .	١٥٢-١٤٩
الاعتراض والرجوع .	١٥٤-١٥٣
التدبيل .	١٥٦-١٥٥
الاستطراد .	١٦٠-١٥٦
التكرار .	١٦٠
الاستثناء .	١٦١-١٦٠
رد الباقلاني على من زعم إمكان استفادة إعجاز القرآن ، من أنواع البديع المتعلمة :	١٧٠-١٦٢
بعض لامية أبي تمام : (متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل) ؛ ونقده مع نقد أبيات أخرى له .	١٦٦-١٦٢
بيان أن البحترى لا يرى في التجنيس ما يراه الطائي ، ويقول التصنيع له .	١٦٦

- رجوع الكلام إلى أنه لا سبيل إلى إمكان استعادة الإعجاز ، ١٦٨-١٧٠
 من أنواع البيع .
- فصل : في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن : ١٧١-٢٣٥
- معرفة إعجاز القرآن لا تنهيا إلا للعربي المتناهي الفصاحة . ١٧١-١٧٢
- اختلاف أهل الصنعة في اختيار الكلام . ١٧٢-١٧٨
- بعض دالية البحرى في مدح ابن الزيات . ١٧٤
- شرح قول على بن الجهم - عن شعر أشجع السلمي - : ١٧٥
 إنه يخلى .
- الخلافا في التفضيل بين أبي نواس ومسلم بن الوليد ؛ ثم ١٧٦-١٧٧
 بين القرزوق وجريير .
- بيان أن اختيار أبي تمام - في كتابيه : الحماسة ، والوحشيات - ١٧٧-١٧٨
 أعدل اختيار .
- بيان وجه تفضيل العربية على غيرها . ١٧٨-١٨٠
- بيان أى الكلام أحق بأن يكون شريفاً ؟ ١٨٠-١٨٢
- بيان أن المتقدم في صنعة الفصاحة ، لا تخفى عليه وجوه الكلام ، ١٨٢-١٩٢
 ولا تشبه عليه طرقه ؛ بل يستطيع نقدها ، ومعرفة المتماثل
 منها ، والتمييز بين شعر الشعراء ، وبين رسائل البلغاء ؛ وإدراك
 الفرق بين الكلام العلوى ، واللفظ السوقى ؛ وإدراك التابع من
 المتبوع . وبيان أن معرفة البلّغ بعلو شأن القرآن وعجيب نظمه ،
 أمر يستحيل غيره ، ولا يشتبه على ذى بصيرة .
- ذكر الأمثلة ، وعرض الأساليب ، وتصوير صور النثر والنظم ، ١٩٢-٢٣٤
 التى تفصح أمام البلّغ الطريق ، وتفتح له الباب لإدراك إعجاز
 القرآن ، ومعرفة الفرق الواضح بينه وبين سائر الكلام .
- ما حكاها الجاحظ - في حد البلاغة - عن بعض الأئم ١٩٣-١٩٤
 والجماعات .
- ما ذكره أهل اللغة عن حد البراعة ، واختلافهم في معنى الفصاحة . ١٩٤
- شروع الباقلانى في ذكر شىء من كلام النبي ؛ لإظهار ١٩٤-١٩٥
 الفرق بين كلام الله ، وكلام البشر .
- خطبة النبي : « توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا . . . » ١٩٦
- خطبة النبي : « .. إن لكم معالم ، فأنهوا إلى معالمكم . . . » ١٩٧

- خطبة النبي : « .. نعوذ بالله من شرور أنفسنا .. » . ١٩٨-١٩٧
- خطبة النبي في أيام التشريق : « .. أتدرون في أي شهر أنتم ؟ .. » . ٢٠٠-١٩٨
- خطبة النبي يوم فتح مكة : « لا إله إلا الله وحده . صدق وعده . » ٢٠١
- خطبة النبي بالخيف : « نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها . » ٢٠٢-٢٠١
- خطبة النبي : « ألا إن الدنيا خضرة حلوة .. » . ٢٠٣
- كتاب النبي : إلى كسرى ملك فارس . ٢٠٤-٢٠٣
- كتاب النبي : إلى النجاشي ملك الحبشة . ٢٠٤
- نسخة عهد الصلح مع قريش عام الحديبية . ٢٠٦-٢٠٤
- بيان أن من كان له حظ في الصنعة ، وقطع من العربة ؛ لا يشبه عليه الفرق بين القرآن وكلام النبي . ٢٠٧-٢٠٦
- شروع الباقلاني في ذكر جملة من كلام الصحابة والبلغاء ، زيادة في تبين الفرق بين القرآن وغيره . ٢٠٨-٢٠٧
- خطبة أبي بكر الصديق : « أما بعد : فإني وليت أمركم ، ولست بغيركم . . . » . ٢٠٩
- عهد أبي بكر الصديق إلى عمر بن الخطاب . ٢١٠-٢٠٩
- كلام أبي بكر الصديق - في علته التي مات فيها - مع عبد الرحمن بن عوف . ٢١١-٢١٠
- كتاب أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ؛ إلى عمر بن الخطاب ، في نصيحته . ٢١٢
- رد عمر عليهما . ٢١٣-٢١٢
- عهد عمر إلى أبي موسى الأشعري ، في شأن القضاء . ٢١٦-٢١٤
- خطبة عثمان بن عفان : « إن لكل شيء آفة . . . » . ٢١٧-٢١٦
- كتاب عثمان بن عفان - وهو محصور - إلى علي بن أبي طالب . ٢١٨-٢١٧
- رثاء علي أبا بكر . وقد تضمن بعض الأحاديث الشريفة التي تعلق بوصفه . ٢٢١-٢١٨
- خطبة علي : « أما بعد : فإن الدنيا قد أدبرت . . . » . ٢٢٢
- خطبة علي : « .. اتقوا الله ؛ فما خلق امرؤ عبثاً . . . » . ٢٢٣
- كتاب علي إلى عبد الله بن عباس ، وهو بالبصرة . ٢٢٣
- كلام لابن عباس ، يبين فيه المانع من إرسال علي لياه يوم الحكمين . ٢٢٤

- خطبة عبد الله بن مسعود : « أصدق الحديث كتاب الله » ٢٢٤-٢٢٥
- خطبة علي - المنسوبة إلى معاوية بن أبي سفيان - : « .. إنا قد أصبحنا في دهر عنود ... » ٢٢٥-٢٢٨
- خطبة عمر بن عبد العزيز : « أيها الناس : إنكم ميتون » ٢٢٨-٢٢٩
- خطبة الحجاج بن يوسف : « يا أهل العراق ، ويا أهل الشقاق والتفاق ... » ٢٢٩
- الخطبة المنسوبة إلى قس بن ساعدة : « أيها الناس ، اجتمعوا .. » ٢٣٠-٢٣٢
- الخطبة الأخرى المنسوبة إليه أيضاً ، والتي صدرت بأبيات أطول : « يا ناعي الموت والأموات في جدث ... » ٢٣٢-٢٣٣
- خطبة أبي طالب في شأن زواج النبي من خديجة . ٢٣٤
- بيان أن من تأمل الخطب المتقدمة ونحوها ، سيقع له الفصل بين كلام الأدميين ، وكلام رب العالمين . ٢٣٥
- باب : في بيان ما إذا كان الشعر أفصح من الخطب ، وأبرع من الرسائل - : فيحتاج إلى الموازنة بين نظمهما وبين القرآن - أو أن النثر يتأق فيهما من الفصاحة والبلاغة ، ما لا يتأق في الشعر . ثم نقد بعض القصائد الكبيرة ، لبيان عظيم شأن القرآن . ٢٣٦-٣٧٩
- ما حكى من أن المتنبي أنكر نظره في المصحف الشريف . ٢٣٧
- ذكر شيء من كلام مسيلمة الكذاب ، وبيان أنه أحقر من أن يهتم به ، وأنصف من أن يفكر فيه . ٢٣٨-٢٤١
- الكلام على جودة شعر امرئ القيس ، ثم نقد معلقته ، وبيان أن شعره لا يصح أن يوازن بين القرآن وبينه : ٢٤١-٢٧٨
- أبيات بديعة في وصف الريا . ٢٦٤-٢٦٥
- التفاضل بين أبيات امرئ القيس ، وأبيات النابغة الذبياني ، في وصف الليل . ٢٧٥
- بيان الباقلائي أن نهج القرآن ونظمه ، وتأليفه وورصفه ، تنبيه العقول في جهته ، وتفضل دون وصفه . واستشهاده لذلك بآيات كثيرة ، في القصص والأخبار ، والعقائد والأحكام ، وما إلى ذلك . مع توضيح ما تضمنته توضيحاً جليلاً شافياً . ٢٧٩-٣٢٢
- بيان أن من القرآن ما لا يمكن إظهار البراعة فيه ، وإبانة ٣١٦-٣١٧

القصاحة عليه ؛ وأن المعبر في مثله تنزير الخطاب ، وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى .

بيان أن الآيات الأحكاميات — التي لا بد فيها من أمر البلاغة — يعتبر فيها من الألفاظ ؛ ما يعتبر في غيرها . ٣١٨

بيان أن من آيات القرآن ، ما زاد الإقحام به على الإيضاح ، أو ساوى مواقع التفسير والشرح ؛ فكان النهاية في معناه . ٣٢١-٣١٩

تصريح الباقلاني بأن الذى عارض القرآن شعر امرئ القيس ، لأضل من حمار باهلة ، وأحق من هبقة . واستدل له لذلك . ٣٢٧-٣٢٢

بيان الباقلاني أن جنس الشعر عامة — وديته وجيده — لا يصح موازنته بالقرآن ؛ وأن تخلف شعر امرئ القيس عن ذلك ، يستلزم تخلف شعر غيره ؛ وأن الجيد — من الأشعار — إنما يعدل بمثله ، لا بالقرآن ؛ وأن الشعراء يغير بعضهم على بعض . ٣٣٣-٣٢٨

إغارة أبي نواس ، على معنى للضحك ، في وصف شارب الخمر ؛ وأبيات جيدة لابن الروي في ذلك . ٣٣٢-٣٣٠

نقد الباقلاني لامية البحرى : (أهلا بذلك الخيال المقبل ...) التي تعتبر أجود شعره . ٣٣٦-٣٣٤

قطعة أبي الهول الحميرى ، أو ابن يامين البصرى ؛ في وصف السيف . ٣٦٩-٣٦٨

بيان أن شعر البحرى إنما يوازن شعر شاعر من طبقته ؛ وأن نظم القرآن عال عن أن يعلق الوهم به ، أو يسمو الفكر إليه . ٣٧٠-٣٦٩

ذكر بعض أقسام الوصف الصادق ، والمثيل لما من القرآن الكريم . ٣٧٣-٣٧١

السبب في اقتصار الباقلاني ، على نقد قصيدة البحرى ، دون شعر غيره من المحدثين . ٣٧٣

بيان الباقلاني أن الغرض من تصنيف كتابه هذا ، هو الكشف عن إعجاز القرآن ؛ دون الرد على مطاعن الملاحدة عليه . ٣٧٥-٣٧٤

بيان الباقلاني أن ذكر الأشعر والأبلغ من الشعراء ، خارج عن غرض الكتاب . ٣٧٦

- ٣٧٧-٣٧٦ رد الباقلاني على من يزعم أن سلامة بعض الكلام من العوارض والميوب ، وبلوذه الأمد في القصاحة والنظم المجيب - يقتضى إعجازه .
- ٣٧٨-٣٧٧ انتقاد الباقلاني أسلوب الملاحظ وطريقته ؛ وبيانه أن بعض متأخري الكتاب - كابن العميد - قد نازعه فيها ، وسأواه أو تقلد عليه .
- ٣٧٩-٣٧٨ بيان أن ليس في مقلود البشر معارضة القرآن بحال .
- ٣٨١-٣٨٠ فصل : في الرد على من زعم أن عجز أهل عصر النبوة ، عن معارضة القرآن والإتيان بمثله - لا يستلزم عجز أهل الأعصر التالية .
- ٣٨٥-٣٨٢ فصل : في التحدى ، وبيان أنه قد يكون ضرورياً في معرفة كون القرآن معجزاً ؛ وقد يكون استدلالياً .
- ٣٩٢-٣٨٦ فصل : في قلة المعجز من القرآن ؛ وبيان الخلاف - بين الأشاعرة والمعتزلة - في ذلك .
- ٣٨٩-٣٨٦ اختيار الباقلاني مذهب الأشعرى ، واستدلاله له ، ودفعه ما يرد عليه .
- ٣٨٩ بيان الباقلاني أن زعم الملاحدة أنه لا يقع المعجز عن الإتيان بسورة قصيرة أو آيات بقلدها ؛ يخالفه الواقع ، ولا يستقيم مع زعمهم أن ليس في القرآن كله إعجاز .
- ٣٩٠ بيان أن الإعجاز يتفاوت ظهوراً وغموضاً ، بسبب اختلاف حال الكلام .
- ٣٩١ نقل القراء عن العرب : متى يسمى الشعر بيتاً ، أو نثفاً ، أو قطعة ، أو قصيداً ؟
- ٣٩٢ بيان أن اشتغال الكلام على البيت النادر ، أو المثل السائر ، أو المعنى الغريب - سببه القزارة في أصل الصنعة .
- ٣٩٣ فصل : في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟ أو استدلالاً ؟ وأنه استدلالى في حق الأعجمى ؛ ضرورى في حق المحيط بمذاهب العربية ، وغرائب الصنعة .
- ٣٩٥-٣٩٤ فصل : فيما يتعلق به الإعجاز : أهر الحروف المنظومة ؟

أو الكلام القديم القائم بالذات ؟ أو غير ذلك ؟ . وبيان :
الخلافاً فيه .

فصل : في وصف وجوه من البلاغة ؛ مع التمثيل لها .	٣٩٦-٤٣٥
نقل الباقلاني عن بعض أهل الكلام والأدب - وهو أبو الحسن الرماني . - : أن البلاغة على عشرة أقسام . وبيانه لها .	٣٩٦-٤٢٩
الكلام عن الإيجاز وأقسامه .	٣٩٦-٣٩٧
الإطناب ؛ والفرق بينه وبين التطويل .	٣٩٩
التشبيه .	٣٩٩-٤٠٢
الاستعارة	٤٠٢-٤٠٦
التلاؤم وأضرابه ؛ والفرق بينه وبين التنافر .	٤٠٧-٤٠٩
الفواصل ؛ والفرق بينها وبين الأجماع .	٤٠٩
التجانس وجوهه .	٤١٠-٤١١
المناسبة .	٤١١
التصريف .	٤١٢
التضمين وجوهه .	٤١٢-٤١٤
المبالغة وجوهها .	٤١٤-٤١٥
حسن البيان ؛ وذكر أقسام البيان ومراتبه ، والفرق بينه وبين العلى .	٤١٥-٤٢٩
بيان فساد زعم أن إعجاز القرآن يؤخذ من جميع وجوه البلاغة المتقدمة . وبيان أن الذي لا يستوفى بالتعلم والتعمل منها ، هو الذي يؤخذ ذلك منه .	٤١٧-٤٣٣
بيان أن الإعجاز يتعلق بالبيان ؛ وأن القرآن أعلى منازل .	٤١٨-٤٢٩
شعر جيد لابن المعتز في الفخر .	٤٢١-٤٢٢
قطعة من رائية لأبي فراس في الفخر ؛ أولها : (ولا أصبح الحى الخلوفاً بغارة ...) .	٤٢٢-٤٢٣
أبيات لأبي نواس في وصف الطلول : (دع الأطلال تسفيا الجنوب ...) .	٤٢٤
معارضة هلال بن يزيد ، بيت الأعشى : (ودع هريرة إن الركب مرتحل ...) .	٤٢٥
الاستدلال على أن بيان القرآن أشرف بيان وأعلاه .	٤٢٧-٤٢٩

- ٤٣٠-٤٢٩ بيان أن المبالغة لا يتعلق بها الإعجاز ؛ دون التضمين ،
والتواصل ، والتلازم ، والتصرف في الاستعارة البديعة ، والإيجاز ،
والبسط .
- ٤٣١-٤٣٠ بيان أن كل ما لا يضبط حله ، ولا يقدر قدره - كالاستعارة
والبیان - يتعلق الإعجاز به ، وأن كل ما يمكن
تعلمه ، ويستدرك أخذه - كالسجع والتجنيس والتطبيق -
لا يجب أن يطلب وقوع الإعجاز به .
- ٤٣٣-٤٣١ الرد على من زعم أن البيان قد يتعلم .
- بيان متى يمكن أن يدعى في كلام البشر الإعجاز ؟ وبيان
أنه يمكنهم استدراك كلمة شريفة ، دون نظم نحو السورة ؛
وأن البلاغة لا تتبين بأقل من مقدار السورة أو أطول آية .
- ٤٣٥-٤٣٤ بيان أنه لا يوجد شاعر أو ناثر جميع كلامه عجب شارد ،
مخالف لما ألوف الطبع ، وغير معروف سببه في التفصيل . وإن
اتفق وقوع شيء من ذلك في كلامه .
- ٤٤٠-٤٣٦ فصل : في بيان حقيقة المعجز ؛ وانفراد الله تعالى بالقدره
على المعجز الدال على صدق النبي ؛ وأنه خارج عن عادة
البشر .
- ٤٤٠-٤٣٩ نقل الباقلاني عن الأشاعرة أن الله تعالى يقدر على نظم هيئة
أخرى تزيد على القرآن في الفصاحة . ونقله عن مخالفهم
أن بعض نظم القرآن يجوز أن يكون قد بلغ الرتبة التي لا مزيد
عليها . ورد على ذلك .
- ٤٥٠-٤٤١ فصل : في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمور تتصل
بالإعجاز .
- ٤٤٦-٤٤١ بيان أن القرآن ليس من نظم النبي ؛ وإن كان قادراً في
الفصاحة ، على مقدار لا يبلغه سواء من البشر . ودفع ما اعترض
به على ذلك ، من أن ابن مسعود اشتبه عليه الفصل بين
المعوذتين وغيرهما من القرآن ؛ كما اشتبه دعاء القنوت على أبي
بن كعب . وبيان أن نحو ذلك إنما هو تخطيط الملاحدة .
- ٤٤٥-٤٤٤ الاختلاف في أول القرآن نزولاً ، وآخره .
- ٤٤٦ بيان أنه لا يلزم من كون نظم القرآن خارجاً من جنس أوزان

- العرب ، ان تكون معرفة إعجازه ضرورية .
 ٤٤٦-٤٤٩ بيان أنه لا يلزم من اختلاف أهل الملة في إعجاز القرآن ،
 عدم إعجازه .
 ٤٤٩-٤٥٠ الرد على ما ذهب إليه أبو هاشم الجبائي ، من أن إعجاز القرآن
 إنما تحقق بسبب أن جبريل أنزله .
 ٤٥٠ بيان المذاهب في أن التأليف له نهاية ، أم لا .
 ٤٥١ فصل : في بيان أن من شرط المعجز أن يعلم أنه أتى به
 من ظهر عليه .
 ٤٥٢-٤٥٤ فصل : في بيان أن ما تقدم - من الإبانة عن كون
 القرآن معجزاً - كاف ومقتنع مع وجازته . وأن الإسهاب في ذلك ،
 يكون نوعاً من العي الذي لا فائدة منه .
 ٤٥٢ بيان بعض الحكماء متى يكون البليغ عيباً ؟
 ٤٥٢ وصف أعرابي القمر ، بسبب اهتدائه في السير به .
 ٤٥٤-٤٦٢ كلمة ختامية للمباقلاني ، تضمنت وصف القرآن الكريم ، وسرد
 أنواع البلاغة والبديع التي تحققت فيه ، ثم وصف الشعر
 والفرق بينهما .

ذخائر العرب

مجموعة جديدة يشترك فيها علماء الشرق والغرب
لبعث الكنوز العربية الخالدة ، تقدم إلى جمهور القراء
في أنصع حلة من التحقيق الدقيق وجمال الإخراج .

ظهر منها :

- ١ - مجالس ثعلب (القسمان الأول والثاني)
- ٢ - جمهرة أنساب العرب لابن حزم
- ٣ - إصلاح المنطق لابن السكيت
- ٤ - رسالة الغفران (عن أقدم نسخة خطية) لأبي العلاء
- ٥ - ديوان أبي تمام (شرح التبريزي)
- ٦ - حلية القريظ وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسي
- ٧ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام
- ٨ - حى بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والمهروردي
- ٩ - الورقة لمحمد بن داود بن الجراح
- ١٠ - المغرب في حلى المغرب لابن سعيد
- ١١ - نسب قريش
- ١٢ - إعجاز القرآن للباقلاني
- ١٣ - اللزوميات لأبي العلاء المعري

تصدرها

دار المعرف

بإشراف حضرات

محمد حلمي عيسى والدكتور طه نجسين والدكتور أحمد
الدين والدكتور عبد الوهاب عزام والشيخ أحمد محمد شاكر
والأستاذ إبراهيم مصطفى .

